أثر الوثنية في اليهودية
الجزء الأول

تأليف :
محمد حسيني موسى الغزالي

الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م





استفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِه
لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ
إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ
وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ صدق الله العظيم

(سورة الرعد الآية ١٤)



مقدمة

الحمد لله تعالى منزها عن كافة المخلوقات[١] وعنت له وجوه كل الكائنـــات[٢] وخضعت لأمره الأرضون والسماوات [٣] وســـبحت بحــمده الجـــوامد فصارت بلسان الحال ناطقات [٤] وبأنوار هداه تحولت إلى الأنوار الظلمات .

قال تعالى:"اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْـكَاةٍ فِيــهَا مِصْبَـــاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَـةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَـــهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " [٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تنزه عن مشابهة المحدثـــات ، وتفرد عن جملة القواصي والدانيات ، شهد لذاته بالوحدانية في الذات والأفعـــال

---

[١] قال تعالى : ليس كمثله شئ وهو السميع البصير له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شئ عليم " سورة الشورى الآيتان ١١ ، ١٢ .

[٢] قال تعالى : وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فــلا يخاف ظلماً ولا هضما" سورة طه الآيتان ١١١/ ١١٢ .

[٣] قال تعالى : ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتـــا أتينـــا طـــائعين فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلـــك تقديـــر العزيز العليم " سورة فصلت الآيتان ١٠ : ١٢ .

[٤] قال تعالى : " تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً" سورة الإسراء الآية/ ٤٤ .

[٥] سورة النور الآية ٥ .

والصفات ، وبنفس الشهادة نطق الملائكة وأولوا العلم من المؤمنين والمؤمنـــــات قال تعالى :" شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (1)

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ختم الله بنبوته كافة ما سبق من النبوات ، وأكد أن رسالته خاتمة الرسالات ، من أتبعه نجا فى الحياة وسلم عند الممـــات ، وصار فى الآخرة من أهل الشفاعة المقبولة الراجين النجاة .

قال تعالى : " مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّــهِ وَخَــاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْـــرًا كَثِــيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا يَـــا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَـــافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ." (2)

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد أحيا الله به قلوبـــاً كـــانت فـــى الممات ، ودفع عن الناس أطياف الظلمات ، كما بشرهم بنعيم دائم فى الجنات ، بلغ رسالة الله للثقلين فرادى وجماعات ، حتى تركنا علـــى المحجـــة البيضـــاء غواديها منيرات ، وروحاتها مشرقات .

قال صلى الله عليه وسلم " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيـــغ عنها بعدي إلا هالك ، و من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بما عرفتم

(1)سورة آل عمران آية ١٨ .

(2)سورة الأحزاب الآيات ٤٠ حتى ٤٨ .

من سنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وعليكـم بالطاعـة وإن عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد "[١]

وأرض اللهم عن آل بيت وأمهات المؤمنين الطاهرات ، اللواتي خاطبـهن رب العالمين من فوق سبع سماوات[٢] ،وأصحابه ذوى الـهمم العاليـة والـهامات المرفوعات ، والتابعين الذين كانوا أنجماً زهراً تنير الليالى الحالكات .

وأرحم اللهم أهل العلم العاملين به والعاملات ، وأكرم شيوخنا ووالدينا فى الحياة وبعد الممات ، وأجعل فى ذرارينا الخير وأنزل عليهم الرحمـات ، إنـك يامولاى سميع قريب مجيب الدعوات .

وكان ابن عطاء الله يقول: إلهى ما ألطفك بى مع جهلى ، وما أرحمك بـى مع قبيح فعلى ، وما أقربك منى وما أبعدنى عنك ، وما أرأفك بى فمـا الـذى يحجبنى عنك ، إلهى كلما أخرسنى لؤمى أنطقنـى كرمـك ، وكلمـا أيأسـتنى أوصافى أطمعتنى منتك"[٣]

أما بعد ،،

فإن الله تعالى قد فطر العقول السليمة ، والأفئدة الصحيحة على الإقـرار بوجوده تعالى ، ووحدانيته ، بجانب إثبات كافة الكمالات وما يتعلـق بـالجلال والكمال والإكرام والجمال له سبحانه وتعالى ، وقد نطق بذلك كل العالمين مـن

---

(١) أنظر حديث رقم ٤٣٦٩ في صحيح الجامع تحقيق الألباني رواه أبو داود وتفرد بإخراجه ابن ماجـة " وفي رواية أخرى على المحجة البيضاء" .

(٢)قال تعالى: "يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرًا وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا" سورة الأحـزاب الآيتان ٣٠ /٣١ .

(٣)الشيخ الإمام تاج الدين أبي العباس أحمد بن عطاء الله السكندرى ـ تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس ج٣٦،٣٧ الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ١٩٥٦م مطبعة الحلبى .

أنس وجان ، كما أقر به كل مخلوق أبدى ذلك أم أخفاه وسواء أتم له ذلك بلسان الحال أم بلسان المقال .

وعلى هذا جاء كل الأنبياء وجميع المرسلين ، فأعلنوا لأممهم ما أمرهم الله بتبليغه ، وعلموهم كيفية بلوغ تلك الغاية ، كما أفهموهم طرائق النظر فى الأدلة التى تعينهم على معرفته عز شأنه ، وتبلغ بهم دليل توحيده لأن الله تعالى أجرى عادته ، وطرق سنته بعدم تواطئ العقلاء على الاعتراض عن النظر فى عجائب الكائنات ، وغرائب المصنوعات، ومن أعظم ذلك ما تأتى به الرسل من خوارق العادات [(١)] التى تأخذ عقلاءهم إلى رضوان الله وتعرفهم به ، وتثبت لهم أنهم مرسلون من قبل الله تعالى الذي لا إله سواه،ولا معبود بحق إلا هو جل علاه .

وقد فطن العقلاء من أتباع المرسلين إلى أن الغاية من النبوات والرسالات الإلهية إنما هى تعبيد المكلفين لرب العالمين ، بعد تعريفهم به جل علاه ، وما له من الحقوق على العباد الذين خلقهم وأمرهم بإحسان العبادة وإخلاص الوجه له ، مع التسليم لعظيم جلاله وسلطانه، والإيمان بقضائه وقدره، بجانب التصديق بكل ما أنزل الله تعالى وهو أجزاء العقيدة الإلهية قال جل شأنه " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير".[(٢)]

" وكان لكل نبى أتباع وحواريون يخلصون لله فى العقيدة والعبادة ، ويراقبونه في السر والعلن ويصدقون بضرورة أن يكونوا جنداً لله مخلصين ، فإذا ما انتقل النبى إلى رحاب الله نشط الأتباع من بعده يحملون لواء الدعوة التي

---

(١)الأستاذ الشيخ / محمد بن يوسف السنوسى الحسينى . عمدة أهل التوفيق والتسديد فى شرح عقيدة أهل التوحيد ج ١٧/١٦ وعليها حواش على شرح الكبرى للسنوسى للأستاذ الجليل الشيخ اسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدى الطبعة الأولى مطبعة الحلبى ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م .

(٢)سورة البقرة آية (٢٨٥).

جاء بها النبي ، غير أنهم كانوا يلاقون العنت من أعداء الدين [١] ، وربما أسرعوا إلى توجيه هؤلاء الخصوم الذين للحق يرفضون ، وللعداوة يسارعون ، ثم ينتهي الأمر إلى إنتصار أهل الباطل والقضاء على أهل الحق ، يستوى في ذلك أتباع كل الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام .

فلما بعث الله نبيه موسى الكليم بين ظهرانى بنى إسرائيل نبياً لهم حتى يعيدهم إلى الله تعالى إرتضى بعضهم اتباع ما أنزل الله ، بينما رفضه البعض الآخر وتكبر على الله تعالى وشرعه . قال الله تعالى :" وإذ قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين "[٢]، وكان نبي الله موسى الكليم حريصاً على أن يبلغ بقومه المأمن ، ويبلغ معهم شاطئ الأمان ، الذي تمردوا عليه وأعابوه .

وقبيل إنتقال نبى الله موسى الكليم إلى جوار ربه ، إندفع كثير من الإسرائيليين إلى الخروج على تعاليم الله ، وبخاصة أنهم كانوا يتطلعون إلى العقائد الوثنية ثم سارعوا إليها إعتقادا وممارسة [٣]،بدليل أنه لما انتقل نبي الله موسى الكليم عنهم سارع الإسرائيليون إلى العقائد الوثنية فأحلوها فى نفوسهم محل العقيدة الالهية ، وغيروا كتب الله تعالى إليهم [٤] مما جعلهم يعيشون حياة لا علاقة لها بشئ مما شرع الله ، وإنما هى الوثنية بكل ما فيها من سوءات .

---

(١)الشيخ محمد عبد العظيم الجرجانى : أنبياء الله ص ٣٥ مطبعة الشيخ أبو الوفا سنة ١٣١٥هـ

(٢) سورة الصف الآية ٥ .

(٣)من ذلك قوله تعالى : " وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون " سورة الأعراف الآية (١٣٨)

(٤)بعث الله نبيه موسى الكليم لبنى إسرائيل وأنزل معه : أ ـــ التوراة ب ـــ الألواح ج ـــ الصحف ، ولكن اليهود بعد نبى الله موسى إلى اليوم تمسكوا بكل من : أ ـــ العهد القديم ، ب ـــ التلمود ، ج ـــ بروتوكولات حكماء صهيون .

وحيث أن أنبياء الله تعالى ورسله لايختلفون فى الأصول العقدية أبداً وإنما تجمعهم هذه الأصول التي شرعها الله تعالى على أساس أنهم جميعاً أخوة في الله يبلغون العقيدة الصحيحة لأممهم ، كما يعرفونهم طرائق عبادة الله تعالى — فقد جاءت النصوص الشرعية دالة على ذلك .

فمن القرآن الكريم قوله تعالى :" قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ وما أنا إلا نذير مبين " (١) ومن الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم : " نحن معاشر الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد.(٢)

لكن لما خرج الإسرائيليون على ما جاءهم به نبى الله موسى الكليم فى العقيدة والشريعة والأخلاق فقد حرفوا ما أنزله الله ومن ثم امتص الإسرائيليون العقائد الوثنية وصاروا يعبرون عنها،رغم أنهم يتحدثون باسم اليهودية زاعمين أنها الدين الالهى الذى جاء به الأنبياء عن الله تعالى ، وأنها دين عام يغطى البشوية جميعاً ، وقد ألجأهم ذلك الزعم الفاسد إلى التكذيب بأنبياء الله تعالى بعد سيدنا موسى عليه السلام تحت مزاعم عدم النسخ تارة ،أو مزاعم لزوم البداء على الله تعالى تارة أخرى ، وهى مزاعم فاسدة ، واعتقادات ضالة مضلة معا.أما لماذا ؟

" فلأن العقائد الصحيحة وما يقويها من الأدلة الصريحة ، كما تؤثر فى قلوب أهل الدين وتثمر كمال الإيمان واليقين ، فكذلك العقائد الباطلة تؤثر فى القلب وتقسيه ، وتبعده عن حضور الرب وتسوده وتضعف يقينه ، وتزلزل دينه، بل هى أقوى أسباب سوء الخاتمة(٣)الذى وقع على أهل الاعتقاد في الأفكار الوثنية

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٩ .

(٢) الشيخ نبوي محمد نبوي — النبوة والأنبياء ص ١٣٥ ط دار الوفاء المحمدي ١٣٥٧هـ .

(٣)الإمام ملا على بن سلطان محمد القارى الحنفى — شرح ملا على الفقه الأكبر ص ٦ مطبعة الحلبى الثانية ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

الذين اتبعوا اليهودية ظلماً وزورا ، كما اتبعوا غيرها من الأديان الفاسدة والاعتقادات الباطلة .

بيد أنه لما مارس طوائف اليهود التحريف فى الكتب التى جعلها الله تعالى مع نبى الله موسى لهم [١]، فإن الله تعالى عاقبهم وتمثل ذلك في رفع عنهم أنوار الحق التى جاءت بها النبوة فيهم ، ومن ثم فقد انقاد كبارهم لصغارهم الذين انقادوا هم أيضاً لضعاف القلوب والعقول ، فكان لذلك كله آثار سلبية على العقيدة والشريعة والأخلاق بل والقيم أيضاً .

يقول الإمام الشهرستانى : كانت اليهود تقول ما حكاه القرآن الكريم ، ليست النصارى على شئ [٢] وكانت النصارى تقول ليست اليهود على شئ ، وهم يتلون الكتاب [٣] ، وكان النبى ﷺ يقول لهم لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل [٤] ، وما كان يمكنهم إقامتها إلا باقامة القرآن الحكيم ، وبحكم نبى الرحمة رسول آخر الزمان سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أبوا ذلك وكفروا بآيات الله ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله [٥] ولم يكن كفرهم إلا نتيجة للخروج

---

(١)التحريف قسمان : الأول لفظى والثانى معنوى ، وكل منهما يتنوع إلى أنواع ثلاثة : الأول بالتحريف بالزيادة على الأصل — والثانى التحريف بالإنقاص من الأصل ، والثالث التحريف بالتبديل ، راجع تفاصيل ذلك فى إظهار الحق للمنهج رحمت الله الهندى ص ١٥٧.

(٢)سورة البقرة الآية ١١٢ .

(٣)سورة البقرة الآية ١١٢ .

(٤)سورة المائدة الآية ٦٨ . (٥)سورة البقرة الآية ٦١.

على شرع الله تعالى ، باعتبار أن الأمة اليهودية كانت أكبر لأن الشريعة كانت لموسى عليه السلام وجميع بنى إسرائيل كانوا متعبدين بذلك[١]، فكفرهم بالله مؤكد، وخروجهم على تعاليمه تواتر أمره .

ولما وقع اليهود فى التحريف فقد تصوروا الذات الإلهية بتصورات لاتتناسب مع ذات الله جل علاه ، أما لماذا ؟ فلأنهم شبهوا الله تعالى بغيره من المخلوقات التى يقع فيها التجسد على كل ناحية ، وأى مفهوم آخر سواءاً كان التجسد فى أشكال بشرية ، أم حيوانية ، ونباتية ، أم تجسدات جمادية متكاملة ، أم وقع فى أجزاء منفصلة ، وجزئيات غير متكاملة ، وقد نتج عن ذلك الفساد رسمهم العديد من الصور والتماثيل للذات الإلهية ، وهم فى كل ما فعلوا محرفون ، وفى عداد الوثنيين ينخرطون، ودين الله تعالى برئ منهم ، كما أن رسله جميعاً يلعنونهم[٢]

بيد أن ذلك يكشف العلاقة الوطيدة بين الأفكار الوثنية والعقائد اليهودية التى جرى ملامحها فى أسفار العهد القديم ، وهو ما يمثل عبئاً كبيراً على أى دارس ينهض لبيان تلك المسألة ، أو يكشف أستار ذات العلاقة ، ولذا سميت هذا الكتاب **(أثر الوثنية فى اليهودية)** وسأركز فى هذا الجزء على ما يتعلق بذات البارى جل علاه وصفاته حسب مارسمته أقلامهم ، ثم أعرض موقف الإسلام من ذات الأفكار ، لأن الإسلام هو الدين الصحيح ، وقوله الحق حيث ارتضاه الله رب العالمين قال جل شأنه :" وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ "[٣] .

---

(١) الشيخ عبد الكريم الشهرستانى — الملل والنحل ج ٢ ص ١٤ ، ١٥ تحقيق الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل ط الحلبى ١٣٨٨هـ—١٩٦٨م .

(٢) قال تعالى :" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ " سورة المائدة الآيات ٧٨—٨٠

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

فإن أكن وفقت لما قصدت فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وسأظل أردد قول الحق العلام "أن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب[1] ، وان تكن الخطوات قد قصرت عن بلوغ الغاية المنشودة فمن نفسي لقوله تعالى :" مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ " [2].

وأسأل الله تعالى أن يجبر كسرى ، ويقيلنى من عثراتي ، ويستر عوراتي فمنه الفضل والنعمة ، وهو صاحب الحول والطول والعزة ، قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " [3] .

الدكتور

(محمد حسيني موسى محمد الغزالي)

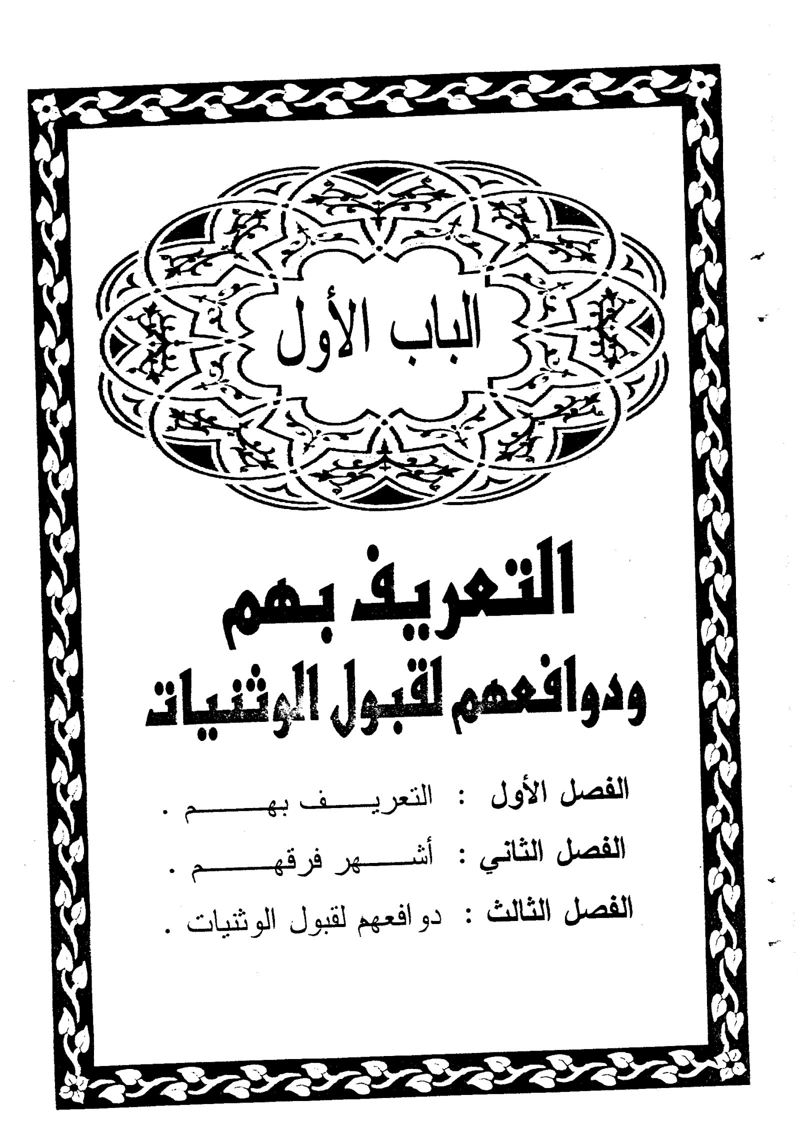
غزالة الخيس ــ مركز الزقازيق

---

(١)سورة هود الآية ٨٨ .

(٢) سورة النساء الآية ٧٩ .

(٣)سورة آل عمران الآية٢٦ .



الباب الأول

التعريف بهم ودوافعهم لقبول الوثنيات

الفصل الأول : التعريف بهم .

الفصل الثاني : أشهر فرقهم .

الفصل الثالث : دوافعهم لقبول الوثنيات .

تمهيـد

الدارس لفكر أية جماعة أو اعتقاداتها مضطر أولاً للتعريف بهم ، من حيث أن ذلك يوضح جوانب قد تكون مبهمة ، ويجعلها حاضرة في الذهن ، ماثلة أمام العقل بدل أن كانت غائبة ، إذ بدون التعرض لهم بالتعريف تكون هناك حلقة ما تزال مغلقة أمام اتخاذ القرار الصواب في إبداء الرأي العلمي ، أو الإعلان عن النتائج التي أمكن الوقوف عليها،وهو منهج أراه مقبولاً (١).أما لماذا ؟

فلأن الأجناس البشرية يقع فيها الاختلاط على سبيل الاقامات المتبادلة ،بدليل أن الفرد الصيني قد يقيم ببلاد الهند فيصير هندي الإقامة مع أنه صيني الأصل، والمصري يهاجر إلى ألمانيا فيصير ألماني المهجر والإقامة ، وكذلك الحال في كل الأجناس البشرية ، ومتى عومل فكر جماعة بناء على المكان الذي يقيمون به ، فإن إمكانية الوصول معهم إلى نتائج صحيحة ، قد لا تكون سريعة ، فضلاً عن أنها ستكون غير مأمونة .

كما أن الناس في أصولهم العرقية يقبلون التداخل ، وذلك حين يقع التزواج والتناسل بين أعراف مختلفة ،وأجناس متباينة ، فقد يقيم الفارسي ببلاد العرب،ثم تحلو له الإقامة الطويلة ، ويقع التوادد والتراحم الذي ربما انتهى إلى المصاهرة(٢)، فإن كان الزوج هو الفارسي ، فقد قبل دخول العرق الفارسي إلى العربي ، وإن كان الزوج هو العربي فقد قبل دخول العرق العربي إلى الفارسي

---

(١) المراد بالمنهج المقبول عندي في هذه الناحية هو التعريف بهم واتجاهاتهم حتى لا يكون الكلام على عواهنه ، أو بلا مقدمات صحيحة .

(٢) بدليل أن نبي الله إسماعيل تزوج من الجراهمة العرب وأنجب له ، مع أن إبراهيم عليه السلام لم يكن عربياً كما أن أمه هاجر رضي الله عنها لم تكن عربية وإنما كانت مصرية .

فإذا مضى وقت قريب ظهرت الملامح الفارسية عند العرب ، أو ظهرت العربية في بلاد فارس .

وبالتالي فالوقوف على فكر جماعة من هذين الطريقين دون تعريف بالأصول العرقية ، أو الاتجاهات الفكرية يكون فيه الكثير من المخاطرة ، ويعطي النتائج المتسرعة ، ومن ثم نلمح ذلك في الآداب الإسلامية فعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :" تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس "(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم :" إياكم وخضراء الدمن ، قالوا ومن خضراء الدمن يا رسول الله قال عليه الصلاة والسلام : المرأة الجميلة في منبت السوء "(٢)، وبناء عليه فلابد من التعريف بالأصول الأولى لأية جماعة يلجأ المرء لدراسة فكرها .

أما الاعتقادات فإنها لا تحتاج البحث العرقي، وإنما تحتاج الملاحظة الدقيقة والعلاقة التي تربط بين النصوص التي تحمل الاعتقادات ، وبين أولئك النفر الذين يبلغونها إلى الآخرين ،أو يعلنون صدق ممارستهم لها، وبخاصة في الزمن الذي اختفت فيه النبوة الصحيحة(٣) من بينهم كالحال مع اليهود والنصارى .

حيث أن الله تعالى أثبت تحريفهم للكتب التي أنزلها جل شأنه على أنبيائهم، وأن هؤلاء المحرفين كانوا لذلك الفعل قاصدين، قال تعالى: " فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ

---

(١) الشيخ محمد صبري جمعه من أنوار السنة ص ١٣٧ ط أولى ١٣٤٥هـ .

(٢) الشيخ نجم الدين محمد هداية ـ من الآداب الإسلامية ص ١٥٣ .

(٣) لا عبرة عندنا نحن المسلمين بمدعي النبوة أياً كان زمانهم أو صفتهم ، ومهما كانت الاتجاهات التي يحملون عليها ، أو الغايات التي يظنونها .

لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ "(١) .

كما أن النصارى هم الآخرون بدلوا تعاليم الله إلى نبيهم عيسى ابن مريم رسول الله ،ورسموا لأنفسهم أناجيل عديدة متباعدة تماماً عن الإنجيل العيسوى ، وقد دفعهم ذلك إلى اصطناع رهبانية مبتدعة ، وتعاليم متوهمة ، لا علاقة لها بخبر السماء قال تعالى :" ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ "(٢) .

ولما كان عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم هو آخر أنبياء بني إسرائيل، وأنزل الله عليه الإنجيل فيه البشارة بخاتم الأنبياء والمرسلين،رحمة الله للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد جعل الله في قلوب المحبين لعيسى ــ وهم حواريوه ــ المحبة لبعضهم ، والشفقة فيما بينهم ، واللين في تعاملاتهم ، حتى يكونوا على وفاق معه وتعاطف فيما بينهم .

فلما انقضى أمره بينهم ، جاء القسس والرهبان فابتدعوا أموراً من عندهم ، وأحدثوها من تلقاء أنفسهم ، لم يفرضها عليهم الله ولا أمرهم بها نبيهم ، ولا جاءهم خبر صحيح بنسبتها إلى الله تعالى ، وإنما هم الذين كتبوها من ذات أنفسهم ، زاعمين أنها تقربهم إلى الله ، وما هى إلا مبعدة عنه جل علاه.

قال العلامة أبو حيان : والرهبانية التي ابتدعها القسس والرهبان هي رفض

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٩ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٧ .

النساء ، وشهوات الدنيا ، واتخاذ الصوامع ، ومعنى ابتدعوها أحدثوها من عند أنفسهم (١) ، فكأنهم شرعوا هذه المبتدعات من عند أنفسهم ، دون أن يرضى بها الله جل علاه ، فالله لم يكتب عليهم الرهبانية ، ولكنهم ابتدعوها من تلقاء أنفسهم تاركين ما شرع الله ، وقد انتهى بهم ذلك إلى التحريف الكامل لكل ما قد جاءهم به نبي الله عيسى ابن مريم رسول الله (٢) لبنى إسرائيل ، قال تعالى:" وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ" (٣) .

من ثم فإن التعريف باليهود يعتبر ضرورة علمية منهجية — مادام البحث يتعلق بهم على ناحية هامة ، ألا وهي الناحية التي تتعلق بها اعتقاداتهم وطرائق تأثرهم بالوثنية حيث سادت البلاد التي أقاموا بها فترة طويلة ، غير أن التعريف وحده لا يكفي لتحقيق الغاية على ناحية كبيرة ، وإنما لابد أيضاً من التعرض لأبرز فرقهم وأشهرها ، سواء التي كانت في زمن سيدنا موسى بن عمران ، أم التي جاءت بعده وظهرت منتسبة إليه .

لأن متابعة هذه الفرق المختلفة يكشف الوقت الذى بدأ فيه تسلل الوثنية إلى الجنس اليهودي ، كما يوضح العلاقات والصلات التي ربطت هذه الجوانب

(١) العلامة أبو حيان — البحر المحيط ج ٨ ص ٢٢٨ .

(٢) سيدنا عيسى ابن مريم هو رسول الله إلى بني إسرائيل كالحال مع نبى الله موسى عليه السلام بشهادة القرآن الكريم ، كما أن هذه النبوة الخاصة جاءت بها الأناجيل القانونية — مثل ما حكى أن يسوع قال ماجئت إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة .

(٣) سورة الصف الآية ٦ .

بعضها البعض الآخر ،إذ فحص هذه العلاقة لهم لدارس مقارنة الأديان على وجه العموم ، والذي ينشد الوقوف على الحقيقة من ناحية الخصوص.

لأن التاريخ تمثله ذاكرة قوية ، كما أنه الوعاء الزمني للأحداث ، ثم هـــو فوق ذلك المشاهد اليقظ لحركات كثيرة ومتى أمكن رصدها والوقـــوف عليـــها، تمكن المرء من معرفة الطرائق التي تم من خلالـــها التداخـــل بيـــن الأفكـــار والمعتقدات ، وكذلك الوسائل التي حققت تلك العملية ، وما إذا كان قد حالفـها أم التوفيق أم خالفها .

بيد أن ذلك كله ربما لا يجد الدارس له مصادر موثقة تعينه على بلوغ ذلك ، حيث أن الحفر في أعماق الزمن القديم أمر غير مأمون النتائج ، من ثـم فـإني كباحث مسلم أجد الغنية في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله الكريم سيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم ، لقوله صلى الله عليه وسلم " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وسنتي"(١) لأن النقل المـنزل صـور مواقـف هؤلاء مع نبي الله موسى تصويراً فيه الإعجاز من كل ناحية ، ومن أصدق مـن الله حديثاً (٢).

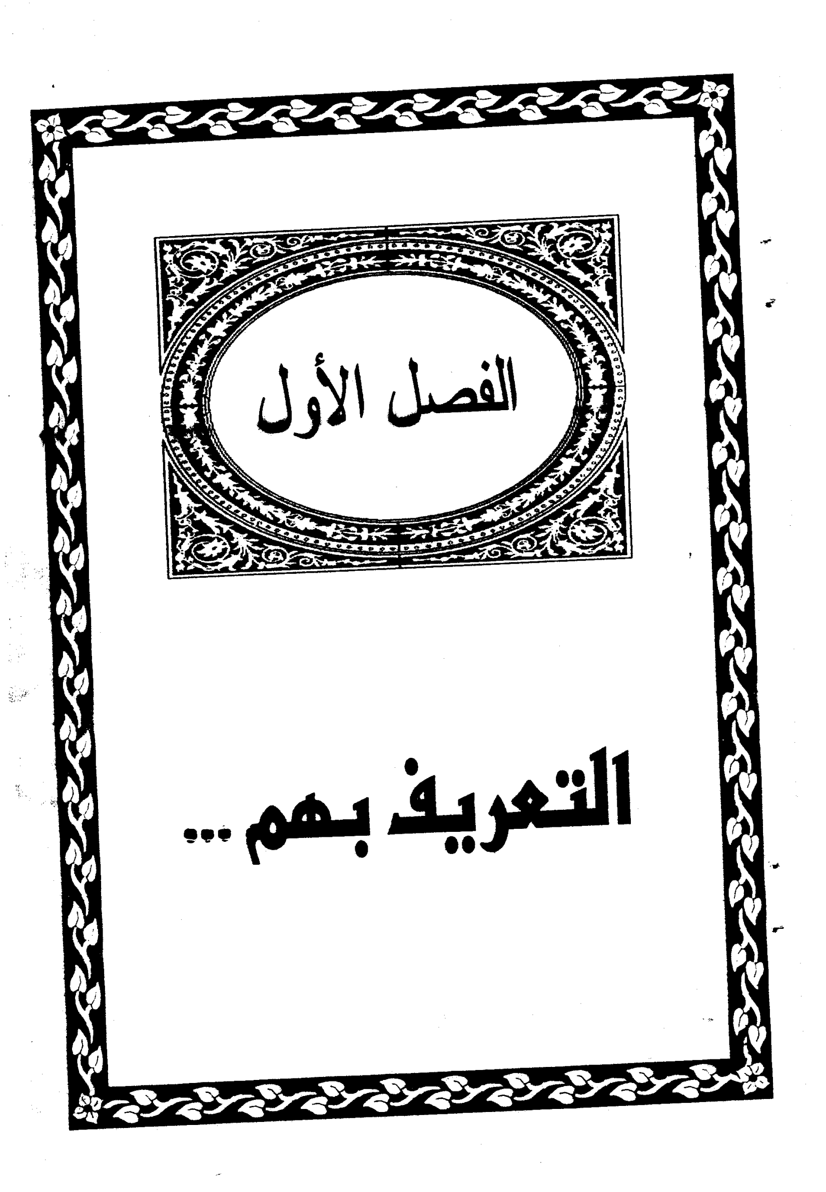
كما أن الوقوف على التعريف باليهود وأشهر فرقهم يحقق المعادلة الصعبة ، وهي كيفية اقتباسهم هذه الوثنيات ،أو الأسباب التي دفعت بهم إلى ترك كلمة الله تعالى ، واللجوء إلى الثقافات التي اصطنعها الناس لأنفسهم ، ومن ثـم كـانت الضرورة قاضية بالحديث عن دوافع اليهود في تقبل الأفكار الوثنية ، فضلاً عن

---

(١) الشيخ حفني ناصف – التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول ج ١ ص ٣٧ .

(٢) سورة النساء الآية ٨٧ .

تحولها من مجرد معارف يؤخذ منها ويرد إلى اعتقادات وضعوها فـــي كتبـــهم على أنها مقدسة ، وجادلوا بها ، ثم تطورت هذه الوثنيات المقتبسة إلى قواعـــد عامة يمارسونها ، فتحول الأمر معهم من كونهم أتباع ديـــن إلـــهي ، إلـــى أن صاروا أصحاب اعتقادات فاسدة ، ووثنيات انطلقت بهم إلى السياسة التي يسوقها الناس ، ولا علاقة لها بشرع الله رب العالمين وهو ما سوف أعرض لــــه فـــي فصول هذا الباب إن شاء الله تعالى .



الفصل الأول

التعريف بهم...

لما كانت الألفاظ اللغوية هي أثواب المعاني التي تعبر عنها ، وتحملها لمن يتعامل معها ، فمن الضروري الإلماح إلى لفظ اليهودية في اللغة أولاً ، ثم الاصطلاح ثانياً وعلاقتها بلفظ إسرائيل ، وأخيراً التسمية والإطلاق .

أولاً : في اللغة :

وردت مادة الكلمة هـ ـ و ـ د في القرآن الكريم تسعاً وعشرين مرة [1] منكرة ، ومعرفة ، كما جاء منها الفعل والاسم ، والمصدر أيضاً ، أما في المصادر العربية فقد جاءت على العديد من المعاني منها :

١ ـ ما يدل على الرجوع للحق ، والتوبة عن الخطأ أو الباطل ، ودليل ذلك قوله تعالى :" وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ " [2] .

٢ ـ ما يدل على الحركة إقبالاً أو أدبارا ، ويدل عليه قول العرب مالت الفتاة الهويني ثم هادت يمنة ويساراً [3] وكما تأتي في معنى الحركة يمناً ويساراً ، فإن هذا المعنى يجئ في الإقبال والأدبار ، ومن هنا أطلقوا على من يتحركون عند القراءة اسم اليهود ، لنفس المفهوم اللغوي [4]لا لمعنى أو مفهوم آخر ، ثم جعلوه خصاً بمن يتهودون ، يعني يتحركون عند قراءة التوراة دون غيرها[5].

---

(١)الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم باب الواو ص ٧٣٩ حيث ذكر مادها عشرين مرة وص ٧٧٥ حيث ذكر مادها تسع مرات .

(٢)سورة الأعراف الآيتان ١٥٥ / ١٥٦ .

(٣)العلامة ابن منظور ـ لسان العرب المجلد الأول ج ١ ص ١٠٥ ط دار المعارف الحديثة .

(٤)العلامة الزمخشري ـ أساس البلاغة باب الهاء ص ٣٧٥ ط الشعب .

(٥) ممن ذهب إلى هذا الرأي . الإمام الفخر الرازي ـ راجع مفاتيح الغيب المجلد الأول ج ١ ص ٨٠٥

وذهب المستشرق أولن إلى تعليل تسمية هؤلاء النفر الذين يتلــون أسـفار العهد القديم باليهود ، بأنهم عند قراءتهم للتوراة كانوا يتحركون أماماً وخلفـاً ، وميمنة وميسرة ، فكانت حركتهم هذه هي السبب الذي اكسبهم ذات التسمية (١). ومن ثم فالتسمية راجعة لحالة غالبة عند التلاوة لأي شئ من أسفار التوراة .

٣ ـ ما يدل على البيئة التي وجدوا فيها ، بمعنى أنهم تربوا في قرية يهوذا ، أو نشأوا في الديانة التي اعتقدوها ، وأطلقت عليهم،ثم انتقلوا إلى أرض يهوذا،وهي جزء من بلاد العرب قبل مجيء هذا الجنس إليها (٢)، ودليله قولهم تهود الرجـل إذا دخل في اليهودية أو نشأ فيها وتربى(٣).

ويؤيد رأي من ذهب إلى أن أرض يهوذا إحدى بلاد العرب قبل الإسلام ما ذهب إليه الجاحظ ، من أن يهوذا هذا كان رجلاً فارسياً تزوج قريبته ،ولم يقدر لهما البقاء في ديارهم نظراً لظروف خاصة بهم ، فنزلا بلاد العرب وأقاما فيـها بعد أن تركا بلاد فارس ، غير أنه لما كان من طبيعة العرب تسمية المكـان أو الأرض أو الماء باسم من يجدونه عنده ، وقد وجدوا يهوذا وعائلتـه فـي ذات المكان ، فقد أطلقوا عليها أرض يهوذا ، لا لأنه مالكها ، وإنما لأنه الذي وجـد بها وأقام فيها ، ثم دخل التصحيف على الكلمة ـ يهوذا ـ فصارت يهود ، ثـم نسب أبناؤه إلى ذلك المكان (٤)، وبالتالي فاليهود مجرد ضيـوف نزلـوا أرض العرب ، ولم تمنح لهم لا من قبل الرب ولا من قبل أفراد الشعب .

٤ ـ ما يدل على شعب بعينه ، أو طائفة بذاتها،وهم الذين جاءوا من يهوذا أحد

---

(١) أ . ب . أولن ـ اليهود وتاريخهم العام ص ١٧ ترجمة زكي صبري ١٩٥٧م .

(٢) الشيخ عبد الله محمد الأنطاكي ـ فلسطين عربية ص ١٣ ط أولى ١٩٤٨م .

(٣) العلامة أحمد بن محمد المقريزي ـ المصباح المنير ص ٧٩٣ الطبعة الثانية الكبرى الأميرية عام ١٩٠٦م وراجع قطر المحيط للمعلم بطرس البستاني ص ٧١٥ مطبعة لبنان .

(٤) العلامة الجاحظ ـ رسائل الجاحظ ج ١ ص ١٥٧ تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون ، وراجع للأستاذ أحمد أمين فجر الإسلام .

أبناء يعقوب ، أو تشبهوا به [١] في حالة من حالاته ، أو طريقة من حياته المعيشية او الدينية ، وهذا الرأي قد تشهد له بعض الكتابات اللاهوتية فيذكر قاموس الكتاب المقدس أن هذا اللفظ يعم سائر اليهود الذين تفرقوا في العالم [٢]، فجاء لفظ اليهود واليهودية ليجمعهم تحت مظلته ، ويفرض عليهم حمايته .

٥ ـ ما يدل على المخالفة للحق ، حيث يدل على المخالفين لدين الإسلام ، وما جاء به سيدنا موسى كليم الله من عند ربه ، في الزمن الذي عاصره موسى،وما جاء بعده [٣] وهذا الرأي هو الغالب لدى أكثر الدارسين ، لأن موسى عليه السلام لم يكن يهودياً ولا غيره ، وإنما كان **حنيفاً مسلماً** .

ثانيا : في الاصطلاح :

الدارسون يذهبون في تعريف اليهود ـ على الناحية الاصطلاحية ـ مذاهب شتى بعضها يتعلق بالديانة ، وبعضها الآخر يتعلق بالجنس الذي يعتنق ذات الديانة .

فتذهب الموسوعة الميسرة إلى أن اليهود هم العبرانيون الذين انحدروا من إبراهيم عليه السلام ، وهم المعروفون بالأسباط من بني إسرائيل،حيث أرسل الله إليهم موسى مؤيداً بالتوراة ، ليكون لهم نبياً ورسولا [٤] وعلى هذا فاليهود جزء من بني إسرائيل ، وهو يخالف التعريف القائم على أن كل من دخل الديانة اليهودية فهو يهودي .

---

(١) العلامة المقريزي / المصباح المنير ص ٣٩٣ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٤ / ١٠٨٥ ط دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٩٤م .

(٣) العلامة ابن فارس معجم مقاييس اللغة باب الهاء ص ٤٧٥ .

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والأديان والمذاهب المعاصرة ص ٥٦٥ إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي الطبعة الثانية عام ١٩٨٩ م .

أما قاموس الكتاب المقدس فيذهب إلى أنهم سبط يهوذا ، وقد أطلقت عليهم الكلمة حتى يتمايزوا بها عن باقي الأسباط العشرة الأخرى ، الذين حملوا اسم إسرائيل وظلوا تحته ، إلى أن تشتت الأسباط كلها ، رغم أخذ يهوذا إلى السبي[١]، ومن ذلك الحين ولفظ اليهود يطلق على سبط يهوذا المسبي،وحده باعتبار أن مفهوم السبط يعبر عن ولد الولد وهو مشتق الناحية اللغوية — من فرع الشجرة أو غصنها،ويقال عليه سبط أيضاً [٢]والمشابهة بين دلالة السبط في كل من اللغة واليهودية قائمة على معنى متقارب .

بينما يذهب مراد كامل إلى أن أسفار العهد القديم تعرف اليهود بأنهم سبط يهوذا ، وسبط بنيامين الذين يمثلون المملكة الجنوبية[٣]، وبناء عليه يكون لفظ يهودي ويهودية قد ظهر متأخراً جداً في البروز إلى سطح الأحداث ، كما أن هذا الرأي جمع بين سبطين في تعريف اليهود ، مع أن قاموس الكتاب المقدس، قد خص اليهود بسبط يهوذا وحده .

وفي تقديري أن البحث في تعريف اليهود وجمع أشتات المحاولات التي قامت بهذا الدور يمثل جانباً تاريخياً ، أو على الأقل يمثل مرحلة مهمة من مراحل توظيف الوقائع والأحداث التاريخية لخدمة غاية بعينها ، وهي ربما تقدم نفعاً بالنسبة لمن يهتمون بالتاريخ العام ، أو تاريخ نشأة الأديان الإنسانية ، أما الذي يعنيه علم مقارنة الأديان ، فإن الأمر معه يكون بعيداً ، أما لماذا ؟

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٥ والمعروف أن السبط في اليهودية كالقبيلة عند العرب راجع دكتور مراد كامل الكتب التاريخية ص ١٥ ، وراجع زكي شنودة المجتمع اليهودي ص ٩ .

(٢) طوني مفرج — موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط ص ٦١ دار نوبليس بيروت الطبعة الأولى عام ١٩٩٥م .

(٣) الدكتور مراد كامل : الكتب التاريخية في العهد القديم ص ١٦ نشرة معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨م وهو يعتمد في ذلك على ما جاء في سفر الملوك الثاني ٦/١٦ .

فلأن الباحث في التاريخ العام يعنيه متابعة الأحداث التاريخية،وسردها على ما هي عليه ، دون تدخل منه ، سواء أكان ذلك التدخل من ناحية نقد الروايات التاريخية ، أم من ناحية النظر فيها بمنظار الفحص والتمحيص ، إنه لا يهتم إلا بالسرد القصصي الأخباري ، والأحداث التاريخية ، إنه كالمراسل الحربي لا يعنيه سوى نقل ما يراه على أرض الواقع ، دون أن يتدخل في سير الأحداث .

أما الباحث في مقارنة الأديان فإن غايته تنصب أساساً على الظاهرة الدينية وبحثها من الناحية التي ظهرت بها ، والأقوام الذين تعلقوا بها ، ثم مراجعة ذلك كله في ضوء النتائج التي تسفر عنها دراسة ذات الظاهرة الدينية في دين بعينه أو عند مقارنة ديانة بأخرى ، بحيث يقف الدارس على تاريخ ظهورها والأسس التي قامت عليها ، والمصادر التي برزت فيها [١]، وما تقدمه من خدمات أو مصالح لأولئك الذين يتمسكون بهذه الظاهرة .

إن الباحث في مقارنة الأديان فاحص من الدرجة الأولى ، إنه صيرفي حازق يجمع المعروض عليه من أفكار وآراء ، وظواهر أو مشكلات ، ثم يحلل ذلك كله من خلال عملية نقدية خالصة ، بعيدة كل البعد عن عواطفه الشخصية ، وانفعالاته الذاتية ، بل وعقيدته الدينية [٢]متى أمكنه تنحية مالها من سلطانها عليه ولذا فهو لا يدرس كل دين أو ديانة ، وإنما يلجأ إلى دراسة ظاهرة دينية في ديانة ما ثم يقارن نفس الظاهرة الدينية في ديانة أخرى [٣]، بحيث يتأكد من نتائجه التي وقف عليها ، كما يصل إلى الحقيقة التي يبحث عنها .

---

(١)راجع لماكس شيلر ـ في الأديان المقارنة ص ١٧ ترجمة هدى وصفي ١٩٥٧م.

(٢)ماكس موللر ـ على الأديان المقارن ص ٢١ ترجمة الدكتور فوزي صبرة ١٩٦١م.

(٣)وهذا المنهد في دراسة الأديان المقارنة لا يصلح في تاريخ الأديان ، ولكنه قد يصلح لعلم مقابلة الأديان ـ راجع كتابنا : وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ص ١٣ ، ١٤ ط أولى ١٩٩٥م.

ثالثا : التســمية :

وقعت تسميات متعددة على هذه الطائفة من البشــر ، منــها اليهوديــة ، والإسرائيلية ، والعبرانية ، والعبرية ، وكذلك الشعوبية،والصهيونية ، وكل هــذه الاطلاقات بعضها جاءت معه أسباب تعلل ذات التسمية أو الإطلاق ، وبعضــها الآخر جاء بناء على نصوص زعم هؤلاء أنها جاءتهم من عند الرب ، وبعــض أخير جاء بناء على التواضع والاتفاق بين بعض الأفراد ، وكل تسمية أو إطلاق منها يمكن إرجاعه إلى أصل ما ، أو سبب من الأسباب ، وسأحاول تقديم لمحــة عن هذه التسميات طبقا للسبق التاريخي :

التسمية الأولى : باعتبار اللغــة :

وهذا الرأي يذهب أصحابه إلى أن اللغة هي التى تحسم الموقف في التسمية فاليهود يتحدثون لغة واحدة ، تعبر عن اعتقاداتهم وســلوكياتهم ، كمــا ترســم أخلاقهم ، وهذه اللغة عرفت منذ زمن بعيد بأنها يهودية ، سواء أكــانت هــي العبرية ،أم اليهودية أم كانت غير ذلك ، حتى لو كانت جامعة بيــن اليهوديــة والعبرية ، أو مأخوذة عنهما ، ومن أدلتهم عليه :

١ ــ ظهور اللغة اليهودية والأدب اليهودي ، بل والثقافة اليهودية ، وكانت هــذه اللغة هي التي تجمع بين أفرادهم ، حتى ان اليهود كانوا إذا تلاقوا في أي مكــان من بلاد العرب أو غيرها ، وتحدثوا مع بعضهم البعــض تقــاربوا بســرعة ، وأفسح كل لمن يلاقى في صدره حتى يسر له ، دون أن يبحث عــن الأصــول التي جاء منها ، وإنما دفعه إلى ذلك شعوره العام بأن من يتكلم اليهودية يمكــن الاطمئنان إليه [1].

---

(١) الدكتور / محمود محمد خطاب ــ دراسات في اليهودية ص ١٧١ ط أولى ١٩٦١ م .

٢ – أنهم في بلاد الشتات حرصوا على تجميع أنفسهم ، بجانب المحافظة على أفكارهم من خلال اللغة التي لم يتمكن الأعداء من إبعادهم عنها ، بل صارت اللغة هي الرابطة التي تجمع أشتاتهم ، وتقارب بين اتجاهاتهم المتنامية [١]، كما تمثلت فيها الإمشاج القديمة التي يحرص عليها أفراد هذا الجنس .

٣ – إنه من الممكن استخدامها في عرض الآراء والأفكار بجانب صياغة الاعتقادات والسلوكيات [٢]،التي يتمسك بها أفراد هذا الجنس بحيث يمكن اعتبارها صورة وصفية لهم .

٤ – كما أن اللغة التي يتعاملون بها كانت خاصة بهم إلى حد كبير ، إذ لم يكونوا على استعداد لتلقين هذه اللغة لغير اليهود ، كما كانوا يعلنون أن هذه اللغة بمفرداتها جاءتهم من قبل الرب إلههم وأنها خاصة بهم [٣]، ويحرمون استعمال الغير لها ، كما يرفضون أمد يتعلمها الغير مهما كانت مبرراته .

٥ – إنها لغة المكتوبات الإلهية ، لغة الكتاب المقدس ، لغة أسفار الأنبياء ، وسيلة الحوار التي تقوم بين الشعب والرب[٤]، ولذا فقد حافظوا عليها في كل حين ، يستوي في ذلك أمر إقامتهم داخل مناطق وتجمعات آمنة ، أو عيشهم في حرب وشتات .

بيد أن هذا الرأي وإن كانت له ظواهر عندهم إلا أنها قليلة الأثر بالنسبة لغيرها ، كما أنها في ذات الوقت قابلة للقفز عليها عن طريق المناقشة والنقد ، أما لماذا ؟ فلأن اللغة ما هي إلا مفردات منطوق بها ، ويمكن اكتسابها في أية

---

(١)الدكتور عبد العظيم حسن الأشقر – اليهود في مرحلة الشتات ص ١٤٧ .

(٢)الدكتور محمود خطاب – دراسات في اليهودية ص ١٨٣ .

(٣)الدكتور/ توماس هيج – اليهود والكتاب المقدس ص ١٢٥ ترجمة السيد حسن توفيق .

(٤)الدكتور / عبد العظيم حسن الأشقر – اليهود في مرحلة الشتات ص ١٥١

مرحلة عمرية ، ومهما بالغ أصحاب لغة في المحافظة عليها وكتمانها ، إلا أنــه لا يمكنهم إبعاد الآخرين عن استعمالها ، بل وإجادتها أيضاً ، .طالما كانت هناك علاقات متبادلة تمثل اللغة الجانب المهم فيها [١].

أما إذا كان هؤلاء يتعاملون بلغة كتابية وأخرى شفوية تعامليــه ، وأنــهم أخفوا الكتابية عن الآخرين واعتبروها لغة خاصة ، وتعاملوا بالشفوية — وهــي التي تم تعلمها من جانب غير اليهود — فإن اللغة الثانية قد وقع فيــها التعــامل والاحتكاك والاقتباس أيضاً،وعن طريقها تتم نقل الثقافات والاعتقادات المختلفة.

كما أن اللغة الكتابية لا يمكن وضعها في صندوق محكم الإغلاق بحيث لا يقف عليها أحد ، وإلا كان معنى ذلك القضاء عليها في وقت من الأوقات ، طال هذا الوقت أم قصر ، بدليل أن المستعمر حين دخل بلادنا فرض لغته الكتابية في المناهج الدراسية بغرض القضاء على لغتنا العربية الإسلامية [٢]، وبذل جــهوده في القضاء عليها ، لأنها تمثل أحد العناصر التي تجمع بين أفراد الأمة العربيــة والإسلامية أيضاً ، ولكنه لم يوفق إلى شئ من ذلك ، وإنما ظلت العملية الكتابية والشفوية قائمة في اللغة العربية بحيث تحفظ أصولها وخصائصها التي لا يقــع التشارك فيها .

أضف إلى ما سبق أن اللغة تمثل صورة قبسية تنشــأ عــن الاحتكاكــات المتواصلة بين المتعاملين بها [٣]، ومن هنا يقع التأثر والتأثير ، والواقع المعــاش يشهد به ، فاللغة ليست ضربة لازب ، وإنما هي مما يكتسبه الفرد من الجماعــة فلو أن أسرة إندونيسية ولد لها طفل في قرية من قرى مصر لتعلم هذا الطفـــل اللغة الإندونيسية من أسرته ، والعربية بل والعامية من الأطفال الذين يقع لــــه

---

(١) ومن ثم فقد ذهب البعض إلى أن اللغة مما يقع فيه الاكتساب ، والإجادة على مستوى من المستويات .

(٢) حدث ذلك في كل من مصر والجزائر وتونس والمغرب، بل والدول العربية التي أمكن للمستعمر احتلالها

(٣)الشيخ محمد منصور عبد الرازق فقه اللغة ص ١٣ ط الثانية دار التوفيق ١٣١٨هـ .

التشارك معهم في الألعاب والدراسة [١]،ومن ثم فلا يمكن اعتبار اللغة مرجحـــا في نسبة اليهود إلى اللغة أو اعتمادها عليها أو تكون هذه النســـبة صحيحـــة ، فضلاً عن أن تكون مقبولة.

التسمية الثانية : باعتبار المكان :

وهذا الفريق يقرر أن اليهود نسبوا إلى المكان الذي أقام به يـــهوذا ونســـله قديماً ، فكل من أقام بهذا المكان ردحاً من الزمان ، وتابع سكانه في اعتقاداتـــهم وسلوكياتهم ، فإنه يكون واحداً منهم ، لأن العبرة بالمكان وليســـت بـــالجنس أو نوعية الأفراد [٢]، وبناء عليه فكل من سكن أرض يهوذا ، أو أقام بها ولم يخرج عنها فإنه يكون يهودياً .

ودليلهم في ذلك أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة ، وهما آدم وحواء وبالتالي فأصلهم واحد ، لكنهم تفرقوا في البلاد ، وكونوا جماعات،وأطلقوا على هذه الأماكن من الأسماء ما يتناسب مع طبيعة تلك الأرض من صفات أو نتاج[٣] وربما أطلقوا عليها اسم من سكنوا فيها ، كما أن الأرض من حيث هي واحدة لم يطلق على جزء منها اسم بعينه ، وإنما صارت لها أسماء بعدد أجزائها .

فبلاد الرافدين سميت بذلك لوقوعها بين رافدي دجلة والفرات [٤]، وكذلـــك أفغانستان حيث سميت بذلك لأنها أرض خضراء[٥] ، ومثل ذلك يجرى في كـــل من فلسطين ومصر ، فان في الأولى ــ فلسطين ــ صحراء صعبة ، وفـــي

---

(١) على أساس أن اللغة اكتسابية ويقع فيها التحاور ، ومن ثم يتحقق التأثر والتأثير وتداخل اللهجات،وظهور كثرة من الأصول الكلامية اللفظية في اللغة الواحدة .

(٢)الدكتور / محمد على شعبان ــ اليهود والجنس والهوية ص ٧٣ ط دار الهدى ١٩٧١م .

(٣)الشيخ عبد العظيم السيد النجار ــ الناس لآدم ص ٨٥ .

(٤)توماس هيو ــ حضارة بلاد الرافدين ص ٣٥ ترجمة السيد رزق ١٩٦٥م .

(٥)الدكتور / صبحي محمد توفيق ــ جغرافية شرق آسيا ص ٢٨٣ .

الثانية — مصر — أرض خضراء ومزارع كثيرة [١].

بيد أن حجج هذا الفريق كثيرة ، وكلها تجئ من ذات الناحية ، وقد ساعدهم على ذلك الواقع المعاش ، حيث أن بعض الدول تغيرت أسماؤها أو أسماء بعض مدنها ، أو حدث فيها إنشاء مدن جديدة ، تحمل أسماء من أنشأها أو ساهموا في إنشائها ، كالإسكندرية التي بناها الإسكندر الأكبر ، وما تزال تحمل اسمه ، بـل ظهرت مدن أخرى في العالم تحمل نفس الاسم [٢] .

ولكن هذه الأدلة لا تحمل المرء على اعتقاد أن اليهود هم كل مـــن ســكن أرض يهوذا ،لأن ذلك تعريف بالمكان، وهو لا يقتضي امتياز جنس على آخـر، بينما هذه الشرذمة يعلنون في كتابهم المقدس أن الرب اختارهم لنفسه ،فسـاروا مقدسين له ، وأنهم أبناء الرب الذين لم يأت بهم آباء بعيداً عن بنوتهم للرب[٣].

ويتهكم الدكتور علي عبد الواحد وافي من هذه الأفكار حيث يقول : لما نزل أولاد الله ، ورأوا بنات البشر ، رأوا فيهن صفات الجمال،والشبق الجسدي ففتنهم جمال بنات الآدميين،اللاتي كان عددهن قد كثر في الأرض،واتخذوهن خليلا[٤].

كما أن هذه الحجج قد أقيمت على ظواهر وقع فيها الاختلاط تارة ، والتباين أخرى ، إذ أن الأرض التي سكن فيها يهوذا قديماً إنما هي أرض عربية،وليست بهذه المنطقة من الأرض ، وأقاموا فيها قبل مجيء هذا اليهوذا إليها ، وكـذلك

---

(١) الدكتور / فوزى عبد اللطيف — جغرافية الوطن العربي ص ١٥٢ .

(٢) أنطوني هايد — الإسكندرية تاريخاً وحضارة ص ١٣ ترجمة هناء ذكرى .

(٣) يقول العهد القديم : يقول الرب : إسرائيل ابني البكر — العهد القديم سفر الخروج ٤ / ٢٢ — ٢٣ .

(٤) الدكتور / على عبد الواحد وافى — اليهودية واليهود ص ٣٢ مكتبة غريب بالقاهرة ١٩٧٠م .

أقامـــوا بها في مراحل عديدة وبخاصة تلك التي كانت تقـــع فيـــها الحـــروب ، وتلحق الهزيمة بسكان هذه الأرض ، أو يتمكن المنتصر عليهم مـــن توزيعـــهم وتشتيتهم كالحال مع بنو خذ نصر[١] قديماً.

وفي تقديري : أن هذه التسمية قد تكون غير مقبولة أيضاً لأنها اعتــــبرت المكان بديلاً للجنسية العرقية ، ولي معها وقفتان :

الأولى : أنها تسمح بدخول كل من أقام بهذه الديار قديماً أو حديثاً في التســـمية باليهودية ، وهذا باطل لأن إبراهيم عليه السلام قد مر بهذه المنطقة وأقام بـــــها لبعض الوقت ولم يكن يهودياً، قال تعالى : " مَـــا كَـــانَ إِبْرَاهِيـــمُ يَـــهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ "[٢] بـــل الـــرب الهـــهم وصفهم في كتابهم المقدس بأنهم أغبياء ، ولكونهم تعلقوا بهذه الأوهام ،فقد رفعوا درجة الغباء ومستواه وتمسكوا بهما إلى أبعد مدى يقول سفر التثنيـــــة : الـــرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم [٣] كما وصفهم بأنه لا أمانة فيهم[٤].

الثانية : أنها تلغي اعتبار الجنسية العرقية ، وتسقط من حســـبانها الاعتبـــارات المصاحبة له كاللغة والعادات ،بل والاعتقادات،بجانب السلوكيات التى تمثل ابرز ملامح هذا الجنس ، الغريب في تصرفاته وسلوكياته واعتقاداته ، ومن ثم يكـون من الخطأ اعتبار المكان هو الاسم الذى غلب عليهم من ناحية التسمية ، كيف لا والرب الذى خصوا أنفسهم به يعلن الحرب عليهم ، يقول الرب :إسرائيل أبنــــى البكر ، قلت لك أطلق أبني ليعبدني فأبيت أن تطلقه ها أنا أقتل ابنك البكر [٥].

---

(١)الدكتور محمد على شعبان ــ اليهود والجنس والهوية ص ٧٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٧ .

(٣)سفر التثنية ٣٢ / ٥ ــ ٦ .

(٤)يقول سفر التثنية قال الرب أنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم ــ ٣٢/ ١٩ــ٢٠ .

(٥) العهد القديم سفر الخروج ٤ / ٢٣ .

التسمية الثالثة : بالإسرائيليين :

وهى التسمية التي شملت أسباط بني إسرائيل جميعاً،على أساس أن الجد يعقوب بن إسحاق أمكنه الحصول على مكافأة من الرب بعد مصارعته له وتغلبه عليه فصار اسمه إسرائيل ومعناه صفوة الله ،وصار أبناؤه يحملون الاسم الجديد،ويطلق عليهم اسم بنو إسرائيل،ولهم في ذلك أسانيد صنعوها بأيديهم منها:

(أ) ما جاء في العهد القديم من أن يعقوب لما أخذ امرأتيه — لئيه وراحيل — وجاريتيه وأولاده ، فاجتاز بهم الوادي ، ثم انصرف وحده لمقابلة ربه ، وظل يصارعه حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ، ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك ان لم تباركني ، فقال له ما اسمك ، فقال يعقوب . قال الرب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ،لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت فدعا يعقوب اسم المكان فينئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه [١] .

(ب) ما جاء في كتابات اللاهوتيين من أن الرب لما التقى بيعقوب ، وعلم شدته وقوته وصفاءه ، اختار له اسماً آخر يتناسب مع قوته وشدته ، فسماه إسرائيل ومعناه قوى الله ، ولم يكن هذا الاسم الجديد — إسرائيل — سوى نوع من المكافأة التى يمنحها الرب لواحد من الشعب الذى أختاره لنفسه [٢] ومنذ ذلك الحين صار يعقوب يدعى إسرائيل ، كما صار أبناؤه يعرفون ببني إسرائيل ولا يعرفون بأبناء يعقوب وهو الاسم الذي تم استبداله .

(ج) ما جاء على لسان يعقوب نفسه من قوله : سميت يعقوب لأني العاقب ، وسماني الإله إسرائيل لأني أمثل القوة والغلبة ، وقد اخترت تسمية الرب ،ومن

---

(١) العهد القديم سفر التكوين ٣٢ / ٢٥ — ٣٢ .

(٢)أ . ب — وينسون — الأسفار اليهودية في المفهوم اليهودي ص ٨٧ ترجمة دكتور عبد العاطى نصر

هنا تسمى أبناؤه من بعده الإسرائيلين ، بل نعت كل واحد من هذا الجنس بالإسرائيلي، وصارت هذه التسمية تنال منهم القبول [1].

وهم يعتقدون أن اسم يعقوب قد اختفى تماماً ، ليحل محله على الدوام لفظ أو اسم إسرائيل،لأن الرب ذاته قال ليعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب،بل يكون اسمك إلى الأبد إسرائيل ، فدعى اسمه إسرائيل [2]، ولم يعد يذكر اسم يعقوب أبداً رغم وجوده في الأسفار اليهودية ، وهم يختلفون في تفسير لفظ إسرائيل الوارد في أسفار العهد القديم على أقوال ، من أشهرها :

١ — أن إسرائيل لفظ مركب من مقطعين أوله إسرا ، معناه عبد ، والثاني إيل ومعناه الله ، أو الرب ويكون المعنى عبد الله ، أو عبد الرب ،فيكون يعقوب هو وحده عبد الله الذي أختاره لنفسه ، بحيث لا ينازعه في هذا الشرف منازع [3] .

٢ — أن إسرا معناه صفي ، وإيل معناه الرب ، ويكون معنى إسرائيل صفي الرب الذي لا يناجى أحداً سواه ، ولا يطمئن لغيره فى عادته أو مسارة ، وهم بهذا يعملون على تأصيل الأفكار الوثنية والشعوبية التي يقيمون عليها بناءاتهم الفكرية ، ونزعاتهم العدوانية .[4]

٣ — أن إسرا معناه صفوة ، وإيل — معناه الله ، فيكون إسرائيل هو صفوة الله الذي اختاره من باقى الأجناس،بحيث تكون له قيادة العالم وحده حال حياته ولنسله من بعده، ويركز اليهود على هذا المعنى حينما يتحدثون عن الشعوبية.[5]

---

(١) باتيهوم انديسيون — قراءات في الأسفار المقدسة ص ١٩١ ترجمة صفوت زكي .

(٢)العهد القديم سفر التكوين ٣٥ / ٩ — ١٠ .

(٣) أ.ج اندرسون — إسرائيل التوراة ص ٧١ ترجمة فوزى رزق وراجع للفخر الرازى مفاتيح الغيب المجلد الأول ص ٢٩ .

(٤) الدكتور / صبرى محمد الطويل — اليهود التاريخ والعقائد ص ١٧٥ ، وراجع للإمام الطبرى جامع البيان ج ١ ص ٥٥٣ .

(٥) الدكتور / عبد العظيم السيد هاشم — إسرائيل — الأصل والاعتقادات ومفاتيح الغيب مجلد ١ص ٢٩ .

٤ ــ أن إسر معناه حكم ، وإيل معناه الله ، فيكون إسرائيل هو حكم الله الـــذي يسوقه على الناس ، فمن خرج على طاعة إسرائيل ، فهو خارج على تعـاليم الله وحكمه ، ومن ثم تجب مقاتلته .[1]

٥ ــ أن إسرا معناه جند ، وبالتالي يكون المعنى في لفظ إسرائيل إنه جنـد الله ، أو جند الرب الذي يسلطه بأساً وحرباً وعداوة على أعدائه ، ومن ثم فكل فـــرد إسرائيلي يعتقد في قرارة نفسه ، أنه واحد من جند الرب الذين يستخدمهم فـــي إلحاق الأذى أو تدمير الآخرين [2]وكل سلوك مهما كان خاطئا مادام قد صـــدر عن أي فرد إسرائيلي فإنهم يفسرونه على أنه مرضي عنه من الرب .

٦ ــ إن إسرا معناه قوة ، وبالتالي يصير لفظ إسرائيل معناه إنه قوة الله ، وقـوة الرب ،أو القوة ضد الرب ، فإن فسرت على أنها قوة الرب،فمعناه أن الذي يأتي به أي إسرائيلي أو يمارسه بنفسه ، إنما هو الذي قررته القوة الإلهية ، ورضيـه الرب الإله الإسرائيلي ذاته.

وإن فسرت على معنى القوة ضد الرب ، فمعناه أن إسرائيل هو الشـــخص الذي استطاع الالتحاق بالقوة الإلهية العليا حتى صارت قوة الرب متمثلـــة فيــه وحده.[3]

٧ ــ إن إسرا معناه مصارع الرب ، ويكون معناه الذي انتصر على الـــرب ، وبالتالي فكل إسرائيلي يشعر في قرارة نفســـه بقدرتـــه علـــى غلبـــة الكـــل ، وإلحـــاق الهزيمة بهم ، بناء على الأسطورة القائلة : أن شـــعب الـــرب لا يغلبه حتى الرب ، بدليل أنه صارع الرب ونجح في اصـــطياده مع الإيقـــاع

---

(١) أ . ج أندرسون ــ إسرائيل التوراه ص ٨٥ وراجع لأبكار السقاف ــ إسرائيل وعقدة الأرض الموعودة ص ١٣٣ .

(٢)أرنولد ماكدونال ــ إسرائيل الكتاب والشعب المقدسين ص ٨٧ ترجمة ناصر زهدي ١٩٥٧م .

(٣)أ . ج . اندرسون ــ إسرائيل التوراة ص ٨٧ ، ٨٨ .

به [١]حتى سلم الإله الرب له ، بل ومنحه مجداً عالياً ، واسماً جديداً كاملاً .

٨ — أن إسرا معناه ، مجاهد وبالتالي فلفظ إسرائيل معناه مجاهد الله ، أو المجاهد مع الله ، وبناء عليه فكل إسرائيلي مهما تعرض للآلام فإنه يرضى بها لاحبا في الآلام لأن كل نفس تكرهها ، إنما لاعتقاده أنه يجاهد مع الرب ، ولو تغير اعتقاده لتغيرت معه هذه الأفكار،التي يحرص على ممارستها والقيام بها.[٢]

٩ — أن إسرا معناه نور الله ، أو رؤية الرب ، ويكون المعنى أن إسرائيل هو الذي رأى الله ، وهو نور الله ، وكل إسرائيلي يجب أن يثبت في رأسه أنه نور العالم الذي يجب أن يسيطر على الكون ، بعقله ومعارفه ، بل وقيادته لذلك العالم ، لأن الرب اختاره حتى يقوم بهذه المهمة ، كما أن الرب الذي اختاره قد وهبه قيادة العالم [٣]نيابة عن الرب الإله، ومن ثم تتقارب فكرة الإنابة الإلهية،مع فكرة الشعوبية واختصاص الله العالم كله،بالخضوع للجنس الإسرائيلي وحده .

١٠ — أن إسرا معناه شخص الرب،ومن ثم يكون معنى إسرائيل أنه شخص الله المتجسد في الأمة الإسرائيلية ، كجماعة لها وضع ثابت ، واتجاه بعينه ، أو أنه شخص الله القائم في كل شخص إسرائيلي على حده [٤]بناء على قاعدة تجسدات الإله لدى اليهود ،في الأشكال الإنسانية ، والحيوانية ، والنباتية ، والجمادية،على الناحية المتكاملة ، أو الناحية غير المتكاملة .

وقد واصل بعض الدارسين طرائق هذه التسمية بالإسرائيليين ، وحاول متابعتها في المصادر المختلفة ، فإذا هي تجاوز من الوجوه ما يزيد على

---

(١)سهيل ميخائيل ديب — التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٥٧ ط دار النفائس بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م .

(٢)ماكدونالد — إسرائيل والشعب المقدسين ص ٨٩ .

(٣)أ . ج . أندرسون — إسرائيل التوراة ص ٩١ .

(٤)سهيل ميخائيل ديب — التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٦١ .

العشرين ، لكنها في الأغلب ، الأعم يمكن أن ترتد إلى وجه من الوجوه العشـرة التي ذكرتها ، لأن بعضها قام فيه تفريعات بعينها ، بينما البعض الآخر كـانت إحالته على جزء تسمية،أو تركيب من تسميتين فأكثر ، وهو من الحيل التي يلجأ إليها اليهود لإشعار الآخرين بأنهم أعلى منهم ، وأرفع منزلة ، بينما اليهود فـي كل مكان يمثلون شرذمة يأتيها العوار من كل مكان ، وأغلب هذه التسميات غير مقبولة عندي ، أما لماذا ؟ فلما يلي :

١ ــ أن إسرائيل اسم ورد في القرآن الكريم على أنه علم لشخص معـروف ، حرم على نفسه ما أحل الله من الطعام ، وكان ذلك قبل بعث نبـي الله موسـى الكليم ، وقبل نزول التوراة قال تعالى :" كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَـا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ "[١]. والمعنى أن كل المطعومات كانت حلالاً لبني إسرائيل كلـهم إلا ما حرم إسرائيل على نفسه،وهو الإبل وألبانها،وحكى أنه اشـتكى فأصابـه عرق النسا ، ثم أنه حين ابتلى بذلك المرض، لقى من ذلك بلاء وشدة ، وكان لا ينام من الوجع، فحلف لئن شفاه الله ألا يأكل أحب الطعام إليه ، وحـرم علـى نفسه الأبل وألبانها وكان ذلك من قبل تنزل التوراة التي ينكر اليهود شـهادة الله عليهم بالبغي والظلم [٢]والصد عن سبيل الله تعالى ، في قوله جل شأنه :" فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِـيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُـواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ".[٣]

---

(١)سورة آل عمران الآية ٩٣ .

(٢)الشيخ منصور محمد عطوة السنديوني ــ من جرائم اليهود ص ١٥٧ ط أولى ١٩٤٥م .

(٣) سورة النساء الآيتان ١٦٠ / ١٦١

حكى الشيخ البروسوي أن الله تعالى أحل لهم كل المطعومات قبل نـــزول التوراة ، فلما منع اليهود شرع الله ، ولجأوا إلـــى الابتعـــاد عنـــه ، وصـــارت محادتهم لله ورسوله أمراً قائماً لا ينقطع ،حرم الله عليهم هذه التي كانت حلالاً ، وكان ذلك بسبب بغيهم وظلمهم [1]فكيف يكون ذلك حراماً على نوح وإبراهيـــم وغيرهما .

ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يحاجهم بكتابهم ، الناطق بـــأن تحريم ما حرم إنما هو تحريم حادث قريب على ظلمـــهم وبغيـــهم ، ويكلفـــهم إخراجه وتلاوته ، ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم ، فقال لهم هاتوا التوراة التي أنزلها الله على موسى ، فأتلوها إن كنتم صادقين ،فلما لم يجـــترئوا علـــى إخراجها للقراءة بهتوا ، وانقلبوا صاغرين ، وفي ذلك من الحجة النـــيرة علـــى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ،وجواز النسخ الذي يجحدونه مالا يخفى.[2]

٢ ــ أن إسرائيل وإن كان علماً على شخص بعينه،فليس ذلك بمبرر حتى ينسب اليهود أنفسهم إليه ، أو يزعموا اختصاصه بهم ، أو غير ذلك مما يحاول اليهود إخفاء أفعالهم الشيطانية تحت عباءته ، لأن الجرائم التي يمارسها اليهود لا تسمح لأحد بتصورهم جماعة تمتد إلى نسب صالح ، أو حتى نسب تجري فيه ملامـــح الأعمال المقبولة ، إذ العبرة عند الله تعالى بالتقوى والعمل الصالح،لا بالأحساب أو الأنساب ، لقوله صلى الله عليه وسلم ألا لأفضل العربي علـــى عجمـــي ولا أبيض على أحمر إلا بالتقوى والعمل الصالح [3] قال تعالى : " فَإِذَا نُفِـــخَ فِـــي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُـــهُ فَـــأُولَئِكَ هُـــمُ

---

(١) قال تعالى : " وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُـــحُومَهُمَا إِلاَّ مَـــا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ "سورة الأنعام ١٤٦ .

(٢)الشيخ إسماعيل حقي البروسوي ــ تنوير الأذهان من تفسير روح البيان المجلد الأول ص ٢٥٨ .

(٣)الشيخ طلعت محمد الفقي ــ من هدي السنة ص ٣٥ .

الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ[1] .

كما أن الأنساب كلها أمام الله ساقطة إلا نسب الإسلام والتزام ما جاء به خير الأنام سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

٣ — أن وقوع اليهود تحت مظلة شخص إسرائيل لا يعفيهم المسئولية،ولا يباعد بينهم والخطايا التي يمارسونها ويقيمون فيها ، بل ان وقوعهم تحت المظلة الإسرائيلية كان يجب الاستفادة منه،واتخاذه وسيلة للفوز الأخروي ، مع الالتزام **بما شرع الله تعالى ، لأن في الالتزام** بما شرع الله تعالى كل أسباب النجاح في الدنيا ، والفلاح في الآخرة ، ومن ثم كان نداء الله لهم المتواصل بقوله تعالى يا بني إسرائيل.[2]

٤ — هب أن إسرائيل هو يعقوب ، وأنه كان نبياً ورجلاً له عند الله عظيم الشأن كالحال مع كل أنبياء الله تعالى ورسله ، لكن هل النسب إلي سيدنا يعقوب يبرر لأحد مخالفة الله ، أما كان الأدعى لليهود التمسك بما شرع الله ، حتى تصح نسبتهم إلى نبي الله ، لأن العمل الصالح فوق كل نسب بدليل أن ابن نوح عليه السلام لما خالف أمر الله كان من الكافرين،قال تعالى : " وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ

---

(١)وسوف يمتد الجدل من أهل الشرك والعصيان مع الله رب العالمين وقد صورته الآيات القرآنية فى قوله تعالى: " أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ " سورة المؤمنون الآيات ١٠٢ / ١١١ .

(٢) وردت هذه التركيبة بني إسرائيل في القرآن الكريم حوالي ثلاث عشرة مرة — راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم باب الباء ص ١٣٨ .

مِنَ الْمُغْرَقِينَ "[١].

كما لم يقبل الله تعالى استغفار نبي الله الخليل إبراهيم عليه السلام لأبيه،مع أن هذا الاستغفار وطلب الرحمة كان وعداً من إبراهيم لأبيه وحرص أبراهيم على الوفاء ولكن الله تعالىٰ نهاه قال تعالى:" مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ".[٢]وقال تعالى: "قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا "[٣].

قال الشيخ نصر الدين المنيلاوي : لما أقدم إبراهيم على الاستغفار لأبيه إلا للوفاء بالوعد الذى تقدم بقوله لأبيه سأستغفر لك ربي ، وكان ذلك قبل أن يتحقق من إصرار أبيه على الشرك ، فلما تبين لإبراهيم أن أباه مصر على الكفر ،ومستمر في الدعوة إليه ، تبرأ من أبيه بالكلية، كما توقف عن الاستغفار ، رغم أن إبراهيم عليه السلام كان كثير التأوه من فرط الرحمة ، ورقة القلب ، بجانب أنه كان صبوراً جداً على ما يعترضه من الأذى،ولذلك فقد حلم عن أبيه مع توعده له [٤] .

---

(١)سورة هوذ الآيتان ٤٢ /٤٣ ونادى نوح ولده كنعان قبيل سير السفينه ، وكان في ناحية منها لم يركب مع المؤمنين قائلاً له يابنى أركب معنا،ولا تهلك نفسك بالغرق،ولا تكن مع الكافرين،فتغرق مثلهم،لكن الابن قال له سأصعد إلى رأس جبل اتحصن به من الغرق،ظناً منه أن الماء لا يصل إلى رأس الجبال،فقال له أبوه لا عاصم اليوم من أمر الله ،ولا ناجي من عقابه إلا من رحمه الله ،وحال بين نوح وولده موج البحر، فغرق الابن وكان من الهالكين ــ الشيخ محمد على المترلاوي ــ تفسير سورة هود ص ١٥٧ .

(٢) سورة التوبة الآيتان ١١٣ / ١١٤ .

(٣) سورة مريم الآية ٤٧ وقوله تعالى : "إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" سورة الممتحنة الآية ٤ .

(٤)الشيخ نصر الدين المنيلاوي ــ أنبياء الله في القرآن ج ١ ص ١٥٧ ط دار الهدى ١٩٤٧م .

أما العلامة أبو حيان فيقول : ولما كان استغفار إبراهيم لأبيـــه بصـــدد أن يقتدي به ، بين تعالى العلة في استغفار إبراهيم لأبيه ، وهو الوعد الذي كان قـد وعده به ، حيث كان يرجو إيمانه ، فلما تبين له من جهة الوحي أنه عـــدو لله ، وأنه يموت كافراً ، انقطع رجاؤه فيه ، كما تبرأ منه وقطع استغفاره [1]، ومن ثم فان فساد الأبناء لا يتحمله الآباء متى كانوا صالحين ، كما أن فســاد الآبــاء لا يرتد على الأبناء متى كانوا صالحين ، لقوله تعالى:" كل نفس بما كسبت رهينة " وقوله تعالى:"وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَــاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ "[2]، ولا يتحمل نبي الله يعقوب فساد بني إسرائيل الضالين حتى لو كانوا من صلبه آتين ، وإليه من المنتسبين ، ولا يظلم ربك أحداً .

وأكثر الدارسين يؤكدون على أن : الجنس اليهودي يفخر بأنـــه إســـرائيلي منتسب إلي نبي الله يعقوبَ ، أو أنهم أبناؤه،بل صار اسم إسرائيل يستعمل عنـــد الإطلاق على نسل يعقوب كله ، واستعمل كمرادف لبني إسرائيل [3] ، ولم يكـن تمسكهم بهذا الاسم إلا من باب طلب الفخر والتعالي والاعتزاز ،زاعمين أن هذه التسمية جاءتهم من قبل الرب الذي أطلقها عليهم جميعاً ، حين أطلقه على أبيــهم يعقوب ، واعتبرهم الرب منذ ذلك الحين شعبه المختار ، وهى أوهام يتعلق بــها اليهود كما يزعمونها على الدوام ، وهم في كل ما يزعمون كاذبون .

التسمية الرابعة : باليهود :

يذهب بعض الدارسين إلى أن اليهود هم نسل يهوذا ، بينما يرى بعض آخر أنهم يهود لكونهم خرجوا من الطاعة إلى المعصية ، ثم حاولوا الرجـــوع إلـــى

---

(١)العلامة أبو حيان التوحيدي ـــ البحر المحيط ج ٥ ص ١٠٥ .

(٢) سورة الطور الآية ٢١ .

(٣)راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩ ، ولإندرسون : نظرات في العهد القديم ص ١٢٧ .

ـصـ عة والمعصية ، وظل ذلك الأمر متكرراً معهم ، بينما يعلل فريق ثالث هــذه التسمية تعليلاً توصيفياً ، وفوق ذلك فهناك من يفسر هذا الإطلاق تفسيرا يرجعه إلى ما في طبيعة هذا الجنس المتقلب في أحواله . ومن ثم فمن المـــهم تفصيـــل القول في المسألة :

الفريق الأول : المنتسبون إلى نسل يهوذا :

وهؤلاء يذهبون إلى أن شخصاً فارسياً يدعى يهوذا ظهر بعد الطوفان[١] وقد اتفق مع إحدى قريباته على الزواج ، ونظراً لوجود خلافات بين أسرتيهما فقـــد قررا الارتباط الفعلي ، والابتعاد تماماً عن بلاد فارس ، فكانت بلاد العرب هى الناحية التي اتجهت الأسرة الجديدة إليها ، وقد ساعدتهم الظروف على ذلـــك إذ كانت أرض العرب متسعة ، كما أن طبيعتهم فيها الكثير من التسامح [٢]، بحيث إذا وجدوا شخصاً أو عائلة في مكان ما نسبوا المكان إليه ، كما ينسبون لبعض الأمكنة أو ينسبونها إلى أشهر الأحداث التي وقعت فيها [٣].

بيد أن هذين الزوجين أتيحت لهما حركة الإنجاب المتوالية وساكنهم في هذه المنطقة الجديدة أقارب لهم ، كما ساكنهم غيرهم ، وكان لهذه الأسرة اليهوذيـــة ولدان كبيران أحدهما يدعى إسرائيل[٤] وثانيهما يدعى صهيون ، وكان ذلك قبـــل بعثة إبراهيم عليه السلام [٥]، أما إسرائيل فقد تزوج من قريباته ، وصار لـــهما أولاد كثيرون ، بينما صهيون كان بعقله شئ من العلة تمنعـــه مـــن الـــزواج ،

---

١) الشيخ نعمت الرحمن بن محمد الهروى ـــ ما بعد طوفان نوح ص ٣٥ المطبعة الحجازية ١٣٠٥هـــ .

٢) الأستاذ/ أحمد محمد أبو عوف ـــ بلاد العرب والحضارة القديمة ص ٤٣ ط دار أبو عوف بعمان ١٩٤٧م

(٣) الشيخ / رضوان محمد الاسنوي ـــ أيام العرب في الجاهلية والإسلام ص ٧١ .

٤) لم يعرف لفظ إسرائيل في بلاد العرب قبل الإسلام وبالتالي فمعرفتهم به لاحقة لهجرة هؤلاء الفرس المتكررة نحو بلاد العرب ، والجزيرة العربية ـــ الشيخ نعمت الله بن محمد الهروي ما بعد طوفان نوح ص ٥١

٥) الأستاذ / أحمد محمد أبو عوف ـــ بلاد العرب والحضارة القديمة ص٥٣ .والشيخ نعمت الله محمد الهـــروي ـــ ما بعد طوفان نوح ص ٥٧ .

فأوصى يهوذا ابنه إسرائيل بأخيه صهيون حتى يهتم كثيراً به ، وكــرر يــهوذا الوصية على أسماع إسرائيل الابن العاقل.

توالت الأيام ومات يهوذا ، وكثر أولاد إسرائيل فانشغل بهم ، كما كثر ماله إلى حد صرفه إليه ، وكثر أولاده أيضاً حتى عرفوا بيــن النـــاس باســم بنــي إسرائيل [١]، وبينما هو كذلك إذ اختفى أخوه صهيون ، فلما افتقده بعث في طلبه فإذا الطلب يأتي بأن صهيون لقى حتفه فوق قمة جبل .

وحينئذ قرر إسرائيل دفن أخيه على قمة ذات الجبل ، الذي عرف فيما بعـد باسم جبل صهيون ، لأن فيه قبره ، ومن ثم تكون تسمية الجبل باسم صهيون لا على أنه مالكه أو أنه الذى أقامه ، وإنمــا على أساس أن جسمه دفن بــه ، وأن قبره استقر فيه [٢]على سبيل الاستضافة لا على سبيل التملك .

أما إسرائيل فقد حزن في نفسه،ولا مها على تقصيرها في وصية أبيه ، ومن ثم قرر أن يحرم نفسه من ألوان الطعام الكثيرة ، كما يبتعد عن زينة الدنيا وكان فعله ذلك نوعاً من معاقبة النفس ،أو محاسبتها على تقصيرها[٣]،وقد حكى القرآن الكريم هذه الصورة التي كان لها وجود في هؤلاء النفر من بني البشر قديماً .

قال تعالى : " كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَــى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " [٤]

مما سبق أتضح أن " إسرائيل علم على شخص كان له وجود فعلي ، نسـب إليه أبناؤه في الماضي من قبل بعثة خليل الرحمن إبراهيم عليـــه الســـلام ، ولا

---

(١)أحمد محمد أبو عوف ـــ بلاد العرب والحضارة القديمة ص ٥١ .

(٢) وهذه الرواية تكشف أن اليهود لا علاقة لهم بأرض فلسطين إلا عرقة الضيف المرتحل بأرض نزل إليـــــها بعض الوقت ثم استراح فيها قليلاً ، فلا هي أرضه وليس بإمكانه إعلان أحقيته في شئ منها أبداً .

(٣)الشيخ نعمت الرحمن بن محمد الهروى ـــ ما بعد طوفان نوح ص ٧٨ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٩٣ .

مانع من ان يكون هؤلاء النفر الذين نسبوا إليه قد تمثلتهم اخلاط مختلفة. وامشاج متباينة ، كما نسبت القبائل التي سكنت الأحقاف قديما إلى شخص اسمه عاد [١]فصار اسمه يغطي كل هذه القبائل ،ويدخل فيها أبناؤه ،كما يدخل غيرهم،دون أن يكون هناك تفصيل أو تمييز .

وتكون النسبة إسرائيل واقعة على الجنس ومن جاورهم نظيره نسبة العاديين إلى عاد الأولى والثانية ،رغم أن هؤلاء لم يكونوا جميعا من ذات عاد.

قال صاحب التكملة، وصف عاد بالأولى يدل على أن لها ثانية ، فالأولى هي عاد بن ارم قوم هود ، والثانية من ولدها ، وهي التى قاتلها موسى عليه السلام بأريحا ، كانوا تناسلوا من الهزيلة بنت معاوية ، وهي التي نجت من قوم عاد مع بنيها الأربعة – عمر، وعمرو ، وعامر ، والعتيد ، وكانت الهزيلة من جنس العماليق [٢].

وربما دعم هذا الاتجاه أن العرب لم ينقلوا في الماضي أسماء أعجمية إلى العربية أو ينقطوها بها إلا بعد إدخال بعض التعديلات عليها ، بما يوافق طبيعتهم وبناءاتهم اللغوية ، بدليل أنهم لم ينطقوا يهوذا إلا بالدال ، فقالوا يهودا ،

---

(١) وعرف زعيم هذه القبيلة باسم عاد ، كما عرف هؤلاء باسم عاد الأولى الذين وقع عليهم الهلاك،لأنهم خالفوا تعاليم الله تعالى،قال جل شأنه،وأنه أهلك عاداً الأولى .سورة النجم الآية ٥٠ . وهي غير عاد الثانية لأن ذكر الأولى يفيد التخصيص،كما يفيد التعدد في النوع والجنس ، وذهب الشيخ البروسوى إلى أن عاداً الأولى هم قوم هود عليه السلام حيث أهلكهم الله بريح صرصر عاتية ، أما الأخرى فهم قبيلة أرم ، وقيل عاد الأولى هم القدماء لأنهم أول الأمم هلاكاً بعد قوم نوح ، والمراد بعاد جميع من انتسب إلى عاد بن إرم عوص بن سام بن نوح ووصفهم بالأولية ليس للاحتراز عن عاد الأخيرة ، وإنما لتقدم هلاكهم بحسب الزمن على سائر الأمم بعد نوح – تنوير الأذهان المجلد الرابع ص ١٨٦ .

(٢)الشيخ / إسماعيل حقي البروسوي – تنوير الأذهان المجلد الرابع ص ١٨٧

وممن رجح هذا التعليل العلامة ابن ربيعه [١] وكذلك الهروي [٢] ومن بعدهم الفخر الرازي [٣] ثم من جاء بعده وسار على نفس المنهج .

لكن هذا الرأي يواجه مشكلة صعبة الحل ، وهي ضرورة الاعتراف بوجود شخص يهوذا الذي جاء منه إسرائيل الأول، وشخص إسرائيل الذي جاء في الاسم الثاني البديل ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، أو الاعتراف بإسرائيل الثاني وفي هذه الحالة يجب إهمال القول بنسبتهم إلى يهوذا ، رغم أنه الشائع الذي جاءت به المصادر على ناحية الذيوع والانتشار .

وهناك صعوبة أخرى وهي أن نسبة اليهود إلى يهوذا قد ذهب البعض إلى حداثتها نوعاً ما ، ويستدلون على ذلك بأن موسى عليه السلام لم يتحدث معهم على أنهم يهود دائماً ،وإنما على أنهم إسرائيليون أوعبرانيون ،ومن ثم فتسميتهم باليهود تعتبر تسمية حادثة ، وذلك لا يبرر ما يزعمونه من كونهم جنساً متمايزا عن باقي الشعوب أو متميزا عليها .

الفريق الثاني : أنهم المنتسبون إلى التوبة من الإثم :

وهذا الفريق يعلل تسميتهم باليهود طبقاً لنعت من النعوت، حيث يرى اتباعه أن هؤلاء النفر كانوا أصحاب طبيعة تميل إلى العنف ، وممارسة الأفعال المنهي عنها ، وبعبارة أخرى هم جنس صلب الرقبة ، صعب الانقياد ، يميلون إلى المخالفة الدائمة ، وممارسة الأفعال العدوانية ، لكنهم كلما تابوا من ذنب عادوا إليه [٤] حتى صارت هذه الحالة نعتا من النعوت التي تضاف إليهم ، أو يوصفون بها على سبيل التوالي .

---

(١)العلامة شمس الدين محمد بن ربيعة ــ الأقياس في الأجناس ج ٥٣ ١٣٠٧هـ .

(٢)الشيخ نعمت الله الهروي ــ ما بعد طوفان نوح ص ٥٣ .

(٣)الإمام الفخر الرازي ــ مفاتيح الغيب ج ١ ص ١٠٥ ,

(٤)الشيخ نعمة الله الهروي ــ ما بعد طوفان نوح ص ٥٧ ، ٥٨

يقول صموئيل شولتز : كان العبرانيون أصحاب تجارب مع الرب إلههم ، وكلما دخلوا تجربة وسقطوا ، فإنهم يلجأون إلى الرب إلههم تائبين باكين ، أو نادمين مهددين ، وكان ياهو يقبل منهم ، وينصت لهم ، فسموا يهوداً لأنهم يعودون من حال إلى الأولى التي كانوا عليها ، ثم يقول : وفي هذه التسمية بعض الشكوك [1] .

أما جيرفين : فإنه يعلل التسمية باليهود قائلاً ، لم يكن هؤلاء على دراية بأنهم يمتدون في الماضي نحو يهوذا ، ولكنهم أدركوا ذلك أيام المحن ، ثم تأكدوا أن هذه التسمية ربما كانت سنبة في تاريخهم،فبدلوا يهودا من اسم الشخص إلى الحالة التى كان عليها ذات الشخص ، وهي التي قام عليها المذهب النقدى ، ثم تطور إلى أن صار حالة بارزة ، ووجدانا متقلبا[2] .

لكن ما هي الخطيئة التي وقعوا فيها ، وكان ذلك قبل بعثة بني الله موسى ابن عمران فيهم،وتكون تلك التسمية قائمة على فرض لا أساس له، بل لا وجود له أيضاً ، أما كانت عند عبادتهم العجل مع السامري ، وكان ذلك منهم زمن سيدنا موسى عليه السلام، وتكون تلك التسمية مأخوذة من وصف حالهم في قوله تعالى : إنا هدنا إليك ، كأنهم قالوا إنا رجعنا عن ما وقعنا فيه ، وتضرعنا إليك لتغفر لنا خطايانا .

ولكن هذا المنحى بعيد عن مآخذ اللغة قليلاً، لأنهم ما رجعوا عن باطل إلا عادوا إليه ، وهذا التردد بين التوبة والإصرار على المعصية قد حكم الله عليه بالهلاك ، وعلى أصحابه بالخسران قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ

---

(١) صموئيل شولتز ـ العهد القديم يتكلم ص ٥٧ ترجمة أدبية شكري يعقوب ـ مطبعة السلام القاهرة ـ نشرة معهد المراسلة الدولي بروكسل بلجيكا ١٩٨٤م .

(٢)جوفين توماس ـ نظرات في التراث اليهودى ص ٤١ ترجمة الدكتور زكريا توفيق ط أولى ١٩٧١م .

آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً" (١).

أم أن عبادتهم العجل الذهبي حين كان نبي الله موسى في ميقات ربه ، ثــم رجعوا عنها ، وعادوا إلى عبادة الله الواحد ، ثم رجعوا إلى عبادة العجل،وتكرر ذلك منهم ، فكان هذا الفعل منهم يمثل حالة سلبية مرفوضة عند الله تعـــالى (٢)، وقد صور القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : " وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِــنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَـــبِيلاً اتَّخَـذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ "(٣) وَلَمَّا سُقِطَ فَي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِــفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِـــــيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (٤).

فهارون عليه السلام خليفة موسى عليه السلام حال حياته نظر إليهم علـــى أنهم من جملة الأعداء، بدليل قوله لأخيه كليم الله موسى فلا تشمت بي الأعداء ، ومن ثم فإن فعلتهم النكراء ــ من عبادتهم العجل ، واتخاذهم إياه إلها مـع الله ــ لا يصف حالهم بأنهم تابـوا ورجعوا بقدر ما يعبر عن نفوســـهم التي امتلأت بالإثم ، وغلب عليها الإفك والبهتان .

قال الإمام الحافظ ابن كثير : يخبر الله تعالى عن ضلال من ضل،من بنــي إسرائيل،في عبادتهم العجل الذي أتخذه السامري لهم حيث جعله من الحلي التــي

---

(١) سورة النساء الآية ١٣٧ .

(٢) والله تعالى قال في القرآن الكريم :" إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا " سورة النساء الآية ٤٨ .

(٣) فلو كانوا أصحاب عقل راشد ، وفهم صحيح واضح ما عبدوا عجلاً لا يكلمهم إن هم كلمـــوه ، ولا يحادثهم إن هم حادثوه ، بل ولا يهديهم سبيلاً إن هم سألوه ، فهل بعد ذلك تصح نسبتهم إلى التوبة ؟ .

(٤) سورة الأعراف الآيات ١٤٨ / ١٥٠ .

أخذها منهم ، وشكل لهم من تلك الحلي عجلاً جسداً لا روح فيه ، وقد احتال بإدخال الريح فيه ، حتى صار يسمع له خوار ، وهو الصوت الذي يشبه صوت البقر[١] فهو صوت مصنوع قائم على الخداع والصنعة الباهتة ، التي أدخلت عليهم الخداع والتدليس ، وعلمتهم كيفية ممارستها على أنحاء شتى .

وذكر العلامة أبو السعود أن هؤلاء قد تجاوزا كل الحدود فاستحقوا التوبيخ والذم ، إذ كيف عبدوا العجل واتخذوه إلها،مع أن الله أنجاهم من أعدائهم،كما أن هذا العجل ليس فيه شئ من صفات الخالق العظيم جل علاه ، بل هو لا يملك القدرة على الكلام،ولا قدرة له على هدايتهم إلى ما فيه سعادتهم ، وما هم إلا قوم ظالمون لأنفسهم من حيث يقصدون، فاستحقوا التوبيخ والذم والتقريع[٢].

ومثل هؤلاء لا يكون قد رجع عن المعاصي ، حتى يكتسب التسمية بالعائد ، أو التائب على ما هو المدلول اللغوي لقوله تعالى " إنا هدنا إليك " ، بل على العكس من ذلك فالمناسب أن يقال انهم قوم غير تائبين ولا هائدين ماداموا تستهويهم مخالفة تعاليم الله رب العالمين .

ربما يقال: أنهم لما رأوا فساد صنيعهم، وضلال عبادتهم ، وسقط في أيديهم ندموا على جنايتهم، وازداد ندمهم وحسرتهم من عبادتهم العجل أو مخالفتهم أمر الله ، وقد تبينوا ذلك بعقولهم،حتى صار كالمرئي لهم بأبصارهم ، هرعوا إلى جناب الحق طالبين التوبة،قائلين لئن لم يتداركنا الله برحمة منه ومغفرة، لنكونن من الهالكين ، فكان ذلك بمثابة رجوع منهم إلى الحق ، وهو المعنى الكائن في لفظ الهود والتهود ، على الناحية اللغوية أو الاصطلاحية .

والجواب : أنهم لو صدقت نيتهم ، وتطابقت مع أفعالهم وأقوالهم ، لما كانوا عن الحق حائدين ، ولما كانوا أيضاً أعداء لنبي الله هارون ، حين أذلوه وقهروه

---

(١) الإمام/ بن كثير ــ تفسير القرآن العظيم المجلد الثاني ص ٥٣ بتصرف يسير .

(٢)الإمام / أبو السعود ــ أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المجلد الثانى ص ١٩٧، ١٩٨ .

وكادوا يفتكون به ـــ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ـــ لمجرد أنه حذرهم من معصية الله تعالى ، وبذل الكثير من النصح لهم ، ومن ثم فلا حسبان للتوبة في مفهومهم ، كما أن نسبتهم إلى التوبة ، أو الرجوع إلى الله،كانت مهجورة في أعرافهم،حيث يزعمون أنهم أبناء الله،ومثلهم لا يقع في معصية حتى يتوب منها أو خطأ حتى يرجع عنه .

كما أن الله تعالى حكم عليهم بالذلة والغضب في الحياة الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة قال تعالى : "إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ" [١]، فالذين عبدوا العجل واتخذوه إلها من دون الله ، سيقع عليهم غضب شديد من الرحيم الرحمن،كما ينالهم الذل في الدنيا والهوان ، أما الغضب لذي نال بني إسرائيل في الدنيا فهو ان الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضا[٢]، وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلاً وحقارة وصغارا في الحياة الدنيا ، حيث استزلهم أعداؤهم كالشأن مع كل أصحاب بدعة[٣].

ولو أنهم كانوا صادقين في توبتهم لصحت منهم النية والعمل ، ولقبل الله تعالى منهم لقوله جل شأنه: " وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَمِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ" [٤]، يقول العلامة الألوسى : وفي الآية إعلام بأن الذنوب وان جلت وعظمت فإن عند الله تعالى وكرمه أعظم وأجل ، وما ألطف قول أبي نواس غفر الله تعالى عنه :

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٢ .

(٢)العلامة أبو السعود ـــ إرشاد العقل السليم ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٣)العلامة / الألوسي ـــ روح المعاني المجلد التاسع ص ٧٠ .

(٤)سورة الأعراف الآية ١٥٣ .

يارب إن عظمت ذنوبي كثـــــرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظـــم
إن كان لا يرجوك إلا محســـــن ... فبمن يلوذ ويستجير المجـــرم [١]

ومن ثم فإن تسمية هؤلاء باليهود بناء على مفـــهوم وقوفـــهم مـــع الله ، حتـــى انصرفوا عن المعاصي وصاروا إليه وحده،أمر بعيد جداً ، بل الأحداث المعاشة تعلن عكس ذلك تماماً ، أنهم كفروا بالله ورسوله ، ومـــاتوا وهـم كـافرون ، وطعنوا على الله وأنبيائه،وقتلوا المرسلين،فلعنة الله على هؤلاء إلى يوم الدين .

الفريق الثالث : أنهم أصحاب تحركات عند قراءة التوراة :

وهذا الفريق عماده اللغة التي يأتي فيها لفظ هَوَدَ وتَهَوّد بمعنى تحرك عنـد القراءة ، ومن ثم فهم يقولون: أن هؤلاء القوم أطلق عليهم لفـظ يـهود لأنـهم يتحركون عند قراءتهم التوراة [٣]وهو رأي ضعيف جداً ، لأن الحركـــة التـــي تصدر عنهم عند تلاوتهم التوراة على فرض القول بها يصدر مثلها عن الجميـع عند قراءاتهم لأية كتب وبخاصة إذا كانت مما يستظهر ويحفظ ، أو تحتاج نوعاً من اليقظة الدائمة بجانب الحركة المستمرة ، وهي عادة مشتركة لدى الكثـيرين ولا تخص اليهود وحدهم .

ثم إن هذا القيد إن ورد في الحركة التي تجئ عند قراءة أســـفار التـــوراة فمعني ذلك أن كل من يقرأ التوراة ويتحرك أثناء قراءته لها يكون يهودياً،وان لم يكن من ذلك الجنس ، وهو اتجاه فيه الكثير من الغرابة والتعميم أيضاً .

---

(١) الإمام الألوسي / روح المعاني المجلد التاسع ص ٧٠ .

(٢) القس جرجس شمعون ـــ اليهود والعهد القديم ص ٧٣ ط أولى ١٩٤٥ ، وليفر دانيال ـــ اليهود التاريخ والحضارة ص ٢١ ترجمة رضا عبد العظيم وراجع للإمام الفخر الرازي مفاتيح الغيب المجلـــد الأول ج١ ص ١٠٥ ، وهي كلها تحكي عن مفردات تناثرت بين المؤلفات لكنها لا تقدم تفسيراً علمياً مقبولاً تجعل اختصاص اليهود وحدهم بهذه الحركة ، وإنما طريقها الحكاية .

الفريق الرابع : الإطلاق العام :

ومعنى هذا أن لفظ اليهود أطلقه هؤلاء الأفراد على أنفسهم ، من باب الإطلاق العام حتى يتمايزوا عن غيرهم من الأمم الأخرى ، إذ كانت كل أمة يختار أفرادها لأنفسهم اسما يجمعهم أو يعمهم [١]، ومن ثم فهذه الجماعة من البشر قد اختارت اسم اليهود ، وأطلقته على نفسها ، لاعتبارات عندهم ، يستوي في ذلك أن يكون هذا الإطلاق للتفاخر والاعتزاز ، أو التمايز وإظهار الانتصار والغلبة [٢] .

ولكن هذا الرأي ضعيف هو الآخر،لأن بعض أولئك الجنس — وبخاصة الذين يتحدثون العبرانية — كانوا يعتقدون أن كلمة يهودي تدل على الضعف والذلة ولا تدل على الغلبة والقوة ، ومن ثم كانوا يرفضونها كما رفضوا إطلاقها على أنفسهم ، بل تصوروا أنهم أسمى منزلة من اليهود [٣]، وكانوا يفضلون تلقيب أنفسهم بالإسرائيليين ، ولا يفضلون استعمال لفظ يهودي أبداً ، فضلاً عن أن يكون مستخدماً في الإطلاق العام عليهم [٤].

يذكر الدكتور مراد كامل أن التسمية بيهودي لا تدل على فخر شخصي،أو على الإيمان بالله والتمسك بالعبادات القديمة ، وإنما تدل على ذلة الشعب ، وخضوعهم لحكام البلاد التي سكنوها [٥]، ومن ثم تمتاز عليها كلمة إسرائيلي التي تدل على الفخر الشخصي،أو كلمة عبري التى تدل على التمسك بالعبادات القديمة بجانب الإيمان بالله .

---

(١) مارتن اسكورت — نظرات في الكتاب المقدس ص ١٣١ ترجمة وفاء صبري ١٩٨٠م .

(٢) الدكتور / فوزي محمد صقر — اليهود دراسة في تاريخ الأديان ص ١٩٧ .

(٣) تيودور . هـ روبنسون — تاريخ العالم المجلد الثاني ص ٣١٥ نشر جون هامرتون .

(٤) الدكتور / فوزي محمد صقر — اليهود دراسة في تاريخ الأديان ص ٩٨١ .

(٥) الدكتور / مراد كامل — الكتب التاريخية في العهد القديم ص ١٥ نشره معهد البحوث والدراسات العربية عام ١٩٦٨م .

ونفس الوقت يؤكد عليها زكي شنودة ، حيث يقرر أن التسمية يـــهودى لا تدل إلا على الهوان والذلة ، لأنها لم تطلق على هذا الجنـــس إلا عندمـــا يـــراد تصوير ما وقع لهم في السبي ــ بل وبعد السبي أيضاً ــ من هـــوان وخـــراب قضى على أمتهم وشرد البقية الباقية منهم في أنحاء الأرض (١).

كما أن هذا الرأي قد يمثل في أفهام أصحابه ،ولم يقم في أفهام اليهود خلال التاريخ العام ، بدليل أن لفظ يهودي أو التسمية به ، كانت في عصور ما قبـــل الميلاد ، وتجعل الموصوف بها ، أو المنتسب إليها ، يشعر بالضعف والذلة ، إذ كان مجرد التسمية بيهودي تثير في نفوس السامعين الأسى ، لأنها تذكـــر مـــن سمعها بالأفعال الإجرامية التى مارسها اليهود ، ومن ثم يتحول غضب النـــاس عليهم وهو ما كان اليهود يحرصون على الابتعاد عنه ، لا لأنها تذكر اليـــهود بالجرائم التي ارتكبت في حقهم ، وإنما تذكر الناس بـــالجرائم التـــي مارســـتها العصابات اليهودية معهم .

تقول دائرة المعارف البستانية كان مجرد إطلاق هذا الاسم يدفع سامعه إلى أن المراد به تحقير من تطلق عليه ، بجانب التقليل من شـــأنه ، مـــع الشـــعور بانحطاطه وترديه ، وبخاصة في القرن الرابع قبل الميلاد (٢)وهـــو مـــا يؤكـــد ضعف هذا الرأي ، ويدفع لعدم قبوله .

أما الدكتور / حسن ظاظا فيقرر أن التسمية بيهودي بجانب كونها دالة على التحقير والكراهية والانحطاط ، إلا أنها صارت جزءا مـــن تاريخـــهم ، حيـــث سجلت في سجلاتهم ، وظلت تلاحقهم في كل المجتمعات التي ينزلون بـــها ، إلا أنها في فترة الشتات اتخذت ــ هذه التسمية ــ معنى أكثر بغضاً وكراهية،لأفراد هذا الجنس بين الأمم التي عاشوا فيها كأقلية محتقرة ، حتى صار من المـــألوف

---

(١)زكي شنودة ــ المجتمع اليهودي ص ١١ مكتبة الخانجي بالقاهرة .

(٢) دائرة المعارف البستانية المجلد ١١ ص ٦٥٨ .

أن يسمع الإنسان في بقعة من الأرض يعيش فيها اليهود عبارات اليهودى التائه، واليهودى الطامع ، واليهودى الجشع ، واليهودي القذر ، وقد دفع ذلك الكثير من أثرياء اليهود إلى تجنب هذه التسمية وتفضيل غيرها عليها [١] .

وفى تقديري : أن التسمية بيهودي كالتسمية بإسرائيلي كل منها كانت في الأصل تؤدي إلى التحقير والاستذلال ، وتدل على الخيانة والنفاق بأنواعه المختلفة ،وان هذا الصنف من البشر كان مستعداً لقبول أية تسمية تطلق عليه، مادام ذلك لا يلحق بأفراده ضرراً ، أو يحقق لهم بعض المكاسب الدنيوية ، أو يخفف عنهم بعضاً من القيود التي تفرض عليهم ، وأنهم كانوا مستعدين لأن يكونوا يهوداً ، كما كان لديهم نفس الاستعداد لأن يكونوا إسرائيليين ، أما أن يكونوا عبرانيين فذلك أمر قليل في وجوده ، وكذلك لفظ صهيون لأن دلالة كل من اللفظين: صهيوني وعبراني ـ تدل على الضعف والخوف ، وتذكرهم بأيام المحن ، كما تمثل كل منهما نوعاً من الضغط النفسي على مشاعرهم وقواهم العقلية ، وأوضاعهم الاجتماعية .

دليل ذلك أنهم كلما تحدثوا في كتابهم المقدس عن الأرض ذكروا إسرائيل وإبراهيم،والعهد الذي قطعه الرب معهم ، ومتى جاء الحديث عن السياسة العامة أو التميز في الملكات والإمكانيات ، أو التقدم في العلوم والمعارف ، أو تمجيد جانب في الإنسان على باقي أبناء البشر،تحدثوا عن أبناء الرب ، وحماية الرب، وشعب الرب [٢]إلى أخر الأساطير التى يحيكونها تأليفاً ورواية .

---

(١) الدكتور / حسن ظاظا ـ الشخصية الإسرائيلية ص ١٨ ، ٣٠ نقلاً عن الدكتور فتحي الزغبي ـ تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٩٢ ط دار البشير بطنطا الطبعة الأولى ١٤١٤/١٩٩٤م .

(٢) وهذه الدعاوي كثيرة في الكتاب المقدس ، وتحمل معالم فسادها من كل ناحية ، واليهود عنصر بشري لسان حاله يقول أنهم شياطين مردة وإن ظهروا في صور إنسانية .

كما أنهم حينما تمكنوا من سرقة أرض فلسطين عام ١٩٤٨ م أعلنوا اســـم الدولة الإسرائيلية ، حتى يعتقد العامة بأنهم من نسل نبي الله يعقوب ـ إسـرائيل ـ وأنهم لا يريدون سوى إعادة ذكرى هذا النبي إلى الوجود ، من خلال دولـــة تحمل اسمه ، وتحافظ على مبادئه ، وهو ما يعرف بتديين السياسة ، على أساس أن الناس لن ينظروا إلى هؤلاء المجرمين ، باعتبار أنهم مغتصبـــون ، وإنمـا سينظرون إليهم باعتبار أنهم يحققون نبوءات في الكتاب المقـــدس ، ويحيـون ذكرى جدهم أو نبيهم يعقوب [١]إسرائيل عليه السلام .

ومع أن ذلك كان واقعاً منهم أول ظهور إعلانهم الدولـــة المزعومـــة ، إلا أنهم لما اطمئنوا لسماع صوتهم ، وتأكدوا من مواصلـــة الإمبرياليـــة العالميـــة لدعمهم ، أسرعوا إلى إعلانهم قيام الدولة العبرية، وتحدثوا عنها بنفس التسمية ، ولم يتحدثوا عنها باسم الصهيونية ، على أساس أن التسمية الإسرائيلية تجعـــل سَنَدهم هو النبى يعقوب أو إسرائيل ، وأما اليهودية فتعيدهم إلى أذهان الناس من الناحية السلبية ، كما تذكر هؤلاء الناس بأن اليهود كانوا أمة في الماضي،ولا بد أن تعود هذه الأمة في الحاضر[٢] .

لكن لفظ العبرية يعيد إلى الأذهان المآسي التي وقعت لليهود في أزمان من التاريخ المتلاحقة وأنهم اضطروا لمغادرة الأماكن التي نزلوا بها ، أو اســـتقروا

---

(١) والعلاقة بين نبي الله يعقوب ، وبين هؤلاء الجرائيم منقطعة تماماً ، لأن العبرة بالسلوك الذي يرضي عنه الله تعالى ، كما أن عملية الانتساب لنبي الله يعقوب فيها الانقطاعات الكثيرة من ناحية السند التاريخي والواقـــع العملي .

(٢)الدكتور فوزي محمد نصر ـ اليهود في الماضي والحاضر ص ٣٧ ط أولى ١٩٧١م .

فيها ، تحت ضغوط سياسية وعسكرية ، وأنهم عبروا الحدود مرات كثيرة ، ولم يحصل لهم استقرار نفسي وقلبي واجتماعي ، ومن ثم فالواجب على المجتمع الإنساني كله مساندتهم في تحقيق حكمهم ، وتكوين دولة يعوضون فيها عن سنوات الحرمان والتشرد .

ولا أغالي إذا قلت أن هذا النوع من البشر يستخدم إمكانياته كلها ، في الاتجاهات التي تحقق أهدافهم العامة والخاصة ، وأنهم يستطيعون تغيير اتجاهاتهم في اليوم الواحد ألف مرة ، فإذا كانت القوة معهم ،والسيطرة لصالحهم انطلقوا إلى أهدافهم وغاياتهم التي رسموها لأنفسهم في صراحة ووضوح ، أما إذا كانت القوة لغير صالحهم ، أو كانت السيطرة لغيرهم عليهم فإن الاتجاه يختلف ، حيث يظهرون الولاء للقيادة السياسية [١]، كما يعلنون الخضوع التام ، مهما كانت الأسباب التي تدفعهم إلى ذلك .

يقول الدكتور/ حسن ظاظا في العصر الحديث نجد كلمة عبري ترتبط على ألسنة اليهود بالمقدسات التراثية القديمة ، فبينما يسارع اتباع الشريعة وتنظيمهم العنصري الاستعماري إلى استعمال الصهيونية ودولتهم إسرائيل ، نجدهم يحرصون على استعمال عبارة اللغة العبرية ، والثقافة العبرية ، كما يتحدثون عن الأدب العبري ، والجامعة العبرية ، والصحافة العبرية،وكل ما كان من هذا القبيل يتحدثون عنه باسم العبرية [٢]، ولا يذكرون العبرانيين .

ويذكر الدكتور/ مراد كامل أن كلمة يهودي تطلق في العصر الحديث على طائفة من الناس تعيش بين الشعوب المختلفة ، وتتقاسم الجنسية معهم،كاليهودي الإنجليزي ، والألماني، أو اليهودي النمساوي أو الروسي ، أما كلمة إسرائيلي

---

(١)ماكدونالد — إسرائيل والشعب المقدسين ص ٩٤ .

(٢)الدكتور / حسن ظاظا — الشخصية الإسرائيلية ص ٢٤ .

فتطلق على اليهود الذين هم من نسل يعقوب إسرائيل بالجسـد [١]، ومـن ثـم تتوارى معهم القضايا التي يعتبرونها أصولاً ،مما يؤكد أن اليهود مهما كانوا فما هم إلا حفنة من الأشرار ، الذين دربوا على تغيير مواقفهم دائماً .

إنهم حيات قابعة في جحورها تنتظر الإمساك بالفريسة من أية ناحية ، ولا مانع لديهم من اصطناع الروية والوداعة ، أو التعامل بالرقة ، لكنها رقة الجلـد الناعم في ملمسه القاتل في الاقتراب منه ، ولا يمكن لـهم أن يسـتريحوا فـي مجتمع ما ، كما أنهم لن يريحوا أي مجتمع ينزلون به [٢]، لقد اكتوت البشـر من نيرانهم وما تزال تجرع من كؤوس السم التي يعدها حاخاماتهم باسم الديـن، ليقتلوا بها الأبرياء ، مما يؤكد أن اليهود قد تركوا دين الله كلية،وتمسكوا بالأديان الوثنية ، وصاروا أحد المعبرات الأساسية لها ، الناطقة بها .

لكن إلى أي مدى تحقق الأمل الذي ينشدونه ، وبعبارة أخرى ، هل يمكـن القول بأن اليهود نجحوا في استعمال اللولبية بالنسبة للتسميات التي أطلقوهـا أو يطلقونها على أنفسهم ، وما علاقة ذلك باليهودية من الناحية الدينية والسياسـية قديماً وحديثاً ؟

والجواب : أن اليهودية سواء نسبوا أنفسهم إلى شخص يـهوذا ، أم إلـى الحركة التى تصدر عنهم أثناء تلاوتهم التوراة ، أم إلى الناحية التى وقعت عليها التسمية باعتبار المكان ، أو انتسبوا إلى شخص إسرائيل على أي معنى كان مما تحمله الكلمة من معان على الناحية المركبة ــ اسرا،إيل ــ إلا أنه تبقى نقطـة

---

(١)الدكتور/ مراد كامل ــ الكتب التاريخية ص ١٩ .

(٢) أسفار كتابهم المقدس ــ العهد القديم ــ هي التي تحكي عن هذه المآسي ، في لغة تحمل الفخـر حينـاً أو الخوف والقلق ، أو تدعوا للعطف عليهم والإرفاق بهم ، وبذل الشفقة نحوهم .

مهمة ،هي أما علاقة هذا الجنس بنبي الله موسى الكليم ؟[١] وهل كانوا متعبدين الله رب العالمين .

أم كانت لهم اتجاهات أخرى ، أو كانوا يسيرون مع نبي الله موسى بن عمران رسول الله إلى بني إسرائيل بأجسادهم، لكن عقولهم وقلوبهم كانت متعلقة بعبادة غير الله تعالى من الأوثان والأصنام المتعددة والمتجسدة [٢]أيضاً ؟

والجواب : أن هذا الجنس في اصله الأول يمتد لآدم عليه السلام أبي البشر فهم من سلالة بشرية كباقي أجناس الأرض ، آباؤهم من أبناء آدم ، وأمهاتهم من بنات حواء لقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام: كلكم لآدم وآدم من تراب.ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح إن أكرمكم عند الله أتقاكم[٤].

قال الشيخ البسيوني : الخطاب في الآية لجميع بني البشر ، وكل الناس أجمعين ماضيهم والحاضر، هالكهم والمقبل إلى يوم الدين ، ذكورهم وإناثهم مهما اختلفت الألوان أو الإقامات ، والألسنة واللهجات ، قد أوجدهم الله تعالى بقدرته من أصل واحد هو الطين الذي خلق منه آدم ، وأوجدهم بقدرته وإرادته من أب واحد ،وأم واحدة ، فالأب آدم ، والأم حواء ، وبالتالي فلا تفاخر بالآباء

---

(١) الدراسات العلمية المنهجية تؤكد أن هؤلاء اليهود لا علاقة لهم بنبي الله موسى ابن عمران ، إنهم كذبة ، ولو كانوا أتباع له لآمنوا بالله تعالى وصدقوا بما أمرهم به .

(٢) التعدد في مفهومه غير التجسد ، كما أن التجسد غير التشبيه والتمثيل وقد دلت اللغة على وجود فوارق عديدة بين هذه المفاهيم والمفردات اللغوية .

(٣) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٣) الشيخ محمد عبد العظيم النوري ـ من أنوار السنة ص ١٥١ ط ثالثة ١٣٢٥هـ .

والأجداد ، ولا اعتداد بنسب أو أحساب ، مادام الكل متساو في هذا الأصل أمام الله [1]، إنما التمايز بالتقوى والعمل المقبول من صاحبه عند الله تعالى .

وما دام الناس جميعاً من أصل واحد هو آدم وزوجه حواء ، فإن اليهود من هذا الجنس الطيني الآدمي ، ولا علاقة لهم بشئ بعد ذلك ، لأن سنة الله تعالى جارية في خلقه ، بأن ما كان أصله من الخلقة الطين هو الجنس الآدمي ، ويظل أفراده يعبرون عنه ،على سبيل الاضطراد في سنة الله الكونية [2] ، وما كان أصله في الخلقة من النور ، وهو الجنس الملائكي ، فإن هذا يظل في أفراده لا تخرج عن ذلك أبداً [3]، أما ما كان أصله في الخلقة من النار ،وهو الجنس الجني فإن أفراده يظل أمرهم هكذا [4]، فلا اختلاط في الأصول ولا تباين في الجنس الواحد ، لأن فعل الحكيم جل علاه يتنزه عن ذلك كله .

يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : خلقت الملائكة من نور وخلقت الجن من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم [5]، وهذا الوصف هو الذى تفاصيل القول في آدم وذريته ، وما يتعلق بأنسالهم قبل مثل قوله تعالى خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النطفة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أنشأناه

---

(١) الشيخ البسيوني محمد بسيوني الحسيني ـ تفسير سورة الحجرات ص ١٢٧ طبعة مكتبة فرج أفند الكردي ١٣٠٥هـ .

(٢)وهذا الفهم هو ما عرف عندنا نحن المسلمين بجريان سنن الله الكونية على سبيل العادة الإلهي. تعالى : " سنة التى ولن تجد لسنة الله تبديلاً " .

(٣)ومن ثم تبطل مزاعم الذين تغلب عليهم أهواؤهم،حيث يزعمون أن بني البشر متى أتقن أحدهم أو بعضهم العبادة أداء لها فإنه يتحول من صورته واصله الطيني بحيث يصير ملائكياً ، يعايشهم ويقوم بأعمالهم ، ويسقط مزاعم الذين قالوا أن أبليس ظل يرقى في العبادة حتى صار رئيساً للملائكة ، وأنه كان واحداً من الملائكة.

(٤) قال تعالى : "وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ" سورة الحجر الآية ٢٧ ، وقال تعالى : " إلا أبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه " سورة

(٥)الإمام مسلم ـ صحيح مسلم كتاب الزهد ص ٦٠ .

خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [(١)] .

كما بين الله تعالى أنه لما كانت طبيعة خلق البشر جميعاً — من حيث الأصل واحدة — فإن الله تعالى جعل فيهم رغبة التلاقي، حيث يعرف كل منهم الآخر ويتعاون معه ، في تحقيق الخلافة التي أناطها الله بهم، من ناحية استعمار الأرض والإقامة فيها ، وهو معنى قوله تعالى :" لتعارفوا " .

قال شيخ زادة : أن **الحكمة التي من أجلها جعلكم الله على شعوب وقبائل** ، هي أن يعرف بعضكم نسب بعض ، ولا ينسبه إلى غير آبائه ،لا أن يتفاخر بعضكم على بعض بالآباء والأجداد والنسب ، وإن كان يعتبر عرفاً وشرعاً ، حتى لا تتزوج الشريفة بالنبطي ، إلا أنه لا عبرة به عند ظهور ما هو أعظم قدراً منه وأعز،وهو الإيمان والتقوى،كما لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس[(٢)]

إذن هذا الجنس من أجناس الأرض سواء تسمى باليهود ، أم الإسرائيليين أم غير ذلك ، تركوا طبائعهم من غير تهذيب بشرع الله ، كما سمحوا لغرائزهم في الانطلاق حيث تشاء ، لم يرتضوا تعاليم الله ، كما لم يصدقوا بخبر الأنبياء ، وطافت بهم ظنونهم الكاذبة ، فحلقت بهم في عوالم الخيالات والأحلام الكاذبة ،

---

(١)سورة المؤمنون الآيات ١٢ — ١٤ .أما الحيوانات كلها فقد خلقها الله تعالى على ما هي عليه ولكن أصلها من طين وقد خلقت مسخرة لخدمة الإنسان الذي هو من طين ، فهو يتعامل معها مصلحة واغتذار ومنافع أخرى وزينة ، فلو كانت من مادة غير طينية لما أمكنه الاستفادة بها على أتم ناحية ، كما لو أنها كانت من مادة أخرى لكان من الصعب قبرها ، ومن ثم تقع المفاسد والله منزه عن ذلك كله لما بين جل شأنه أنها يوم القيامة تعود إلى جنسها حيث تكون ترابا — راجع للشيخ محمد عزت السنطاوي الإنسان في القرآن ص ١٢٧ .

(٢)العلامة شيخ زادة — حاشية شيخ زادة على البيضاوي المجلد الثالث ص ٣٧٥ .

وهو ما أوقعهم في معصية الله على الدوام ، حتى صاروا أمثولة بين الناس في الكذب على الله تعالى ، وقتل الأنبياء ، والسخرية من تعاليمهم ، وتبديل تلك التعاليم رغم كثرة أنبياء الله إليهم .

وهذا الجنس قد يكون له وجود قبل نبي الله إبراهيم أو بعده ، لكن ارتباطهم بنبي الله موسى بن عمران هوالمعول عليه ، لأن القرآن الكريم دلنا على أن الله عز وجل بعث رسوله موسى إلى بني إسرائيل الذين هم قومه ، ومع هذا ألحقوا به الأذى قال تعالى :" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ "[1].

ولما بعث ربنا جل علاه سيدنا موسى الكليم إلى بني إسرائيل حتى يعيدهم إلى عبادة الله رب العالمين[2]،ويخلصهم مما هم فيه من خضوع وذل، واستحياء للنساء ، وتذبيح للأولاد بغير جناية ،وهو الذي كان يرتكبه خصومهم معهم[3]، وقعت المناوشات منهم مع نبي الله موسى ، حتى إذا أظهر الله المعجزات على يديه كاليد البيضاء الخالية من الأمراض ، والعصا[4]، بعضهم آمن به وأنه نبي الله إليهم مؤيداً بالمعجزات ، بينما كان البعض الآخر يتردد في ذلك الإيمان ، أو يتشكك فيه .

ورغم أن الله تعالى أجرى معجزته لموسى عليه السلام على مرأى من بني

---

(١) سورة الصف الآية ٥ .

(٢) قال تعالى على لسان نبي الله موسى الكليم :" وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ" سورة الشعراء الآية ٢٢ .

(٣) قال تعالى : " فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى " سورة طه الآية ٤٧ .

(٤) قال تعالى : "قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ " سورة الشعراء الآيات ٣٠ ــ ٣٣ .

إسرائيل ومسمع،ورأوه يضرب البحر بعصاه فينفلق[١]وتظهر فيه الطرق اليبسى حتى خرجوا سالمين [٢]، وأجرى معجزته أيضاً حين ضرب الحجر بذات العصا فإذا هي العيون المائية التي روتهم ، وأشبعت فرقهم العطشى في التيه[٣]، وأجرى معجزته أيضاً فرأوا المن والسلوى حتى أخذوا منهما وطعموا وشربوا ، إلا أنهم أيضاً رأوا من يعبدون الصنم فحنوا لعبادتهم وطلبوها من نبي الله موسى ذاته[٤]، فلما غاب عنهم لميقات ربه ، أسرعوا إلى الوثنية ، وعبدوا العجل من دون الله .

لكن قد يرد على الخاطر سؤال يقوم على ما هي العلاقة بين اليهود والإسرائيليين ؟

والجواب :أن هذه العلاقة تتمثل في اتجاهات متعددة :

الأولى : العموم والخصوص المطلق أو الوجهي :

ومعناه أن لفظ إسرائيلي أعم ، لأنه يشمل الذين تابوا وهادوا ، كما يشمل الذين لم يتوبوا ، على أساس أن إسرائيل هو الجد الذي جاء منه أفراد هذه العصابة جميعاً ، فتكون كلمة إسرائيلي أعم من كلمة يهودي التي تعتبر أخص من هذه الناحية ، أو يحدث العكس فتكون كلمة يهودي أعم ، على أساس أنها

---

(١) قال تعالى :" فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" سورة الشعراء الآية ٦٣ .

(٢) قال تعالى : " وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى" سورة طه الآية ٧٧ .

(٣) قال تعالى :" وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ" سورة البقرة الآية ٦٠ .

(٤) قال تعالى:" وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ " سورة الأعراف الآيات ١٣٨ ــ ١٤٠ .

لفظ يشمل كل من هاد إلى الله ورجع ، سواء أكان من الجنس الإسرائيلي أم من غيرهم ، فالعبرة بالتهود والرجوع إلى الحق ، ومن ثم تكون كلمة يهود من هذه الناحية نعتاً ، أو وصفاً أعم من كلمة إسرائيلي التي تمثل جنسية بعينها .

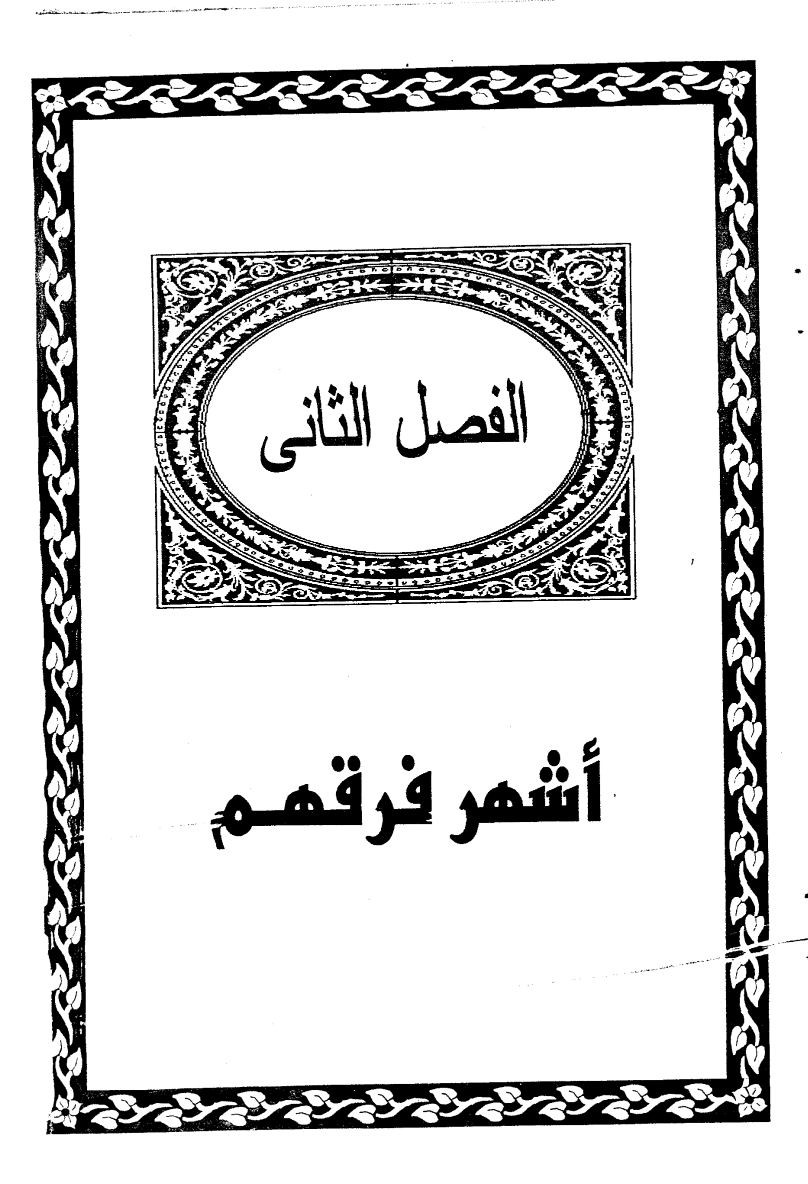
الثاني : التوارد والتأكيد :

بمعنى أن كلمة إسرائيلي وكلمة يهودي إذا ذكرت إحداهما فهم منها الثانية ، فإذا ذكرتا معاً كان المقصود هو التأكيد سواء أكانت كلمة إسرائيلي هي السابقة، أم كلمة يهودي هي السابقة ، لكن هؤلاء جميعاً لا يفترقون كثيراً عن الممارسات التي يقومون بها ، والاعتقادات التي يمارسونها .

ومن ثم فإن علاقتهم بالدين الإلهي الذي جاءهم به موسى بن عمران ـ عند الله ، هي نفس العلاقة التي تربطهم بنبي الله موسى وتقوم على المخ والإنقطاع [١]، وبالتالي فإن ذلك يقتضي الحديث عن مرحلتين : الأولى ـ اليهود في ظل وجود نبي الله موسى ، الثانية : بعد نبي الله موسى ، وهو ما يمثل الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله تعالى .

---

(١) حاولت الإيجاز بقدر الإمكان ، حتى لا تزيد صفحات الكتاب كثيراً ، وربما فيه الوفاء بالمطلوب من باب ما قل ودل .



الفصل الثانى

أشهر فرقهم

المتابع لحركة هذا الجنس من البشر قد يلاقي الكثير من العنت معهم أثناء المتابعة ، لأنهم دائمو الحركة في الاتجاهات المختلفة ، كما أنهم كثيرو التلون ، ولديهم القدرة على إستزراف الدموع ، كما لديهم نفس القدرة على استنزاف الطاقات التي تكون للآخرين [١]، وهم يعتبرون ذلك ميزة لهم على غيرهم ، أو بالأحرى هم يعتقدون أن هذه امتيازات فيهم تجعل أسهمهم أعلى من أسهم غيرهم عند التلاقي.

كما أنهم يبحثون عن الحياة السهلة ،حتى لو كانت في أدنى صورها ، ومن ثم فلا مانع لديهم من قبول أفكار واعتقادات وثنية ، مادامت تحقق لهم النمط المعيشي الحياتي قال تعالى :" وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ " [٢] .

قال الشيخ البهنسي: لتجدن اليهود مهما كانوا أشد حرصاً على الحياة وأسبابها من الناس أجمعين ، ومن المشركين أنفسهم ، لأن اليهود يعلمون علم اليقين أنهم إلى النار ذاهبون،وفي جهنم للعذاب يلاقون بسبب الجرائم التي ارتكبوها، ولذلك فكل واحد منهم يتمنى أن يعيش ألف سنة ، ولو عاشها فإن ذلك العمر الطويل لن ينجيه من النار ، ولن يبعده من عذاب الله تعالى[٣]، كما لن يرضي غرور اليهود نفسه ، الذي يريد أن يظل أبد الدهر ، ويكره الموت على أية ناحية .

لكن هؤلاء قد تفرقت بهم السبل ، وافترقت معهم الأسباب ، وطالت بهم أوجه الخلافات ، فظهرت فيهم طوائف وفرق ، بعضها كان ظهوره في زمن نبي الله موسى الكليم ويعبر عن علاقتهم بنبي الله وشرعه ، وبعضهم الأكثر

---

(١) دموعهم في أيديهم ، وعواطفهم بين أقدامهم .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٦ .

(٣)الشيخ محمد عبد العظيم البهنسي — تفسير سورة البقرة ص ٢٢٧ مطبعة الاستقامة ١٣٠٧هـ .

شيوعاً جاء بعد موسى بزمن قليل ، ثم أفقد مع الزمان امتدادات كثيرة اختلفت أحواله بين الذيوع والانتشار ، أو بين الضعف والقوة .

فلما جاء الإسلام كان حال فرقهم الكبيرة قد وصل إحدى وسبعين فرقة ، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :" افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة،وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة [1]كلها في النار إلا واحدة ، قالوا ما هي يا رسول الله ، قال : الفرقة الناجية هي ما عليه أنا وأصحابي [2].

من ثم فسأعرض أولا : لفرقهم حال وجود نبي الله موسى بينهم ، ثم أعرض ثانياً فرقهم بعد نبي الله موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ، لمعرفة الزمن الذي تم فيه تسلل الأفكار الوثنية إلى الجماعة اليهودية ، ثم صياغتها في قوالب كتابية شغل بها العهد القديم وامتلأت بها أسفاره ، حتى

---

(١)وهي رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي المتوفي عام ٥٧ه.

(٢) وهي من رواية عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل ، تفرق بنوا إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، تزيد عليهم ملة ، كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا : يا رسول الله ، وما الملة التي تتغلب ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي ، ورواية سيدنا أنس بن مالك قريبة منها لكن ورد فيها لفظ فرقة بدل لفظ ملة .

قال الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد رحمه الله ، أعلم أن العلماء يختلفون في صحة هذا الحديث ، فمنهم من يقول أنه لا يصح من جهة الإسناد أصلاً ، لأنه ما من إسناد روى به ، إلا وفيه ضعف ، وكل حديث هذا شأنه لا يجوز الاستدلال به ، ومن هؤلاء أبو محمد بن حزم صاحب كتاب الفصل في الملل والنحل ، ومنهم من اكتفى بتعدد طرقه ، وتعدد الصحابة الذين رووا هذا المعنى عن رسول الله .

ثم اعلم أن الاختلاف في أصول العقيدة ، فإن هذا وحده هو الذي يكون سبباً في النجاة إن وافق ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ويكون سبباً في الهلاك والتباب والخسران إن خالف ذلك ، أما الاختلاف في الحرف والصنائع وضروب العلوم والفنون فلا يمكن فيه ذلك ، بل ربما كان هذا الاختلاف في واجباً ، لأن به قوام الأمة وحياتها ، وأما الاختلاف في الأحكام الفقهية العملية فليس مراداً أيضاً ـ الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ـ هامش الفرق بين الفرق ص ٧ ، ٨ مكتبة دار التراث .

صارت هي القاعدة التي يتعاملون بها ، وتدفع إلى العنف والإرهاب ، كما تسوق إلى ممارسة الأعمال الإجرامية ، وتصدر النزعات الدموية ، وسائر الأوصاف الذميمة ، والأعمال العدوانية .

أولاً : أشهر الفرق في زمن موسى عليه السلام :

حين كان نبي الله موسى الكليم بن عمران بين ظهراني بني إسرائيل ، ظهر في القوم فريقان ، أحدهما قوي مجاهر بالعداء ، والثاني ضعيف يلجأ إلى الله ، من ثم يمكن إطلاق اسم الإيمان على أحدهما والكفر على الثاني:

الأول: فريق المؤمنين :

وهم الذين صدقوا بأن الله تعالى قد بعث في بني إسرائيل نبياً منهم هو موسى الكليم ، حيث يأخذ بهم إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ، وإقامة الدلائل على وحدانيته ، وما له من صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام ، كما يخبرهم بما فرضه الله عليهم من عبادات تقربهم إليه جل شأنه ، وتحقق لهم رضوانه جل علاه ، كما تجعلهم أحرص من غيرهم على طلب الخير والتماس أسبابه ، بما يحقق السعادة لبني الإنسان[1].

كما أنهم كانوا على يقين من أن تعاليم الله تعالى متى أمكن القيام بها كاملة ، فإنها تحقق لمن يصدق بها ، معرفة أمور الآخرة على وجه إجمالي في بعض المواقف ، والكثير من التفصيل من خلال تصوير بعض المظاهر،والحديث عنها كنعيم أهل الجنة ، وعذاب أصحاب النار، وموقف أصحاب الأعراف ، إذ شأن الحديث عن الآخرة الوقوف بالمرء العاقل عند شاطئ الترغيب فيقبل إليه راضيا

---

(١)الشيخ محمد بدر عبد العظيم هلال ـــ أنبياء الله ص ١٣ ط دار الكرنك ١٩٤٧م .

أو شفا جرف الترهيب فينأى عنه مدبراً[١]، وذلك من مهام الرسول ،وملازمات الرسالة .

وفريق أهل الإيمان يدخل فيهم أولئك الذين كانوا أتباعاً لفرعون فيما قبل، حيث كانوا يقومون برعاية مملكته ، والمحافظة على نظام حكمه ، من خلال أعمالهم السحرية التي تسخر لخدمته وكذلك الكهنة الذين لم تكن لهم من مهمة سوى خدمة ذلك الفرعون ، فلما وقعت المقابلة بين فعل السحرة ، وبين المعجزة التي أجراها الله تعالى على يد موسى عليه السلام وتحقق الفوز لنبى الله موسى عمران على أفعال الجميع وسحرهم[٢]، سارع هؤلاء إلى نبي الله موسى الكليم معلنين الإيمان بالله رب العالمين ، على النحو الذي عرفهم به موسى الكليم ، وهارون النبي قالوا : قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ[٣]".

قال العلامة الطبري : لما تبين للسحرة أن الذي جاءهم به نبيهم موسى حق لا ريب فيه ، وأنه لا يشبه السحر ، وأنه مما لا يقدر عليه إلا الله الذي فطر السماوات والأرض ، خروا لوجوههم ساجدين لله ، مذعنين له بالطاعة قائلين : آمنا بالذي دعانا موسى لعبادته ، دون فرعون وملئه [٤].

---

(١) لأن كل رسالة إلهية إنما كانت تقوم على الإلهيات والنبوات والسمعيات ، وتسمى الحقائق المشتركة بين رسل الله تعالى .راجع للدكتور السيد احمد سويلم على — الحقائق المشتركة بين رسل الله ، رسالة ماجستير بقسم التفسير — كلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٨٠م .

(٢) لأن المعجزة تعرف بأنها أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي يظهره الله على يد مدعي النبوة ، في زمان التكليف ، موافقاً لدعواه مع عدم معارضته ، وعجز جميع الخلائق عن الإتيان بمثله — راجع للآمدي غاية المرام في علم الكلام ص ٣٣٣ وللإيجي المدائن ج ٣ ص ٣٣٩ ، وللاسفرايني — التبصير في الدين ص ١٠٤ ، وللبغدادي — أصول الدين ص ١٧٠ .

(٣)سورة الشعراء الآيتان ٤٧ ، ٤٨ وسورة الأعراف الآيتان ١٢١ ، ١٢٢ .

(٤)العلامة ابن جرير الطبرى — جامع البيان فى تفسير القرآن . ج ١٩ ص ٤٦

كما يندرج في عداد ذلك الفريق من أهل الإيمان ، أولئك الذين أعلنوا أنهم آمنوا بالله رب العالمين،طلباً لما عنده من نجاة،والتماساً لما يأملونه من المغفرة ورغبة الظفر بما أعده الله سبحانه لأهل الإيمان به من نعيم مقيم بجانب الفوز العظيم ،"إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ "[١]، ومن ثم فلم ترهبهم تهديدات فرعون المتواصلة ، كما لم تصرفهم عن سلوك طريق الإيمان سياط التعذيب ، وإنما زادتهم ثباتاً ، فلأنهم أدركوا أن الفوز إنما يكون في السير مع أهل الفلاح .

يدل على ذلك قولهم الذي حكاه القرآن الكريم عنهم :" وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ "[٢]،فهم قد قالوا لفرعون إنك ما تريد الانتقام منا إلا لأننا آمنا بالله الواحد ،وصدقنا خبر النبوة وآمنا بالبعث والجزاء ، وهذا لا نعاب به، وإنما نعاب بالعبادة الباطلة التي كنت تلزمنا بها وتدفعنا إليها[٣].

بيد أن فريق أهل الإيمان بالله تعالى مع موسى الكليم،وإن كان قليل العدد إلا أن قوة إيمانهم جعلت غلبة الكيف لديهم ترجح كل معالم الكم عند الآخرين، يدل على ذلك موقفهم من وعيد فرعون حين قال :" قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ

---

(١)سورة الشعراء الآية ٥١ والمعنى أن ما تهددنا به فرعون بهذه البلاد لن يرهبنا أثره ، لأنه لا ضرر علينا في إيقاعك ما وعدتنا به ، ولا نبالي بشئ من ذلك أبدا لأننا نرجع في كل أمورنا لله آملين غفرانه راجين أن يغفر لنا ما سلف من ذنوبنا التي دفعتنا للوقوع فيها ، وما دمنا قد بادرنا إلى الإيمان بالله مع موسى وهارون فإنا نطمع فى عفو الله الخالق الذي بيده الأمور كلها ــ الشيخ محمد بن على المغربي تفسير سورة الشعراء ص١٨٢

(٢)سورة الأعراف الآية ١٢٦ .

(٣) الشيخ محمد عليان ــ تفسير سورة الشعراء ص ١٣٥ ونظير ذلك قوله تعالى:" وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ" سورة الأعراف الآية ١٢٦ .

الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى "[1].

وظل حال فريق أهل الإيمان في بني إسرائيل يتناقص حتى تلاشى قال تعالى: "وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ[2]".وبدأ هذا التلاشي يظهر حين كان موسى بينهم ، حيث هرعت جماعة منهم إلى طلب عبادة الأصنام الوثنية ، كما لجأت جماعتهم إلى عبادة العجل الذي أخرجه لهم السامري ، ثم ازدادت عملية التلاشي بعد انتقال موسى عليه السلام عنهم ومفارقته إياهم ، وحيث تأكدوا أنه مات ، فقد سولت لهم أنفسهم سرعة الانقضاض على ما بقي من تعاليم الله .

الثاني : فريق الكافرين :

وهم الأكثر عدداً ، وفيهم المنعة ، ومعهم البأس ، وبينهم عتاة القول والفعل ، وقد أعلنوا كفرهم بالله رب العالمين من أول وهلة ، فحاربوا نبي الله موسى الكليم ، وحاولوا تأليب العامة والخاصة عليه ودعوته ، كما لجأوا إلى التعبئة اللاشعورية بالعداوة له ، بل امتد بهم الأمر حتى كونوا فرقاً مهمتها محاربة المؤمنين بالله ، وكان فرعون نفسه يقوم بهذه المهام تارة مع المستضعفين على وجه الإجمال، وتارات مع أهل الإيمان على وجه الخصوص . كما لم يتخلف عن هذه الأفعال الآثمة أبداً قال تعالى : " إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ

---

(١) سورة طه الآيات ٧١–٧٦ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٩ .

المفسدين "[١].

وقد استمر فرعون فى الكيد لأهل الإيمان ومعه ملأ من قومه ، الذين مارسوا العديد من الضغوط على الأفراد والجماعات المؤمنة مستخدمين التهديد المقترن بالعنف ، والوعود الكاذبة متى رأوا ذلك ممكنا ، وفوق ذلك فإن الملأ من قوم فرعون كانوا يمارسون على الفرعون صور الإغراء بقتل المؤمنين ، قال تعالى :" وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون"[٢].

أجل سارع فرعون بممارسة علميات الإرهاب والعنف لإشباع رغبات صدره ، وإظهار كونه إلها لا يعصى أمره ، فما كان من نبي الله موسى إلا تعزية أهل الإيمان فى هذا الابتلاء ، و"قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"[٣].

لم يكن فرعون يملك قدرا من التسامح،أو سعة الصدر، بحيث يترك هؤلاء وشأنهم مع نبي الله موسى بن عمران الذي بعثه الله إليهم ، وإنما كان يتملكه أكبر قدر من ضيق الأفق ، والتعصب المرذول، بجانب الحماقة التي أعيت صاحبها ، وقديما قيل :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة أعيت من يداويها

وآية ذلك انه حين تم التلاقي بين موسى الكليم،وفرعون اللئيم في مواجهة صريحة معلنة بناء على طلب فرعون وحاشيته [٤]، سلك سيدنا موسى عليه

---

(١) سورة القصص الآية ٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢٧ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٢٨.

(٤) وهو قولهم له ما حكاه القرآن الكريم :" فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى" سورة طه الآيتان ٥٨ ، ٥٩ .

السلام طريق الحق في عرض دعوته ، كما أمسك بزمام نفسه فلم يدع لـــها أن تمارس أمراً غير ما بعثه الله تعالى به من قوله تعالى :" فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّـــا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ"(١).

لكن فرعون اللئيم بدل أن يستمع لصوت الحق الذي جاء بـــه داعـــي الله ويستجيب له ، لجأ إلى استعمال لغة العنف الأدبي (٢)، بجانب الغمـــز واللمـــز لموسى عليه السلام والرجوع به إلى طفولته ، حيث تربى في بيت فرعـــون ، ولبث بينهم عدة من السنين ، ومثله من وجهة نظر فرعون يجب أن يتذكر ذلـك الماضي المشين ، ولا يفكر في غيره ،" قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِـــنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ "(٣).

كان فرعون يريد أن يمن على موسى ، ويدفعه إلى شعور الاحتقار لذاتـــه ألم نحسن إليك في التربية ، ومكثت بين أظهرنا سنيناً عديدة ، نرعاك ونربيك ، فجئت الآن لتجازينا على تربيتنا لك كفرا بنا وإنكارا لألوهيتنا ، ولا يعبر ذلـــك إلا عن الجحود ، ويثمل صورة مرذولة من صور الكفران (٤)، ومن كان ذلـــك شأنه يجب أن يختفي من الساحة ، أو يلملم أشتات نفسه الممزقة على ما تصـــور فرعون اللئيم .

فلما وجد فرعون أن لغة العنف الأدبي لم تصرف نبي الله موسى الكليم عن دعوته "حاول إرهابه وتهديده"، باستعمال العنف البدني في أشكاله الأولى ، وفيه إيحاء بأن هذا التهديد لن يكون له وحده ، وإنما سيشمله وفريق أهل الإيمان بالله

---

(١) سورة الشعراء الآيتان ١٦ — ١٧ .

(٢) وهي تقوم على التذكير المقصود بما كان في المرء من صفات تحمل الذم أو تشير إلى النقائص حتى لو كانت غير مقصودة في فعلها .

(٣)سورة الشعراء الآيتان ١٨ — ١٩ .

(٤)الإمام أبو حيان :البحر المحيط ج ٧ ص ٨ ، ٩ ، والإمام القرطبي :الجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٩٤ والإمام الطبري :وجامع البيان ج ١٩ ص ٤٣ .

معه ، ومن ثم فإن تصرف فرعون إنما يمثل صورة من الصور التي تعبر عن تصرف الطغاة الجبارين ، بينما يمثل موسى الكليم سلوك أنبياء الله المرسلين ، ففرعون يقول لموسى عليه السلام :" لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ"[1].

قال الشيخ النبهاني : كان لفرعون سجن شديد المحابس ، بعيد عن العمران قليل الحركة ، مظلم لا تراه الشمس ، حتى أن المسجون به لا يدرك أهو على سطح الأرض أم تحتها ، ويظل السجين فيه بلا طعام ولا شراب ولا هواء حتى يلقى حتفه ، فكان هذا السجن هو القتل بل أشد منه [2].

أما موسى عليه السلام فيستعمل الرقة بجانب توضيح المفاهيم ، كما يطرح أمام فرعون الدلائل على أنه نبي مرسل من الله تعالى ، في الوقت الذي عجز فرعون عن إثبات كونه إلهاً ،فقال له موسى عليه السلام: "قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ"[3]بحيث يظهر لك صدق نبوتي ، وإني مرسل من قبل الله تعالى ، فهل تسجنني أيضا ، أم أنك سترجع عن غيك ، وتعود إلى ما يرجى من أهل الرشاد والعقل والبصر السليم .

غير أنه كان هذا القول من نبي الله موسى لفرعون،وفي مجمع من منافقيه فقد أعلن فرعون التحدي ، كأنه يقول له هاته إن كنت صادقاً ، شريطة أن يكون ذلك الشئ المبين لا يحتاج برهاناً [4]، قال: "قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ"[5].

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٩ .

(٢)الشيخ محمد بن خليل النبهاني ــ نظرات في كتاب الله ص ١٩٥ عام ١٣٣٤هـ.

(٣)سورة الشعراء الآية ٣٠ .

(٤)الشيخ محمد أبو الفضل العويران ــ فرعون في القرآن ص ٧١ ط مطبعة سحر بجدة .

(٥) سورة الشعراء الآية ٣١ .

كأن فرعون قد أعد عدته ، واستنكف قبول دعوة الحق التي جاءته من عند ربه ، ومن ثم راح يتهم موسى بعدم الصدق في الماضي ، حتى ينزع عنه تلك القيمة ، وحينئذ يتشكك الحاضرون فى ناتج الشيء المبين الذي يدعي قدرته عليه ، متى فرض مجيئه ، على أساس أن أفعال السحرة التي تجري بين الناس كانت منتشرة فى هذا الزمان لأبعد مدى ، وفوق ذلك فإن صدق هؤلاء السحرة كان محل شك، وفرعون يريد أن يلقي بموسى في عدادهم ، لكنه فوجئ بالشئ المبين يستولى على كل العقول ، ويأخذ بالألباب حتى أن من جاء بهم فرعون ليكونوا جنده ، في مواجهة موسى عليه السلام ، ينقلب بعضهم إلي موسي بينما ينقلب البعض الآخر على فرعون لكن بعد ظهور الآية الواضحة التي تمثل الشئ المبين" فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين"[١].

لقد كان فرعون ومعه الملأ من أهل الكفر يمثلون نسيجا متهالكا ، وصورة رديئة لفكر متخلف ، غلب الانحراف على أصحابه ، ومن ثم فلم يتوقفوا عن الكيد لنبي الله موسى ومحاربته ، وإنما انطلقوا في ممارساتهم الشاذة إلى أبعد مدى ، فاتهموا نبي الله موسى بأنه وقع ضحية أعمال السحرة حتى أتقنها إلى حد الإبداع ، بل صار واحدا منهم ، أو واقعا تحت تصرفاتهم ، وبناء عليه فحاولوا إيهام العامة بأن كل الآيات التي جاء بها موسى ماهي إلا نوع من السحر ، أو خيالات تجري في أعراف المسحورين قال تعالى :" ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا"[٢].فرد عليه موسى بقوله تعالى : " قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصآئر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا" [٣].

---

(١) سورة الشعراء الآية ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) سورة الإسراء الآية ١٠١ .

(٣) سورة الإسراء الآية ١٠٢ .

والآيات التسع هي : العصا ، واليد البيضاء ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وانفلاق البحر ، والأخذ بالسنين [١] .

بيد أن هذا العنف لم يعد بالإمكان السكوت عليه ، والتخلي عن مهاجمة أصحابه ، إذ متى قوبل الشر بمثله من قادر عليه ، فإن الشرير يرتدع ، ويفكر صاحبه عدة مرات في إعادة ممارسته متى كان شبه عاقل حكيم ، أما إذا كان أحمقاً فإن أمره لن يتوقف ، بل ربما دفعت به حماقته إلى الهلاك .

ومن المؤكد أن الطبيعة الإسرائيلية تجري فيها أنماط متخالفة من خلال سلوكيات غير مقبولة بدليل أن بعضاً من أهل الإيمان الذين رأوا نهاية أعدائهم أمامهم ، كان المناسب أن يستمروا في طريق الإيمان حتى منتهاه ، فليس بعد طريق الله طريق ، وإنما بعده سبل شيطانية لقوله تعالى :" وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ" [٢]، وفي الحديث الشريف خط رسول الله خطاً مستقيماً وقال هذا سبيل الله ، ثم خط بجواره خطوطاً متعارجة وقال :هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه فاجتنبوها [٣].

ولكن التوجه العام داخل الطبيعة اليهودية جاء مخالفاً لذلك ، بدليل أنهم بعد نجاة الطائفة المؤمنة من فرعون وجنده ، ومجاوزتهم البحر صادفهم وجود قوم مازالوا على أصنامهم التي يعبدونها عاكفين ، فما كان من هذا البعض قليل الإيمان ، إلا إعلان رغبتهم في عبادة آلهة من ذات الأصنام ، حتى أن موسى

---

(١)الشيخ محمد على الصابوني ـــ صفوة التفاسير ج ٦ ص ١٧٨ ، وبعض المفسرين أضاف إليها ، أو أنقص منها لكن العدد ثابت في تسع ، ولما لم يرد بها نص قطعي في نوعيتها وأجناسها فإن الإيمان بأنها تسع هو الصحيح ، أما الأنواع والأجناس فليس معلوماً أنه من الدين بالضرورة ولا يترتب عليه إيمان أو كفر .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٦ وقالا صاحبا الجلالين : (وهذا) الذي أنت عليه يا محمد (صراط) مستقيم (ربك مستقيماً) لا عوج فيه (قد فصلنا) بينا (الآيات لقوم يذّكّرون) أي يتعظون وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون به.

(٣) الشيخ محمد عبد العظيم زهران ـــ السنة النبوية ص ١٤٥ وراجع للشيخ نصر الله الفقي صراط الله المستقيم ص ٣٥ .

عليه السلام غضب منهم ، وثار عليهم ، وحذرهم عاقبة ذلك التفكير الجحد في طلبهم اتخاذ آلهة مع الله تعالى .

قال جل شأنه :" وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " [١] ، ذهب البعض إلى أنه بحر القلزم عند خليج السويس الآن [٢]وقال الشيخ البروسوي : إنه بحر القلزم وأخطأ من قال إنه نيل مصر [٣].

وبعد أن أجاز الله القوم المؤمنين على البحر، مروا على قوم من العمالقة الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم عاكفون على عبادة الأصنام ، ويلازمون تلك العبادة،فقال بنو إسرائيل يا موسى اجعل لنا مثالاً نعبده كما لهم أمثلة يعبدونها[٤]، فكان ذلك بمثابة إعلانهم الحنين إلى العقائد الفاسدة ، والعبادات الباطلة .

قال ابن عطية والظاهر أنهم استحسنوا ما رأوا ، فأرادوا أن يكون ذلك في شرع موسى ، وفي جملة ما يتقرب به إلى الله ، وإلا فبعيد أن يقولوا لموسى أجعل لنا إلها نفرده بالعبادة [٥]، وهم يعلمون أن هذه الطلبات مرفوضة مقدماً ، بل كان فرعون يلبي لهم هذه الاحتياجات في العبادة الباطلة .

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٣٨ ، ١٣٩ . .

(٢)الشيخ محمد على الصابوني ـــ صفوة التفاسير ج ٤ ص ٤٦٨ .

(٣)الشيخ البروسوي ـــ تنوير الأذهان المجلد الأول ص ٥٦٦ .

(٤)الشيخ أبو حيان ـــ البحر المحيط وبهامشه النهر الماء المجلد الرابع ص ٣٧٨ ، والشيخ البروسوى تنوير الأذهان ج ١ ص ٥٦٦ .

(٥) وفى كلام أبن عطية مقال لأنهم لو فعلوا ذلك على سبيل الاستحسان ما صح وصفهم بالجهل وما كانوا بحاجة حتى ينعتوا بالكفر،واتخاذ غير الله في قوله تعالى : إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ " سورة الأعراف الآيات ١٣٨ ـــ ١٤٠ ، وراجع البحر المحيط ج ٤ ص ٣٧٨ وللشيخ محمد بن خليل الدمنهوري تفسير سورة الأعراف ص ١٩١ .

وفي رحلة الخروج من ارض مصر ، والدخول إلى أرض فلسطين أمكن لليهود أن يفكروا فى الرجوع عن طريق الإيمان إلى سبل الشيطان ، وقد جذبهم الحنين إلى الإلحاد،وابتلاهم الله بالتيه في الأرض، فلما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ، انتقل أغلب اليهود من الإيمان إلى الإلحاد ، ومن الطاعة إلى المعصية حيث ظهرت بعض ملامح الارتداد مع السامري ، الذى حاول إلهاء القوم بالخيالات ، وإدهاش ضعاف العقول بما اعتبره من قبيل المعجزات ، فاستغل السامري غيبة موسى الكليم في ميقات ربه، وخدع القوم بصنعة أتقنها ، وحيلة برع فيها .

ذهب البعض إلى أن السامري كان من قوم يعبدون البقر جيران بنى إسرائيل، ولم يكن السامري من بني إسرائيل ، فاحتمل مع موسى وبني إسرائيل حين احتملوا [1]فلما غاب موسى زعم لهم أن موسى الكليم لن يعود ، ولابد من عبُادة إله غير إله موسى حتى يرجع موسى إن عاد فصنع لهم العجل الذهبي، قال تعالى مصوراً ذلك عنهم :" وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ"[2] لأنفسهم من حيث أنهم وضعوا الأسباب فى غير مواضعها وهو مما يدل على شناعة الجرم [3]، وفداحة المعصية ، كما يكشف عن الطبيعة الإسرائيلية المراوغة التي تعتمد على الإرهاب والعنف ، وتهدف إلى ممارسة النزعات الدموية مهما كانت الوسائل التي تجعلهم يبلغونها .

---

(١) الإمام الحافظ ابن كثير — قصص الأنبياء ص ٤٠٩ تحقيق الشيخ محمود حافظ برانق — مطبعة الأنوار المحمدية بالقاهرة .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٨ .

(٣) كما أن ورود لفظ الفعل اتخذ ، واتخذوا مرتين في الآية الواحدة يؤكد شناعة ذلك الفعل وقسوة الجرم ، لأن هذا التأكيد بمثابة الحفر المتواصل في أعماقهم حتى يبرزها من كل ناحية ، ويكشفها على كل جانب .

كان السامرى يملك بعض الأسرار مما تتعلق بالحيل التي يجيدها ، فاستغل ذات الإمكانيات ، كما استغل غيبة موسى عليه السلام في ميقات ربه ، وأحدث نوعاً من الخلاف مع نبي الله هارون خليفة موسى عليه السلام في بني إسرائيل أثناء ميقات موسى ،"وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ"(١)، وهو ما يؤكد أن موسى عليه السلام كان يتحسس طريق القوم ، ويحذر من إندساس المفسدين بينهم ، ويخشى أن يقع ذلك في غيبته فتتفرق الكلمة ، ويزداد أهل الارتداد ، أو يتكاثر أصحاب المفاسد والاعتقادات الباطلة .

كثرت المواقف المتباينة بين السامري وبني إسرائيل ، فاستطاع أن يؤلف بينهم على النحو الذي يريده ، كما استطاع اللعب على أوتارهم ، وحدثهم بأن موسى قد طالت غيبته كعقوبة من الله لبني إسرائيل ، لأنهم احتملوا من زينة المصريين حين خرجوا عنهم (٢)،يقول العهد القديم : وأعطي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة ، وأمتعة ذهب ، وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين(٣) ، وقد فعلوا ذلك ، فسرقوا المصريين تنفيذاً لكلمات الرب يهوه في العهد القديم ، فأراد السامري أن يستغل أمرين في وقت واحد.

الأول : توجيه القوم إلى إمكانية أن تستمر غيبة موسى حتى لا يقع له عود أبداً.

الثاني: إخلاء نفوس القوم من أية صورة تجري فيها بقية من إيمان .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٢ .

(٢) لقد كانوا لصوصاً محترفين ، وجناة مدربين ، وفي أعمال الإرهاب والسرقة متفوقين ، فلما سرقوا أهل مصر في رحلة الخروج هموا بما احتملوا هاربين ، فلعنة الله عليهم أجمعين .

(٣)العهد القديم ــ سفر الخروج ٣ / ٢١ ــ ٢٢ .

وقد نجح السامري في ذلك ، كما ساعده على تحقيق ذات النجاح ما في نفوس هؤلاء القوم من ميل إلى الإلحاد ، فما أن دعاهم السامري إلى التخلي عن ما بين أيديهم من بعض زينة القوم المصريين حتى هم إليها ، وصاغ منها عجلاً جسدا له خوار[١] ، وزعم لهم أن هذا العجل هو صورة الإله الحقيقي،الذي يجب أن يتوجه الجميع إليه بالعبادة وصحيح العمل .

مع أنهم لو نظروا إلى ذلك العجل لوجدوه أصم أبكم لا يملك لنفسه أو لأحد منهم دفع شئ من الضر ، أو جلب أدنى شئ من النفع ، وإنما هو فتنة ألقاهم فيها السامري ، قال تعالى : "فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى" [٢].

وكان هذا الخوار ناتج حيلة أيضاً ، قال الإمام ابن عباس : والله ما كان فيه صوت قط ، وإنما كانت الريح تدخل في دبره ، وتخرج من فيه ، قال ابن حزم: وأما الخوار فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لا يجوز سواه ، وأنه إنما كان دوي الريح تدخل في قبله ، وتخرج من دبره ، وهذا هو الحق [٣] فكان ذلك الصوت من ذات الحيلة ، فتفرق بنو إسرائيل فرقاً .

فقالت فرقة : يا سامري ما هذا وأنت أعلم به ؟ قال هذا ربكم ولكن موسى قد أضل الطريق [٤].

---

(١) لم يكن خواراً حفيقياً ، وإنما كان حيلة حيث وقع ما يشبه الصافره في مدخل العجل ، وأخرى في مخرجه بطريقة متعاكسة ، فإذا دخل الهواء من المدخل التقطته السافرة التي في المخرج فأحدث ما يشبه خوار العجل الحقيقي ، وكم من حيل يبرع فيها هؤلاء المجرمون .

(٢)سورة طه الآيات ٨٨ ـ ٩١

(٣)الإمام ابن حزم ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل د ١ ص ١٦٣ .

(٤) لقد استجابوا له بدليل أنهم لم يخرجوا عليه ، ولم يحاربوه ، وإنما كان سكوتهم بمثابة التأكيد على قبولهم .

وقالت فرقة : لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى ، فإن كان ربنا لم نكن ضيعنا ، وعكفنا عليه حين رأيناه ، وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسى [١].

وقالت فرقة ثالثة : هذا من عمل الشيطان ، وليس بربنا ولا نؤمن به ، ولا نصدقه [٢].

وفرقة رابعة : أشربت قلوبهم التصديق بما قاله السامري في العجل،وأعلنوا عدم التكذيب[٣].

إذن التفرق والتشعب في الفرقة التي كان ظاهرها الإيمان قد تقدم **خطوات سريعة واسعة في نفس الوقت ، وهو ما يؤكد** أن الفرق اليهودية الإسرائيلية كان لها وجود مبكر أيام أن كان نبي الله موسى بن عمران بينهم ، وأن هذا الافتراق ليس مرجعه وجود عناصر متباينة في الجماعة التي سلكت طريق الإيمان بالله مع ذات النبي ، وإنما مرجعه إلى أن هذا الجنس فيه التباين من كل ناحية ورغبة الخروج على الله تعالى باستمرار .

فلما رجع موسى عليه السلام من ميقات ربه ، ورأى القوم على عبادة العجل ، لا على عبادة الله تعالى أسف من موقفهم ، واستغرب ذلك منهم ، وأراد معرفة سبب ذلك الارتداد السريع والمفاجئ عن دين الله ، هل مرجعه لغيبته عنهم التي حسبوها طويلة ، أم الرغبة في حلول غضب الله عليهم ،أم هناك شئ

---

(١) وهذه المواقف هي التي تغلب على سلوكيات الكثير من أهل السذاجة ، لأن الحق لا يجادل فيه أحد لوضوحه .

(٢) وكان عليهم الانضمام إلى هارون ، أما أن يكتفوا بالقول دون مقاومة للفكر المنحرف والعقائد الباطلة ، فما ذلك إلا دليل على أنهم كانوا مجرد إمعة .

(٣)الإمام الطبري جامع البيان ج ٩ ص ٣١ ومن ثم فلا مانع عندى من اعتبار أن موقف السامري كان البداية لظهور فرق عديدة داخل الفريق الذي أعلن الإيمان بالله ، وقاوم الضغوط التى مارسها فرعون وحاشيته عليهم .

آخر [١]، لكنهم أسرعوا بالتماس أسباب انحلالهم وارتدادهم إلى الكفر ، وقد صور القرآن الكريم ذلك الموقف عنهم :

قال تعالى : " فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ" [٢].

بان أن السامري قد اصطنع لهم عبادة ، وأنهم انطلقوا إليها ، وهي تخالف ما شرع الله ، بل هي الكفر بالله ، وأن ذلك السامري من الضروري مواجهته بما ارتكب من كفر ومعاص ، وكم حاول تبرير فعلته الذميمة، بأنها تمثل نوعا من مهارته الذاتية ، وقدراته العقلية التي جعلته فوق الجميع ، بل ومكنت له في معرفة كثير من الأمور البعيدة عن غيره ، كما ساعدته على اكتشاف أنماط وأنساق فكرية لم تتح لمن هم دونه ، وأنه استقل بهذه الإمكانيات وحده .

يدل على ذلك قول الله تعالى :" قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي "[٣].

قال السامري: لقد رأيت ما لم يره القوم ،حين تابعت مجئ جبريل إليك حيث جاءك على فرس الحياة،فألقى فى نفسى أن أقبض من أثره قبضة،فما ألقيته على

---

(١) هذه الاحتمالات تجري في النفس الإنسانية ، لكن موسى عليه السلام كان يريد معرفتها حق يتمكن من معالجة ما فيها من أخطاء ، ويعضد موقفه في نفوس القوم على النحو الذي جاءهم به من عند الله تعالى .

(٢) سورة طه الآيتان ٨٦ ، ٨٧ . إذن كان لديهم الاستعداد الكافي لتقبل ما يلقيه عليهم السامري.بدليل أنه لما أبتدأ في ضلالهم سارعوا إليه متوافقين معه ، تاركين تعاليم الله التي جاءهم بها موسى كليم الله .

(٣)سورة طه الآيتان ٩٥ ، ٩٦ .

شئ إلا دبت فيه الحياة [١]، ومن ثم قبضت شيئا من أثر فرس جبريل فطرحتها على العجل الذي صنعته من حليهم فكان له خوار ، وقد حسنت لي نفسي ذلك الفعل . الذى تراه أمامك في العجل الذي له خوار [٢] فهل كان السامري صاحب إلهام إلهي؟ .

والجواب : أن السامري لم يكن صاحب إلهام إلهي ، وإنما كان صاحب غواية وضلال ، وبجانب البراعة في الحيل الشيطانية ، ولكنه لم يعرف جبريل إلا حين ملك الوحي ، وأن عرفه حال كمال عقله فكان عليه أن يعرف موسى وأنه نبي الله قطعا ، فكيف يحاول الإضلال بعد ما عرف الحق [٣]، ولو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه ، لكان فعله هو ذات ما يجئ مع النبي وتأييد الكافر مستحيل عند الله تعالى [٤]، فثبت أن السامري كان صاحب حيلة خداعية ، استطاع بها إيهام هؤلاء السذج ، واللعب بعواطفهم ، كما كان لديهم الاستعدادات المتواصلة لقبول هذه الأفكار والاعتقادات الوثنية .

كشف نبي الله موسى للسامري عن العقوبة التي تنتظره وأمثاله في دار الدنيا،وفي الحياة الأخرى ، وأن هذه العقوبات ستكون مما فيه الوضوح،حتى أن الذى تقع له يعلن هو بذاته عنها ، ولن يتمكن من إخفائها [٥]، "قال فاذهب فإن

---

(١) ويذهب الكثيرون من العلماء إلى أن هذه الأفكار من باب الدخيل في تفسير القرآن الكريم لقيامها على أسانيد غير صحيحة ، وما صح منها يمكن حمله على أنه حكايات مروية عن أهل الكتاب وليست أحاديث نبوية مرفوعة ، كما أنها ليست أقوال الصحابة التي تمثل آراءهم ــ راجع للإمام الفخر الرازي مفاتيح الغيب ج ٢٢ ص ١١١ .

(٢)الشيخ على بن محمد بن السيد الحسيني ــ تفسير سورة طه ص ١٨٥ .

(٣)الإمام الفخر ــ الرازي مفاتيح الغيب ج ٢٢ ص ١١١ .

(٤) راجع للإمام سعد الدين التفتازاني ــ شرح المقاصد ج ٢ ص ٣٩ .

(٥) وهنا تكون القسوة أشد، والعقوبة أكثر ردعا، لأنه متى عرف غيره بما وقع ارتدع .

لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا "(١).

قال موسى الكليم للسامري عقوبتك في الدنيا أن لا تمس أحداً ، أو يمسك أحد إلا صرخت من شدة الألم ، وصرخ هو من مجرد لمسك له ، ومن هنا تخشى الناس ويخشاك الناس (٢).

في نفس الوقت فقد قرر القرآن الكريم الحقيقة الثابتة التي لا مراء فيها وهي وجود الله تعالى ووحدانيته بجانب ماله تعالى من صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام ، وأن هذه الحقيقة هي القاعدة المشتركة بين كل أنبياء الله تعالى ، قال جل شأنه : "إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا "(٣).

من ثم كان انطلاق السامري ومعه بنو إسرائيل في عبادة الآلهة الباطلة ، متمثلة أول أمرها في العجل الذهبى الذي صنعه لهم ، ووضعه بين أيديهم وخاصموا به نبي الله هارون في غيبة موسى بن عمران ، بل وخاصموا به الله تعالى رب العالمين ، فبين الله لهم أنهم جميعاً في الهلاك قال تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي

---

(١) سورة طه الآية ٩٧ .

(٢) ومن ذهب إلى هذا الرأي ابن المبارك ، وابن العربي ، وابن عطيه ، وقال الحسن جعل الله عقوبة السامري أن لا يمس أحداً ولا يمسه أحد من الناس ، وذهب غيرهم إلى أن السامري كان إذا مس الأرض صرخ ويقول لا مساس فكأنه الذي وقع عليه الألم ، وظل يصرخ حتى هلك ، بينما يرى غيرهم أن السامري كان لا يمس شيئاً ما إلا تألم منه الماس أو الممسوس ، عقوبة له ونكالاً ، ولكل وجهته قام دليله عليها .

(٣)سورة طه الآيات ٩٨ — ١٠١ .

المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم "[١].

فلما انقضت حياة نبي الله موسى من بين ظهراني بني إسرائيل ، لم يتمكن خليفته يوشع بن نون من ردهم إلى الصواب[٢]أو إعادتهم إلى رضوان الله تعالى ومن ثم انطلقوا إلى تعاليم الله ينكرونها حتى تخلوا عنها كلها ، ونصوص التوراة فحرفوها بحيث يمكن القول بأنهم حرفوا في الاعتقادات ، كما بدلوا في الأفعال والأقوال ، ولم يسلم شئ من تحريفاتهم أبدا .

ومن معالم تحريفهم في الاعتقادات أنهم عددوا في الذات الإلهية ، ثم جسدوا الله تعاليم في أشكال مختلفة منها أشكال إنسانية ، أو جمادية ، وأخرى نباتية أو حيوانية ، وكان هذا التجسد قد أطل في عقولهم زمن أن كان فيهم نبي الله موسى ، حيث طالبوه أن يروا الله تعالى في أشكال يمكن التصديق بها من خلال الحواس، وعدم إنكارها أو التكذيب بها على تلك الناحية الجسدية ، ولكن الله تعالى عاقبهم بما يتناسب معهم.

قال تعالى:" وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون[٣].

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٥٢ ، ١٥٣..

(٢) حيث ذكرت الروايات في قلبها أن هارون مات قبل قبل موسى عليه السلام وأن يوشع هو الذى خلفه .

(٣) سورة البقرة الآيتان ٥٤ ، ٥٥ . ومع ذلك فإن الله قد بعثهم بعد موتهم لكنهم لم يشكروا الله وإنما أشركوا معه غيره قال تعالى :" ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" سورة البقرة ٥٦،٥٧

والمعنى أن موسى عليه السلام لما رجع من ميقات ربه ، رأى القوم قد عبدوا العجل ولم يعبدوا الله الذي خلقهم ، فطلب منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى من هذه العبادة الباطلة ، وأن يقتل البرئ المجرم ، أو أن يلجأ المجرم المذنب إلى شاهق حتى يقتل ما في نفسه من معصية ، بحيث يرضى عنهم البارئ حين ينزلون على أمره ، فيتوب الله عليكم لأن رحمته واسعة ، كما أنه افرح بتوبة عبده ، وهو أيضاً واسع المغفرة لمت تاب ولربه رجع وأناب .

قال الإمام أبو السعود : قال الله لهم فتوبوا إلى بارئكم ليشعرهم بذكر **البارئ جل علاه ، وانهم بلغوا في** الجهالة أقصاها ، ومن الغواية منتهاها ، حيث تركوا عبادة الله العليم الحكيم ، الذي خلقهم بلطيف حكمته ، لكنهم انتقلوا إلى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة (١).

ولا شك أن بني إسرائيل قد بلغوا في ضيق الأفق أعلى قدر ، ونالوا من الحُماقة أكبر منزلة ، وتدنوا في المفاهيم حتى كأنهم لم يعرفوها ، وانقلبوا في عبادة الآلهة الباطلة المتجسدة والمتعددة كافرين بالله رب العالمين ، فصاروا من أسوأ خلق الله أجمعين .

وقال تعالى:" يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا " (٢).

---

(١)الإمام أبو السعود — إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج ١ ص٨١ .

(٢)سورة النساء الآيات ١٥٣ — ١٥٦ .

قال الشيخ توفيق محمد الدواليبي : لقد خرج بنو إسرائيل حتى يعودوا إلى الله تعالى من عبادة العجل ، ويتوبوا إليه مما جعلت به نفوسهم اللئيمة ، ولكنهم ما إن انفردوا بموسى عند الجبل، إلا قالوا له لن نصدقك في أن الله يسمع توبتنا أو أن ما نسمعه منك هو كلام الله ، وحتى نطمئن إلى أننا لسنا في خدعة فأرنا الله جهرة علانية في النهار فتكلم معه وتسمع منه ، فإن لم يظهر لنا ربك عيانا فلن نؤمن به ، ولن نصدقك [١].

ولم يمهلهم الله وإنما أرسل عليهم ناراً من السماء فأحرقت العصاة ، وحملت أخبارهم إلى غيرهم ، لعلهم يشكرون الله تعالى ، أو يعلنوا خروجهم عن الأوهام التي عاشوا فيها ، ويرجعوا إلى الله رب العالمين .

ومن ملامح تبديلهم في الأفعال أن الله تعالى أمرهم إذا دخلوا القرية التي أشار إليهم بسكناها ، أن يقدموا الشكر لله تعالى ، ويسجدوا له لأنه الذي وفقهم للفوز ، وتحقيق أسباب الظفر والفلاح ، فإذا سكنوها أكلوا من حلالها ، وأحسنوا إلى أنفسهم ، ومن ولاهم الله أمورهم ، لكنهم خالفوا تعاليم الله تعالى وبدلوا فيها على كل ناحية .

فدخلوا القرية زاحفين على أستاههم ، ناكثين عن الالتزام بالوعود التي قطعها الله تعالى معهم من خلال أنبيائهم ، قال تعالى :" وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ "[٢].

فكانوا إذا دخلوا القرية دخلوها مقنعي الرؤوس — ضد ما أمروا به — زاحفين على أستاههم،مرددين عبارات تحمل الضيق من التعاليم،فعن أبي هريرة

---

(١) الشيخ توفيق محمد الدواليبي — تفسير سورة النساء ص ٢٨٩ ط أولى ١٣٣٥ هـ .

(٢) سورة البقرة الآيتان ٥٨ ، ٥٩ .

رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قيل لبني إسرائيل أدخلوا الباب سجداً ، وقولو حطة نغفر لكم خطاياكم ، فبدلوا ودخلوا يزحفون على أستاههم ، وقالوا حبة في شعرة .

وذكر الإمام ابن كثير أن بني إسرائيل بدلوا تعاليم الله إليهم ، حيث أمروا أن يقولوا حطه فقالوا هطي سقانا أزمة مزيا ، وهي بالعربية حبة حنطة حمواء مثقوبة فيها شعرة سوداء (١)، وهي عادة تجري في دمائهم ، ويسعى إليها كبيرهم وصغيرهم ، إنهم لا يعرفون أبداً وجهة الحق ، وإنما كل ما يعرفونه هو الباطل الذي إليه يسيرون .

أما عن تحريفهم الأقوال فإن الله تعالى كان قد أمرهم إذا دخلوا القرية التي كان منيعة منهم أن يقولوا حطة ، ومعناها أرفع عنا سيئاتنا ، وكفر عنا خطايانا، فإذا قالوا ذلك بألسنتهم واعتقدته قلوبهم ، فإن الله تعالى يجعل لهم القبول عنده وبين الناس ، لكنهم خالفوا الأوامر الإلهية ، واستعظموا الخضوع لها ، وانخرطوا في المعاصي فقالوا حنطه في شعيرة ، أو حبة في شعره ، على سبيل السخرية والاستهزاء .

مع أن الله تعالى قد حذرهم من ذلك كله ، قال تعالى:"وإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ" (٢).

---

(١) الإمام الحافظ بن كثير — قصص الأنبياء ص ٤٤٤ تقديم الشيخ محمود حافظ برانق مطبعة الأنوار المحمدية وذهب البعض إلى أنهم قالوا حبة في شعرة ، بينما ذهب بعض آخر إلى أنهم قالوا حنطة فى شعرة ، والمقصود بيان مخالفتهم تعاليم الله تعالى في الأقوال كما هم في الأفعال والاعتقادات — راجع للشيخ /محمد منصور النبهانى — بنو إسرائيل في التاريخ ص ١٥١ .

(٢) سورة الأعراف الآيتان ١٦١ ، ١٦٢ .

قال الإمام أبو السعود : أذكروا نعم الله على أسلافكم ، حيث قال الله لـــهم اسكنوا القرية ، وكلوا من طعام ثمارها أية ناحية شئتم،وقولوا عند دخولكم إياها يا الله حط عنا ذنوبنا،فإن فعلتم ذلك عفونا عنكم سيئاتكم،التى أسلفت،وسنزيد من أحسن الأعمال أجوراً ، غير أن الظالمين بدلوا فقالوا حنطة فى شعيرة ، ودخلوا يزحفون سافرين ، فوقع عليهم العذاب وهو الطاعون ، حيث هلك منهم في يـوم واحد ، وساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً .[١]

من البين أن تعاليم الله لبني إسرائيل لم يعد لـــها شـئ مـن الثبـات أو الاستقرار فى أعرافهم ، **كما لم يعد لها أدنى وجود حقيقي في قلوبهم،أو النفوس** وكل ما لها في صدورهم لا يخرج عن كونه مجموعة مــن الصـور الباهتـة الهزيلة التي لا علاقة لها بما شرع الله تعالى ، أو جاء به نبي الله موســى بـن عمران فكانوا بذلك مسارعين في الكفر والإلحاد .

ويذهب البعض إلى أن الأمور السياسية في بني إسرائيل عقب وفاة سـيدنا موسى بن عمران قد استقرت فترة مع نبي الله يوشع بن نون الذي وضع يـــده على بيت المقدس ، واستمروا فيه طالما كان بين ظهرانيهم نبي الله يوشع بـن نون ، خليفة موسى عليه السلام حاكماً فيهم بكتاب الله التوراة ، وظل أمر هـذا الاستقرار قائماً طيلة حياته فإذا قبضه الله إليه أخذت أحوال بني إســرائيل فـي التبدل السريع[٢] حتى ظهرت اليهودية السياسية كبديل حقيقي عــن اليهوديـة الدينية[٣]، التى جاءت في الأصل مخبرة بني إسرائيل بما لهم وما عليهم .

---

(١)الإمام أبو السعود — إرشاد العقل السليم ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٢)الشيخ محمد السيد الطراني — اليهود بعد موسى ص ٣٥ وقصص الأنبياء للإمام ابن كثير ص٤٤٤.

(٣)إحلال اليهودية السياسية في النفوس الإسرائيلية ومن يعتنق آراءهم أمر واقع فعلاً وقد تعرض لهذا الجانب العديد من الدراسات العلمية — راجع للأستاذ السيد عبدالله النجار علاقة اليهود بالدين والسياسة ص ٩٥ ط أولى ١٩٥١م .

أجل لم ينهض بنو إسرائيل نحو تعاليم الله محافظة عليها،ومسارعة لتطبيقها والتزام الأوامر والنواهي التي جاءت فيها ، وإنما سارعوا إليها تحريفا في أصولها ، وتبديلا للنصوص التي تقوم عليها ، حتى سارت أمورهم نحو ما تهدف إليه أهواؤهم ،مع أن الله تعالى بين أن الإضلال يقع في الأعمال الصالحة والفاسدة على قدر سواء ، متى لم يعمل المرء على تفادى أوهاف الكهف ، والجنس ، والمسرح بجانب أوهام السوق ، قال تعالى :" أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون " [1].

كما أن مظاهر هذا التحلل من الدين الإلهي الذي جاءهم به نبي الله موسى الكليم والذي برزت معالمه في العقلية والسلوكيات الإسرائيلية ، قد أخذت في التنامي السريع ، وعبرت عنها سلوكياتهم ، بجانب أفعالهم أيضا ، بحيث يمكن اعتبار المظهر الواحد حاملا للجوانب الثلاثة (التحريف في الاعتقادات ، والأفعال ، والأقوال) .

وقد قص القرآن الكريم ذلك علينا في قوله تعالى:" واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم"[2].

---

(١) سورة فاطر الآية ٨ .

(٢)سورة الأعراف الآيات ١٦٣ ــ ١٦٧ .

ذكر الإمام القرطبي: أن الله تعالى ابتلى هؤلاء القوم الظالمين،بما يتناسب مع فسقهم وظلمهم،حين كانوا يسكنون قرية أيله ، وكان ذلك في زمن داود عليه السلام،حيث كان الله قد حرم عليهم صيد الأسماك يوم السبت ، فنفخ إبليس في نفوسهم بحيله ، إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت ، فاتخذوا لها الحياض ، فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعة ، فتبقى في أماكنها ، ولا تستطيع الخروج منها لقلة الماء ، فيأتونها يوم الأحد فيأخذونها ، ويحتالون في صيدها [1]فوقع عليهم العذاب من قبل الله تعالى لأنهم خالفوا في الأعمال والأقوال ، كما خالفوا في **الاعتقادات ، على أساس أن السلوك الصحيح يقوم على** عقيدة سليمة .

ومن ثم انقسم أهل تلك القرية التى كانت حاضرة البحر إلى ثلاث فرق :

الأولى : ارتكبت المحظور ، واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت متجاهلين تحريم الله تعالى ذلك الفعل في نفس اليوم وهو ما يعني أن اعتقاداتهم في الأمر الإلهي لم تكن صحيحة .

الثانية : نهت عن ممارسة ذلك الفعل واعتزلته ، كما اعتزلت الذين قاموا به وحذروا من عقوبة الفعل على الآثمين ، فكان هذا الرفض مع الاعتزال عنهم بمثابة الحرب المعلنة منهم على أعدائهم .

الثالثة : سكتت ولم تفعل كالأولى ، ولم تنه كالثانية ، ولكنها وقفت أول الأمر موقف المتفرج ، ثم انضمت للأولى حيث قالوا لأهل النهي ، لم تمارسون النهي عليهم ، وقد علمتم أنهم في العقوبة وقعوا ، وللهلاك استحقوا ، ولن يجديهم شئ من ذلك ، فلا فائدة في اللوم ، كما لا جدوى من الوعظ أو النهي [2]لم تعظون قوماً الله مهلكهم ، ومعذبهم عذاباً شديداً ، بل كان ذلك منهم بمثابة التقريع الذي صبوه على أهل الفرقة الثانية .

---

(١)الإمام القرطبي ــ الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٠٦ .

(٢) الشيخ فوزي السيد الزين ــ نظرات في سورة الأعراف ص ٢٢٩ ط أولى ١٩٤٥م .

ولا شك أن ظهور هذه الفرق في ذات الوقت المبكر جدا يتناسب تماما مـع ما في طبيعة هذا النوع من البشر ، لكنهم عذبوا أول أمرهم ، ثم رفع الله العذاب عن أهل السكوت ، وأهل النصح ، وبقي على أهل الفعل والانحلال .

قال العلامة الصابوني : والحاصل أن أصحاب القرية اقتسموا ثلاثة فرق ، فرقة عصت فحل بها العذاب ، وفرقة نهت ووعظت فنجاها الله من العـذاب ، وفرقة اعتزلت فلم تنه ، ولم تقارف المعصية ، وقد سكت عنها القرآن .

قال ابن عباس : ما أدري ما فعل الفرقة الساكتة ، أنجوا أم هلكوا ، قال عكرمة فلم أزل به حتى عرفت أنهم قد نجوا لأنهم كرهوا ما فعله أولئك فكساني حلة[١].

من ثم يمكن القول بأن نبي الله موسى الكليم انتقل إلى جوار ربه ، وهـذا الجنس من الناس فريقان :

الأول : هم أهل الإيمان بالله :

وهم قلة قليلة في العدد ، كبيرة في الإيمان بالله رب العالمين دليل ذلك قوله تعالى :" وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلونـاهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون" [٢] وظلوا على ذلك الحال حتى أنقرضـوا تماما ،ولم يعد لهم شئ من الوجود " فخلف من بعدهم خلف ورثـوا الكتـاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والـدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون "[٣].

---

(١)الشيخ محمد على الصابوني ــ صفوة التفاسير ج ٤ ص ٤٧٩ ومختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٣ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٦٨ .

(٣)سورة الأعراف الآية ١٦٩ .

الثاني : هم أهل الكفران :

وهم الذين استمروا في مخالفة الله تعالى ، وانطلقوا إلى شياطينهم وأهوائهم ، وهم في ذات الوقت الكثرة الكافرة ، الذين حرفوا الاعتقادات كما حرفوا الأقوال والأفعال ،وحرفوا أيضا الأوامر والنواهي ، وكانت لهم الاتجاهات التي تحولت معها القلوب من الديانة الإلهية إلى ديانة وضعية ، تعبر عن توجهات يهودية أو صهيونية أو إسرائيلية خالصة فضلا عن أن تكون عبرية أو عبرانية ، لكنها تهدمت لظهور العديد من الفرق ، والكثير من الاتجاهات ، التي خرجت عن دين الله الذي بعث به موسى الكليم إلى ديانات وثنية واعتقادات فاسدة [١]، وما تزال تنسب إليه ظلما وزورا .

بناء عليه فقد برزت اتجاهات عديدة داخل المجتمع اليهودى،كلها تعلن عن أن هويتها إسرائيلية،واعتقاداتها يهودية ، وبات أصحاب كل اتجاه يعملون على إيجاد علاقة بينهم والديانة اليهودية ، فإذا تعذر وجود هذه العلاقة على نحو طبيعي فإنهم يصطنعون نصوصا ينسبونها إلى تعاليم الأنبياء الأولين ، كما يحاولون التأكيد على أن هذه المصطنعات تمثل حقيقة اليهودية كدين ، مع أن اليهودية لم تكن دينا مستقلا أبدا .

ومن أبرز ما وضعوا في النصوص ، زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وزعمهم أن الرب اختارهم لنفسه ، واصطفاهم لخاصته ، كما أنه قصر نفسه على رعايتهم ، والعناية بهم ، وهو ما عرف لديهم باسم عقيدة الاصطفاء الإلهي، قال تعالى :" أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا

(١) ومن هنا يمكن القول بأن الدين الإلهي الذي بعث الله به سيدنا موسى بن عمران لبني إسرائيل قد انتهى دوره ، لأن رسالة موسى خاصة ومؤقتة .

إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا " [١].

والمعنى قد نسب اليهود لله تعالى الولد ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، أما لماذا ؟ فلوجوه :

الأول : أن الولد يقتضي المجانسة لأبويه ، كما يستلزم أن يكون أبواه الأصل له، والله تعالى نزه عن كل الصور والأشباه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

الثاني : أن الولد يستلزم حاجة أبيه إليه لا لله جل جلاله هو الغني ، ومن ثم لا يكون محتاجا ، فانقطاع الولد من هذه الناحية يكون غاية الوضوح .

الثالث : أن الولد يحتاج أما تقوم على حمله ورعايته ، وتكون بالنسبة لأبيه هي الصاحبة ، فاحتياج الابن إلى أمه كاحتياجه إلى أبيه ، بل احتياج الأب إلى الابن والصاحبة هو نفس احتياج الابن إلى الأبوين ، واحتياج الزوجة إلى الزوج وألابن ، والله تعالى منزه عن ذلك كله .قال تعالى :" بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم "[٢].

الرابع : أن ما سوى الله مخلوق له جل شأنه ، فلو كان لله ولد ــ تعالى الله عن ذلك ــ لكان مخلوقا له ، واقعا تحت قدرته ، خاضعا لمشيئته ، فبطلت مزاعم اليهود وأمثالهم من كل ناحية .

والناظر في العقائد التي يتمسك بها اليهود في النواحى الدينية والسياسية [٣]

---

(١)سورة مريم الآيات ٩١ ــ ٩٥

(٢) سورة الأنعام الآية ١٠١ .

(٣)اليهودية ليست دينا ولا ديانة ، ولكنها اسم أطلق على شخص ما اسمه يهوذا ثم نسبت إليه وأبنائه من بعده تلك التعاليم التي وضعها لهم المتقدمون في فرقهم على مدى تاريخهم ، إذن يهوذا واسرته ومنهم إسرائيل جدهم الأكبر كانوا سابقين في الوجود على موسى بن عمران عليه السلام ، قال تعالى :" كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقينن فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون " سورة آل عمران الآية ٩٣ ،٩٤

يراها خليطا من الأفكار الوثنية ، وقد حرص كبار اليهود على تسـجيلها فـي مؤلفات، ثم حاولوا نسبتها إلى أخبار الأنبياء السابقين،وأخيرا أطلقوا عليها أسماء مقدسة ، ثم جمعوها لبعضها وزعموا أنها الكتاب المقدس [١]، كما حرصوا على إعلان أن الذين قاموا بكتابتها وتدوينها إنما أنتدبهم الرب للقيام بهذا العمل العظيم وحدهم ، دون غيرهم من الناس ، فصاروا معبئين بالروح القدس[٢].

يقول بروكلي : إن اليهودية بعد موسى حاولت إيجاد علاقة بين الأسـفار التي تشكل العهد القديم كنصوص ، وبين أولئك الذين قاموا بتأليفها تحت اسـم كتب الأنبياء ، وما هم إلا مجموعة من محترفي التزوير[٣]، أما الأسفار التـي كتبوها فما هي إلا مجموعة من الأفكار التي طافت بخيالات أصحابها وكانوا في رغبة لإظهارها من خلال عالم الواقع ، فسارعوا إلى ذلك وإعلانه ولكنها تعـبر فقط عن خيالات غير صحيحة ، وأحلام مريضة[٤].

مما سلف اتضح أن الجماعة الإسرائيلية كانت قائمة في أصلحا على التفرق والتشتت ، وقبول الأفكار الوثنية ، كما كانت لديها الاستعدادات الكثيرة لممارسة العقائد الفاسدة ، والدعوة إليها ، وأن النبوات المتعددة في بني إسرائيل لم تتمكن من إعادتهم للصواب ، حتى رفع الله النبوات عنهم .

ثانيا : أشهر فرق اليهود بعد موسى عليه السلام :

سبق القول بأن بني إسرائيل ،أول عهد نبي الله موسى الكليم معهم ممارسة

---

(١) حيث تكون الكتاب المقدس عندهم من قسمين : الأول : العهد القديم ، وهو الذي يتمسك به اليـهود ، ويتكون من تسعة وثلاثين سفرا ، والثاني : العهد الجديد وهو الذي يتمسك به المسيحيون ، ويتكـون مـن الأناجيل الأربعة القانونية بجانب أعمال الرسل ورسائل بولس وغيرها بجانب رؤيا يوحنـا ويتمسـك دعـاة المسيحية بالكتاب المقدس كله ، بينما يتمسك اليهود بالعهد القديم فقط .

(٢)القس جرجس ميخائيل ــ سنوات مع الكتاب المقدس ص ٢٧ ط مكتبة المهد ١٩٤٧ .

(٣)يوهان بروكلى ــ قراءة في أسفار العهد القديم ص ١٣ ترجمة ناهد عدس طبعة دمشق ١٩٦١م .

(٤)جو ستاف لوبون ــ حياة الحقائق ــ ص ٩٣ ترجمة الأستاذ / عادل زعيتر ط القاهرة .

لواجباته في الدعوة إلى الله تعالى ، استجاب له ثلة منهم ، ولكنهم قبيل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بدأت مرحلة جديدة من التخلي عن العقيدة الإلهية[١] ، ثم أعقبها الكثير من الخروج على العبادات ، ثم الانفلات من ممارسة القيم والأخلاق الراقية ، إلى أخرى يتعاملون بها ، وينزلونها في نفوسهم منزلة غير مقبولة ، فلما انتقل عنهم ، سارعوا إلى محو الثابت ، وإعلاء الهابط ، والسير في الاتجاهات المعكوسة ، والخبط في الليالي المظلمة والحطب فيها بليل دامس.

ومن المؤكد أنهم في سبيل ذلك قد اصطدموا بالثوابت ، فلما وجدوا ضعف حيلهم عن مواجهتها ، لجأوا إلى التزوير المقصود في كل الوثائق التي بأيديهم ، بحيث يسهل عليهم ، فيما بعد استعمال العبارات التي تنتقل بهم من الدين الإلهي إلى السياسة التي أقامها هؤلاء الأفراد بعد موسى الكليم [٢]، ولا تعبر عن شئ من دين الله رب العالمين ، وبالتالي فقد ظهرت لدى أفرادهم جميعا تقسيمات ، ألمح إليها القرآن الكريم ، وهذه التقسيمات تكشف فرق اليهود الأساسية ، كما تكشف المراحل التى مروا بها ، وسأعرض لأقدمها ظهورا بعد نبي الله موسى ، ثم أذكر ما بعدها ، لأن المرحلة الأولى يمكن الوقوف عليها بالصفات العامة ، ومن خلال السمات البارزة ، أما المرحلة التي بعد ذلك فهي التي جاءت فرقها بأسماء أصحابها لا بصفاتهم .

الأول : المحرفون :

وهم الذين أقدموا على استعمال التحريف داخل النصوص بالكتابة حينا ، والنطق أو التلاوة حينا آخر[٣]،وما كانت لهم من غاية إلا تبديل كلمات الله الحقة

---

(١) العقيدة الإلهية واحدة مع كل رسل الله وأنبيائه من لدن آدم عليه السلام حتى النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ وهي تقوم في أجزاء ثابتة جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، وهي أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، ولا يصح إيمان فردا وجماعة إلا بها جميعا .

(٢)الدكتور / محمد عبد العظيم الضبع ــ دراسات في اليهودية القديمة ص ٤٥ ط أولى ١٩٥٧م .

(٣) الدكتور / خيري محمد نصر ــ اليهود واليهودية ص ١٣٩ ط أولى ١٩٦٥ م .

التي جاء بها نبي الله موسى الكليم ، واستحداث كلمات أخرى بشرية وضعية لتكون بديلا عن الكلمات الإلهية،فتضيع الكلمات والأحكام والعقيدة أيضا .

فعن تحريفهم الكتابي جاء قول الله تعالى :" من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا "(١).

فهذا التحريف قام في الكتابة من خلال تبديل الكلمات ، أو الزيادة عليها ، أو الإنقاص منها ، إنه تحريف متعمد ، وعمل مقصود ، وقد وضعت غايته نصب أعينهم ، كما أن أهدافه لم يقدر لها أن تجئ على سبيل العفوية ، أو العشوائية بدليل أنهم ما فعلوا ذلك إلا بعد أن عقلوه ، وهم يسمعون حرمة تحريفه فارتكبوا الآثام والجرائم كلها .

وقال تعالى : "فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خآئنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين"(٢).

ولم يكن ذلك التحريف عن جهل أو خطأ غير مقصود ،وإنما كان عملا بذلوا فيه كل جهودهم العقلية،حين داخلتهم إمكانياتهم في التحريف قال تعالى : أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من

---

١) سورة النساء الآية ٤٦ .

(٢)سورة المائدة الآية ١٣ وقال تعالى : "يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم" سورة المائدة الآية ٤١ .

بعد ما عقلوه وهم يعلمون "[١].

وعن تحريفهم القولي للنصوص التى أنزلها الله على نبيه موسى الكليم جاءت شهادة القرآن الكريم ، قال تعالى :" إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون "[٢].

والمعنى أن من اليهود طائفة تركوا ما عاهدوا الله عليه ، وتخلوا عن الإيمان التي قطعوها بغية الوصول إلى مكاسب هزيلة فأضاعوا دينهم ودنياهم ، ولا حظ لهم في رحمة الله تعالى في دار الدنيا ، ولا يكلمهم كلام إنس يوم القيامة ، كما لن يطهرهم من الأوزار ، ولهم فوق ذلك عذاب شديد الألم على ما ارتكبوا[٣]أما لماذا ؟ فلأنهم فتلوا ألسنتهم عند قراءة الكتاب الذي استحفظهم الله عليه حين كان موسى بينهم بغرض تحريف ألفاظه ، وتبديل معانيه ، وإخراجه عن المراد ، حتى يظن من لا يعرفه أن الكلمات المحرفة جاءت من عند الله ، وما هي كذلك لأنها تحمل الإثم وتدعوا للفسق ، وتقرر الإلحاد[٤] .

وهم يفعلون ذلك التحريف إنما ينسبونه إلى الله لا إلى أنفسهم ، وهو كذب على الله ، واستهزاء به ، وهم يعلمون أنهم كاذبون ، وعلى الله يفترون .

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران الآيتان ٧٧ ، ٧٨ .

(٣)الشيخ / حسن أحمد ثابت ـــ تفسير سورة آل عمران ص ١٣٩ ط أولى ١٩٥٧م .

(٤)لأنهم كانوا يتعجلون القضاء على ملامح ما جاءهم به موسى من عند الله حتى تتاح لهم حرية الانتقال بالفكر من السيئ إلى الأكثر سوءا بعيدا عن رقابة النصوص الشرعية .

من ثم فإن هذا الفريق ، لم يقف دور أفراده عند حد تحريف النصوص التي أنزلها الله على نبيه موسى الكليم ، من التوراة والألواح والصحف نظرا فيها ، وإنما عمدوا إلى ممارسة كل صور التحريف وأقسامه الكتابي والقولي أو التلاوي مع استعمال أنواع التحريف المختلفة التي تجئ مع كل قسم على سبيل الاستقلال[١] وكانوا يمارسون ذلك بكل ما أمكنهم القيام به ، حتى صارت النصوص التي بأيديهم ما هي إلا محرفات على كل ناحية .

الثاني : المزيفون :

وهم الذين لم يقوموا بإدخال شئ على النصوص التي أنزلها الله تعالى على نبيه موسى الكليم ، وإنما أهملوها تماما ، ثم قاموا بتأليف نصوص من عند أنفسهم أتقنوا كتابتها ، وتفننوا في إقامة المبررات حولها ، وأوهموا العامة والخاصة أنها نازلة من عند الله، وما هي في تأليفها وإثبات بياناتها إلا من عند أنفسهم ، وكانت غايتهم الكسب المادي ، والقفز فوق أعناق الأنبياء ، بحيث تكون لهم في النفوس منزلة تعلو منزلة غيرهم ، وقد توعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون"[٢] .

---

(١) التحريف قسمان الأول اللفظي وهو ثلاثة أنواع : أ ــ تحريف بالزيادة على الأصل ، ب ــ تحريف بالإنقاص من الأصل ، ج ــ تحريف بتبديل بعض المفردات عن أماكنها وقلب بعض حروفها ، على سبيل التقدم أو التأخر ليختل المعنى . والثاني : معنوي : وهو ثلاثة أنواع / كالحال مع اللفظي ، لكن عملهم في الثاني داخل إطار المعنى وليس من خلال المادة اللغوية المكتوبة ، لمزيد من التفاصيل راجع إظهار الحق للشيخ / رحمت الله الهندي حيث تناول هذه الجزئيات وناقشها مناقشة طويلة وأبان أن اليهود محرفون على كل ناحية .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٩ .

والمعنى أن أولئك الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ويخدعون الناس بأنه من عند الله ، قد أخطأوا كثيرا وأضلوا عن دين الله ، كما وقعوا هم في الضلال بهذا الفعل الاثم ،ونتيجة لهذا فقد حكم الله عليهم بالهلاك والعذاب لأنهم لم يراعوا حرمة التوراة وأنها منزلة من عند الله ، كما لم يحترموا قدرة الله وعظمته ، لأن من اجترأ على تقليد كلام الغير فهو على العير أكثر جرأة .

قال العلامة ابن عاشور : الفاء للترتيب والتسبب فيكون ما بعدها مترتبا على ما قبلها وهو الفعل الدال على وقوع التحريف منهم عن عمد ، فرتب عليه الأخبار باستحقاقهم سوء الحالة ، أو رتب عليه إنشاء استفظاع حالهم ، لأنهم إنما يكتبون شيئا لم يأتهم من رسلهم ، بل هم الذين يضعونه ويبتكرونه ثم يقولون زيفا هو من عند الله المشعر بأن ذلك قولهم بأفواههم ، وإنه ليس مطابقا لما في نفس الأمر(١)، فهم مزيفون على كل ناحية .

لكن هذا الفريق برزت أخطاره المدمرة في السيطرة على نفوس أولئك السذج الذين انخدعوا بمكذوب هؤلاء المزيفين ، وساروا خلفهم منتظرين أن يغرفوا بأكفهم من السراب الذي وعدوهم بأنه ماء عذب زلال ، وما هو إلا الوهم والسراب ، ولا يحقق لمن يقوم عليه إلا الضلال قال تعالى:" والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور"(٢).

---

(١)الشيخ محمد الطاهر بن عاشور — تفسير التحرير والتنوير الجزء الأول ص ٥٥٣ طبعة الحلبي الأولى عام ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م.

(٢)سورة النور الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

كما أن فريق المزيفين كانت خطتهم تقوم على الإطاحة بالنصوص الإلهية كلها، بحيث لا يظهر لها أثر في حياة الناس ، وبالتالي يسهل عليهم التصديق بالمكتوبات الجديدة ،والاعتماد عليها ،لا كبديل عن النصوص الإلهية، وإنما على أنها ذات النصوص الإلهية التي كتبها الأحبار الأوائل[١]،واحتفظ بها اللاهوتيين.

فإذا ما جاءت الأيام المقبلة لم يعد أحد في بني إسرائيل يذكر وجود خلاف بين النصوص التي أنزلها الله على موسى الكليم ، وبين النصوص التى كشف عنها أحبار اليهود من عصابة المزيفين ، وقد نجحت خطتهم وأدت دورها ، بدليل أن التوراة الإلهية لم يعد لها وجود فعلي ، ولا اسمي داخل الإطار الفكري العام لليهود ، وإنما حل في عقولهم ونفوسهم ما كتبه الأحبار ، ومن جاء بعدهم أو ساهم ويقوم بذات المهمة ، وأطلقوا عليه اسم العهد القديم .

إذن المزيفون قاموا بثلاثة أعمال في وقت واحد :

أولا : إضاعة التوراة الإلهية ، وجمعها في تابوت ثم إغلاق هذا التابوت عليها ، بحيث لا يتمكن أحد من الوقوف على ما فيها ، أو معرفة ما تدلي به من مضامين أو تعلنه من محتويات ، ومتى ضاع الأصل ،إنعدمت فائدة الصورة[٢].

ثانيا : إنهم كتبوا الكتاب الجديد الذي أحلوه محل التوراة بأيديهم ، وشهادة القرآن عليهم موثقة ، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ، ولم يقولوا إن هذا ما فهمناه عن كتاب الله ، فيكون بمثابة التفسير ، وإنما قالوا إن هذا الذي كتبته أيديهم قد جاءهم من عند الله [٣] .

---

(١) راجع تفاصيل ذلك في إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي ، وأدلة اليقين للشيخ عبد الرحمن الجزيري ، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، وغيرها من الكتب التي عنيت بالفرق والمذاهب القديمة .

(٢)ولا شك أنهم أيضا قد فعلوا ذلك من خلال عملية منظمة مقصودة ، تمت على مراحل ومن خلال خطة مدروسة وألفاظ القرآن الكريم شاهدة على ما قاموا به .

(٣)ولمن يجادل في البدهيات الرجوع إلى كتابهم المقدس فلن يجد اسمه التوراة ، وإنما سيجد أن اسمه العهد القديم ولم يرد ذكر للتوراة عندهم .

ثالثا : أنهم قصدوا من ذلك إضاعة الحقـــوق ، والقضـــاء علـــى الواجبـــات ، والحصول على مال يشبع رغباتهم إليه ، فكانت هذه الأخـــيرة بمثابـــة الغايـــة والمقصد فاستحقوا ويلين في وقت واحد عبر عنهما قوله تعالى : " فويل لـــهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون " ﴿

الثالث : أصحاب الأماني :

وهم الذين ليست لديهم قدرة على التحريف في النصوص ، كما أنه ليســت عندهم إمكانيات تعينهم على استحداث بديل للنصوص الإلهية ، وإنما انحصـــر دورهم في قبول ما يلقى إليهم،والتمسك به [١]، بغض النظر عن قائله أو طبيعـة ما يحمله ، أنهم أشبه بالأعمى الذي يحمل مصباحا ولا يدرك إن كان موقـــدا أم منطفئا ، منيرا أم مظلما ، ومع هذا يظنون أن ما يحمله الواحد منهم يقدم منفعـة مظنونة على الأقل .

وقد صور القرآن الكريم حال هؤلاء قال تعالى :" ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون "[٢]، وقال تعالى :" مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات اللــه والله لا يهدي القوم الظالمين "[٣].

قال الشيخ زاده في حاشيته على البيضاوي : ذم الله تعالى اليـــهود بأنـــهم قراء التوراة ، عالمون بما فيها ، وفيها آيات دالة على صحة نبوة سيدنا محمـــد صلى الله عليه وسلم ، ووجوب الإيمان به ، ولكنهم لم ينتفعوا بها ، مما ينجيـهم من شقاوة الدارين ، وشبههم بالحمار الذي يحمل أسفار العلم والحكمة ولا ينتفع

---

(١) وتكون مشكلتهم محددة ويقع العبئ على أصحاب الفريقين السابقين ـــ المحرفون ، والمزيفون ـــ كما يقـع عليهم الأثم أيضا .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٨ .

(٣) سورة الجمعة الآية ٥ .

بهما [١] فهم أصحاب أمان وكفى .

الرابع : النابذون :

وهم الذين كانت بين أيديهم التوراة وقد استحفظوا عليها ، لكنهم تألموا من وجودها معهم،لأنها تحكم بصدق النبي المبلغ عن الله تعالى،وهي في نفس الوقت تنظم سلوكيات بني إسرائيل ، وتحد من حرياتهم الفوضوية ، وتقلق من أخطارهم الإنفلاتية ، فهم نبذوا العهد مع الله تعالى في استحفاظ كتبه ، ومن ثم نبذوا **كل عهد آخر**،أنهم لما **نبذوا العهد في المحافظة على ما في التوراة** ، **فقد** نبذوا كل عهد يتعلق بتصديقها .

قال تعالى:" ولقد أنزلنآ إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون "[٢].

قال ابن عاشور : إن الله تعالى عهد إلى بني إسرائيل قي التوراة أن يعملوا بما أمروا به ، وقد تكرر ذلك منه في التوراة ، وتكرر منهم نقض العهد مع الله، ولكن فريقا ألقى العهد ونقض الوعد، وهذا الفريق هو الأكثر،وقد ذكره الله تعالى بقوله فريقا منهم ، إما باعتبار العصور التي نقضوا فيها العهود ، كما تؤذن به كلمة كلما ، أو احتراسا من شمول الذم للذين آمنوا منهم ، وليس المراد أن ذلك الفريق قليل منهم ، فنبه على أنه أكثرهم بقوله " بل أكثرهم لا يؤمنون " ، وهو من أفانين البلاغة وهو أن يظهر المتكلم أنه يوفي حق خصمه في الجدال ، فلا ينسب له المذمة إلا بتدرج وتدبر قبل الإبطال ، ولك أن تجعلها للانتقال من شئ

---

(١) الشيخ زاده — حاشية شيخ زادة على البيضاوي ج ٣ ص ٤٩٤ .

(٢)سورة البقرة الآيات ٩٩ — ١٠١ .

إلى ما هو أقوى منه في ذلك الغرض[١]

وهؤلاء النابذون يظهرون أمام الرأي العام باعتبار أنهم المحافظون على النصوص اللاهوتية ، ومن ثم فلا مانع لديهم من تكذيب أية نصوص أخرى ، كيف لا وهم الذين اعتادوا ذلك ومارسوه على كل ناحية ، أنهم يكفرون بالدلائل الواضحات ، والآيات البينات ، وليسوا مستعدين لقبول الحق الذي يأتيهم من عند الله ، كما أنهم ليسوا مستعدين للإعلان عن الحق الذي كان في أيديهم ، ثم طمسوه بذات الأيدي [٢]،وكان المأمول فيهم أن يقوموا عليه رعاية له وعناية به.

دليل ذلك أنهم لما جاءهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله ، مصدق لما جاء في التوراة،وموافقا لها في الأصول العقدية العامة،ومعترفا بنبوة كل من موسى بن عمران عليه السلام وعيسى ابن مريم[٣] وغيرهم من أنبياء الله أجمعين ، نبذ هذا الفريق كتاب الله وراء ظهورهم وأصروا على إنكار أن الله بعث نبيا خاتما،كأنهم لا يعلمون عن نبوته شيئا،رغم إعلانهم السالف بأن له ذكرا في كتبهم .

في ذات الوقت فإن أصحاب هذا الفريق انطلقوا كالكلاب المسعورة في التكذيب ، حتى قالوا أن الله تعالى لم ينزل شيئا على أحد من البشر ، فرد الله عليهم بقوله،تعالى :" وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم

---

(١)العلامة الشيخ الأكبر – محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير ج ١ ص ٦٠٢ .

(٢)وبالتالى فجرائم اليهود متواصلة ، وأعمالهم العدوانية لا تقف عند حد بعينه .

(٣)نحن المسلمين نعتقد في تصديق كل الأنبياء والمرسلين من قبل الله تعالى ، أما اليهود فلا يؤمنون إلا بعدد معين ليس من بينهم سيدنا عيسى أو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون " (١).

ولاشك أن ظهور هذه الفرق فور انقضاء حياة نبي الله موسى الكليم،كان له أعظم الخطر على العقيدة الإلهية،التي جاء بها نبي الله سيدنا موسى بن عمران ، كما كانت لها أخطار عديدة في العبادات والسلوكيات ، أو التكاليف الشرعية والآداب والأخلاق بجانب المعاملات ، إذ من شأن صاحب العداوة التي من هذا النوع السعي لتدمير كل شئ يقف في طريق غايته ، أو يقلل من نجاح الأساليب التي يقوم عليها ، واليهود محترفون لهذه وتلك على أوسع نطاق .

ثالثا : مراحل القضاء على نبوة موسى عليه السلام :

بيد أن القضاء على معالم الدين الإلهي في نفوس بني إسرائيل بعد نبي الله موسى بن عمران لم يتم إلا من خلال مراحل تمثل كافة ألوان الاعتداء ، حيث يأتي فيها التوافق والتتابع حينا ، أو يظهر بينها الانقطاع والاختلاف حينا آخر، لكن أبرز ملامح هذه المراحل ما يلي:

المرحلة الأولى : الاعتداء على النصوص الإلهية :

سلف القول بأن أحبار اليهود بعد موسى عليه السلام سارعوا إلى الاعتداء على النصوص الإلهية بالتحريف تارة (٢)والتزييف أخرى،وقد استخدم اليهود كلا منهما على أوسع نطاق ، من ثم يمكن القول بأن هذه المرحلة لم ينج منها نص صحيح ، وإنما صارت كل النصوص التي أنزلها الله على موسى الكليم —

---

(١) سورة الأنعام الآيتان ٩١ ، ٩٢ .

(٢) التحريف قسمان الأول : لفظي ، والثاني: معنوي ، وكل منهما أنواع ثلاثة : الأول التحريف بالحذف ، والثاني التحريف بالزيادة ، والثالث التحريف بالتبديل ، ولمزيد من التفصيل يراجع للشيخ رحمت الله الهندي — إظهار الحق ، ولشيخ الإسلام ابن تيمية — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

التوراة ، الصحف ، الألواح — مستهدفة من جانب أحد الاتجاهات العامة ، أو الفرق الأربعة التي مر ذكر طرف عنها ، بحيث يقوم فيها على الناحية التى قصدها .

من المؤكد أيضا أن هذا العدوان لم يقم به فريق معين ، أو على جانب بذاته ، وإنما نهض كل منهم إليه،بما في طبيعة بني إسرائيل من رغبة عالية تقذف بهم نحو التدمير ، والنزعة المتواصلة فى العدوان ، بجانب العنف والإرهاب الذى مارسوا كلا منها بكل ما أمكنهم من قوة ،أو تمكنوا من وسيلة ، وعلى أوسع نطاق .

يقول لايف : لقد كان ثابتا في طبيعة الشعب الإسرائيلي المحافظة على الموروث ، لكن فجأة تغيرت هذه الطبيعة،وصار اللاهوتيون يفعلون بالنصوص ما يريدون ، بحيث يمكن القول بأنهم طوحوا هذه النصوص ، التى وجدت فى التابوت ، والأخرى التى كانت مستحفظة ، ثم وضعوا غيرها بدلا عنها فى جرأة بالغة[1] فاقت في قسوتها كل ألوان العنف التى ذاقها هذا الشعب على أيدي أعدائه[2] .

ونفس الفكرة يقررها جيمس فريزر حيث يقول : كانت الخطوة الأولى فى القضاء على التراث الموسوي قد تمت على أيدي الموسويين أنفسهم ، لأنهم الذين سجلوا التوراة ، كما حرصوا على أن تكون معبرة عن وجهة نظرهم ، وأحلامهم، بغض النظر عن كون هذه الوجهة قررها موسى أم لا [3]، إنهم لم يكونوا مستعدين للتراجع عن هذه الأفكار أبدا .

---

(١) أوليفيرا لايف : الكتاب المقدس والاتجاهات الأخرى ص ٥٣ ترجمة زكريا عبد العاطى .

(٢)الدكتور / فوزي محمد بدوي — اليهود وتاريخهم ص ١٥٧ ط ثانية ١٩٠٩ م .

(٣)جيمس فريزر — قراءات في العهد القديم ج ٣ ص ١٣٥ ترجمة هدى زكى عام ١٩٨١م.

لقد كان سباقهم نحو الاعتداء على النصوص يمثل صورة مسعورة لفكــــر متعطش للضياع ، فما تركوا نصا إلا لعبوا به ، وما استحفظوا مـــن أمانـــة إلا خانوها ، وهم في سبيل ذلك لا يبالون بشيء أبدا ، ولم يكونوا قادرين على القيام بشيء من ذلك دون تعقل،أو في شكل من العشوائية ، وإنما كانوا على العكـس من ذلك تماما ، يستهدفون نصوصا بعينها ، ويحرصون علـــى بترهـــا ، ثــم يقومون بعد ذلك بترتيب طرائق الاعتداء عليها في أشكال منظمـــــة ، وصـــور متلاحقة عملية[1] حتى جاء اليوم الذي اختفت فيه ملامـــح النصـــوص الدينيـــة التوراتية تماما ، وصار الناس مستعدين للتراجع عن هذه الأفكار التي حملتـــها رؤس بعضهم ، أو نقلت إليهم على أنها من تراث جاء به موسى إليهم .

المرحلة الثانية : مخالطة الوثنيين والميل إليهم :

أجل يذكر الدارسون أن اليهود زعموا لأنفسهم التميز على غيرهم ، لكنـــهم مع ذلك يعترفون بأنهم مارسوا الوثنيات،بعد أن اختلطوا بالأمم الوثنية ، ومن ثم فقد ظهرت الأفكار الوثنية داخل اعتقاداتهم وسلوكياتهم ، كما برزت حكاياتـــهم للأساطير والخرافات والاقتباس منها ، وقد جاءت أسفار العهد القديم لتؤكد ذلـك في كل أسفاره ، التي يفاخر اليهود أنها تخصهم وحدهم .

فعلى سبيل المثال : يذكر العهد القديم أن يعقوب صارع الرب فوق أرضية فنيئيل ، ومن ثم صار ذلك المكان الذي تمت فيه المصارعة مقدسا ، لأنه تم فيه التصالح بين المتصارعين يعقوب من جهة ، والرب من جهـــة ثانيـــة ، وهـــذا التصور الساذج للإله يكشف عن الآثار التي تداخلت بيـــن العقليـــة اليهوديـــة، والأفكار الوثنية حيث ساد فيها ما يجري في الأفكار الوثنية،من تقديس الأمـــاكن

---

(١) والقرآن الكريم قد صورهم في العديد من الصور التي قاموا بها ، وجاء فيها التحريـــف علـــى النواحـــي المختلفة ، كما ظهرت فيها عمليات الاعتداء على النصوص الدينية ، بعد معرفتهم لها بجانب علمــهم أن مـــا يقومون به إنما هو عدوان مقصود على النصوص الدينية .

المتميزة،والأشجار الباسقة ، بجانب بعض الكهوف والمغـــارات التـي تعتــبر مجالس عامة ، أو مقار ثابتة يتحصل فيها الاجتماعات العامــــة للآلهـــة [١]، أو سكنى الأرواح الغريبة .

وبالتالي تحركت هذه المشاهد الوثنية في عقول هؤلاء ، ثم قفزت إلى ثنايـا سطور كتابهم المقدس ، لتكون شواهد على تأثرهم بالوثنية ، يقول برســتيد : أن الرجل الغامض الذي صوره اليهود على أنه الرب المصارع ليعقوب إنما هو في الأساطير القديمة جني شرير ، وأن هذا النص كأمثاله مستقى من مأثورة قديمة، حين كانت شعوب المنطقة غارقة في المعتقدات الخرافية [٢]التــي نقلــت إلــى المجتمع اليهودي بعد نبي الله موسى ، وصارت تمثل أصل الديانة ، وتقرأ على أنها أسس الاعتقادات اليهودية .

ويقرر فالبياس : أن قصة المصارعة التي وقعت بين الرب ويعقوب رجــل الرب في العهد القديم ، دون أن يعرف الرب من يصارع ، ولا اسمه،وإنما تمثل عبئا على قارئ العهد القديم ، إذ كيف يتصور أي عقل أن الذى يصارعه هـــو الرب ، وفي نفس الوقت يجهل ذات الرب،اسم من يصارع ، كما يشعر بـــالعجز عن مغالبته ، إن فهم هذه القصة لا يمكن إلا إذا تم ربطه بالأساطير التي كـــانت سائدة في هذه المنطقة من العالم القديم ، حيث كثرت فيها حكاية ذات الأساطير، وغطت على كل الجوانب الأخرى [٣]. ومن ثم فإن هذه الأفكار الوثنية ، قد تــم تدوينها في الكتاب المقدس، لتكون جزء منه ، بحيث يتم تقديسها فيمــــا بعـــد ، وتعبر في ذات الوقت عن اقتباسات اليهود من الأمم والجماعات الوثنية للعقـــائد والأفكار .

---

(١)تشايندر بيدراس — التوراة والأساطير ص ١٣٥ ترجمة وفدى عبد العاطى طبعة حلب ١٩٦١م .

(٢)جيمس هنري برستيد — فجر الضمير ص ٣٧٥ .

(٣)توماس فالبياس — المصارع التوراتى ص ١٥ ترجمة صابر رزق ط أولى ١٩٦٧ م .

ولعل هذا التصور الساذج ، والقصور في الفهم حدا ، بفريزر حتي قال إن القصة القائمة في سفر التكوين من مصارعة يعقوب للرب ، يجب عدم فصلها عن الأساطير القديمة التي جرت في المصادر الوثنية ، كما يجب ربطها بالأحداث والملامح الطبيعية للمكان الذي جرت فيه حوادثها ، من ناحية ، وبالأساطير الأخرى المشابهة لها من ناحية أخرى (١)، وحينئذ يتبين لنا أن الغريم الغامض الذى يتصارع مع الإنسان في الأساطير الوثنية،هو روح النهر أو شيطانه ، وأن الصراع تم على نحو ما ورد في التوراة الحالية ، بل أن المشابهة بينهما تجئ على ناحية تامة .

حيث أمسك مينيلاوس بإله البحر بروتيوس الذي كان يرقد منعزلا،وقت الظهيرة بين الحواجز ، وفوق الرمال الصفراء ، ليرغمه على أن يخبره بتكهناته وهو ممتنع عن ذلك (٢)، ويذكر أنه على نحو ما ورد في القصة التوراتية أمسك بيليبوس بآلهة البحر ثيتيس وأتخذها زوجة له ، رغما عنها ، مع حاجتها إليه .

وكل من الأسطورتين — علاقة بنيلاوس بإله البحر بروتيوس — بيليبوس بإلهه البحر ثيتيس — أبرزت روح الماس ذي الجسد الطيع الأملس أن ينزلق من فيضه أسره مرة بعد أخرى ، فغيرا شكله من أسد إلى حية ، ومن حية إلى سائل وهكذا ، حتى وجد في النهاية أن محاولاته تضيع هباء ، وأنه لن ينجح في الانفلات من يد خصمه العنيد ، فرضخ لمطلبه ، وأعطاه المنحة التى يسعى

---

(١) وهذا لا يجب فهمه علي أنه موقف مضاد أو فكر أراد صاحبه مخاصمة الأسفار التي استعملها العهد القديم وإنما يمكن التعامل معه على أساس أنه يمثل جانبا نقديا ، قام على مقابلة بعض الظواهر الأسطورية في فهمين يقع بينها التوارد التام ، والاتفاق الكامل ، لأن الاتفاق في بعض الأحداث قد يكون مظهرا من مظاهر تقابل، الأفكار ، أما أن يكون هو ذات المحتوى ، فهذا مما لا يدع مجالا للشك ، بأن الثاني تأثر بالأول حتما .

(٢)ولا شك أن ممارسة يعقوب عمليات الضغط على الرب في سفر التكوين حتى يباركه ، هى نفس الأفكار مع تعديل في الصياغة .

إليها[1].

وقد أظهر العهد القديم أن يعقوب كان يسعى لاقتناص منحة من الرب ، وأنها أقضت مضجعه ، ولم يهدأ إلا بعد حصوله عليها ، مكللا بالانتصار على المجهول الذى صارعه حتى الفجر ، ثم عرف فيما بعد أنه الرب ، كما عرف ذلك المصارع المهزوم،أن الذى تقدم لمواجهته إنما هو روح الرب يعقوب الذى عرف فيما بعد باسم إسرائيل .

أجل استطاع اليهود التلون أمام الأحداث ، كما تغير الحرباء جلدها ، فهم إذا كانوا بين أقوياء متدينين،أعلنوا تدينهم مثلهم،وتظاهروا بممارسة ما فيه القسوة مع القدوة والالتزام ، فإذا تغيرت الأحوال وكانوا بين متحللين من القيم والأخلاق سارعوا إليها فصدروا العرى ، والإباحية ، وتاجروا بالأعراض ، وأعلنوا عن استحلال كل المحرمات ، مما يجعلني أقرر أنهم عاشوا في ضلال لم ينقطع،ونفاق لا يعرف له وجه ، ولم يسبق إليه سابق ، كما أنهم ينفذون ذلك بكل ما وسعهم ، وفي كافة أحوالهم هم عبيد شهواتهم ، عباد أصنام [2] .

لقد خالط اليهود المجتمعات الوثنية ، واقتبسوا منهم طواعية ، من غير أن يجبرهم على ذلك أحد ، ثم ما لبثوا أن مالوا إليهم، وصاروا ينقلون عنهم ، لكن الأمر تطور إلى ما هو أبعد من ذلك ، حين سجلوا هذه النقائص في كتبهم ، وصاروا يدافعون عنها ، لا على أنها أنواع من الثقافات التي تجري في أعراف الوثنيين،أو يتعلقون بها ، وإنما على أنها نصوص لاهوتية يجب الأخذ بها،وعدم

---

(١) جيمس فريز ــ الفولكلور في العهد القديم ج٢ ص ٥٠٩ وما بعدها بتصرف يسير ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم الطبعة الثانية ١٩٨٢م ط دار المعارف .

(٢)زكى شنودة ــ اليهود قبل المسيح ص ٢٩٠ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣م وهو الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ، وله كتاب تحت عنوان اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس ط القاهرة الأولى ١٩٧٤م ، وربما كانت المادة العلمية فيها متقاربة إلى حد كبير .

التخلي عنها . ثم تطورت الأمور فيما بعد إلى أن صارت الوثنيات هي المحتوى الطبيعي لأفكارهم اللاهوتية ، ومكتوباتهم التي يحافظون عليها ، فصاروا وثنيين أكثر من الوثنيين أنفسهم ، لأن الوثنى القديم قد يتعلق بالأفكار الوثنية باعتبارها موجودة في الذهن ، أما اليهود فقد سارعوا إلى تدوينها على أنها مكتوبات مقدسة ، بحيث تنال الثقة ، ولا يمكن أن يقترب منها النقد .

وإن أردت مزيدا من الأدلة ، فراجع أسفار العهد القديم ستراها قد أعلنت التمسك بالوثنية إلى أبعد مدى ، كما يذكر سفر الأخبار الثاني أن أمصيا ملك يهوذا استطاع الدخول في حرب مع الأدوميين فلما أنتصر عليهم لم يحطم آلهتهم الوثنية ، وإنما حملها إلى حيث يقيم ، ثم جعلها آلهة له أيضا ، وسجد أمامها ، ولكن ياهو أرسل إليه يعاتبه في ذلك قائلا له:لماذا طلبت آلهة الشعب الذين لم ينقذوا شعبهم من يدك [١] ، وكان المفروض أن يطلب الآلهة التي تجري في اليهودية ولا يلتمس الآلهة التي يسعى إليها الأدوميون .

كما أن تعدد الآلهة الوثنية قد نقل إلى الدائرة اليهودية كاملا ، حتى صار لكل مدينة عدد من الآلهة ، يقول سفر أرميا بعدو مدنك صارت آلهتك يا يهوذا ، وبعدد شوارع أورشليم،وضعتم مذابح للبعل الذى عبدتم [٢].

لقد مارسوا الاعتقادات الوثنية ، وطبقوها على كل ناحية ، فكان ذلك أحد المراحل التي مهدت لدخول الوثنية ، في اليهودية على نحو واسع جدا .

المرحلة الثالثة : النتاج الوثني :

إذا كانت المرحلة الأولى قد تمثلت في الاعتداء على النصوص الدينية من جانب اليهود المغامرين ، فإن المرحلة الثانية قد جاءت في اقتباسات وثنية ، وميل نحو التقليد للوثنيين سواء في الأفكار أم كان ذلك في الاعتقادات والأخلاق

---

(١)العهد القديم — سفر الأخبار الثاني ٢٥ / ١٤ / ١٧ .

(٢)العهد القديم سفر أرميا ١١ / ٩ / ١٣ .

أما هذه المرحلة فقد جاءت كنتيجة لكل المرحلتين السابقتين ، أو هـــي النتـــاج الطبيعي لهما ، حيث ظهرت الارتباطات القائمة بين الفكر اليهودي ، والآخـــر الوثني فصارت الاعتقادات اليهودية هي ذات العقائد الوثنية معبر عنـــها بلغـــة عبرية ، أو صارت العبرية هي النتاج الطبيعي للديانات الوثنية .

من غير شك في أنه كانت هناك عناصر مقاومة لدخول ذلك التيار الوثنـــي في اليهودية ، ولكنها كانت قليلة جدا ، وضعيفة التأثير أيضـــا ، إذ لـــم يقـــدر لأفرادها أن يعبروا عن آرائهم ، نظرا لعدم قدرتهم علـــى إبـــراز الآراء التـــي يتمسكون بها ، كما أنهم لم يكونوا يملكون من الوسائل ما يعينهم علـــى بلـــوغ غايتهم ، لقد كانوا فئة قليلة أنزوت بين أرجاء الكون ، متفرقة هنا وهناك ، منهم هارب ينشد السلامة ، ومقيم على الغيم يتوقع أسوأ العواقب ، ومن ثم فقد كـــانت اتُجاهاتهم منعدمة الأثر، كما كانوا أفرادا لا يسمع لهم صوت .

أما الغالبية العظمى فكانوا إلي النتاج الوثني يهرعون ، ومنـــه يـــأخذون ، وعنه يعبرون ، وقد غلبهم من ذلك النتاج الوثني ما يتعلـــق بالعقـــائد والآداب والفنون حيث برز ذلك في تناولهم للألوهية من حيث التعدد والتجسد ، وقد نقـــل ذلك إلى العقول التي حولته ، فيما بعد إلى نتاج يهودي خالص ، حملته كتبـــهم ، ومارسوه في حياتهم .

ومن المؤكد أن الجانب المتعلق بالأساطير والخرافات كان هو الغالب عليهم من ناحية الامتصاص والإخراج معا ، أما الجانب الحكوي الروائي،أو القصصي فقد جاء لاحقا للخرافات والأساطير ، والغريب أن هؤلاء لم يعلنوا نقلهم له ، أو حكايته عن غيرهم ، وإنما همو لتدوينه في كتبهم ، حتى يعلنوا عن كونه نتاجـــا خالصا لهم .

يقول زكى شنودة :على الرغم من أن الله أرسل لبني إسرائيل أنبياء أطهارا كشف الله لهم عن وجوده ووحدانيته ، وأزليته وسائر صفاته،وأعماله،فأعلنوا لهم

حقيقة الله [١]وشريعته ، إلا أنهم فهموها في الغالب على مقتضى فهم الشعوب الوثنية المحيطة بهم ، لحقيقة إلههم،وما نسبوا إليها من شرائع [٢]، وبالتالي شرعوا لأنفسهم ديانات ، وأحدثوا في سلوكياتهم تشريعات مالهم بها من علم ، ولا طريق لهم في إثباتها إلا الأوهام والخرافات ، والأخذ عن أصحاب الاعتقادات الفاسدة ، والديانات الوثنية .

لقد جاءت أسفار العهد القديم حافلة بذكر الآلهة المتعددة ، والتركيز عليها باعتبارها عقائد يهودية ، فهي لم تذكرها على سبيل الحكاية والتحذير منها ، إلا في حالات نادرة .

فمثلا كثر استعمالهم لفظ يهوه على أنه المعبود المتميز عن المعبودات الأخرى التى عرفها الإسرائيليون وعبدوها بجانبه ، لكنه كان الأكثر تميزا،وأنه طلب ذلك في الوصية الأولى من وصاياهم العشر حيث يطلب منهم أن يكون مقامه بين الآلهة فوق سائر الأرباب [٣].

وهم يعترفون بقبولهم ذلك التعدد – رغم تحذيرات العهد القديم نفسه – يقول يشوع اخشوا الرب،واعبدوه بكمال وإحاطة ، وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم في عبر النهر ، وفي مصر ، واعبد الرب [٤] . والعهد القديم يقدم الأدلة المتعددة على أن الإسرائيليين لم يتخلفوا عن عبادة الآلهة المتعددة المتجسدة أيضا .

يذكر سفر حزقيال : أن الرب عرف نسل يعقوب بنفسه حينما كانوا بأرض

---

(١) لا يعرف الله عن الحقيقة والكنه إلا الله ، ولم يعرف الأنبياء عن الله إلا ما عرفهم به ، أما حقيقته فلا يعرفها إلا هو وهو مما استأثر الله تعالى بعلمه وعليه اعتقادنا نحن المسلمين ..

(٢) زكى شنودة موسوعة تاريخ الأقباط ج ٨ ص ٢٩٨ .

(٣)ول ديورانت – قصة الحضارة المجلد الأول ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٤)العهد القديم – يشوع ٢٤ / ١٤ .

مصر ، وذكرهم بنعمته،وأنه الذي أخرجهم منها بيده،وطلب إليهم أن يطرح كل منهم الوثنية من أمام عينه ، حيث لا يعبدوا إلا هو،لكنهم تمردوا على الرب،ولم يطرح الإنسان منهم أرجاس عينيه ، ولم يتركوا أصنام مصر،وحينئذ قال الـرب لهم إني اسكب خزي عليهم ، لاتم عليهم سخطي ، في وسط أرض مصر [١].

لقد استمر الإسرائيليون في التعلق بالآلهة الوثنية المتعـددة اعتقـادا فيـها وعبادة لها ، فعبدوا آلهة الكنعانيين والمصريين ، كما عبدوا آلهـة الآشـوريين والبابليين ، وفي نفس الوقت لم ينزعوا عن أنفسهم عبـادة آلهـة الحيثييـن ، والآموريين والآراميين ، بل وكل الشعوب الوثنية التي نزلوا بـها ضيوفـا أو مستعمرين[٢] ، وسجلوا ذلك في كتبهم التي بأيديهم على أنها نتاج خالص لهم .

لم يختلف الحال في تجسيدهم للآلهة المتعددة التي عبدوها،عن مفهوم التعدد والتجسد الذي ساد المجتمعات الوثنية ، فهم عبدوا العجل الذهبي[٣]وطلبوا مـن موسى أن يريهم الله الذي يبلغ عنه ، حتى يروه في شكل محسوس ، ولما كانت عبادة الحيوان منتشرة في مصر الفرعونية ، فقد أخذهـا الإسـرائيليون عنـهم وسجلوها في كتبهم وتمسكوا بها .

كما عبدوا بعل الكنعاني ، وجسدوا إلههم في ملامحه ، فظهرت عبادة بعل فغور مع الإسرائيليين أيضا [٤]، مع أن بعل فغور إله مؤابي أيضا ، على أساس أن المؤابيين كانوا يعبدون آلهة الكنعانيين ، ولم تنجح بعض المحـاولات فـي صرفهم عن الآلهة المتجسدة ، وتسجيل ذلك في كتبهم دليل على أنهم صـاروا ينتجون الوثنيات الخالصة .

---

(١)العهد القديم سفر حزقيال ٢٠ / ٥ — ٩ .

(٢)الدكتور / صبري حسن جعفر — اليهود والتراث اليهودي ص ١٤٧ ط أولى ١٩٦٥ م .

(٣) وقص القرآن الكريم ذلك عنهم في سورة الأعراف وسورة طه وسوف أعرض لذلك .

(٤)راجع العهد القديم سفر العدد ٢٥ / ١ — ٨ .

المرحلة الرابعة : تصدير النتاج الوثني :

أجل استطاع الإسرائيليون امتصاص الكثير من الثقافات والديانات الوثنية،كما استطاعوا تسجيلها في مؤلفاتهم التي بأيديهم ، لكنهم لم يقفوا عند هـذا الحـد ، وإنما عملوا على تصدير ذات الأفكار ، والاعتقادات الوثنية إلى الآخرين مـن خلال عدة طرق :

الطريق الأول : التسجيل لها في الكتب التي بين أيديهم ، والتأكيد على نسبة ذلك إلى أنبيائهم ، ونشر هذه الكتب على أوسع نطاق [١]، والمعروف أن ذلك يمثـل صورة من صور الغزو الثقافي .

الطريق الثاني : ممارسة هذه الاعتقادات بينهم كأفراد ، وجماعات إسـرائيلية ، تحرص كل الحرص على أن تكون هذه الممارسات مدعومة بشكل من أشـكال الأسانيد ، حتى لو كانت متقطعة الأوصال .

الطريق الثالث : تقديم المساعدات للأفراد والشعوب التي تنضم إليهم فـي هـذه الاعتقادات ، والمساهمة في وسائل ممارستها ، لأن ذلك يحقق أسرع النتـائج ، بحيث يتحول المجتمع الإنساني ككل إلى الوثنية ككل [٢].

الطريق الرابع : محاربة أية نبوة بعد موسى عليه السلام ، وإعلان تبرئهم منـها على أساس أن ظهور نبوة بعد موسى يلزم منه نسبة الجهل إلى الرب [٣]،تعـالى الله عن قولهم علوا كبيرا والاعتراف بنسخ شريعة موسى، ومـن ثـم تضيـع اليهودية تماما .

الطريق الخامس : تحويل ديانة موسى من كونها ديانة محلية،لبني إسـرائيل

---

(١)الدكتور / صبري حسن جعفر ـ اليهود والتراث اليهودي ص ١٥١ .

(٢)دكتور / محمد المهدي حسن سليمان ـ العقائد وتطوراتها ص ٢٥٧ ط أولى ١٩٦٧م .

(٣) وبناء عليه فقد أنكروا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، جحدا وعنادا ـ راجع شرح المقـاصد ج ٢ ص ٣٩ ، وشرح المواقف الموقف الخامس المجلد الرابع .

وحدهم ، مؤقتة بوجوده فيهم ، حتى تصبح ديانة عالمية عامة ، بهدف تغطية أحلام هذا الجنس المتوحش ، المتعطش للدماء ، المنفلت من كل قيم أخلاقية إيجابية [١]، الكافر بالعقيدة الإلهية .

ولتحقيق هذه الطرق سارع الإسرائيليون إلى داخل أنفسهم ،بغرض إعادة الحسابات وترتيب إمكانياتهم حسب الأولويات ، مع ملاحظة الوسائل التي تعين على الوصول بهم ، إلى أعلى النتائج فيما يهدفون إليه ، وقد ظهرت في أنماط كثيرة أبان عصر السبورائيم الذي كثرت فيه مدارس تاريخ التفسير الديني اليهودي.[٢]

في هذا الجو الملبد بالغيوم ، الممتلئ بالحروب والمغامرات ، ظهرت فوق يهودية تحمل الملامح الوثنية في ظاهرها ، الوثنية والسياسية في طبيعتها وتكويناتها ، كما أنهم كانوا يضعون في معابدهم ومذابحهم صورا وتماثيل لآلهتهم المعبودة التي يعتقدونها ، وكلما اختلفت طائفة عن الأخرى في بعض الاتجاهات السياسية والثقافية أنعكس ذلك على الصور والتماثيل التي صنعتها أيديهم معبرة عن الآلهة التي يعبدونها[٣] ويعتقدون صحتها .

وسوف أعرض لأشهر الفرق اليهودية التي جاءت على الناحية التنظيمية ، وتركت بصماتها في الفكر الديني والشريعة والمعتقدات اليهودية[٤] ومن أبرزها السامريين ، والفريسيين ، والصدوقيين ، ثم فرقة الأسنيين ، وما جاء بعدها ، رغم أن بينها من الاختلافات الكثير في الأصول التي تقوم عليها

---

(١)الدكتور صابر محمد الذكي ـــ العقائد اليهودية ص ١٣٥ ط الثانية ١٩٦٧م .

(٢)يعرف السبورائيم بأنه لفظ يطلق على حكماء إسرائيل بعد جيل الشراح ، وقبل عصر الغباوة الجاء ونيم راجع أوتسر يسرائيل ج ١ ص ١٣٣ ، وابن شوشان ـــ قاموس حديث ج ٢ ص ١٠٤٩ .

(٣)الدكتور / عبد البديع حسن زكريا ـــ الاتجاهات العامة في اليهودية ص ١٢١ .

(٤)الدكتور عبد الرازق أحمد قنديل ـــ الأثر الاسلامي في الفكر الديني اليهودي ص ٨٦ ط أولى دار التراث بالقاهرة ١٩٨٤م/١٤٠٤هـ .

عقائدهم الوثنية ، وسأقسم هذه الفرق إلى مجموعتين : الأولى : فرق ما قبل الميلاد ، والثانية : فرق ما بعد الميلاد .

المجموعة الأولى : فرق ما قبل الميلاد :

وأقصد بمفهوم ما قبل التاريخ الميلادي ، المعروف بالتاريخ الإفرنجي حيث ظهرت فيه الفرق اليهودية والإسرائيلية الكبرى ، التي حملت الأفكار الإسرائيلية واليهودية ، ثم أدخلت إليها القضايا والاقتباسات الوثنية وهي فرق أربع :

١ ـ السامرية ، ٢ ـ الربانيون ، ٣ ـ الصدوقيون ، ٤ ـ الحسديون .

الفرقة الأولى : السامريون[1]:

وهم جملة ممن تهودوا ، ولم يكونوا من نسل بني إسرائيل ، وإنما الذي جمعهم إلى اليهودية هو تهودهم فقط ، وهم على كل حال أنسال مختلفة حيث يذكر العهد القديم أن شلمناصر ملك آشور بعد تغلبه على الإسرائيليين، أتى بقوم من بابل ، وكوث ، وعوا ، وحماه ، وسفره وايم ، أسكنهم جميعا مدن السامرة وسكنوا مدنها[2]، إذن هم قدموا إلي بلاد الشام ، حيث سكنوا فيها،وأقاموا بمدن السامرة ، ويذهب البعض إلى أنهم من شعوب الفرس من بني سامرك ، وعرفوا بين الأمم بالسامرة ـ رغم أنهم ليسوا سامريين ـ لكونهم سكنوا مدينة نابلي ـ سمرون ـ ويعرف أهلها بالسامرة[3]، كما يطلق على المقيمين فيها بالنسبة للآخرين اسم السامريين .

ويقرر أوتسر أن اسم السامرة أطلق على هذه الفرقة لكونهم سكنوا مدنها ،

---

(١) راجع في هذه التسمية للإمام الشهرستانى ـ الملل والنحل ج٢ ص٢٣ والمقريزي ـ الخطط ج ٤ ص ٣٨٣ ولابن حزم الفصل في الملل الأهواء والنحل ج ٣ ص ١٧٩ .

(٢)العهد القديم ـ سفر الملوك الثاني ١٧ ـ ٢٤ .

(٣)إذن هذه التسمية ليست على أصل من الأصول المعروفة في الإطلاق العام ، وإنما هي تسمية بالتبع ، لأنها من باب تسمية الشئ باسم المكان الذي استقر بعض الوقت فيه .

بينما الحاخامات اليهود يذكرونهم دائما باسم الكويثيم[١].

وكانت عقائدهم مجوسية طبقا لأصولهم الفارسية[٢]ويهودية بناء على كونهم صاروا معتنقين لليهودية ، وهم لا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونـــه ، ولهم توراة تعرف بالتوراة السامرة ، وهي غير التي بأيدي سائر اليهود ، وهـــم يبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعـــــد مـــوت موســـى عليـــه الســـلام ويوشع[٣]بن نون خليفته من بعده [٤].

ويذهب الشيخ الشوادفي إلى أن فرقة السامرة ظهرت بعد الســـبي البابلـــي حوالي ٧٢٢ ق.م حيث هاجر أناس من بابل وغيرها،ثم استوطنوا مدينة شمرون وتسموا بالشومريين ، ويقيمون الآن في نابلس من أعمال فلسطين على ثمانيـــــة عشر ميلا من بيت المقدس وبعضهم بمصر[٥] .

من ثم فالسامرة يخالفون باقي الفرق اليهود فيما يلي :

---

(١)أوتسر يسرائيل ج ٥ ص ٣٦٩ وراجع لاسحاق هليفي ـــ تاريخ الأوائل ج ٢ ص ٣٧٧ .

(٢) ومن ذهب إلى هذا الرأي الإمام المقريزى في خططه ج ٤ ص ٣٨٤،٣٨٣ .

(٣) هو يوشع وهو اسم عبري معناه يوه خلاص واسمه الأصلي هو شع ويهوشع ، ثم دعاه موسى يوشع وهـــو خليفة موسى وهو ابن نون من سبط افرايم ، ولد في مصر،وكان أولا خادما لموسى ، ثم عين لقيادة بني إسرائيل من قبل موسى ، وكان عمره آنئذ ٤٤ سنة ، وبعد ذلك تعين جاسوسا لسبطه ، ثم عين خليفة لموسى وفي آخـر حياته دعا كل بني إسرائيل ، وألقى عليهم جميعا خطاب الوداع ، وكان إيمانه بالله مفتاح نجاحـــه ـــ قـــاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٠ باب الياء .

(٤)الإمام ابن حزم الظاهرى ـــ الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٣ ص ١٧٧ .

(٥) الشيخ عطيه إبراهيم الشوادفى ـــ دراسات في التوراة ص ٦٢ المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإســـلامية صفر ١٤٠٦ / نوفمبر ١٩٨٥م .

أهم اعتقاداتهم :

- أنهم لهم توراة خاصة بهم تسمى التوراة السامرية[١]، ويعتقدون أنها توراة موسى ، ويقدسونها على أنها كلام الله لموسى ، وهي تخالف التي بـأيدي غيرهم ، كما أنها مكتوبة على جلود القرابين ، ويرجعون تاريخ كتابتـها إلى أربعة وثلاثين قرنا [٢]، ويقدر بعض العلماء أنها كتبت منـذ عشـرة قرون فقط [٣]، وهي تختلف عن الأخريات في أربعمائة موضع .
- **يعتقدون في الإيمان بإله واحد** ، وبأن هذا **الإله روحاني بحت ولكنـهم لا** يقرون بالبعث ، ولا باليوم الآخر ، لأنه لا يوجد لشئ منها ذكـر فـي أسفار العهد القديم .
- الإيمان بأن موسى رسول الله ، وأنه خاتم رسله ، ولا يعتقدون في نبـوة أحد بعده .
- يختلفون في الأصول الشرعية التي يعتقدها غيرهم ، بنـاء علـى عـدم تقديسهم التلمود الذي يمثل لدى غيرهم المصدر الثاني بعد العهد القديم .
- لا يحترمون بيت المقدس كما لا يستقبلونه في عبادتهم[٤] ، وإنما لهم قبلة خاصة ، وبيت مقدس خاص على جبل جريزيم المجاور لنابلس ، ويقولون أنه الطور الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام ، ولذلـك فـهم يعتبرون جبل جرزيم مقدسا ، وهو القبلة الحقيقية الوحيدة لبني إسرائيل[٥].

---

(١)قام الدكتور أحمد حجازي السقا بتحقيقها وكتابة نبذة عنها ثم نشرها تحت ذات العنوان التوراة السامرية.

(٢) ومعنى هذا أنها كتبت قبل ظهور فرقة السامرة بسبعة قرون أو ثمانية فكيف تنسب إليهم .

(٣) ومعنى هذا أنها كتبت بعد ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأربعة قرون وهذا مما يدفع إلى الشـك فيها كلية لأن الفوارق بين الرقمين لايمكن تجاوزها أو تأويلها على ناحية من النواحي .

(٣) الإمام ابن حزم ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٧٨ مطبعة صبيح ١٩٦٤م .

(٥) الدكتور حسن ظاظا ــ الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه ص ٢٤٨ معهد البحوث والدراسـات العربية عام ١٩٧١م .

- يقولون أن مدينة القدس هي بيت المقدس ، ومن ثم فلـــهم مذبـــح غـــير المذابح التي لغيرهم من الفرق والطرائق اليهودية الأخرى [١].
- يعتقدون أنه لا نبوة بعد موسى سوى يشوع ، من ثم فهم يكذبون بنبـــوة كل من شمعون وداود وسليمان ، وأشعيا ، واليسع ، وإلياس ، وعاموص وحبقون وزكريا وأرميا[٢]مع أن غيرهم من الفرق الأخـــرى يعتقـــد فـــي بعضها ، وينكر البعض الآخر .
- لهم تقشف وتزهد في الطهارة ، وصلاتـــهم فيـــها ركـــوع وســـجود ، ويغتسلون ويتوضؤن ، ويحجون في العام ثلاث مرات إلى جبل جريزيم[٣] الذى اعتبروه قبلتهم ، ومن ثم فهم يدافعون عنه، ويتمســـكون بـــه فـــي مواجهة الطوائف والفرق اليهودية الآخرين .
- عيد الفصح عندهم ستة أيام ، أما عند غيرهم فهو سبعة لـــدى البعـــض وثمانية لدى البعض الآخر [٤].
- لغتهم قريبة في منطوقها من العبرية،وليس فيها حرف الألف ، ولا الهاء، ولا كذلك العين والخاء،وهي ذات الأحرف التي توجد في العبرية الحالية .
- يرجعون نسبهم إلى يوسف عليه الســـلام ، ويتـــبرأ منـــهم الربـــانيون والقرأؤن ، ويطلقون عليهم اسم كوثيم [٥]ومعناه البابليون أو المـــهاجرون من أصل غير إسرائيلي[٦]، ومن ثم يجب أن لا يحصلوا علـــى الجنســـية الإسرائيلية .

---

(١) مع ملاحظة أن المذبح يمثل طقسا من الطقوس وليس من السهل الاختلاف حوله .

(٢) وهذا يؤكد أن الفرق اليهودية ليست على هدى كلها الها تؤمن ببعض الأنبياء وتكفر بالبعض الآخر .

(٣)ويسميه ياقوت الحموى ـــ جبل كرايزم ـــ معجم البلدان ج ٥ ص ٥٢٢ .

(٤)الدكتور / فوزى محمد على صقر ـــ الدراسات في اليهودية ص ٢١٥ .

(٥)الشيخ عطيه إبراهيم الشوادفى ـــ دراسات في التوراة ص ٦٢ .

(٦)أوتسر يسرائيل ج ٥ ص ٢٦٩ .

وبهذا يظهر أن فرقة السامرة تغاير باقي الفرق اليهودية في الأصول العامة مغايرة تامة ، كما أن اعتقاداتهم والطقوس التى يقومون بأدائها هي الأخرى تقع فيها المخالفة على أوسع نطاق ، والوثنية لا تبتعد خطوة واحدة عن اعتقاداتها ، سلوكياتها ، مما يؤكد أنهم قد شربوا من كأس الوثنية بالقدر الذي استطاعوا شربه.

وقد تفرع عن السامرة كل من :

الألفانية ، والدوستانية [١]، والكوسانية [٢]، وقد مال هذا الاتجاه الإمام الشهرستاني [٣]والكوشانية والروشانية ، وقد مال هذا الإتجاه المقريزي والإمام المسعودى[٤]والكل مجمع على أن السامرة يتفسقون في الطهارة أعظم من تفسق سائر اليهود ، وهم يقرون بنبوة موسى وهارون [٥]ويوشع بن نون فقط ، ورجل

---

(١) يرى البعض أنهما فرقة واحدة ، والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة ، وهم يزعمون أن الثواب والعقاب في الدنيا — الدكتور عبد الرازق أحمد قنديل — الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي ص ٨٩ .

(٢) الكوستانية معناها الفرقة أو الجماعة المؤمنة الصادقة ، وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب ، وبين الدوستانية والكوستانية اختلاف واسع في الأحكام والشرائع — ابن حزم / الفصل في الملل والنحل ج ١ ص ٧٨ ، والشهرستاني الملل والنحل ج ١ ص ٢٧ .

(٣)الإمام الشهرستاني — الملل والنحل ج٢ ص ٢٣ .

(٤) راجع للإمام المقريزى الخطط ج ٤ ص ٣٨٤ .

(٥) هو هارون الذي كان يسمى قدوس الرب ، وكان اليهود المتأخرين يحفظون ذكراه بإكرام ، وهم يصومون تذكارا له في اليوم الأول من شهر آب ، وظلت رئاسة الكهنوت عند العبرانيين في بيت هارون إلى دمار أورشليم والهيكل في سنة سبعين ، والهارونيون هم ذريته وهم لاويون أيضا لذلك اعتبروا على رأس الكهنة — قاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٥ . كما أنه الأخ الأكبر لموسى عليه السلام ، وساعده الأيمن ، ووزيره خلال دعوته إلى فرعون ، وبعد خروج بني إسرائيل من مصر تولى أمر بني إسرائيل أثناء غياب موسى وعندما اتخذ بنو إسرائيل العجل الذهبي الذي صنعه السامري إلها من دون الله حاول منعهم ولكنه عجز عن ذلك بسبب كفرهم وعنادهم واعتقادهم أن موسى لن يعود . موجز دائرة المعارف الإسلامية ج ٣٢ ص ١٠٠٢٥/١٠٠٢٤ .

ظهر في السامرة بعد ذلك ويعدعى الفان ، وأنكروا نبوة باقي الأنبياء بعد موسى سوى من ذكر .

كما يعتقدون أن الفان هذا هو الذي بشر به موسى، وأنه الكوكب الذي ... ذكره في التوراة من أنه يضئ ضوء القمر،وقد ظهر الفان هذا قبل المسيح بمائة سنة تقريبا [١]وقد استغل ألفان بعض عبارات وردت خلال العهد القديم جـــاءت فيها ألفاظ عامة، كما استغل سذاجة المدافعين عن العهد القديم ،ونصب نفسه نبيا إليهم ، وهم كاذبون وهو أشد منهم كذبا،لأن النبى الذى بشرت به التوراة المنزلة من عند الله تعالى ، **إنما هو سيدنا محمد صلى الله عليه** وسلم، **وكذلك بعمــــوم** بعثته وختمه لكل الأنبياء والمرسلين ، وختم ما جاء لكل من النبوات والرسالات قال تعالى :" وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رســـول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين "[٢].

والسامرة يزعمون أيضا أن الملك داود [٣]لما ولي الملك حول قبلة اليـــهود من جبل جريزيم إلى بيت المقدس ،وبنى فيها البيت ، فخالف بذلك الأمر الإلهي،

---

(١) الإمام الشهرستاني الملل والنحل ج ٢ ص ٣٣ .

(٢) سورة الصف الآية ٥ .

(٣) داود اسم عبري معناه محبوب ، وهو ابن يسى وثاني ملوك بني إسرائيل ، ويذكر أنه الملك الطريد الـــذى ملك يهوذا ، كما يتحدث عن داود بأنه صاحب الخطايا ويذكر العهد القديم أكثر من شخص تسمى باســـم داود ، وأكثر من ملك تسمى باسم داود ـــ قاموس الكتاب المقدس ص ٣٦١/٣٦٦ ، وتذكـــر الموســـوعة العربية أن داود هو النبي الملك الذي يصعد نسبه إلى إسحاق بن إبراهيم ، وكان راعي غنم فملكـــها خلفـــا لشاول ويعد من أعظم الأبطال القوميين عند العبرانيين لشجاعته جنديا ومقدرته حاكما ، وملكاته شـــاعرا ، وموسيقيا من القصص الشعبي الذي يروي عنه مبارزته للجبار جوليان ، وانتصاره عليه بمقلاعه ، يعزى إليـــه كثير من المزامير ويتميز حكمه بتحويل الشعب اليهودى من الحياة القبلية إلى دولة قوية منظمة ، اتخذ أورشليم عاصمة لحكمه بدلا من حبرون ، واحتفظت سلالته بالملك بها إلى عام ٥٨٦ ق . م وجـــاء في الأنـــاجيل أن المسيح انحدر من بيت داود من ناحية الأم ، كما ورد ذكره في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا ـــ الموسوعة العربية الميسرة ج١ ص ٢٠٨٠ .

ومن ثم فوقع في الظلم الذي أوقعه هو على السامرة،الذين تمسكوا بقبلتهم القديمة ولم يرضخوا لما فعله داود ، كما لم يتمكن أحد من صرفهم عنها حتى الآن .

ويبدو أن السامريين قد اختلفوا مع باقي الطوائف والفرق التي تنسب لليهودية أو تعبر عنها ، اختلافات ليس من اليسير تقديم حلول عملية لها ، ومجمل هذه الاختلافات ما يلي :

١ ـ اتهام السامريين لغيرهم بتحريف التوراة ومضمون الأسفار ، حيث يؤكدون أن التوراة السامرية هي الصحيحة وحدها،أما التي مع سائر اليهود فإنها محرفة وليست منزلة، وقد ذهب أحبار اليهود إلى أن التوراة التي مع السامريين محرفة وليست منزلة،وهو ما يؤكد أن الذي في أيدي كل اليهود محرفا .

٢ ـ يحرمون على أنفسهم الزواج من أية طائفة غير طائفتهم ، لاعتقادهم أنها فرق كافرة [١]، والزواج من الكافرين منهى عنه .

٣ ـ يرفضون قبول تفسيرات رجال اللاهوت للتوراة ، حتى لو كانت التوراة السامرية ، لاعتقادهم أن الذي يفسرها لابد أن يكون سامريا أيضا ، ومع هذا وجدت عندهم تشريعات ليست في التوراة السامرية كذبح الطيور وما شابهها[٢].

إذن علاقة السامريين بغيرهم ، لم تكن على ما يرام ، وإنما لمعن في الأفق البعيد معالم الاختلاف، بل والعدوان أيضا ، ومن أبرز ملامح هذا وذاك ما يلي:

١ ـ عاون السامريون المكابين في اعتداءاتهم على اليهود ، بل كانوا معهم في العدوان ، ويالها من مأساة حين يتحول من يأمل عنده النصرة إلى عدو متربص لدود يحاول الفتك بمن يرجو معاونته .

٢ ـ رفضوا المساهمة مع باقي الفرق الأخرى في بناء الهيكل الثاني بعد تدمير

---

(١) الدكتور/ سيد محمد عاشور ـ مركز المرأة في الشريعة اليهودية ص ٧٧ ط القاهرة ، ومن ثم فقد أدى بهم هذا الحظر إلى الانقراض ، لأن النسل يتواصل عن طريق التزاوج .

(٢) اوتسر يسرائيل ج ٥ ص ٢٧١ .

الأول ، وكان اليهود يعتبرون بناء الهيكل بمثابة الوجود الفعلي لليـــهود ، وقـــد ساهمت أغلب الطوائف اليهودية في إعادة بنائه .

٣ ــ رفضهم الاعتراف بقدسية جبل صهيون، أو أورشليم[١]مع أن كل الطوائف اليهودية كانت تسعى إلى تقديس أي منهما ، على أنه مقدس من الرب نفسه.

٤ ــ رفضهم مهادنة اليهود والتعاون معهم إلا إذا كـــانت المهادنــــة والتعـــاون لصالح السامريين أنفسهم ، بدليل أنهم وقفوا في جانب اليهود ضـــد الرومـــان ، أثناء خراب بيت المقدس ، وربما لم يكن ذلك عن اقتناع منهم بالتعاون وإزالـــة الخلافات ، وإنما لأنهم أدركوا منذ بداية الأمر أن الرومـــــان لا يفرقـــون فـــي أحكامهم ، واضطهاداتهم بين السامريين واليهود ، وإنما كان الجميـــع أمامـــهم سواء ،ولذا تعاونوا مع اليهود ، وأحسب أن القوم سيظل بعضهم يضرب بعضا، لأن العداوة والبغضاء فيهم إلى يوم القيامة .

الفرقة الثانية : الربانيون ــ الفريسيون :

وهم الذين ظهروا أيام الميكابيين ، ويرجح البعض أنهم ظهروا في عـــــهد يوناثان الذي كان صديقا حميما لداود عليه السلام [٢]ويطلقون على أنفسهم اســـم فرقة الإخوان،أو فرقة الرفقاء ، أما خصومهم فيسمونهم بالفريسيين أو المنعزلين ويمثلون جمهور اليهود لدى الغالبية من الدارســـين ، ويطلقـــون عليـــهم اســـم الربانيين ، وقد رددت إلماحة إلى الربانيين في القرآن الكريم مـــن ذلـــك قولـــه تعالى:" إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذيـــن هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فـــلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل اللـــه

---

(١) الدكتور / محمد بحر عبد المجيد ــ اليهودية ص ١٤١ مكتبة سعيد رافت ١٩٧٨م .

(٢) الدكتور / على عبد الواحد وافي ــ الأسفار المقدسة ص ٥٥ .

فأولئك هم الكافرون"[١]. وقوله تعالى :" لولا ينهاهم الربانيون والأحبـــار عــن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون"[٢] .

وهذه الفرقة تمثل الجانب المتشدد في اليهودية ، لأنها تعلن تمسكها الشـديد بأمور الدين والشريعة ، وكانوا يلقبون بالفريسيين ، ومعناها بالعبرية المنعزليـن عن الغير ، أو الناسكون[٣] حيث زعموا أن وجود دولة إســرائيل وبقاءهـا لا يكون إلا من خلال التمسك بالتوراة الكتابية ، وطاعة الشريعة الشفوية .

ولما كان هؤلاء من القائمين على التوراة والشريعة ، فقد اعتبروا أنفســهم علماء الدين الربانيين ، ومن ثم كانت لهم الكلمة العليا ، بل كانوا يسمون أنفسهم الأتقياء والأخوان الأصفياء ، أو الرفاء والزملاء[٤] ، وقد مكن لهم ذلك النفــوذ من أن يلعبوا دورا هاما في اليهودية منذ العودة من السبي البابلي ، لما لهم مــن مكانة ونفوذ بين اليهود ، وكان منهم الكاهن الأعظم على رأس القيادة ، حيــث شغل منصب الحاكم المدني ، والقائد العسكري بجانب رجل الشريعة .

<u>أهم اعتقاداتهم :</u>

تقوم اعتقادات طائفة الفريسيين على ما يلي :

- تقديس التوراة والتلمود ، واعتبارهما وحيا شفويا ، أوحى إلى موسى عليه السلام ، ويكفرون من لم يعمل به ، ولا يعترفون بالاجتهاد الفردي ، وإنما يعترفون بالاجتهاد القيادي الذي يجئ به الرؤساء من الكهنة .

ويذهب الدكتور /على عبد الواحد وافى إلى أن طائفة الفريسيين هم الذين

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٣ .

(٣)مراد فرح ـــ القراؤن والربانيون ص ١٧ ، وراجع للدكتور محمد بحر اليهودية ص ١٤١ .

(٤) وهذه الاسماء والنعوت تتساوى معها في اللغة العربية كلمة الأحبار ، ولذا فهم يحرصون على اســتعمال اسماء الربانيون ، والأحبار ، رجال الله حتى تكون هذه الاسماء والصفات بمثابة التمهيدات القوية للطائفة ذاتها .

ألف فقهاؤهم أسفار التلمود[١] ومعنى ذلك أن التلمود لم يعرف إلا بعد ظهور طائفة الفريسيين حتى يقوم فقهاؤها بكتابته وتأليفه،وهذه النتيجة غيرمسلمة لأن صدر عبارته فيه تقرير بأن هذه الطائفة تعترف بأسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية لموسى وأسفار التلمود، فالكلام غير سليم، إلا إذا قصد القول بأنهم قاموا بتدوين ذات الأسفار الشفوية وتحويلها إلى أسفار مكتوبة.

- يقولون أن البعث أمر قائم والإجماع عليه ، لكن على معنى العودة في دار الدنيا وليس بالمفهوم الشرعي الإسلامي ، ويتمسكون بهذه التعاليم بينما التقاليد العملية لا تجد منهم ذات الاهتمام ، ومن ثم فان صلاتهم تشبه إلى حد كبير صلاة المسيحيين ، من حيث عدم الاحتياج إلى الوضوء أو النظافة أو القبلة [٢] .
- يعتقدون في حب الله للإنسان ، فأعلنوا اعترافهم بفكرتي الخير والشر ، فأدى بهم ذلك إلى الاعتراف بخصوصية كل منهما على حدة ، كما طوروا في العقائد حتى برزت لديهم فكرة متعارضة في طرفيها تقوم على الإيمان بالله ، وأنه مصدر الخير ، والإيمان بالشيطان ، وأنه إله الشر ومصدره ، فأدخلوا هذه الأفكار إلى النصوص الدينية وجعلوها مقدسة [٣]
- يعتقدون أن السامرة فرقة ضالة ، كما يعتقدون أن القرائين كالسامرة دخلاء على اليهودية ، من ناحية الأجناس والأصول ، ويؤكدون أن الأصول المتباعدة تكشف عن إنقطاع علاقة كل من السامرية والقرائين باليهودية .

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافي — الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ٥٥ كما أشار إلى ذلك في ص ٢١ ، ٢٢ من ذات الكتاب ط دار نهضة مصر للطبع والنشر .

(٢)الدكتور / حسن محمد الضبع — دراسات في اليهودية ص ١٨٣ .

(٣)أبو الوليد مروان بن جناح القرطبي — الأصول ص ١٣٥ وهو الكتاب الأول من كتاب التنقيح نشره أ.د نيوباور عام ١٩٧٥م .

- يعتقدون أن الأموات الصالحين سينتشرون في الأرض ، ليشتركوا في ملك المسيح المنتظر ، الذي يزعمون أنه سيأتى ، لينقذ الناس ، ويدخلهم في ديانة موسى من جديد ، ومعنى ذلك أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا،وهو ما يؤكد أن اليهود على هذا النحو ينكرون اليوم الآخر[(١)]،وهو الأمر الذى قررته الشريعة الإلهية وجاء به الدين الخاتم دين الإسلام ، وهم كانوا يكرهون المسيح عيسى ابن مريم عند بعثته ، وهو أيضا كان يبادلهم نفس الشعور ، وكثيرا ما أتهم فقهاءهم بالكفر، والنفاق ، بجانب التحريف ، وابتداع أحكام لا علاقة لها بالدين أبدا [(٢)] .

من ثم فإن فرقة الفريسيين قد تنكر قيام الأموات مطلقا ، وتعتقد أن عقاب العصاة،وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم ، وهذا يؤكد تلاقيها وعلى نفس الخط مع ما يوافقها من الفرق الأخرى ، وإن كان هناك اختلاف في بعض وجهات النظر ، فمرجع ذلك الاختلاف إلى اللغة التعبيرية ، والألفاظ المستخدمة بجانب طريقة العرض والغاية التى جاء من ناحيتها .

وفي تقديري : أن اضطراب النقل عن الفكر اليهودي يعطي نتائج فيها الكثير من التضارب في بعض الأحيان ، رُبما كان العامل القوي فيه اللغة العبرية ذاتها ، وربما كان ما في طبيعة اليهود أنفسهم ، وربما الرغبة المتسرعة في إصدار الأحكام والقفز إلى النتائج ،دليل ذلك ما يلي :

١ — وجود بعض الكتابات القديمة قادحة في فكر الطائفة الفريسية على النحو

---

(١) الدكتور / على عبد الواحد وافي — الأسفار المقدسة ص ٣٤ ، ٥٥ وتؤكد أغلب الأناجيل القانونية في المسيحية أن طائفة الفريستين كانوا من أكثر أعداء المسيح عيسى بن مريم عنفا وضراوه ، وأنهم الذين وشوا به إلى الحاكم الروماني بيلاطس ، ولم يتركوه بل إنهم كانوا على رأس المتآمرين به وقد عرض إنجيل متى هذه النتائج — راجع الإصحاحات — ٢٢ وما بعده .

(٢)إنجيل متى ٢٣ / ١ — ١٢ .

الذي مر ذكره ، ثم وجود بعض الكتابات المحدثة تقيم نوعا من الموازنة في فكر ذات الطائفة تنتهي المدارنة إلى تحسين النتائج .

فمثلا : كان القدماء يرون أن الفريسيين يعترفون بالثواب والعقاب الدنيوي، وينكرون الثواب والعقاب الأخروي ، بينما ذهب المحدثون إلى أن الفريسيين آمنوا بوجود الخير والشر في الإنسان ، وآمنوا بضرورة الجزاء على هذه الأفعال وهو الثواب والعقاب ولكن ذلك سيكون لهم بعد الموت[١].

وكذلك اعتقدوا أنه مهما فنيت الأجساد فالروح باقية ، وستبعث من جديد ، كما ستبعث معها الأرواح مرة أخرى في يوم الحساب الذي يسمونه يوم الرب ، وفي هذا اليوم يلتقي المحسن جزاء إحسانه ، والمسيء جزاء إساءته وأخذوا في نشر هذه المعتقدات وضمنوها تفاسيرهم وكتبهم ، وكان لهم الفضل في إيجاد ما يسمى بالهلاخا ، وكانت أولى محاولاتهم لتكوين هذا النوع من الكتابات ، قد ظهرت على صورة شروح للنصوص [٢]

في نفس الوقت فقد نقل الفريسيون أغلب القوانين التي ورثوها عن طريق المشافهة إلى الشعب ، وقد يمثلها الشعب لقرب هذه الطائفة منهم ، كما أنها كانت تمثل الاتجاهات العامة الشعبية ، وكان الشعب يحب أفرادها رغم تشددهم في التمسك بالنصوص الدينية،كما كان معظم الشراح والمفسرين للنصوص التوراتية من الفريسيين مما جعلهم أكثر قربا إلى عامة الشعب من طائفة الصدوقين ،الذين كانوا من الأغنياء ويمثلون علية القوم[٣].

من ثم فلا نعجب إذا رأينا أغلب الشراح والمفسرين،بل معظم رجال اللاهوت في عصور النساخ والرواة ، بل والشراح كانوا من طائفة الفريسيين الذين

---

(١)الدكتور / محمد بحر عبد الحميد ـــ اليهودية ص ١٤٣ .

(٢) History of our – P 35

(٣) الدكتور جمال الدين محمد رمضان ـــ اليهود التاريخ والأحداث ص ١٩٥ ط أولى ١٩٧٥م .

استطاعوا بث أفكارهم ومعتقداتهم داخل الشروح والتفسيرات التي قاموا بها.

لقد أعلنوا تمسكهم بعقائد أسلافهم حتى أطلقوا على أنفسهم اسم السلفية[١] وتمسكوا بتلك العقائد إلى أبعد مدى ، كما كانوا يعملون على التمسك بالشريعة وتفاصيلها ، ويغالون في تطبيقها ، إلى حد التعسف أو الجور .

يقرر ويلز أن أورشليم سقطت في يد الملك السلوقي أنطيوفوس الرابع ، لأن استمساكهم بعقيدتهم أبى عليهم أن يدافعوا عنها في يوم السبت ، حيث يحرم عليهم العمل فيه[٢]فكان تمسكهم بالعقيدة السلفية قويا باهتا في نفس الوقت بدليل أنهم تركوا عاصمتهم تسقط في أيدى الأعداء في مقابل التمسك بحرفية النص والتمسك أيضا بالعقائد السلفية .

أضف إلى ما سبق أنهم سمحوا لأنفسهم بالاجتهادات الفكرية وبخاصة إذا تعلق الأمر بالقضايا التي تمس العلاقات الاجتماعية وأحكام الأسرة بدليل ظهور بعض الآراء التي تعني بتفسير بعض القوانين والأحكام التشريعية التي تنظم حياة الأفراد والمجتمع .وقد اتفق بعضها مع رأي جمهور الفقهاء ، كرأيهم في الزواج والطلاق الذي يتفق تماما مع ما تسير عليه بعض الطوائف الأخرى حتى اليوم ، وكان من آرائهم الاجتهادية أيضا أن البنت ترث متى لم يكن للمتوفي أولاد ذكور[٣].

يقول أحد الباحثين : وخلاصة القول في هذه الفرقة أن هؤلاء الفريسيين كانوا من ذوي الثقافة والفكر بدرجة لا مثيل لها بين قومهم ، وأن تفاسيرهم

---

(١) كم أتمنى قيام باحث أكاديمي بدراسة هذا الموضوع الأصولية والسلفية في اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة .

(٢) هـ .ج ويلز — معالم تاريخ الإنسانية ، المجلد الثالث ص ٦٨٨ الطبعة الثالثة ١٩٧٢ لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٣)الدكتور / سيد محمد عاشور — مركز المرأة في الشريعة اليهودية ص ٧٨ .

للعهد القديم ، واستنباطهم للأحكام والشرائع مردها إلى تمسكهم بتراثهم ، ورغبتهم في احترامه ، والمحافظة عليه [١] .

ولما كان التشدد والمبالغة المفرطة في التزام شئ بعينه، قد تدفع الآخرين إلى معاداة صاحب ذلك السلوك ، فإن الفريسيين كانوا يعتقدون صحة مواقفهم وخطأ مواقف الآخرين ، ومن ثم اندفعوا إلى تنفيذ آرائهم بالقوة ، ومحاربة كل من يقف في طريق تنفيذ آرائهم ، أو يخالف تعاليمهم حتى لو أدى ذلك إلى إنفاق الوقت والجهد وبعض المال .

لقد كانوا متعصبين لأفكارهم ، ومن ثم فقد بالغوا في عداوتهم لغيرهم ، بدليل أن نزاعهم مع الصدوقيين والسامريين لم ينقطع ، والتاريخ اليهودي العام قد شهد قبولات من الحروب والنزاعات بين هذه الطوائف التي رفضت الأنصياع للفكر الفريسي ، كما رفضت ولايته عليها .

ومع هذا فما زال التراث التي تركته طائفة الفريسيين محل قبول من الطوائف اليهودية على الناحية العامة، بل أنهم يعتمدون على هذه الأفكار بدرجة كبيرة ، وأن أجيالهم المتلاحقة ما تزال غير قادرة على ملئ الفراغ الذي يمكن حسبانه إذا انسحبت المواد التراثية الفريسية من محيط المجتمع اليهودي .

الفرقة الثالثة : الصدوقيون :

وهم الذين ينسبون إلى رجل اسمه صدوق [٢] ، وكان ظهورها في القرنين

---

(١)الدكتور / عبد الرازق أحمد قنديل ــ الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي ص ٩٤ .

(٢)وتختلف الروايات في صدوق هذا إلى أقوال : الأول: القائلون بأنه صدوق بن سرخيا ، وكان تلميذا لأنتيجنوس السوخي ، وهو من كبار كهنة الهيكل الثاني وعاش حوالي عام ٢٠٠ ق.م ــ الدكتور / علي سامي النشار ، والدكتور/ عباس الشربيني – الفكر الديني اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية ص ١٧٥ ط منشاة الإسكندرية ، والدكتور / حسن ظاظا – الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢٥٧ . الثاني: القائلون بأنه صدوق الكاهن الأعظم للملك داود قبل موته ، والذي كلفه الملك داود بأن يجمع الشعب حتى يأخذ البيعة منهم لابنه سليمان ــ راجع العهد القديم سفر الملوك الأول ١ / ٣٢ ــ ٣٥ .

الثالث والرابع قبل الميلاد ، وكم وقعت بينهم والفريسين خلافات حادة وعنيفة أيضا ، ويقولون أن العزير [1] ابن الله — تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا — وكانوا يقيمون في جهة اليمن حتى فترة طويلة ، ثم انتقل بعضهم إلى بعض البلدان الأخرى ، قليل تجمعهم في أرض فلسطين العربية الحبيبة ، وهم قوم متعصبون أزادوا على ما في التوراة الكثير ، وكان ظهورهم أيام الميكابيين

---

(١) هو عزير بن جروة ويقال سوريق بن عديا بن أسبوع بن فلحاص بن العازرين هارون بن عمران ، ويقال عزير بن سروخا جاء في بعض الآثار أن قبره بدمشق ، قال ابن عباس لا أدري العزير كان نبيا أم لا ؟ ولكن ورد عن ابن عباس أيضا ، أن عزيرا كان ممن سباه بختنصر وهو غلام حدث ، فلما بلغ أربعين سنة أعطاه الله الحكمة ، قال ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم بالتوراة منه ، وقال ابن إسحاق عن عبد الله بن سلّام إن عزير هو العبد الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه ، وكان عبدا صالحا حكيما ، إلا أن المشهور أن عزيرا نبي من أنبياء بني إسرائيل من يحفظ التوراة ، ألهمه الله حفظها فسردها على بني إسرائيل ، (راجع قصص الأنبياء لابن كثير ص ٤٦٥ وما بعدها — دار الأقصى ط ١٠/١٤١٠هـ/١٩٩٠م) .

ويذكر الطبري :" أن التوراة كانت قد استبيت منهم فحرقت وهلكت — بعد السبي — وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل،فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره ، وقد خرج من الناس فتوحد منهم : وبينما هو ببطون الأودية يبكي في حزنه على التوراة وبكائه عليها إذ أقبل عليه رجل وهو جالس فقال يا عزير ما يبكيك قال أبكي على كتاب الله وعهده كان بين أظهرنا فبلغت بنا خطايانا وغضب ربنا علينا أن سلط عدونا فقتل رجالنا،وأخرب بلادنا،وأحرق كتاب الله الذي بين أظهرنا،والذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره ، فعلام أبكي إذا لم أبك على هذا ؟ قال أفتحب أن يرد ذلك عليك قال ؟ قال وهل إلى ذلك من سبيل ؟ قال نعم . ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك،ثم موعدك هذا المكان غدا ، فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء ، وكان ملكا بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الإناء فمثلت التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل ، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وسننها وفرائضها وحدودها فأحبوه حبا لم يحبوه شيئا قط ، وقامت التوراة بين أظهرهم وصلح بها أمرهم ، وأقام بين أظهرهم مؤديا لحق الله ، ثم قبضه الله على ذلك ، ثم حدثت فيهم الأحداث حتى قالوا لعزير هو ابن الله وعاب الله عليهم فبعث فيهم نبيا كما كان يصنع بهم يسدد أمرهم ويعلمهم ويأمرهم بإقامة التوراة وما فيها " (تاريخ الطبري ج ١ ص ٣٢٥) ، وفي الرواية من الإسرائيليات الكثير مما لا يمكن قبوله .

١٦٨ق.م حيث انقسم اليهود إلى فريسين وصدوقين ، ومن ثم يعتبر البعض ظهور الصدوقيين والفريسيين في وقت واحد تقريبا .

غير أن الصدوقين كانوا يمثلون طائفة الأكابر والسادة الأغنياء ، ومن ثم فقد صاروا أهم الطبقة الأرستقراطية ، فإذا كان الفريسيون من عامة الشعب ، فإن الصدوقيين كانوا من علية القوم ، وهذا التباين الطبقي ، والتباعد الاجتماعي يمكن أن يثير في بعض النفوس الخلافات ، ويحرك داخل أصحابها القلاقل ، لأنهم يشعرون بالزهو والفخر على الآخرين الذين ينظرون إليهم نظرة استعداء ما لم يكن أمر الجميع قائما على شريعة الله رب العالمين، التي تسيطر على هذه الفوارق من خلال قوله تعالى:" إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"[١]

وإذا كان الفريسيون يمثلون الطبقة المتشددة في الدين ، فإن الصدوقين على العكس من ذلك ، يظهر فيهم التساهل الكبير كالشأن مع أصحاب الترف دائما ، مالم يكونوا على هدي الله قائمين[٢] ولذا فإنهم لم يكونوا أصحاب شعبية كبيرة ، كما لم تكن لهم اتصالات واسعة بأفراد الشعب الذين يمثلون الطبقة الفقيرة ، وجملة الكادحين .

من ثم فقد كانت علاقتهم بالحكام افضل من علاقتهم بالمحكومين ، بل امتدت هذه العلاقة بالحكام الرومان الذين انقلبوا إلى الصدوقيين في صداقة برزت آثارها في انتصار هؤلاء الحكام الرومان للصدوقين في حربهم مع الفريسيين ، وكان النصر حليف هؤلاء العلية لوقوف ثلة الحكام الرومان بجانبهم وضعف الفريسيين عن استقطابهم .

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) ولعل ذلك مما أشارت إليه الآية القرآنية في قوله تعالى :" وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" سورة الإسراء الآية ١٦ .

أهم اعتقاداتهم :

- عدم الاعتقاد في غير التوراة التى بايديهم ، ويرفضون الأحاديث الشفوية لموسى التي ألفها فقهاء الفريسيين[١]، ومن ثم وصفهم البعض بأنهم أصحاب نزعة ظاهرية ، واتجاهات حرفية أرستقراطية في العقائد والأحكام ، إذ كانوا يرون في زحف التقاليد وصرامتها ، قيودا تغل حريتهم ، وتحرم عليهم التمتع بالنعم التي هم فيها[٢]ومن ثم رفضوا كل الآراء التي اعتنقها كل الفريسيين .
- اعتبار التلمود ممثلا لرأي القائلين به ، ولا يمثل الشريعة الموسوية أو الديانة اليهودية ، وقد نتج عن هذا عدم اعترافهم بالعلم والعلماء ، لأنهم لا يسمحون بالاجتهاد ، ويعتقدون أن القيادة تكون للكهنة ولا تكون للعلماء أبدا[٣]لأن العلماء عندهم يمثلهم الفريسيون .
- إنكار البعث في الآخرة ويعتقدون أن البعث يكون في دار الدنيا ، كما يعتقدون أن إثابة المحسنين ، وعقاب العاصين إنما يكون ذلك كله في دار الدنيا ، حيث لم يرد نص كتابي ، ولذا فهم لا يعتقدون في يوم الحساب ، ولا يوم الرب الذي يتمسك به الفريسيون[٤]، ويحرصون على إقامة العلاقات الودية مع الطوائف والشعوب الأخرى ، بخلاف الفريسيين الذين ينظرون إلى غير اليهودي على أنه عدو،وكذلك اليهودى من غير الفريسيين فلا صنعة له .

---

(١)الدكتور/ صبري محمد ثروت ـ الفرق والطوائف اليهودية القديمة والحديثة ص ١٥٧ .

(٢)الدكتور/ صبحي محمد صبري ـ اليهودية قديما وحديثا ص ٦٥ .

(٣)الدكتور/ محمد بحر عبد المجيد ـ اليهودية ص ١٤٤ ، ولست أدري سببا لرفضهم أن يكون الكاهن عالما ، لأن العلم يسمح بتوسعة المدارك والأفق ، بحيث يكون الكاهن غير مغلق ، وهذا من شأنه أن يرفع مستوى الكاهن ، ويمكنه من القيادة الصحيحة ، وما من قيادة علمية دينية إلا ويتحقق معها الكثير من الانتصارات.

(٤) الدكتور/ صبحي محمد صبري ـ اليهودية قديما وحديثا ص ٩٧ .

- الأخذ بالظاهر من النصوص ، طبقا لنزعتهم الظاهرية التي تقـوم علـى التيسير ، وبالتالي يسقطون من حسبانهم التلمود بنوعيـه ، تلمـود بـابل ، وتلمود أورشليم ، المشنا والجمارا .
- عدم الأبدية للأرواح ، كما لا بعث للأجساد ، لأن ذلك هو الاتجاه العام في النصوص ، أما ما ذهب إليه الفريسيون من وجود عذاب ونعيـم ، وحيـاة أخرى فذلك من تفسيراتهم المرفوضة عند الصدوقين .
- **أن العزير ابن الله وأنه الذي يحكم باسمه .**
- يعتقدون في تناسخ الأرواح ، بناء على أن الثواب والعقاب إنما يكونان فـي دار الدنيا ، حيث تقع المجازاة لكل إنسان على ما يفعل ، وهو علـى قيـد الحياة ، ورغم أن التناسخ الروحي فكرة مرفوضة ، ولا تساير الاتجاه العام في الشريعة الإلهية ، إلا أن البعض يلجأ إليها من باب الهرب[١]، وفي نفـس الوقت يعجز عن دفع المنقودات الموجهة إليها ، كما أنها باطلة فهي محرمة شرعا وعقلا وعرفا، والذين يؤمنون بها ، أو يعتقدونها ينفقون العمر فـي طلب المحال ، ويقضون على كل معنى سام أو نبيل في صدورهم ، وهـم كافرون بالله رب العالمين لإنكارهم البعث في الآخرة وهو معلوم من الديـن بالضرورة لأنه ركن من أركان الإيمان بالله رب العالمين .
- يرفضون فكرة القضاء والقدر ، التي ذهب إليها الفريسيون ، كما يرفضون الفكرة القائلة بأن الإنسان مجبر في بعض الأفعال ، وهم قد قبلوا ذلك حتـى يتناسب مع آمالهم وأحلامهم في الحرية التي تتعلق بها الإرادة الإنسانية [٢]، إنهم يرفضون كل قيد يحد من حرية أحدهم حتى لو كان ذلك القيد مما يمكن

---

(١) راجع كتابنا : أوراق منسية في النصوص الفلسفية حيث تعرضت لهذه الفكرة الساذجة ، وبنيت مسـلرها متى تعلقت بتناسخ الأرواح ، أما تناسخ الأجساد فالنزاع فيه منقطع بالقبول على أنه فكرة .

(٢)الدكتور/ صبحي محمد صبري ــ اليهودية قديما وحديثا ص ١٠٣ .

فهمه عن طريق الإيمان بالقضاء والقدر .

ولاشك أن رفض الإيمان بالقضاء أو القدر هو الكفر بعينـــه ، لأن القضاء والقدر من أجزاء العقيدة الإلهية ، ومتى أنكرها واحد أو رفض قبولها أو لم يذعن لما يجئ فيها ، فإنه يكون كافرا بدين الله رب العالمين .(١)

- يرفضون وجود أرواح خيرة أو شريرة ، وبالتالي فـــهم رفضـــوا وجـــود الملائكة والشياطين أيضا ، رغم أن النصوص التي في أيديهم وتمثل العـــهد القديم قد جاء فيها ذكر الشيطان الذي دخل جوف الحية وظـــل بـــها حتـــى خدعت المرأة وأكلت من الشجرة ، وكذلك في ذات الأسفار وجود الملائكـــة الذين جاؤا إلى إبراهيم وإلى لوط وغيرهم ، ومعهم إنسان الـــرب تـــارة ، والرب ذاته تارة أخرى ، فرفضهم الشياطين والملائكة يقضي تماما علـــى زعمهم في أنهم يتمسكون بالعهد القديم تمسكا حرفيا ، بل الأولى القول بأنهم يتمسكون بما يرونه ، ويرفضون ما لا يقبلون رؤيته .
- يرون ضرورة مقاسمة البنت لبنت الابن في الميراث ، أو تساويها معـــها ، كما تقاسم البنت أخاها في الميراث ، إذ ليس من المعقول أن ترث بنت الابن وتحرم بنت المتوفي ذاته ، كما أنه ليس مـــن المعقـــول أن ينفـــرد الابـــن بالميراث ، وتحرم أخته لمجرد أنه ذكر وهي أنثى(٢).

وهذه الرؤى قد اختلفت فيها آراء الكهنوت اليهودي ، وكان الصدوقيون يملكون إعلاء آرائهم وبالتالي تحقق الفوز لهم في مثل هذه المعارك التي كان

---

(١) راجع كتابنا : الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي حيث تعرضت للقضاء والقدر وعلاقـــة ذلـــك بالغيبيات والسمعيات .

(٢) كانت بعض الطوائف اليهودية ترى حرمان البنت من الميراث في نفس الوقت تسمح لابنة الابن فيه ، كما كانت طوائف أخرى ترفض مقاسمة البنت لأخيها في التركة حتى لا تنقل الثروة من بنت إلى أخرى وهي كلـــها اتجاهات عقلية فاسدة لا علاقة لها بشيء من شرع الله .

القتال فيها لا تقع فيه إراقة دماء .

- رفض التفسيرات والتأويلات التي يقوم بها العلماء ، مهما كانت درجتهم ، لأن أغلب هؤلاء العلماء قد ظهروا بين طبقات المجتمع في طفرات غير منضبطة ، بل أن بعضهم كان يحمل خطايا أهله ، الاجتماعية والأخلاقية ، فكيف نأخذ عنهم ، أو كيف نستقبل قضاياهم [١].

من ثم اتضح أن الصدوقيين كانوا يبحثون عن الحياة الناعمة المترفة ، **ولم يكونوا على استعداد أبدا لقبول الحياة القاسية أو الجافة ، كما لم يكونوا** على استعداد بقبول التقاليد الصارمة التي سارع إلى فرضها حكماء الفريسيين ورجال دينهم ، كما كانوا يمارسون التجارة بأنواعها ويسعون للمال مع الحرص عليه[٢].

كما أنهم لم يكونوا على استعداد لتقبل فكرى حياة بعد الموت ، والحساب في الآخرة على ما ارتكب الإنسان ، إنهم رفضوا كل التعاليم التي سعى الفريسيون لجعلها قاعدة عامة ، وآثروا الحياة الهادئة الوديعة الخالية من المشكلات ، وبناء عليه فقد كانت نظرتهم للنصوص الوثنية تخالف في الكثير ما عليه الفريسيون ، بل يمكن القول بأنهم كانوا على النقيض منهم تماما ، مما حدا بالفريسيين لإصدار أحكام قاسية على الصدوفين ، بل وشن العديد من الحروب الانتقامية عليهم ، ولكن الغلبة لم تكن لصالح الفريسيين المتشددين، وإنما كانت لصالح الصدوقين المتساهلين ، وهو ما يكشف العلاقة الوطيدة بين العقلية الإسرائيلية والرغبة الشديدة في العدوانية والدونية معا .

---

(١) الدكتور / صبري محمد ثروت — الفرق والطوائف اليهودية ص ١٦٢ وذلك مما يتمشى مع طبيعتهم الأرستقراطية ولذا فهم يرفضون العلماء ، وإن كانوا يأخذون عن الكهنة .

(٢) وقد سجلت أسفار العهد القديم كتابات مفسر به العديد من هذه المظاهر العدوانية التي دفعت الصدوقين إلى جمع المال والحرص الشديد على الاحتفاظ به .

وفي تقديري : أن فرقة الصدوقين — رغم أنها ظهرت في وقت متعـاصر مع فرقة الفريسيين — كانت رد فعل موقفى ، بدليل أن الفريسيين كانوا متشددين في كل شئ إلى حد المغالاة ، فظهر الصدوقيون متساهلين إلـى حـد التـهاون والتفريط ، بل وإلقاء النصوص الشفوية التي يتمسك بها الفريسيون ، كأنها لـم توجد أبدا ، كما أن كل الأفكار التي عمل الفريسيون على تقعيدها والتمسك بها ، وإدخالها إلى النصوص حتى تكون جزءا منها ، نظر إليها الصدوقيون على أنها عمل دخيل يجب العبادة تماما من العقلية الإسـرائيلية ، وإلقائـه بعيـدا عـن النصوص الوثنية .

في نفس الوقت ظهر الفريسيون قساة ، فيـهم غلظـة وعـدم اسـتجابة للاتجاهات الوجدانية ، وفي المقابل برز الصدوقيون على أنهم يمثلون الاتجـاه العلماني بين أفراد الجماعات الإسرائيلية ، إذ لم يكن في مقدر أحد معارضة مـا يقوم به الفريسيون دونا أن يلقى عقابا رادعا ، أما أن يقوم به أفراد يمثلون علية القوم فإن عملية الضغط عليهم تكون غير ذي جدوى ، وهو ما يعضد فكرة قيام هذه الفرق داخل الجماعات الإسرائيلية ، بناء على قاعدة المواقف المضادة .

وإذا كانت هذه الفرق قد استقطبت البعض إليها ، فإنها عجزت عن إقناعهم بالاستمرار بين تعاليمها ، بدليل أن هذه الفرق تلاشى بعضها كثـيرا ، وظـهر غيرها مما لا يحمل شيئا من ملامحها ، فكان ذلك الفعل بمثابة شاهد عيان على أن الفرق اليهودية على أن الفرق اليهودية غالبا ما تنشأ من خلال مواقف غـير صحيحة ، وفي نفس الوقت ، فإن غالبية أفكارها تكون مجهولة الأصـل فـاقدة الهوية ، وفوق ذلك فإنها تكون منعدمة القيمة الفعلية .

الفرقة الرابعة : الحسديون ــ المشفقون [١]:

وقد ظهرت هذه الفرقة قبيل مطلع القرن الثانى فيما قبل الميلاد ، ويطلــق عليها في العبرية اسم فرقة المشفقين ، وهي فرقة غير الفرق اليهودية الأخرى ، إنها تختلف عنهم في اعتقاداتهم ، كما تختلف عنهم في العبادات والأنظمة بجانب التقاليد ، ومن ثم فهي لا ترتبط باليهود إلا من ناحية الجنس الإسرائيلي حيــث كان أفرادها من ذات الجنس ، وقد انقرضت خلال ثلاثة قرون على الأكثر .

أهم اعتقاداتهم :

ظهرت لهذه الفرقة العديد من الاعتقادات بعضها ظل يعلــوا فــي نفــوس أصحابه ، بينما البعض غلب عليه التلاشي ، ومن ثم فسأعرض لأهم اعتقاداتهم على النحو التالي :

- في العبادات : تحريم الأضحية والقرابين البشرية والحيوانية [٢]، مع أن هذه المحرمات عندهم من أصول العبادات عند الفرق اليهودية الأخــرى ،كمــا تكثر أعمال النظافة في شعائرها ومنها الغسل والوضوء،والاستعداد للأعمال المتعلقة بالأضحية والقرابين وليس القيام بذات الأضحية والقرابيــن لأنــها محرمة.[٣]كما يقرر سفر الخروج ان الإله الإسرائيلي يستفيد مــن الضحايــا التي تقدم له ، وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من شــوائها ، كمــا أن إلههم لا يكتفي بالقرابين الحيوانية،وإنما يطلب منهم أن يقدموا أولادهم ضحايا

(١) ذكر الدكتور على عبد الواحد وافي أن كلمة الحسديين مأخوذة من كلمة حسد يم بمعى المشفقين فاليــاء والميم علامة الجمع في العبرية ـــ الأسفار المقدسة ص ٥٨ .

(٢)الدكتور / بدوي محمد بدوي ـــ اليهود والأسفار ص ١٢٥ .

(٣)العهد القديم ـــ سفر اللاويين ، وقد ذكر ذلك في استفاضة وتفصيل يمكن التقاطه بسهولة ويسر .

محرقة للرب حتى يرضى[١] .

- في النظم والتشريعات الإنسانية ، تقرر مبدأ المساواة بين الناس في الإنسانية المشتركة ، وتحرص على التعايش السلمي بين جميـــع شـــعوب الأرض ، فصارت من هذه الناحية قريبة الشبه بالصدوقين وفي هذا الاتجاه وحـــده[٢] وليست كما تزعم الطوائف والفرق اليهودية من وجود حق الامتياز لهم على غيرهم من بقية أفراد الجنس العبري .
- في العلاقات الدولية : تسعى لإلغاء الحروب وأسبابها ، حتى يعيش العـــالم الإنساني في سلام ، ومجانبة الإضرار بالخلق ، لأن ذلك يترتب عليه وجود حروب وخراب ودمار ، وينشأ عنه تشويه أفراد ، وبتر أعضاء ، وزيـــادة أعداد العاطلين[٣].
- كما تعتقد ضرورة مراعاة الصدق والأمانة،بجانب الوفاء بالعهد،حيال جميـع الناس سواء أكانوا إسرائيليين ، أم غير إسرائيليين ، وفـــي نفـس الوقـت يرفضون طرائق الكسب الغير سليم ، كما يرفضون ابتزاز الناس،واستغلال عوزهم سواء في التعامل مع الإسرائيلي،أو غـــير الإســرائيلي[٤] ، وهـذا يخالف الفرق اليهودية الأصلية لأن نظمها تقوم على التفرقة العنصريـــة ، وتبيح لأفرادها في علاقاتهم ومعاملاتهم مع غير اليهودي مالا تبيحـه فـي علاقاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع البعض .

---

(١)العهد القديم ـــ سفر الخروج ٢٩ / ٧ ـــ ٤٣ .

(٢) وغايتهم من ذلك تحويل اليهودية من ديانة خاصة انقضى أمرها إلى ديانة عالمية يجب أن يمتد أثرهـــا ، أو تحويل المجتمعات الإنسانية إلى مجتمعات علمانية ، لا مكان للدين فيها ، ولا في نفوس أفرادها .

(٣) وبالتالي حاولوا إلغاء الجهاد كحقيقة واقعية وتحويله إلى فكرة إنسانية .

(٤)أنهم يشبهون إلى حد كبير الأفكار التي يدعوا إليها أصحاب المدن الفاضلة ، ولذا يمكن اعتبارهم أصحـاب الخيال الواسع .

- كذلك يعتقدون ظلم الإضرار بالخلق ، وعدم الإيذاء لأي إنسان،حتى لو كان ذلك لتربيته ، وتعويده الامتثال والطاعـــة ، ومـــن ثـــم فـــهناك ضـــرورة أخلاقيـــة تدفع إلى العدل [1]،ويترتب على ذلك ضياع الأسس الصحيحـــة للتربية السليمة ، لأن النفس تحتاج إلى ضابطَ لها ، والطفل يحتاج إلى مرب فاضل،حتى لو احتاج الأمر إلى تأديبه أدبه بالطريقة التى يراها مجدية معه.
- يعتقدون أن الحرية يجب أن تسود الحياة ، ومن ثم فـــهم يحرمـــون الـــرق ويحظرون أن يتملك إنسان آخر ، كما يرفضـــون حرمـــان أي فـــرد مـــن حريته[2] بينما هناك فرق يهودية تعلن ضرورة قيام النظام الاجتماعي علـــى الأحرار والعبيد ، كما أن أسفارهم قد نظمت الرق وأحكامه ، ودعمت ذلـــك بنظام ثابت[3] .
- يعتقدون تحريم الملكية الفردية،ويوجبون أن تكون جميع الملكيات جماعية ، وحتى تكون على طريق واضح ، فقد طبقوا ذلك فى أفرادهم الذين اعـــتزلوا المجتمع الإسرائيلي في هذا الوقت،وعاشوا حول شاطئ البحر الميـــت[4] ، وذلك مكن لهم من الاستفادة الكاملة بجميع ما تحت أيديهم من منقـــولات ، وملابس ، وأطعمة وأمتعة ، إذ أنهم اعتبروا ذلك ملكية جماعية شائعة،يحفظ ما يزيد عن الحاجة في مخازن عامة مملوكة للجميع أيضا ، ويشرف علـــى

---

(١) ولاشك أن العدل على هذا المفهوم عدل ناقص ذميم ، لأن العدل في مفهومه الصحيح يقتضـــي معاقبـــة المذنب ، وإثابة العاصي ، وعدم الضرب أو الإيذاء في العدل يعتبر مخالفة أخلاقية ، وبالتالي فهم هدموا المبـــنى الذي ظنوا أنهم أقاموه .

(٢) وبالتالي فهم يرفضون إقامة دور الإصلاح والتهذيب ، ومن ثم فإذا أخطأ إنسان ما ، لا يمكنهم معاقبتـــه لأن المعاقبة حرمانا له من حريته وهو ضلال مبين .

(٣)الدكتور على عبد الواحد وافى — قصة الملكية في العالم ص ٥٣ / ٦٠ الطبعة الثانية .

(٤) وفي هذا دعوة لنشر الشيوعية أو المشاعية ، ومن ثم تظهر الرغبة الشديدة في إعادة الأنظمة الاجتماعية إلى مظاهر البداوة الأولى وليس إلى الحضارة المتقدمة .

إدارة شئون هذا المخزن العام وتوزيعه حراس،يختارون من بين أفراد هـذه الفرقة ، بطريقة الانتخاب العام المباشر(١) ، وهم متفرغون تماما لأعمـال وظيفتهم هذه .

وادخلوا في الملكية العامة المنازل ، والأراضي الزراعية،والحيوانـات أيضا ، إنها ملكية عامة على كل ناحية ، ومن ثم طالبوا بأن تكـون كـل البيوت مفتوحة أمام الجميع من أفراد هذه الجماعة ، سواء أكان من سـكان ذلك المكان ، أم كان وافدا عليهم ، ولكن تبقى مشكلة وهي هل يعتبر فتـح البيوت أمام الجميع حقا من الحقوق الذي ينظمه الأفراد ، أم حق للجماعـة ينظمه رئيس الفرقة ، وماذا لو لم يفتح آحاد الناس باب بيته ، وهل نجحت هذه الفرقة في اقتلاع البخل من النفوس .

يقرر الدكتور على عبد الواحد وافي ، أن هذه الفرقة يمكـن اعتبـار سلوكها في شئون الاقتصاد من اقدم المذاهب الشيوعية في العالم ، كـما يعتبر اتباعها من أقدم المجتمعات الإنسانية التي أخـذت بـهذا المذهـب وطبقته في حياتها بالفعل ، وهو على عكس ما تمارسه الفـرق اليهوديـة الأخرى ، التى كانت تجيز الملكية الفردية الخاصة ، وتحيطها بسياج مـن الحماية ، وقد خصص لأحكام الملكية الفردية ، وطرق انتقالـها وحقوقـها وواجباتها حيز كبير في أسفارهم (٢).

- كما يعتقدون تحريم العمل بالتجارة،لما تجلبه للنفوس من جشع،وحرص على جمع المال،والجنوح إلى ابتزاز الناس ، يستوي في ذلك التجارة في الأغذية

---

(١) وهي نفس الأفكار التي دعا إليها أفلاطون في مدينته الفاضلة ، كما حرص عليها فينارون في روايته الأدبية

(٢)الدكتور / على عبد الواحد وافي ـــ الأسفار المقدسة ص ٦٠ وقصة الملكية في العالم ص ٤٨، ٤٩ .

والأغطية،أو في الطعام والدواء ، أو في وسائل الدفاع [١]، وكذلك يحرمون صناعة الأسلحة والذخيرة،وسائر آلات الحرب لتنافر الغاية التي تقصد من هذه الصناعات ، مع أهم مبادئهم ، وهو أن يعيش الناس في سلام دائم .

- يعتقدون تحريم الذهب والفضة في الاستخدام والتعامل ، لما يبعث كل منهما في النفوس الضعيفة من شعور بالزهو،والفخر،وما يحملان من جشع وشح[٢] وفي نفس الوقت فان امتلاكها واستخدامها يجلب التعاسة لغير القادرين عليها.
- يعتقدون ضرورة الاشتغال بالزراعة والصيد والرعي وما يحتاج إليه في ممارسة أي منها ،ولا مانع من قيام بعض الصناعات على الزراعة والرعي والصيد،ولكن هذه الصناعات لا تتجاوز الحدود المسموح بها لذات الصناعة يقول الدكتور وافي : وهي في ذلك تختلف اختلاف جوهريا عن سائر فوق اليهود ، فقد كان من أهم مظاهر النشاط الاقتصادي لهذه الفرق نحو شئون التجارة ، وصناعة السلاح ، التعامل بالذهب والفضة ، بل لقد كانت هذه الفرق اليهودية تنظر إلى هذين المعدنين ــ الذهب والفضة ــ نظرة تقرب من التقديس [٣].
- يعتقدون حرمة الزواج،ويوجبون على الرجال التبتل،والبعد التام عن النساء، ومن ثم فان هذا سيؤدى إلي القضاء إلى ذات الطائفة ، لأن امتداد النسل

---

(١) وبالتالي يسعون لتوجيه هذه الأموال نحو المصالح العامة وإنفاقها فيها ، وهي نظرة مقبولة لو أمكن تطبيقها في أرض الواقع .

(٢)الدكتور على عبد الواحد وافي ــ الأسفار المقدسة ص ٦٠ / ٦١ .

(٣)الدكتور / على عبد الواحد وافي ــ الأسفار المقدسة ص ٦٠ .

يكون من خلال الزواج [١] ، وإلا فالبديل هو ممارسة الأعمال المحرمة كالزنا وغيره .

ويذكر الدكتور / وافي أن هذا الاعتقاد يخالف ما عليه الفرق اليهودية الأخرى ، التى ترى أن الزواج واجب دينى،لكل قادر عليه ، وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه ، لا يقل جرمه عن القاتل ، لأن كليهما على حد تعبيرهم يطفئ نور الله وينقص ظله في أرضه ، ويبعد رحمته عن إسرائيل ، بل لقد رأى بعض فقهائهم أن من بلغ العشرين وهو أعزب ، يجوز للقضاء الإسرائيلي أن يرغمه على الزواج (٢) .

- تطالب بالتقشف والزهد والبعد عن جميع متع الجسم ، ومن ثم فهي ترفض ما يتعلق بالحياة الفردية ، من الترف والحياة الناعمة،وتنظر إلى ذات المتع باعتبار أنها تجلب الشرور على أصحابها ، وبالتالي فهي تحرم شرب الخمور وأكل اللحوم ، وتوجب الاختصار على الأغذية النباتية ، وهذا ما يؤكد أنهم كانوا نباتيين طبقا لطبيعتهم في الأعمال المهنية من الزراعة ، والرعي ، والصيد .

يقول الدكتور/ وافي: من هذا يظهر أن هذه الفرقة تخالف في معظم ما تذهب إليه تعاليم العهد القديم والتلمود ، على الرغم من أنها تعتبر نفسها ويعتبرها المؤرخون من فرق اليهود .

والحقيقة أنه لا يربطها ببقية الفرق اليهودية إلا رابطة الجنس ، لأن أفرادها كانوا من بني إسرائيل ، ولم تعمر هذه الفرقة طويلا ، فقد انقرضت

---

(١) والله سبحانه وتعالى بين ذلك في قوله جل شأنه :" والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون" سورة النحل آية ٧٢

(٢)الدكتور على عبد الواحد وافي ـــ قصة الزواج والعزوبية فى العالم ص ٥ ، ٦ ، ٥٥ وكذلك الأسفار المقدسة ص ٦٠ .

أواخر القرن الأول الميلادي، أي أنها لم تعش إلا نحو قرنين أو ثلاثة قرون[١]
والقراءة المتأنية لهذه الأفكار تؤكد أن هذه الفرقة أدخلت إلى اليهودية إدخالا بعيدا ، بل يغلب على ظني أنها ألقيت عليهم من فوق الرؤوس ، بغوض تحسين شئ من الوجه القبيح ، الذي عرفت به اليهودية ، في كل أشكالها،وعلى طول تاريخها ، كما يغلب على تقديري أن هذه الأجزاء الاعتقادية ، لدى طائفة الحسنديين ، إنما هي جملة من الفصول المتناقضة ، ومجموعة من الاقتباسات التى حملت بعض البذور الإغريقية والصينية ، ثم المصرية القديمة ، مما يؤكد أنها أفكار غير كاملة ، أو لا تعبر عن فرقة ، يمكن اعتبارها يهودية ، أو تقبل الانضمام إليها، بقدر ما يمكن اعتبار هذه الأفكار خليطا غير متساوي الاتجاهات ويحمل الكثير من الثقافات المتباينة .

المجموعة الثانية : فرق ما بعد الميلاد :

وأقصد بمفهوم ما بعد الميلاد ، المدة التي تلت ميلاد سيدنا عيسى بن مريم رسول الله لبني إسرائيل ، حيث اختلطت الاعتقادات الوثنية بالاعتقادات الإسرائيلية ، ولم يعد بالإمكان التفرقة بين هذه وتلك ، ومن أبرز الفرق التي ظهرت ووقف عليها أهل البحث في الفرق والملل سبعة ، تبعا للترتيب التاريخي الزمني وهم : ١ ــ العنانية ٢ ــ الاسينيين ٣ ــ العيسوية ٤ ــ اليودعانية ٥ ــ السيرنيوسية ٦ ــ البنيامينية ٧ ــ الأكبرية ، وهاك ما أمكنني الوقوف عليه بشأنها .

---

(١) الدكتور / على عبد الواحد واق ــ الأسفار المقدسة ص ٦١ .

الفرقة الأولى : العنانية ــ القراؤن :

هم أتباع عنان بن داود رأس الجالوت [(١)] ويطلق عليها أيضا العنانيــة [(٢)] وعنان بن داود رأس الجالوت هذا كان أحد علماء اليهود في بغداد أواخر القرن الثامن بعد الميلاد ، في عهد الخليفة العباسي أبى جعفر المنصور [(٣)] أى بعـد نشأة اليهودية بنحو عشرين قرنا ، ومن ثم فهى أحدث الفرق جميعا .

وقد تركزت هذه الفرقة في العراق ومصر ، كما ظهر بعض أفرادها فـي طليطلة وكلبيرة من بلاد الأندلس ، وما يزال لهذه الطائفة أتباع كثـيرون مـن العنصر اليهودي يقيمون بمختلف البلاد في الوقت الحاضر، نظرا لقدرتهم علـى الانخراط في الناس [(٤)]، ولا يوجد بينها والفرق اليهودية الأخرى أى نوع مـن التعاون ، إنها بالنسبة لهم أقرب الأشباه إلى الأعداء المتناحرين من الأصدقـاء المتعاونين ، ومن ثم تظهر بينهم اختلافات جوهرية،في أصول الاعتقادات التـي يتمسكون بها .

أهم اعتقاداتهم :

١ ــ تقديس التوراة ــ العهد القديم ــ وحدها ، وإهمال التلمود والشروح التـى قام بها الآباء حول العهد القديم ، والتلمود أيضا ، ومن ثم يكونون متأثرين بفرقة السامريين الذين يعلنون تمسكهم بالتوارة،وإنكار ما عداها ، في نفس الوقت فإنهم

---

(١) الإمام المقريزى ــ الخطط ج ٤ ص ٣٨٤/٣٨١ وذكر أن رأسها ومنشئها يسمى عنان بن داود،ويطلـق عليها اسم القرائين نسبة إلى مقرا بمعنى الكتاب أو المكتوب وهى الكلمة التى كانت تطلق عند اليـهود علـى أسفار العهد القديم بمعنى القرائين المتمسكين بالكتاب وحده،وبالتالي فهم يعلنون تمسكهم بأسفار العهد القـديم ومدها كالحال مع طائفة البروتستانت في المسيحية التي تتمسك بالكتاب المقدس وحده دون اعتبار لشئ آخر .

(٢) يذكر الإمام ابن القيم أنهم أتباع عانان وبنيامين وهم اليهود القراؤن ، لكنهم غير العنانية ــ ابن القيـم إغاثة اللهفان ج ٢ ص ٣٢٧ .

(٣)حيث كانت خلافته ما بين ٧٥٤م إلى سنة ٧٧٥ بعد الميلاد قرابة واحد وعشرين عاما .

(٤)الدكتور / على عبد الواحد واف ــ الأسفار المقدسة ص ٦١ .

يتفقون مع الموشكانين من اليودعانية ، في رفضهم إمكانية تفسير التوراة من خلال التلمود الذي يعتبرونه ممثلا لآراء الذين ألفوه،ولا يمثل الديانة اليهودية[١].

ولاشك أن التمسك بالعهد القديم وحده قد سبقهم إليه فرق يهودية كالصدوقين الذين يعترفون بالعهد القديم وحده ، ويرفضون الأحاديث الشفوية المنسوبة إلى موسى ، وبالتالي فلا يعتبر موقف القرائين في هذه المسالة جديدا ، وإنما هو رجع صدى لما ذهب إليه البعض من الفرق اليهودية المنقرضة [٢] .

٢ ــ إمكانية تفسير التوراة وحدها من خلال العقل ، وبالتالي فهم يفتحون باب الاجتهاد العقلي ،ولكنهم لا يسمحون به لكل أفراد الشعب ،وإنما لأفراد قلائل يتم اختيارهم من قبل الجماعة نفسها ، بعد عقد امتحانات خاصة ، ويطلقون على هؤلاء المجتهدين اسم الأحبار ، كما يطلقون عليهم اسم الربانيين[٣]باعتبار أنهم الذين يتمكنون من فهم وتفسير التوراة ، ومن ثم فمفهوم الربانيين عندهم يختلف عن مفهوم الربانيين لدى طائفة الربانيين أنفسهم .

وهم بهذا يتلاقون مع طائفة الصدوقيين الذين يمثلون الطبقة الأرستقراطية في اليهودية ، كما يمثلون الاتجاه المتحرر ، وهم الذين يطالبون بأعمال العقل في فهم النصوص ، وبالتالي يفتحون باب الاجتهاد الفكري من غير اعتبار لشئ آخر ، فكانت طائفة القرائين هذه تأخذ من أفكار الصدوقين ، بحيث يمكن القول بأنهم قد تأثروا بهم كثيرا .

٣ ــ اعتبار التلمود جملة من الأفكار الشخصية التى تعبر عن توجهات أصحابها ، ولا علاقة لها بالشريعة اليهودية ، ومن ثم رفضوا التلمود لا على

---

(١) وهذا يكشف عمق الخلافات القائمة بين الفرق والطوائف اليهودية التي تكفر بها بعضها البعض الآخر .

(٢) الدكتور فوزى محمد ثروت ــ اليهودية فرق وأسفار ص ١٨٣ والدكتور على عبدا لواحد وافى الأسفار المقدسة ص ٦٢

(٣)الدكتور / توفيق عبد العظيم البدري ــ دراسات في اليهودية ص ١٤١ الطبعة الأولى ١٩٥٦م .

أنه تعاليم شفوية أنزلها الله على موسى بن عمران ، وإنما على أساس أنها أفكار شخصية تمثل آراء مجموعة من المفكرين اليهود القدماء[١] ، وهم بهذا يتلاقـون مع غيرهم كالصدوقين والسامريين ، أو أن غيرهم تأثر بهم في هذا الاتجـاه ، ولا مانع من القول بأنهم تأثروا بغيرهم ، واثروا فيمن جـاء بعدهـم ، بنفـس المفاهيم والأفكار .

٤ ـ يعتقدون أن عزير ابن الله على الحقيقة ، مخالفين بذلك الكثير من الفـرق اليهودية الأخرى ، وبخاصة الربانيين الطائفة التى ما يزال لها أنصار إلى يومنا هذا ، ويذهب جورج ماكسيم إلى أن القرائين كانوا صيحة فـي آذان اليهوديـة النائمة ، وكانت غايتهم إيقاظ همم هؤلاء النائمين ولكنها لم تفلح نظرا للتعصـب الذي واجهتها به الطوائف الأخرى ، والسلطات الحاكمة [٢].

٥ ـ يقتصرون في مطعمهم ومشربهم على أكل لحوم الطير والظباء والأسـماك كما يذبحون الحيوانات من القفا [٣] مخالفين في ذلك سـائر الفـرق اليهوديـة الأخرى ، كما يخالفون الطوائف النباتية التى تحرم أكل اللحوم جميعـها ، ولا يحلون إلا أكل النبات .

٦ ـ ضرورة مخالفة التشريعات التى قررها الربانيون الأوائل ـ الفريسـيون مستندين في ذلك إلى أنها قامت على أسفار التلمود ، وهم ينكرون التلمود كله .

٧ ـ يسمحون بالاجتهاد الفكري في الأصول والفروع ، ومن ثم سمحوا لأنفسهم في استنباط الأحكام التشريعية من هذه النصوص في اتجاهات كثيرة ، وذلك قد

---

(١) وهم بذلك يرفضون فكرة تقديس الآباء اللاهوتيين مخالفين بذلك بعض الطوائف اليهودية الأخرى .

(٢)الدكتور فوزي محمد ثروت ـ اليهودية فرق وأسفار ص ١٨٨ .

(٣)الإمام الشهرستاني في الملل والنحل ج ٢ ص ٢٠ وابن حزم: في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٧٨ .

يسمح لهم بتقرير أحكام تتعارض مع نصوص صريحة لأسفار العهد القديم [١]، وكانوا يتمسكون بشعار سيريتوس الذي يقول فيه أتركوا تعاليم التلمود لأنها غير صحيحة [٢].

٨ — حرموا زواج العم من ابنة أخيه ، وتحريم زواج الخال من ابنة أخته ، وكان هذا الزواج قائما في نصوص العهد القديم [٣]، وجاءت في العهد القديم حالات زواج كثيرة بين العم وابنة أخيه ، وزواج الخال من ابنة أخته ، إلا أن هذه الفرقة خالفت ذلك وحرمته .

٩ — ضرورة التسوية في الميراث بين الأبناء والبنات ، فلا توجد تفرقة بين الرجل والأنثى ، لأنهما معا من نوع واحد ، هو آدم وحواء[٤] ، وإذا كان الرجل يتحمل الكثير من النفقات ، فإن الأنثى هي الأخرى تشاركه نفس المسألة ، بل يتعلق الإنفاق بالأنثى ، والاحتياج إلى ذلك يكون أكثر .

وبالتالي فهم قد تأثروا بآراء الفرقة الصدوقية التي دافعت عن المرأة في الميراث ، وحاولت الدفاع عنها في الأحوال الشخصية ، ثم فتحت الباب قليلا لمن يأتي بعد ، بحيث يعمل على إيجاد موازنة بين النصوص والتشريعات اليهودية حتى تحصل المرأة على جزء من حقوقها المشروعة ، ولا تظل مجرد حيوان في صورة آدمي ، مهمتها الحمل والإرضاع والطهي والجماع .

١٠— طالبوا بمنع الزوج من ميراث زوجته ، على أساس اختلاف الجهات ، ومعنى ذلك أن الزوج والزوجة إذا كانا من فرقة واحدة ، فلا مانع من التوارث بينهما ، لكن على أن تكون الزوجة هي الوارثة ، وليس الزوج،وفي هذا انتصار

---

(١)الدكتور / على عبد الواحد وافي — الأسفار المقدسة ص ٦٢ .

(٢)الدكتور/ محمد علي السكري — اليهود والتلمود ص ٣٥ ط ثانية ١٩٥٥ م .

(٣)الدكتور/ فوزي محمد نصر — التشريعات اليهودية ص ١٤٧ ط أولى دار مراد ١٩٧١م .

(٤)الأستاذ / ذكي محمد درديري — اليهود والتشريعات الجديدة ص ٢٥٣ ط ثانية ١٩٤٥م .

للزوجة[١] ، ثم إنهم خالفوا باقي الفرق اليهودية في المعاملات والأحوال الشخصية ، والميراث،والمواسم،والأعياد ، وهم في جملتهم أقل عددا من اليهود الربانيين — الفريسيين — الذين يمثلون الاتجاه الثاني القوي ، الذي مازالت له أصداء حتى الوقت الحالي .

كما يخالفون اليهود في السبت ، والأعياد ، وفوق ذلك فهم ينظرون إلى الكتب التي بأيديهم على أنها وضعت لمجرد القراءة[٢] ، ولم توضع لشئ آخر ، ومن ثم رفضوا أن تكون هذه الكتب قد قصد بها العظة والاعتبار .

ويذهب الشيخ الاسناوي إلى أنهم تصوروا آلهتهم المتعددة بالصور التي طافت بخيالاتهم ، أو جاء عنها تصوير من نوع ما في الكتاب المقدس ، وهم فوق ذلك يزعمون أنهم لم يتعدوا شرائع التوراة ، وإنما يتمسكون بما فيها ، وما جاء في كتب الأنبياء ، وفوق ذلك فإنهم متبرؤن من أقوال الأحبار حيث لا يعتدون بها ، وإنما يكذبونهم فيها .[٣]

بيد أن اعتقاداتهم في مجملها تقوم على فكرة تعدد الآلهة وتجسيدها في الأشكال الحيوانية أو الجمادية أو الإنسانية التى جاءت بعض ملامحها في العهد القديم ، وظلت هذه الفرقة لا يسمع لها صوت قرابة ستمائة عام ، ثم ظهرت في بغداد حوالي القرن الثامن الميلادي ، في خلافة مروان بن محمد الحمار آخر خلفاء بني أمية ، وقد نتج عن هذه الفرقة فرقة أخرى عرفت باسم الاسينين التى

---

(١)والمؤسف له أن التأمينات الاجتماعية في مصرنا الإسلامية تسير على هذا الخط فتعطي المرأة معاش زوجها إن مات ، ولها حق الجمع بين معاشها ومعاش زوجها ووالدها وابنها ، أما الرجل فيحرم من ذلك كله ، وإني على يقين من ضرورة إيجاد تشريعات تسمح للرجل بمعاش زوجته ، حتى وإن كان عاملا أسوة بتشريع المرأة ، فالعدل يقتضي التوازن .

(٢)وبالتالي تسقط هيبتها ، كما تسقط معها قداسيتها ، لقد صارت كأنها قطع من الأثاث القديم يحتفظ بها للتراث.

(٣)الشيخ محمد عبد العظيم الاسناوي — نظرات في الملل والنحل ص ١٨٣ الدار الجديدة ١٩٣١م.

كانت لها اتجاهات فلسفية ، اتصلت ببعض التعاليم التى امتزجت فيها الرواقية ، والنصرانية ، كما ظهرت فيها الوثنية وكان الاسينيون يقيمون حول البحر الميت .[١]

الفرقة الثانية : الأسينيون :

يذهب البعض إلى أنها انسلخت من فرقة العنانية في القرن الثاني بعد الميلاد[٢]، ويذهب آخرون إلى أنها ظهرت قبل الميلاد بقرنين ، على أساس أن أقدم حديث عنها ، إنما يرجع إلى أسرة المكابيين الحشمونين ، حيث كان للأسينيين وجود في عهد الأمير الحشوني يوناثان ١٦١ ـ ١٤٨ ق .م[٣]ومن ثم فإن الرجوع بها إلى التاريخ لما قبل الميلادي ، محل نظر من الدارسين ويحيط بها الكثير ن الشكوك .

لكن الواضح أن تاريخ هذه الفرقة غامض جدا ، كما أن المناهج التي تعتمدها يحيط بها الغموض على أكثر من ناحية ، وفوق ذلك فإن سلوكيات أصحابها هي الأخرى لم تبتعد عن هذه القضايا من ناحية الحكم عليها بالغموض أيضا ، ومن الملاحظ أن هذه الجوانب الغامضة كانت مقصودة على الأقل من جانب الأسينيين أنفسهم ،حتى عدهم البعض كإخوان الصفا في عدم القدرة على معرفتهم ، وضبط سير أصحابهم[٤]، إذ لم يكن لدى أصحاب هذه الفرقة شئ من

---

(١) راجع في هذا الشأن للشيخ عطية الشوادفي ـ دراسات في التوراة ص ٦٣ ولابن حزم الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٩٨ ولعمر عنايت تاريخ الإسرائيليين ص ١١٨ .

(٢)الدكتور/ محمد المهدي حسن سليمان ـ العقائد وتطوراها ص ٢٨٧ وراجع للدكتور / علي عبد الواحد وافي ـ اليهود واليهودية ص ١٢٥ .

(٣)الدكتور/ حسن ظاظا ـ الفكر الديني الإسرائيلي ، أطواره ، ومذاهبه ص ٢٦٨ / ٢٦٩ .

(٤)راجع ما كتب عنهم ـ ومن ذلك إخوان الصفا لسعيد زايد ، وإخوان الصفا وخلان الوفا للسيد محمد عبد الكريم ، وقد عدهم البعض من أصحاب الأصول الغامضة .

الرغبة في الإفصاح عن أنفسهم ، وهي السمة التي غلبت على اليهود أبان فترة السبي والشتات أيضا .

ربما كانوا يأخذون بمبدأ التقية القديم ، وربما كانوا يتعلقون بنصائح سولون الذي كان يدعو إلى إخفاء الحقائق عن الآخرين ، حتى يخدعهم في قضاياهم ، ولعلهم استلهموا ذلك من سلوكيات المفكر اليوناني أنطونيوس ، الذي أخفى كل شئ حتى إذا اكتمل بناؤه الفكري ، عبر عنه في جملة من القضايا التي أبانت عن جدته ، ومنهجه البحثي ، واتجاهه العلمي[1]، مما جعله ينال العظمة والاحترام معا .

لقد حرص الأسينيون على إخفاء ما يتعلق بهم عن الآخرين ، وكأنهم خلايا سرية ، وقد تصوروا من ذلك البقاء في الظل حتى يشتد الساعد ، وتقوى السيقان ثم بعد ذلك يظهرون للعالم مكتملي الأطراف والأهداف والغايات ، وحينئذ يفرضون على الآخرين اتجاهاتهم الفكرية ، بل ويجبرونهم على اعتقاد آرائهم ، الدفاع عنها ، بعد تثبيتها .

ومن ثم فأقرب الآراء فيهم أنهم عبارة عن مجموعة من اليهود ، كانت تعيش حياة الزهد والتقشف والرهبنة ، معتمدة على مجهودات أفرادها الذين يكرسون أغلب أوقاتهم في التأمل والعبادة ، بجانب الانعزال عن المجتمع الذي كانوا يعتبرونه غير صحي ، والاتصال به ، أو الانخراط فيه يؤدي إلى تلوث الروح أيضا [2]، وحيث كان الأسينيون أصحاب روح مغامرة إلى الداخل تارة ، والخارج أخرى ، فقد عمدوا إلى الابتعاد عن الناس قليلا ، والاعتماد على الانعزالية في كثير من الأحيان ، على أساس أن الثقة طالما كانت متبادلة ، فإن نتائجها تكون مقبولة ، أما إذا كانت الثقة مفقودة فإن النتائج السلبية هي التي

---

(١) الدكتور/ فخري محمد ململوم ـــ دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٧١ ط أولى ١٩٦٥ بالإسكندرية .

(٢) الدكتور/ محمد بحر عبد المجيد ـــ اليهودية ص ١٤٤ ، وفيه نماذج عديدة تكشف عن طبيعة هذه الفرقة .

تسود ، وتكون لها السيطرة على غيرها .

وهذه الفكرة الانعزالية غلبت على أعضاء هذه الفرقة ، حتى جعلتهم يفقدون الثقة في المجتمع ومعتقداته ، وتصرفاته تعتبر نواة للجماعات الانعزالية التي جاءت بعد ذلك، حيث تلجأ جماعة أو جملة من الأفراد إلى الابتعاد عن المجتمع وتأبى الانخراط فيه ، كما تطلق العديد من الأحكام العشوائية في مواجهته ، أو على الأقل تعمل جادة في إبراز خروج هذا المجتمع على الدين ، والقيم والأخلاق ، والقضايا التي يعتبر المساس بها، أو الحديث عنها من الأمور الهامة التي تدفع الناس إلى بحثها ، والكشف عنها .

وقد تتمادى هذه الجماعات ، أو هؤلاء الأفراد في إصدار الأحكام العشوائية وتغالي فيها ،حتى تسم أفراد المجتمع بالكفر، وتصف أغلبه بالانحلال ، ولا مانع من صنع روايات هزيلة،أو تدمج قصص خيالية،أو انتحال صفة الغير بغية النيل من المجتمع كأفراد،أو القيادة السياسية كاتجاه عام[١]،وهم في هذه المسائل سواء.

بيد أن الأسنيين كانوا متزمتين إلى حد بعيد ، إذ كانوا يرفضون الحديث عن أفكارهم مع من لا يثقون فيه، كما كانوا يقدسون إله إسرائيل التوراتي ، كما يرفضون الحديث عن هذا الإله الإسرائيلي إلا من خلال النصوص ذاتها ، بل الأكثر من ذلك أن انقطاعهم للعبادة والتأمل ، واندفاعهم للعزلة الشديدة عن الناس ، لم يتح لهم فرصة المشاركة في الأمور المعيشية ، ولا الحياة العامة ، فأدى بهم ذلك إلى احتقار الآخرين الذين بادلوهم نفس المشاعر[٢].

---

(١)الأستاذ/ يوسف العظم — الإعلام ومشكلاته ص ٣٢٣ ط أولى بالأردن ١٩٧٣م ، حيث يرى أن من مشكلات الإعلام ظهور الجماعات الانعزالية التي تعمل على القصاص من المجتمع بعد تجريده من صفاته الأساسية ، وتحويله إلى مجتمع طاغوتي لا مكان للإله فيه .

(٢)ولاشك أن هذه الأحوال قد تظهر مثيلاتها في بعض المجتمعات الشرقية ، خلال بعض الفترات التي يكون الحكم فيها فرديا سلطويا ثم ينتهي هذا الحكم وتتاح للبعض حرية التعبير عن آرائهم .

على كل راحت هذه الفرقة تغالي في اعتقاداتها ، وتغالي في ســـلوكياتها ، كما اندفعت إلى الشرائع التي تمارسها فأقامتها على الصور القاتمة الســـوداء[١]، بغض النظر عن كونها توافق الجماعات اليهودية الأخرى ، أم تخالفـــها ، إذ لا عبرة بالموافقة أو المخالفة ، مادام المجتمع قد صار ملوثا ، والأفكار التي تجري فيه إنما هي نضحة .

أهم اعتقاداتهم :

- رفض الاحتفال بيوم السبت في المعابد ، واعتباره من الطقوس التـــي يمكـــن القيام بها في غير المعابد التي يقف اليهود عندها ، ويلجـــأون إليـــها حتـــى يقوموا بهذه الطقوس فيها ، لأن الطقوس اليهودية لم تنـــل مـــن الأســـينيين القبول ، كما أنها قائمة على أفكار وممارسات غير صحيحة ، وفوق ذلـــك فإن الممارسين لها جملة من اليهود الملوثين فكريا ، واعتقاديا ، وسلوكيا[٢]، وبذلك نازعوا اليهود في كافة الفرق ، ومن كل الطوائف .
- تحريم الأضحية والقرابين البشرية ، والحيوانية ، مع أن الضحية والقرابيـــن تمثل ركنا أساسيا في الاتجاهات اليهودية ، ابتداء من الطقـــوس ، وانتـــهاء بالممارسة العملية ، بل جاء في العهد القديم العديد مـــن النصـــوص التـــي تطالب بالأضحية[٣]، بل أن بعض الفرق اليهودية اعتبرت الأضحيـــة أهـــم العبادات اليهودية[٤]، ولكن لماذا وقف الأسينيون هذا الموقف ؟

والجواب : أنهم نظروا للأضحية والذبيحة نظرتين متخالفتين على نحو غير

---

(١)الدكتور/ جمال محمد شعبان ـــ الفرق اليهودية ص ١٣٥ وراجع للدكتور / محمد بحر . اليهودية ص ١٤٢

(٢)عملية تكفير المجتمع ككل من أكثر القضايا خطورة ، ذلك لأنها تجعل الناس جميعا في سلة واحدة ، ثم تحكم عليهم بالكفر،ولاشك أن الذي يقوم بهذه العملية هو نفسه من ذات الأفراد ، وبالتالي فالحكم شامل له أيضا.

(٣)كالحال مع سفر الخروج ١٣ / ١١ ـــ ١٣ ، ٢٩ / ٣١ ـــ ٤٢ ، وسفر اللاويين ففي إصحاحاته الكثـير من الإشارات والتصريحات التي تطالب اليهودي بتقديم الأضحية والقرابين على مذابح الهيكل .

(٤)الدكتور/ على عبد الواحد وافي ـــ اليهود واليهودية ص ٩٠ .

الذي اتجهت إليه الفرق الأخرى ، لقد اعتبروا سفك الدم في حد ذاته جريمة بغض النظر عن كون ذلك الفعل متوافقا مع الأحكام اليهودية ، أم متخالفا معها ، وفوق ذلك فقد امتنعوا عن تناول لحوم الحيوان ، أيا كان نوعه حتى لا يقعوا في إباحة إسالة الدم ، وهم بذلك يتلاقون مع الفرقة التي التزمت في أكلها النباتات ، وهم الذين عرفوا بالنباتية ، كما خالفوا غالبية الفرق اليهودية الأخرى ، التي لم تجد في ذلك الفعل غضاضة .

تحريم الرق ، لأن الإنسان متى وقع في العبودية عجز عن ممارسة حقوقه الطبيعية ، والإنسان يجب أن يكون حرا يتجادل مع الطبيعة وقواها دون قيود تلهب ظهره[١]، وبناء عليه انتهوا إلى عدم أحقية الإنسان في امتلاك أخيه الإنسان لأن هذه العملية فيها حرمان لذات الإنسان من حريته ، وإنسانيته معا ، لقد كانوا صيحة في دار كثرت بداخله التناقضات الغريبة ، والتداخلات العجيبة .

لقد سادت فكرة استعباد الإنسان لأخيه بعض فترات من العصور القديمة، في البلاد الوثنية كلها ، فكان الأطفال والكبار يباعون في الأسواق ، وتعقد عليهم الممارسات، كما في أسواق الحيوانات، حيث يعرض البائع ما بالفرد المعروض للبيع من منافع تتعلق بعقله أو جسده ، وبملكاته أو إمكانياته[٢] ،

---

(١) لقد كانت هذه الفكرة من أكثر ما نادى به المصلحون الاجتماعيون في الماضي ، لكنها لم تخرج إلى المجال العملي ، إنما كانت مجرد أفكار نظرية ، فلما جاء الإسلام حولها من النظري إلى العملي ، ومن مجرد الأفهام الذهنية إلى واقع ملموس من كل ناحية .

(٢) جيمس هنري برستيد — فجر الضمير ص ١٩٥ ، ولرديورانت — قصة الحضارة المجلد الثاني ١٨٧ .

وكان يرفع السعر حسب نوعية الخدمات التـــي تكمـــن فـــي ذلـــك الفـــرد المعروض للبيع ، وربما غالى فيه نظرا لقانون العرض والطلب .

وفي نفس الوقت كان المشتري يعمل على بخس المباع بأي صورة ، ولـــــم يكن لديه مانع من جسه بطريقة مزرية ، أو سحبه خلفه كما يسحب الحيوان الأعجم ، وربما نال منه بيده أو لسانه ، أو هما معا[١]، وقد استقرت هـــذه المفاهيم في اليهودية أيضا حتى كان اليهود يبيع ابنته أو أبنه ، أو أخـــاه ، وربما باع اليهود نفسه ليهودي آخر بطريقة أو أخرى ، أو تم ذلـــك فـــي صورة من الصور ، والعهد القديم جاء فيه العديد مـــن النصـــوص التـــي عبرت عن ذات الفعل[٢].

- التمسك بالتوراة على ناحية حرفية ، بحيث ينفذون ما في هـــذه النصـــوص بطريقة لا تقبل المرونة ، ولا تصلح معها قـــاعدة الاجتـــهادات ، وإنمـــا يعمدون إلى تطبيق الأحكام بكل دقة، بغض النظر عن العواقب المؤدية عن ذلك، ومن ثم فقد برزت فيهم عدة جوانب هامة حول هذه المسألة منها :

أ ـــ احترام اسم الرب احتراما يفوق كل حد ، ومن ثم حرصوا على تقديسه وعدم تدنيسه .

ب ـــ لا يعرضون اسم الرب ليمين فيه حنث ، وتدنيس ، لأن ذلـــك معنـــاه التنازل عن العقيدة الإلهية .

ج ـــ اعتبار الحلف هو العهد الذي يسمح للإنسان بدخول الجماعة ، ومن ثم فلا يكون إلا مرة واحدة في العمر [٣].

---

(١)الدكتور / فوزي محمد طه الفقي ـــ الرق وأنظمته وموقف الإسلام منه ص ٤٣ ط ١٩٧١م .

(٢)راجع سفر الخروج ٢٢ / ١ ـــ ٥ ، سفر الثنية ١٥ / ١١ ، سفر اللاويين ٢٥ / ٤٤ ـــ ٤٧ .

(٣)لاشك أن هذه الاتجاهات تمثل نوعا من التطور داخل هذه الفرقة ، لكن من المؤكد أن هذا التطور لم يكـــن مضطردا بقدر ما هو قائم في بعض النماذج .

د – النظر في هيكلة الاعتقادات القائمة بناء على مدى إلتزام الفرد ذاته بالتوراة واسم الإله التوراتي ذاته .

هـ – تحريم استعمال اسم الرب في الأعمال التجارية ، أو المهنية ، أو غيرها لأن ذلك من أعمال التدنيس ، وليس من أعمال الطهارة .

• تحريم الاشتغال بالأعمال التجارية التي تعوق الإنسان عن الصفاء الذهني ، كما أنها تدفع الإنسان إلى الشح والبخل ، وتسوقه إلى الجنوح نحو الظلم حين يقوم بابتزاز الناس ، وابتذالهم وإقراضهم بالرب [١]،وفي المقابل لابد أن يقوم كل فرد بالأعمال المهنية بأقصى طاقته ، كالزراعة والرعي وما يتعلق بالحياة المعيشية في مظاهرها المختلفة .

• تحريم الربا في كل صوره وأشكاله ، لأن الربا يدخل على صاحب المال ما لم يكتسبه بجهده ، ولم يحصل عليه بعرقه ، والربا من وجهة نظرهم عملية تقوم فيها استغلاليات الإنسان للإنسان في ماله وعرقه ، مع أنهم بهذه الأفكار قد خالفوا الكثيرين من أصحاب الفرق اليهودية ، التي ترى التعامل بالربا أمر ميسورا وشيئا طبيعيا ، مادام المرابي اليهودي لن يقع في الربا مع أخيه وإنما مع الآخرين[٢]، وبعض هذه الفرق يشجع على ممارسة الربا مع غير اليهودي بنسب عالية جدا ، أما مع اليهودي فبنسب يتم الاتفاق عليها ، ولا تكون عالية جدا .

• التمسك بصلاة الأسلاف – وهي التي تمارس بعد قيامهم من النوم حيث يقومون من النوم بعد الفجر ، ثم يظلون في جماعة وقوفا حتى تبزغ الشمس،

---

(١)الدكتور / عبد العظيم السيد الحفني – اليهود واليهودية الجديدة ص ٢٧١ .

(٢)الأستاذ / السيد محمد عاشور – الربا عند اليهود ص ٦٣ ، ٦٤ ط القاهرة .

وحينئذ يؤدون صلاة الأسلاف هذه [١]، وهو ما دعا البعض إلى الحكم عليهم بأنهم نقلوا من العقائد الوثنية كثيرا ، وبخاصة المصرية القديمة حيث ظهرت الشمس في المعابد المصرية القديمة على أنها إله ، وكان الكهنة يقومون بالصلاة لها عند أول ظهورها ، وتسمى صلاة الاستقبال ، كما يصلون لها عند الغروب ، ويطلقون عليها اسم صلاة الوداع[٢] .

- رفض فكرة الزواج نهائيا على أساس أن العلاقات الجسدية التي تقع بين الزوجين تفسد العلاقة التي تكون بين الإنسان والرب ، كما أنهم نظروا للمرأة نظرة عدائية لأنها التي أوقعت آدم في الخطيئة ، واستجابت للحية ، كما أنها تعوق عن الطهارة[٣]، وإذا كانت الضرورة تقضي بالزواج فلابد من اختبار المرأة فترة تطول أو تقصر المهم أن تكون هذه الفترة كافية للحكم على ذات المرأة بأنها صاحبة عفاف ، فإذا ثبت أنها عفيفة أمكن الزواج بها ، فإذا حملت امتنع الرجل من الاقتراب منها حتى تضع مولودها[٤]، وإذا لم يثبت لدى الرجل أنها عفيفة لم يكن في حاجة إلى إعلان طلاقه .

ولست أدري إذا كانت هذه الفرقة تحرم الزواج ، فمن أين جاء امتدادها ؟

---

(١) الأسلاف جمع سلف ، ولكنها قد تطلق ويراد بها السلاف أصحاب الديانات الوثنية التي عبدت الكائنات المخلوقة ، وتمثلتها في بعض الحيوانات القديمة جدا ، وقد إنقرض معظمها — راجع تفاصيل ذلك لدى سوجي توكاريف — الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٢٢٣ ، وكذلك الفكر الشرقي القديم لجفري يارتدر ، وفجر الضمير لهنري برستيد ، وقصة الحضارة لول ديورانت .

(٢) الدكتور / محمود محمد البدوى — الديانة المصرية القديمة ص ١٧٥ ط أولى دار الهدى عام ١٩٦٣ م .

(٣) وهذا الاتجاه الذي يبعث على الاشمئزاز من المرأة ، هو ذاته الذي دعا إلى الزواج ومعاشرة المرأة ، لكن من غير أن تكون هناك علاقة رسمية أو شرعية ، إنه يريد المرأة داعرة ، ولا يطلب منها أن تكون زوجة .

(٤) الدكتور / عبد العظيم السيد الحفني — اليهود واليهودية الجديدة ص ٢٨٤ ط أولى ١٩٦١م .

كما أنها إذا كانت فرقة مشهورة بالعزلة ، والابتعاد عن الناس ، فأين تختبر المرأة المراد الزواج بها حتى يمكن معرفة ما إذا كانت عفيفة من عدمـــه ؟ لاشك أن هذه الفرقة غريبة في المعلومات التي وردت عنها ، بل أن الغرابـة تجئ من كل ناحية .

أجل شاع عن هذه الفرقة أن أهلها عاشوا على التقشف والزهد ، واعتمـدوا على الرهبنة ، لكن من الذي قام لهم بالوسائل المعيشية ، وعلم أي أساس قـامت إمداداتهم ، هل مجهودات أفرادها كافية بإنشاء المزارع والمصــانع والمخـابز والملاجئ والمستشفيات [1]، أم تستطيع هذه المجهودات توفير أطفال يكـبرون ، ثم يصيرون رجالا يحملون أعباء هذه الفرقة ، أم أن الأحكام فيها الكثـير مـن العموميات ولو خصصت لزال هذا الغموض .

لم يكن قيامهم بأعمالهم في الخفاء طبيعة هذه الفرقة وحدها ، وإنمــا هـو قاسم مشترك في أغلب الفرق اليهودية التي تتحين الفرصة ، وتنظر إلى الواقـع المعاش نظرة قائمة على الهروب من المعارك بأقل الخسائر[2]، وبالتالي فليـس بدعا ما تقوم به هذه الفرقة ، حتى تعتبرها مسالة استثنائية ، لأنهم جميعا فـي هذه المشكلات سواء .

ويذهب البعض إلى أن هذه الفرقة قد تأثرت فـي اعتقاداتـها ، وبعـض سلوكياتها بالديانات الوثنية القديمة ، وهو ما يرجح ظهورها قبل الميلاد بزمـن طويل ، كما يرجح أنها قد اقتبست هذه الأفكار مما كان له وجود فعلي قوي في ذات البلاد ، وهو ما يعني بوضوح أن الفرق اليهودية قد تأثرت بالديانـات

---

(١)لاشك أن هذه الأسئلة مشروعة من ناحية الدراسة ، إذ ليس من المعقول أن يلغي المرء عقله ، ويتحول إلى آلة تسجيل يتم عليها أمر التعبئة أو أمر التفريغ .

(٢)الدكتور / عبد العظيم الحفني ـــ اليهود واليهودية الجديدة ص ٢٨٧ وراجع للأستاذ محمد الطويل الفرق اليهودية ص ١٤٥ .

المختلفة وأخذت منها على كل ناحية .

الفرقة الثالثة : العيسوية [١]:

وهم أتباع محمد بن عيسى بن يعقوب الأصبهاني ، ظهرت أواخر عهد بني أمية في خلافة مروان بن محمد الحمار ٧٥٠م ، في متعاصر مع ظهور طائفة العنانية ، بحيث يمكن القول بأن ظهور هاتين الفرقتين في خلافة مروان بن محمد الحمار يؤكد ضعف الخلافة الأموية ، وعجزها عن مقاومة الحركات الانفصالية داخل الدولة الإسلامية .

لما ظهر محمد بن عيسى الأصبهاني أعلن لليهود أنه نبي مرسل من قبل الله لليهود وحدهم حتى يصلح أحوالهم ، ويعمل على تجميع أشتاتهم ، وتكوين دولتهم ، فاتبعه كثير منهم ، وزعموا أن الخوارق تجري على يديه ، بكثرة فاقت معجزات موسى نفسه [٢]، كما أنها في تنوعها فاقت كل معجزات الأنبياء الإسرائيليين .

وقد نجح هو نفسه في اختلاق العديد من الخيالات التى انطلت على اليهود ولما كان لديهم استعداد تام لتصديقها فصدقوها ، من غير أن يراجعوه فيها ، أو ينظروا إلى طبيعة ما يحكيه،هل هو مما يقبله العقل أم يرفضه [٣]، لقد أغلقوا

---

(١) يقرر ابن حزم أن موطنهم الأصلي كان في الأندلس ـــ الإمام ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٧٨ وفي هذا شك كبير لأن رأس الفرقة اسمه محمد بن عيسى بن يعقوب الأصبهاني فهو منسوب إلى أصبهان إحدى بلاد فارس ويمكن الجمع بين الرأيين ، بأن رأس الفرقة كان من أصبهان،ثم رحل إلى الأندلس واقام بها ، فلما أعلن عن فرقته كان ذلك الإعلان بالأندلس ، ويذهب الدكتور وافي إلى أن زعيم الفرقة يدعى عويديا بن عيسى فهو يهودي من أصفهان نادى بإصلاحاته حوالي عام ٧٥٠م .الأسفار المقدسة ص ٦٣ .

(٢) الدكتور محمد المهدي حسن سليمان ـــ العقائد وتطوراتها ص ٢٨٩ ط أولى ١٩٦٧م .

(٣) وهنا تأتي المشكلة الكبرى ، حيث يكون العقل الجمعي هو القائد ومن ثم تسقط الاعتبارات الصحيحة وترتفع إلى العلا القيود الزائفة .

كل نافذة يمكن أن تقودهم للتفكير في أمر يدعوهم إليه ، ومنها زعمه أن الله كلمه رسولا وكلفه أن يخلص بني إسرائيل من الملوك الظالمين (١)، وحتى يضمن ولاء بعض السذج من المسيحيين ويضمهم إليه ، أعلن أن رسل المسيح خمسة يأتون على التوالي .

أهم اعتقاداتهم :

(١) زعم أن المسيح أفضل ولد آدم (٢)أعلن أيضا أن منزلته فوق منزلة كل الأنبياء (٣) أن عيسى رئيس العيسوية هذا هو الرسول عيسى ابن مريم ، حتى يقضي على كل فرصة لمن يحاول الانتساب إلى عيسى ابن مريم ، أو يفكر في الخروج على رئيس العيسوية المستجد (٢).

(٤) حرم هذا المدعي على أتباعه الذبائح كلها ، فكانوا نباتيين بزعم أن أكل اللحوم يغضب الرب ، ومن ثم نهى عن أكل كل ذي روح (٥) شرع لهم عشر صلوات ، وأمر أصحابه بإقامتها ، كما دلهم على أوقاتها ، وحرم عليهم إتيانها في غير هذه الأوقات ، كما وضع النصوص الكفيلة بتأكيدها .

وخالف باقي اليهود في أكثر شرائعهم التي يمارسونها(٣)بدعوى أنها مقتبسة من أصحاب الاعتقادات الوثنية ، وقد كانت نهايته القتل على أيدي رجال أقوياء من جيش أبي جعفر المنصور، لكن فرقته مازال تجتذب البعض إليها،وإن كانت تحت مسميات أخرى .

وذهب البعض إلى أن عيسى بن يعقوب هذا كان ممن يعتقدون في تأليه النار والشمس ، وأنه كان مجوسيا من حيث الأصل والاعتقادات ، لكنه أخفاها

---

(١) الدكتور / فوزي محمد توفيق — اليهود ماضيهم والحاضر ص ٢٣٥ ط أولى ١٩٥٧م .

(٢) وهذه المزاعم يظهر كذبها في صوره المتعددة لمن يفكر فيها ، أو في التفكير إذ المسألة لا تحتاج أكثر من التفكير الجاد .

(٣)راجع تفاصيل هذه الفرقة في كل من الشهرستاني — الملل والنحل ج١ ص ٢١ ، الفخر الرازي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٢٨ ومابعدها ، ابن حزم الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٧٩ .

عن اليهود ، أو أنه لما راق له الخروج عن عبادة النار والشمس ، أسرع إلـــى التهود وإعلانه [١]، لعله يكتسب أصدقاء وتتحقق له عليهم الزعامة التي يرجوها وأنه كان يأمل في ذلك ويتمناه ، فلما رأى الفرصة سانحة أسرع إليها .

ولما سار في الطريق للتهود بدأ اليهود يتكاثرون عليه ، ولم يتمكـــن مـــن الانفلات ، بل أنه كتب نهايته بنفسه ، إذ لو أعلن ذلك بعيدا عن الدولة الإسلامية التي كانت مازال فيها شئ من القوة لكان له شأن آخر [٢].

وذكر المؤرخون أن العيسوية كان لها الخطر الكبير على العقائد اليهوديـــة كلها ، لأنها أزادت إلي الوثنيات القائمة في القديم ، وثنيات أخرى مستجدة ، تـم اقتباسها من عبادات الأمم الوثنية التي خالطت دعاة العيسوية فيما بعد [٣]لأن كل فرد أنضم إليهم ، إنما كان محملا بنوع من الثقافة ، تحمل ملامح الاعتقـــادات الوثنية على ناحية من النواحي .

وقد حاولوا فرض آرائهم بقوة السلاح ، على طوائف اليهود وغيرهم ، لكن لم يوفقوا إلى ذلك ، حيث وقعت عليهم الهزائم التي نـــالت منـــهم ، وأضعفـت شوكتهم بل وكانت من أسباب انهيارهم ، وتلاشي فرقهم .

الفرقة الرابعة : المعادية ـــ اليودعانية :

وهم ينسبون إلى يودعان بن حمدان ، وكان خبيرا بأحوال اليهود ، فما كان يحدثهم إلا بما نظرت إليه نفوسهم [٤] كما قام بدور الممثل البارع فيهم ، وأمكنه

---

(١)الدكتور / فوزي محمد توفيق ـــ اليهود ماضيهم والحاضر ص ٢٣١ ط أولى ١٩٥٧م

(٢)الدكتور / صبرى محمد حسان ـــ اليهود ومشكلاتهم ص ١٥٧ ط الثانية دار الاستقامة ١٩٦١م .

(٣)لشيخ محمد عبد العظيم الاسناوى ـــ الملل والنحل ص ١٨٩ .

(٤)فكان ذلك منه بمثابة القدرة على استعمال المفاتيح التى يملكها حتى يلعب بها كيفما شاء .

أن يغطي كل أفعاله السلبية بغطاء من النزوع نحو استعمال اللولبية.[١]

أهم اعتقاداتهم :

قامت هذه الفرقة بتنظيم جملة من الأفكار نظرت إليها على أنها اعتقادات يجب الالتزام بها ، ومن أهم عقائدهم ما يلي :

- أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مرسل إلى العرب وحدهم ولم يرسل إلى اليهود أبدا [٢].
- وكانوا يدعون إلى الزهد ،والامتناع عن أكل اللحوم ، وقد خالفت هذه الفرقة عامة اليهود في الأصول التي يقوم الاعتقاد عليها ، ونتج عنها نحل صغيرة من أشهرها : **الموشكانية ، و المقاربة .**

وقد زعموا جميعا أن الله يمكنه أن يبعث ملكا واحدا ، وأن الرب يقول يكون ظهوره فيكم كظهوري فيكم على أنه ممثل لى أو هو صورتي[٣]، ولهم تصورات خيالية ومعتقدات فاسدة وأفكار أسطورية خرافية ، تدل على أن القوم ارتضعوا الوثنيات من كل ناحية ، ثم أفرغوها بكل ما فيها من سوءات وسيئات زاعمين أنها مما شرع الله لهم ، وما هي إلا مما نزغ الشيطان لهم بها .

---

(١) بدليل أنه كان كثير التحرك بأفهامهم إلى الاتجاهات التي يريدها ، ولم يكن لديه استعداد للوقوف في طريق مسدود ، أو يمضي إلى غاية لا يتوقع منها النجاح الكامل .

(٢) مع أن الله تعالى أخبر في التوراة والإنجيل أنه رسول الله إلي العالمين ، ثم جاء القرآن الكريم مهيمنا على الجميع مخبرا بأن سيدنا محمد للإنس والجن وجميع المكلفين ، قال تعالى :" وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون" سورة سبأ الاية ٢٨ .

(٣)لمزيد من التفاصيل راجع للشيخ محمد الاسناوي نظرات في الملل والنحل ص ١٨٣ .

الفرقة الخامسة : السيرنيوسية :

وهم أتباع سيرنيوس اليهودى وكان من أهل سورية ، ظهر عام ٧٢٠م وكان أتباعه من بلاد الشام الذين انطلقوا نحو فلسطين وسوريا ولبنان ، وظل عدد هذه الفرقة في التنامي أثناء حياة سيرنيوس مما جعله يمتلئ فخرا ، ويعظم في الناس شأنه [١]وكان يحاول في ذلك كله ، بغرض إشعار الجميع أنه وفرقته فوق الرؤس .

أهم اعتقاداتهم :

١ ـ التمسك بالتوراة فقط ،والعمل على فهم هذه النصوص،كل بإمكانياته الذاتية واجتهاداته الشخصية [٢]وبهذا يتحول الأمر إلى فوضى وليس إلى قواعد منضبطة ، مع العلم بأن هناك طوائف أخرى لم تسمح أبدا بممارسة شئ من هذه الأفكار ، فهم جمعوا بين التصورات التي أعلنها الصدوقيون ، ثم أضافوا إليها بما يتناسب مع طبيعة العصر ومستجداته . .

٢ ـ ضرورة الاجتهاد الفكري في فهم النصوص التوراتية ، وبخاصة القسم المتعلق بالأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ، وهي أسفار التكوين والخروج والتثنية والعدد واللاويين[٣].

٣ ـ الاعتقاد في أن سيرينوس هو المسيح المنتظر الذي تجري في أعراف اليهود ، وقد أعلن ذلك على الملأ ، وكادت تحدث فتنة عظيمة في العالم الإسلامي،فقبض على هذا المدعي،وقدم إلى الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك

---

(١)الدكتور على عبد الواحد وافي ـ السفار المقدسة ص ٦٢ .

(٢)الدكتور فوزى السيد جبر ـ الفرق اليهودية قديما وحديثا ص ٢٧٨ ط أولى ١٩٧٥م .

(٣)الشيخ محمد عبد العظيم الثروى ـ الأسفار اليهودية ص ١٢١ ط الثانية ١٣٣٩هـ .

فرأى الخليفة حسما للفتنة أن يسلمه لليهود أنفسهم حتى يتولوا محاكمته وإنتـــهى بذلك أمره [١] .

٤ ـ كما يعتقدون عدم إمكانية وجود أرضية مشتركة من الأفكار، يمكن أن يقع الاتفاق عليها،بين الفرق اليهودية المختلفة ، وإنما الاختلاف هو الطبيعة الثابتـــة والحقيقة القائمة ، لأن كل فريق منها يعتقد أنه الممثل الحقيقي لليهوديـــة ، أمـــا غيره فلا علاقة له باليهودية أبدا ، سوى مجرد الزعم والادعاء .

٥ ـ يعتقدون أن المساواة بين الرجل والمرأة تكون في كل شئ،يستوي في ذلك الحقوق والواجبات [٢]وهم بهذا يوافقون العنانية في جانب المساواة بالنسبة لمـــا يتعلق بالميراث ويجئ بين الرجل والمرأة ، ولكنهم يخالفونها في مفهوم الحقـوق والواجبات .

٦ ـ يعتقدون إمكانة وجود مبلغ عن الله يجئ مع الزمن المستقبل [٣]دون تحديـد لصفات ذلك المبلغ ، ولكنهم لم يقولوا هل هو نبى أم رسول ، أم هـــو شـــخص آخر، يكون ملهما ، أو غير ذلك .

وهذه الفرقة قد مهدت لها العنانية ، كما مهدت هي أيضا ، لظهور تيـــارات وفرق متباينة ، بل واتجاهات أخرى كانت لها أخطارها على العقائد كلها .

الفرقة السادسة : البنيامينية :

هم أتباع بنيامين بن موسى النهاوندي ، ظهر في بلاد فارس خلال القـــرن التاسع الميلادى ، وقد انضم إليه عدد كبير، بعضهم من القرائين ، وبعضهم من

---

(١)الدكتور علي عبد الواحد وافي ـ الأسفار المقدسة ص ٦٣ .

(٢) والملاحظ أن فكرة المساواة في الحقوق والواجبات تمثل اتجاها جديدا في تحديث اليهودية السياسية وتحويلها إلى مفاهيم اجتماعية أو تغلب عليها ، وهم بذلك يعلنون رغبتهم في الخروج من المأزق الذي أوقعوا أنفســـهم فيه بتعديهم على ما أنزل الله ،حيث مارسوا التحريف بأنواعه المختلفة في النصـــوص والاعتقـــادات ، كمـــا مارسوه في الأخلاق والمعاملات ، بل والعبادات أيضا .

(٣)الشيخ محمد عبد العظيم الثروى ـ الأسفار اليهودية ص ١٢٣ .

العنانية ، وبعض آخر من الأشتات اليهودية ، التى تجمعت عليه ، فعظمت فيهم مكانته ، وكثر هؤلاء الأتباع إلى حد جعلهم يقتربون من فرقة القرائين المعروفة – بالفريسيين – في الشهرة والكثرة العددية .

أهم اعتقاداتهم :

١ – إنكار النصوص التوراتية التى تصور الذات الإلهية في صـــورة مجســمة تشبه صور الحوادث ، يقول الدكتور وافي أن الألوهية فـــي اليهوديـــة ظلـــت مضطربة في عقولهم إلى نهاية المرحلة التى تم فيها بتدوين أســـفار التـــوراة ، فتصوروا الله تعالى في صورة مجسمة ، ووصفوه بكثير من صفـــات النقـــص والضعف والكذب والغفلة والجهل [١]وظهر تصورهم هذا في كثير مما ورد فـــي سفرى التكوين ، والخروج على وجه الخصوص .

٢ – نفي الحلول والاتحاد عن الله طبقا للأفكار اليهودية [٢]وقد ألزمـــهم ذلـــك إنكار تجلي الله لموسى في سيناء ، وكذلك إنكار تكليم الله له [٣]تحت زعـــم أن ذلك يؤدي إلى الحلول الإلهي في المكان ، كما أنكروا اخراجه للصـــوت الـــذي يؤدي إلى المشابهة للحوادث[٤] .

٣ – إنكار تولي الله عملية الخلق في صورة مباشرة ، لأن ذلـــك يـــؤدي إلـــى الحركة والانتقال واتصال الله بالمادة [٥]مع أن مفهوم الخلق المباشر لدى مفكري الإسلام يسمح بتجاوز هذه التمحلات ، لأن الله تعالى هو الخالق وحده ، وجريان

---

(١)الدكتور / على عبد الواحد وافي – الأسفار المقدسة ص ٢٤ .

(٢) والله منزه عن الحلول والاتحاد على كل ناحية فليس كمثله شئ وهو السميع البصير .

(٣) وقد ورد تكليم الله لنبيه موسى عليه السلام في القرآن الكريم قال تعالى :" وكلم الله موســـى تكليمـــا " سورة النساء الآية ١٦٤

(٤) وهذه الصورة الجديدة فيها الكثير من الاستعمالات التى لم تكن معروفة في اليهودية بل إنها غريبة عنـــها ، إذ أن اليهودية طبيعتها التي أقيمت عليها بعد نبى الله موسى إنما هي التجسيم للألوهية مع التعدد والتشبيه .

(٥)الدكتور / محمد السيد مرسي – اليهودية بين التجسيم والتنزيه ص ١٥٧ .

الأسباب والمسببات ، ثابت في علم الله ، قائم بإرادته ، نافذ بقدرته .

٤ — اعتقاد أن الله خلق الملائكة من أشياء غير مادية ، ومن ثم فـــهم كائنـــات روحية ، ولهم إمكانيات غير محددة (١).

٥ — أن الملائكة خلقت العالم نيابة عن الله ، أو أن الله خلق الكائنات بواســـطة الملائكة (٢)وهذا خروج إلى فكرة الإنابة عن الله،وهي أفكار وثنية تجري في كل من اليهودية ، والمسيحية وغيرها من الديانات التى انحازت إلى الوثنية(٣).

٦ — أن هناك كائنات علوية هي التي تنظم عملية الخلق،والإشراف الكامل علي **خلق الكائنات السماوية ، والأرضية وغيرها** . (٤)

ولا شك أن الفرقة البنيامينية كان لها شأن في الدفاع عن أسفار العهد القديم بطريقة من الطرق التى تناسب ذلك العصر ، الذي ظهرت فيه هذه الفرقة ، بـلى امتد اثر هذه الفرقة إلى غيرها من الفرق اليهودية،التى تأثرت بطريقة المعالجـة إلىٰ حد كبير .

الفرقة السابعة : الأكبرية :

وهي التي قام بها كل من موسى وإسماعيل اليهوديان في مدينة أكبر القريبة من بغداد ، وكان ذلك عام ٨٤٠ ميلادية ، وقد تبعهما بعض القرائين(٥) وبعـض

---

(١) الشيخ على بن محمد الزعبي — الأسفار اليهودية ص ١٤٥ ، وأثر الاقتباس من الثقافة الإسلامية بـارز في كون الملائكة عندهم كائنات لكن أن تكون لطيفة فهذا ما عجزت إفهامهم عن بلوغه .

(٢) فكرة الواسطة في الفلسفة تختلف كثيرا عن فكرة الواسطة أو الإنابة في الديانات الوثنيـــة لأن الفلســـفية وساطة أسباب ، أما الوثنية وساطة فاعل خالق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(٣) وكم أتمنى قيام باحث بدراسة موضوع فكرة الإنابة في الأديان الوثنية وموقف الإسلام منها مـــن خـــلال دراسته لها .

(٤)الدكتور/ محمد السيد مرسى — اليهودية بين التجسيم والتنزيه ص ١٥٩ .

(٥)هذا الاتباع يمثل نوعا من الهروب إلى الجديد ، لعله يجد فيه ما عجز القديم عن الاتيان به ، لكن المشـــكلة هي أن الجديد أكثر سوءا من القديم لقيام الجميع على مخالفة الله رب العالمين ، والكفر بسيدنا محمـــــد خـــاتم الأنبياء ورسل الله أجمعين .

من اليودعانية ، ولذا عدها البعض من القرائين ، بينما عدها البعض من الفرقـة البنيامينية ، واستقل فريق ثالث في نسبتها إلى المكان الذي ظهرت فيه [١] .

أهم معتقداتهم :

١ _ الاعتقاد في الأسفار الموسوية الخمسة فقط ، وهي أسفار التكوين والخروج والتثنية واللاويين والعدد ، وعدم الاعتراف بباقي أسفار العهد القديـم[٢]، وهـم بهذا يوافقون الكثير من الطوائف اليهودية التي رفضت الاعتراف بالعهد القديـم ككل ، وإنما التزمت الأسفار الخمسة فقط .

٢ _ الاحتكام إلى النصوص التوراتية الخمسة ، مع ضرورة صرف ما يتعلـق بالله في المطعمات والمشروبات إلى ناحية أخرى ، بعيدة عن مفاهيم كـل مـن القرائين أو الفريسين وعامة اليهود ، وباقي الطوائف والجماعات اليهودية .

٣ _ يعتقدون إبطال كل نبوة ظهرت في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع ، ولذا فهم لا يدعون لأنفسهم النبوة ، وإنما يدعون أنهم يوحى إليهم عن طريق الآبـاء الكهنة الأقدمين[٣]

٤ _ يعتقدون أن مدينة المقدس هي نابلس ، وبالتالي يكونون قريبين جدا فـي الأمرين الأخيرين من فريق السامرية .

٥ _ اعتقاد حرمة ذبح أنثى الحيوان في أثناء حملها ، وهـم بـهذا يخـالفون الربانيين الذين يسمحون بذبح أنثى الحيوان أثناء حملها [٤].

---

(١) انتساب البعض إلى الأمكنة التي وجدوا فيها أمر واضح ، لكن المشكلة أنه قد تكون تلك المنطقة مشهورة بالتباين الفكري بين أفرادها ، وحينئذ يقع الدارس في خليط ما لم يقف على فكر كل طائفـة مـن مصـادره الصحيحة .

(٢)الدكتور / محمد السيد مرسى _ اليهودية بين التجسيم والتنزيه ص ١٦١ .

(٣)الشيخ على بن محمد الزعبي _ الأسفار اليهودية ص ١٥٣ .

(٤)وهم بهذا قد ساهموا في جمعيات الرفق بالحيوان ومهدوا لوزارة التموين في توفير اللحوم .

٦ ـ يعتقدون صلاحية العمل في الأعياد التى اختارها الربانيون لأنهم يركزون على أن الربانيين ليسوا مستحقين الوصف بكونهم يهودا .

٧ ـ يعتقدون في تقويم خاص بهم ، يخالف بقية الفرق اليهودية .

يقول الشيخ عطية الشوادفي :

ألاحظ على هذه الفرق أن بينها ما يلى :

١ ـ فروق جوهرية في :

(أ) صلب العقيدة .

(ب) العبادات وطقوسها .

(ج) المعاملات .

٢ ـ أنه لا يمكن التوفيق بين آرائها بحال من الأحوال .

٣ ـ أنها ظهرت متأخرة مما يؤكد أنها جميعا يضرب بعضها الآخر .

٤ ـ الاختلاف في الكتاب المقدس اختلافا يجعل الباحث في شك مريب من الكتاب والكاتبين معا ، لأنه لا يعلم أيهما هو الصحيح،فتكون الثقة بهما ضعيفة ، إن لم تكن مستحيلة [1].

واليهود يجمعون على أن التوراة ، إنما هي بشارة لواحد ، وأنها وقعت له بعد موسى ، ولم يتمكنوا من تعيينه ، كما أجمعوا على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض ، استوى على عرشه مستلقيا على القفا ـ حاشا لله ـ واضعا إحدى رجليه على الأخرى[2]، وبالتالي فهم مجمعون على تجسيد الإله وتصويره بما شاءت لهم أنفسهم من الاستلقاء على القفا ، ووضع إحدى الرجلين على الأخرى ، من باب إظهار التعب والمشقة ، وهي اعتقادات وثنية باطلة ، لا علاقة لها بشئ من شرع الله تعالى ، حتى وإن نسبوا أنفسهم إلى نبي الله موسى

---

(١) الشيخ عطية إبراهيم الشوادفي : دراسات في التوراة ص ٦٣ .

(٢)الشيخ نصر الدين حسن البستاني ـ التجسيم عند اليهود ص ٧٣ دار الاستقامة ١٣٣١هـ .

الكليم ، لأن الاعتقادات التي يعلنونها تكفي لاثبات كفرهم ، وكونهم في الضـلال يعمهون ، ومن هذه الفرق الرئيسية تشعبت باقي الفرق اليهودية ، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة قال :" قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصـارى علـى اثنتيـن وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة " [١]، وفرق اليهود مـهما تفرقت وتعددت فإنها ترجع إلى الإحدى والسبعين ، على ما جاء بـه الحديـث الشريف .

ويقرر توكاريف : أن اعتقادات اليهود ارتبطت بتجسيم الآلهة وتعددهـا ، على أساس أن العشائر اليهودية في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميـلاد كانت مجرد مجموعة من الرعاة البدويين ، الذين اختلطوا بغيرهم ، متنقلين فـي شمال شبه الجزيرة العربية ، وكانت عبادة الحمـاة العشـائرية [٢]، والتمـاثيل المعبرة عن الآلهة ــ قائمة في أعماقهم ، وجاءت بها نصـوص فـي كتابـهم المقدس.

---

(١) الترمذي ــ سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٥ ــ ١٨ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ــ الحديث ٢٦٤٠ ، وأخرجه ابن ماجة ــ سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢١ ــ ١٧ باب افتراق الأمـم ــ الحديـث : ٣٩٩١ ، وابن حبان ــ صحيح ابن حبان ج ١٤ ص ١٤٠ ــ افتراق اليهود والنصارى فرقا مختلفة ــ الحديث ٦٢٤٧ والمستدرك على الصحيحين ج ١ ص ٤٧ ــ الحديث ١٠ .

(٢)أحيانا تكون الآلهة العشائرية معبرة عن جملة من الأرواح للآباء الذين انقضى أمرهم ، وكانت لهم سطوة في حياتهم ، وأحيانا تكون معبرة عن الاعتقادات في أرواح حيوانية (الشيخ على محمد حكمت الله ــ العقـائد الوثنية ص ٨٩) .

ففي سفر التكوين يجئ الحديث عن سرقة راحيل [١] إحدى زوجات يعقوب [٢] أصنام أبيها ، أثناء هربها مع زوجها يعقوب،وزوجته الثانية [٣] من لدن

---

(١) راحيل : اسم عبري معناه (شاه) وهي ابنة لابان الصغرى ، وكانت حسنة المنظر . فأحبها يعقوب من النظرة الأولى عند البئر ، بالقرب من حاران ، إذ كانت تسقي غنم أبيها لابان خال يعقوب ، وقد خدمه يعقوب سبع سنين لأجل راحيل ، وخدعه لابان وأعطاه أختها الكبرى ليئة ، ثم خدمه يعقوب لأجل راحيل مرة أخرى سبع سنين ، وراحيل هي أم يوسف وبنيامين ، وماتت عند ولادة بنيامين ، وكانت هي التى أخفت أصنام أبيها عند ارتحال يعقوب إلى كنعان ، ودفنت في طريق إفراته أو بيت لحم ، ولا يزال ضريحها قائما على بعد ميل شمالي بيت لحم ، ويعرف ذلك المزار " بقبة راحيل " . راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٣٨٩ / ٣٩٠ .

(٢) يعقوب : اسم عبري معناه يعقب ، ويقصد به ما يمسك العقب ، ويحل محله ، وهو أحد الآباء الثلاثة الكبار العبرانيين ، وهو ابن إسحق ورفقه ، وتوأم عيسو ، وقد اشتق اسمه من الحادثة التى وقعت عند ولادته ، إذ كان ابوه ساكنا عند بئر لحي رعي ، وكان عيسو صيادا ، أما يعقوب فسكن الخيام في نفس الوقت ، فإن يعقوب كان أنانيا ، حيث اتخذ من جوع أخيه عيسو فرصة ، واشترى منه بكوريته ، وكان إسحق يحب عيسو أكثر من يعقوب ، نظرا لحماسة عيسو ، فلما قارب الرجل على الموت أراد أن يبارك عيسو ، إلا أن امرأته رفقة كانت تحب يعقوب أكثر من عيسو ، فاحتالت وابنها على إسحق ، وأخذ يعقوب بركة ابيه بدلا من عيسو على سبيل الغش ، ومع أنه اختلس البكورية ، إلا أنه صار وارث المواعيد ، وقد نال يعقوب عقابه ، بسبب خداعه إذ لقنه الرب درسا قاسيا ، وقاده في طريق وعرة محفوفة بالعناء والألم ، وكانت له نقائص ظاهرة في طباعه ، وقد أرتكب أخطاء فاحشة ، وقد اعترف في آخر حياته بأخطائه وإخفاقه في السهر أمام الله ، ويطلق اسمه (يعقوب وإسرائيل) على كامل أمته . ــ راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٣ /١٠٧٥ ففيهما تفصيل طويل .

(٣) تدعى ليئة : وهي اسم عبري معناه بقرة وحشية ، وهي ابنة لابان الكبرى ، وكانت أقل جمالا من راحيل أختها الصغرى ، كما كانت عيناها ضعيفتين،زوجها ابوها لابان بيعقوب في شئ من الخديعة ، إذ كان يعقوب قد خدم لابان سبع سنين لأجل راحيل ، ولم يفز بها نظرا لخداع والدهما له ، وإن كانا قد زوجاه فيما بعد ، وولدت ليئة ستة بنين (رواين ــ شمعون ــ لاوي ــ يهوذا ــ يساكر ، زبولون) وابنه واحدة اسمها دنيه وماتت ليئة بعد ذهاب يعقوب إلى مصر ، وكانت تحب يعقوب محبة شديدة ــ قاموس الكتاب المقدس ٨٢٦ .

والدهما لابان [١] (LABAN) وكانت هذه الأصنام حماة للعشيرة ، ويقوم لابان بتعقب ابنتيه وصهره ، ليس من أجل فرارهم ، وإنما لاسترجاع آلهته المسروقة في حماته العشائرية في نفس الوقت [٢] .

ولست أدري كيف سولت لهم أنفسهم أن يعتقدوا في آلهة صنعتها أيديهم أصناما وتماثيل ، كما أن هذه الآلهة عجزت عن حماية أنفسها من السرقة على الأقل ، فهل يمكنها أن تدافع عن هذه الأفكار الوثنية ؟ وهل يمكن النظر إليها على أنها أفكار مقبولة ؟ أم أن الدراسات العلمية الموثقة تؤكد أنها وثنيات منقولة إلى اليهودية وتحمل الملامح التى نقلت منها .

ولاشك أن هذه الفرق اليهودية القديمة والتى تلتها لم تنقطع ، وإنما صار لكل فرقة كبيرة ، فرق أخرى انسلت منها ، وصارت تنمو تحتها ، حتى بلغت الإحدى والسبعين فرقة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣]، ولا مانع

---

(١) لابان : اسم عبري معناه (الأبيض) ، وهو ابن بتيونيل ، وحفيد ناحور أخي إبراهيم ، وأخو رفقة ، سكن حاران في (فدان آرام) ، ولما رأى الهدايا الثمينة التي أعطاها عبد إبراهيم لرفقة قبل فورا أن تذهب هي معه إلى أرض كنعان ، لتصير زوجة إسحاق ، ولما هرب يعقوب من وجه أخيه عيسو ذهب إلى لابان ــ خاله ، ووجده رب عائلة كبيرة ، وأبا لعدة بنين وأبنتين ، وسيدا لعبيد كثيرين ، بجانب أنه مالك لقطيع من الغنم والماعز ، استضاف يعقوب (٢٠ سنة) وزوجه راحيل ، لقاء خدمته له مدة سبع سنوات ، ولكنه خدعه أعطاه ليئة عوضا عن راحيل ، فاضطر لخدمته سبع سنين أخرى للحصول على الفتاة التى أحبها ، وهي راحيل ، ثم بقى عنده مدة ست سنوات في الخدمة ، حتى يحصل على المواشي ، واستطاع يعقوب بحيل متنوعة أن يحصل على كسب جانب عظيم من المواشي ، مما أثار حفيظة خاله لابان وأبنائه عليه ، فاضطر إلى الهرب ، وقد عبد لابان إله آبائه ، وجمع إلى عبادته هذه عبادة الأوثان ، كما أنه استخدم طريقة العرافة والرجم بالغيب. ــ راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٨٠٤ .

(٢) سيرغي أ . توكاريف ــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٣٧١ ــ ترجمة د . أحمد م فاضل ــ الأهالي للطباعة بدمشق ــ الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

(٣) كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقرر أمرا فإنه يحمل على الجانبين معا ، أمر الحقيقة وأمر الغاية والقصد ، وبالتالي ففرق اليهود الكبرى يمكن الوقوف بها عند هذا العدد ، ويكون العدد والكثرة مقصودان معا

من القول بأن هذا العدد كان في الفرق الكبرى،والتي تليها في الكثافة والتـأثير ، والعبرة محسوبة فيه .

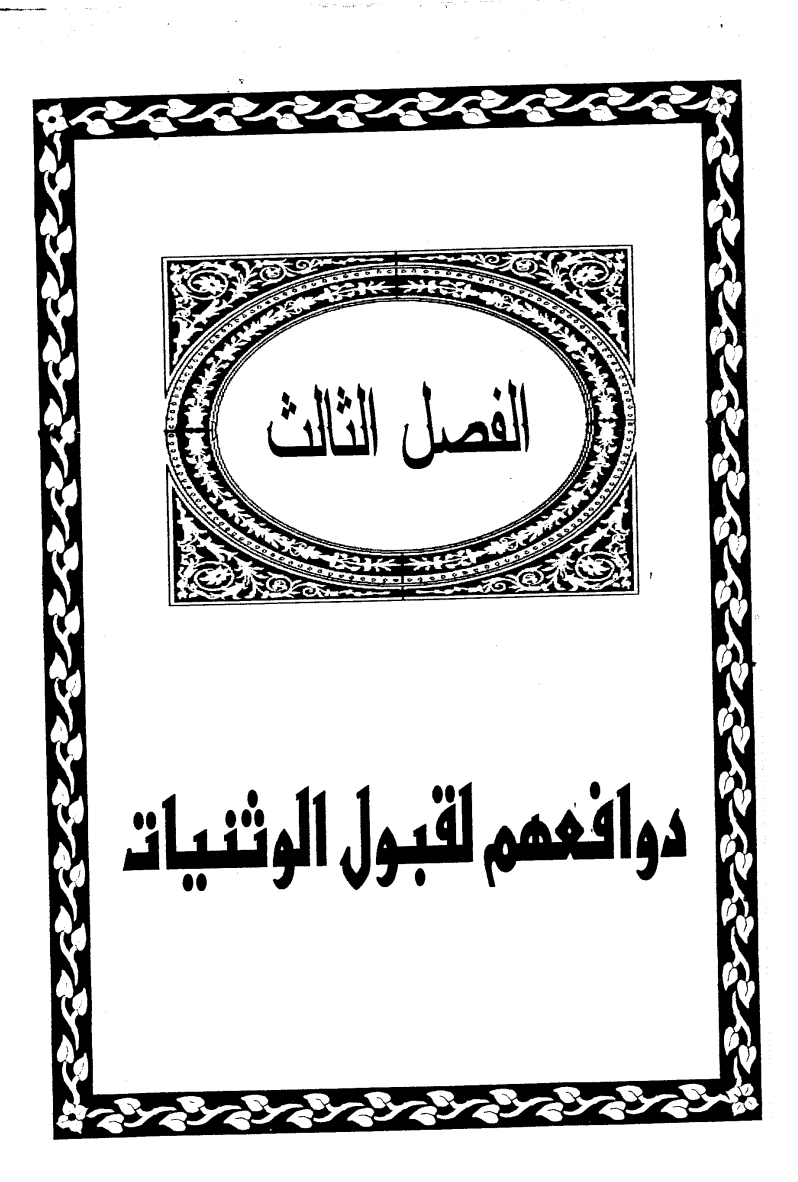
أو أن هذا العدد كان في الصغرى والكبرى ، والمفـهوم مـن الإحـدى والسبعين كان هو المقصود فيه أيضا ، على أن هذه الفرق تختلف في أصـول الاعتقادات [1]، كما تتباين في الاتجاهات ، وفوق ذلك فإنها تختلف مع بعضـها في المعاملات ، لأن ذلك منصب على اختلافهم في النصوص التـي يقومـون عليها .

ومن المؤكد أن هناك في اليهودية فرقا متناحرة ، ونصوصـا متقطعـة ، واعتقادات متدابرة ، لا يمكن أن يقوم عليها شئ صحيح أبدا ، بل ولا تدل علـى أنها قامت من خلال شئ صحيح أو مقبول .

كما أن هذا التباين قد رسم في أذهانهم صورا غير صحيحة عـن العقيـدة الصحيحة ، كما رسم في إفهامهم صورا كثيرة ، أضافت إلى تناقضاتهم المزيـد مما جعلهم يقبلون على الوثنيات فيأخذون منها ، ويدافعون عنها ، وهو ما سوف ألمح إليه في الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله تعالى ، فما هـي دوافـع اليهود لتقبل هذه الوثنيات .

---

(١) ولاشك أن هذه الصفحات قد ألمحت إلى الكثير من أوجه الاختلافات ، ويمكن لأي دارس الوقوف عليها.



الفصل الثالث

دوافعهم لقبول الوثنيات

اليهود فيهم طبيعة ثابتة كأنها فطرية ، تحمل الكثير من الغرابة ، التـــي تسوق المرء للاستنكار ، وليست هذه الطبيعة الغريبة قائمة في حبهم الترحال،أو التعامل الصحيح مع الناس ، وإنما هي طبيعة قائمة في أنهم متى دخلوا وطنـــاً ، حاولوا الوقيعة بين أفراده ،وسعوا فيها بكل ما أمكنهم،وكأنهم ما خلقوا إلا للفتنـة والبغضاء[١] ، وتحريك المشاعر العدائية وإشاعتها بين الناس ، بجانب ممارستها على كل ناحية ، وأوسع نطاق ، وذلك مما يجعل سكان البلاد التى ينزلون بها ، يبالغون في الاحتياط منهم ، والاحتراز عنهم .

بل ربما لجأ عقلاء هذه الديار ــ رغماً عنهم ــ إلى ممارسة أنـــواع مـــن الضغوط الشديدة عليهم ، حتى يقللوا حجم الأخطار التي تنجم عن التعامل معهم، أثناء وجودهم في هذه البلاد ، أما منشأ هذه الأخطار فقائم على رغبة اليهود في ممارسة الاعتقادات الفاسدة ، والتعاملات الخاطئة،ومنها الربا بأنواعه المختلفة[٢]

وهم في سبيل ذلك لا تعجزهم حيلة ، كما يمارسون الرذيلة ويدعون إليها ، وربما قننوا تلك الممارسات الشاذة وقعدوا لها متى أمكنهم ذلك ، وهم لا يعرفون عن الحياء سوى أنه مفرد لغوي يتم النطق به ، ومن ثم فهم حيـــن يســـارعون للعقائد الفاسدة والعمليات المرذولة ، لا يشعرون بأي خجل ، كما لا يبلغ فيـــهم الحياء أي مبلغ ، همومهم في امتلاك الحياة الدنيا ، مهما كانت أسبابها ذليلة [٣].

كما أنهم يكرهون الموت حتى لو كان دفاعاً عن العرض،والأرض والدين، بل أنهم يكرهون مجرد تمني الموت ، وما ذلك إلا لطمعهم في الحياة ، والرغبة الطموح حتى يكونوا فيها من الخالدين ، ومن ثم فلما زعموا أنهم من أحباب الله

---

(١)الشيخ محمد مهدى فوزي ــ اليهود وسلوكياتهم ص ١٥ ط أولى ١٩٥٧م .

(٢) راجع للأستاذ السيد محمد عاشور ــ الربا عند اليهود ص ١٧ ط القاهرة .

(٣) قال تعالى:" وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ " سورة البقرة آية ٩٦ .

وأوليائه،طلب الله منهم أن يقدموا الدليل حتى لو كانت صورة ذات الدليل خافتة تقوم على مجرد تمني الموت .

قال تعالى :" قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ "[1]. والمعنى قل يا محمد لهؤلاء الذين تهودوا وتمسكوا باليهودية ، ولا يريدون التنازل عنها ، إن زعمتم أنكم أولياء لله وأحباؤه حقا كما تزعمون ، فتمنوا من الله تعالى أن يميتكم حتى تنتقلوا من دار الابتلاء والفناء ، إلى دار الكرامة والخلود والبقاء ، التي أعدها لعباده الصالحين ، لأن من أيقن بأنه من أهل الجنة ، أحب أن يتخلص إليها من هذه الديار التي هي مقر الأكدار ، ومرتع الأغيار[2].

وقال الإمام الألوسي : أن اليهود لم يستجيبوا ، ولم يتمنى أحدهم الموت أبداً لعلمهم أن سيدنا محمداً صادق ، فعلموا أنهم لو تمنوا الموت لماتوا من ساعتهم[3]، ولن يتمنوا الموت أبداً بحال من الأحوال ، لأنهم ارتكبوا الكثير من المعاصي بجانب الكفر والله عليم بأنهم ظالمون وفيه تسجيل عليهم بما ارتكبوه.

ولما كانت أطماعهم في الحياة ممتدة ، وآمالهم نحوها قائمة لا تنقطع ، فإن حرصهم على وسائل هذه الحياة،والعيش فيها تكون عالية جداً،كما أن خوفهم من نفاذها هو الآخر يظل مندفعاً معلناً عن نفسه لا يتوقف ، وبالتالي فهم يستعملون الخداع والكذب ، ويتوسعون في ذلك إلى حد كبير ، كما يعشقون النميمة والرياء بجانب كل وسائل التدمير للمجتمع الإنساني من غير استثناء[4].

---

(١) سورة الجمعة الآيتان ٦ ، ٧ .

(٢) العلامة أبو السعود ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج ٥ ص ١٦٣ .

(٣) الإمام الألوسي ــ روح المعاني ج ٢٨ ص ٩٦ .

(٤)الشيخ محمد على صابر ــ اليهود الخطر المتواصل ص ١٧ طبعة أولى ١٩٤٣م .

وهم حين يمارسون هذه الوسائل لا يعملون على كشف أنفسهم ، أو الإعلان السافر عن نواياهم ، لأن طبيعتهم المريضة تكون هي الحاكم على سلوكياتهم ، وبالتالي فهم يحرصون على أن تتم هذه الممارسات الشاذة ، من خلف النوافذ المغلقة ، والأبواب الثابتة المحكمة ، حتى إذا فشلت جهودهم في الوقيعة بين أفراد المجتمع،أمكنهم الظهور على مرأى ومسمع ، دون أن يظن أحد بهم السوء أما إذا نجحت خطتهم في الوقيعة بين الناس،فإنهم ربما تاهوا بها فخراً ، وإعلان انهم كانوا الأصل الذي قامت عليه ، والبوابات التي انطلقت منها .[١]

بيد أن اليهود فيهم طبيعة جس النبض بالنسبة لأهل البلاد التي ينزلون بها ، فإذا كان حاكم تلك البلاد قوياً ، أو صاحب سطوة وسلطان ونفوذ ، أو كان غشوماً لا يرعوي ، فإنهم يحاولون التقرب منه ، وإظهار الخضوع الكامل له ، والقيام بكل ألوان خدمته [٢]، سواء أعلنوا ذلك على الملأ وبطريق مباشر ، أم قاموا به من خلال وسائل يثقون في قدرتها ، على تقديمهم المتميز لهذا الحاكم ، وعلى أحسن ما يكون [٣]، وبالتالي فهم قد عرفوا أدوار التعامل للغير منذ زمن طويل ، حتى كانت أساليبهم المتعددة لا تنقطع ، وطرائقهم في الوصول إلى الحكام الأقوياء لا تقف عند حد معين.

أما إذا كان الحاكم ضعيفاً يمكنهم السيطرة عليه ، أو من السهل التحكم فيه، بعد الوصول إليه ، " فإنهم يمارسون ذلك عليه مباشرة ، من خلال استعمال الشهوات المحرمة على أوسع نطاق ، وبخاصة شهوة الفرج ، من خلال الدعوة

---

(١) بدليل أنهم لما قتلوا الرئيس الأمريكي جون كينيدي عام ١٩٦٤م لجأوا إلى الاختباء،كما تخلصوا من شهود الجريمة ، فلما انقضت المدة القانونية للاحتفاظ بالوثائق وظهرت الفضائح لم يتبرؤا وإنما تباهوا .

(٢) كالحال معهم حين نزلوا أرض مصر أيام حكم الفراعين ، حيث أظهروا الاخلاص لفرعون والولاء له ، رغم أنه كان يقتل أبناءهم ويستحى نساءهم ، ويذبح ذكورهم ويجعلهم يعملون في الطين حتى بنوا مدينة رعمسيس .

(٣)الدكتور صبرى محمد حويطه ـــ اليهود العقائد والمشكلات ص ٤٥ ط الدار الجديدة ١٩٥٧م .

إلى ممارسة الجنس المحرم ، والمال الحرام ، والعمالة المتخفية [١] تحت ظـلال أشجار الوهم الاجتماعي، والتقدم الحضاري ، التي أتقن اليهود ممارستها" .

بل ربما أضافوا إليهما المخدرات بأنواعها المختلفة — المخلقة والطبيعيـة — وهم في ذلك لا يجاريهم أحد [٢] ، فهم أقرب الأشـباه بالعنـاكب التـي تنسـج خيوطها حول الضحية ، والحيات الرقطاء حتى تتمكن من القضاء عليها تمامـاً، بعد امتصاص دمائها. ثم التخلص منها [٣]كأن لم يكن لها وجود ، ولم يكن لـهم بها معرفة سابقة .

كما أن اليهود متى رأوا في أنفسهم الحاجة إلى مصانعة الملك ، أو مداهنته — وبخاصة إذا كان ملكاً قوياً — فإنهم يعملون على إظهار تقليدهم لذات الملـك في العقائد ، والعبادات ، والأخلاق أيضاً ، أنهم يعلنون أن اعتقادات الملك هـي اعتقاداتهم،كما ينادون بأن عبادة الملك هي نفسها عبادتهم[٤]التي يباشرونها بغض النظر عن موافقة هذه العبادات والاعتقادات لما هو ثابت في أفهامهم ، أو عـدم موافقتها ، وكانوا يرفعون شعار " الناس على دين ملوكهم " عالياً فوق رؤسهم .

من ثم تعددت الاعتقادات الوثنية ، القائمة فيهم وتجسـداتها ، بقـدر عـدد الملوك الذين نزلوا عليهم وصاروا آلهتهم وجبدوها ، ومتى أمكنهم أن يزيـدوا في تعدادات الآلهة إرضاء للملك ، فإنهم يمارسون ذلك من غير ممانعة ، وبنـاء عليه فقد كثرت آلهتهم أنفسهم بتكاثر الأمم التى نزلوا بها ، وليس بكثرة الملـوك

---

(١) كالحال مع الملك الفارسي،الذي جعل أستير اليهودية تتقدم إليه،حتى تلعب بعواطفه البالغة في الشـيخوخة المبلغ الكبير ، فإذا أمكنها السيطرة عليه ، وتحولت معه إلى وحش كاسر قضى على كل أقارب الملك،وقدمـت خدمات جليلة لليهود ،ومن ثم فقد كافأها كتاب العهد القديم بتدوين سلوكياتها،في سفر كامل اسمه سفر استير الذي صار ضمن أسفار العهد القديم ،وراجع ليوتاكسيل. التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٨٥ .

(٢)الدكتور / محمد عبد العظيم ثروت — الطبيعة اليهودية وأخطارها ص ١٩ .

(٣)بارتلمي هلير — اليهود ومشكلاتهم ص ١٧١ .

(٤) راجع في هذا الشأن — الطبيعة اليهودية وأخطارها ص ٢١ .

وحدها [١] وهذا قد ينتهي بهم إلى الخروج التام من عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين — التي جاءهم بها نبي الله موسى الكليم — إلى الآلهة المتعددة التي جاءتهم من الأفكار الوثنية المقتبسة من الأمم المختلفة ، والتي كان لهم معها بعض العلاقات والتعاملات ، وهم في كل ذلك ما كانوا مجرد مقلدين فحسب ، وإنما كانوا ناقلين لها أيضا ، حيث يعتقدون فيها ، أو يتمسكون بعبادتها،إلى الحد الذى لا يمكن الانفراط منه ، أو التخلي عنه .

ربما تلمس البعض لهذه الاعتقادات الفاسدة التي مارسها اليهود مجموعة من التعلات التي يقوم أغلبها،على أن اليهود قوم ساميون[٢] ، وآلهتهم لابد أن تكون سامية هي الأخرى كما أن آلهتهم عرفت تارة باسم آلهة الصحراء والواحات ، وتارة أخرى باسم الآلهة الحماة ، أو الآلهة العشائرية ، ومن المحتمل أن تكون كل قبيلة كانت منفردة بإله ، أو جملة من الآلهة ، ويعضد هذا الاتجاه ، وجود أسماء آلهة تخص كل قبيلة على حدة ، كالحال مع أشير فإن آلهتها هي عشتروت وعائلتها .

ومن ثم فمن المناسب وضع تصور للدوافع التي انطلقت باليهود ، حتى مارسوا الاعتقادات الوثنية ، وكفروا بالله الواحد الأحد رب البرية ، ومجمل الدوافع ما يلي :

---

(١)إذن هم في سبيل إرضاء الملوك والأمم التي نزلوا بها عددوا في الآلهة كما جسدوها ، وهو ما عبرت عنه أسفار العهد القديم التي جاءت حاملة لهذه الأفكار المتجسدة في أنواعها المختلفة .

(٢) قصة زعمهم أنهم ساميون ، لم يقم عليها دليل من عندهم ، كما أن السامية ليست جنساً بعيداً عن بني آدم وفوق ذلك ، فإن أبناء سام بن نوح جاء منهم العرب وغيرهم ، كما جاء بعض بني إسرائيل ، ومن ثم فزعمهم السامية وحدهم لا يقوم على أصول صحيحة ، كما أنه ليس مقبولاً من الناحية العلمية ، ولا من ناحية تاريخ الأجناس البشرية .

الأول : الرغبة في الحياة :

كل الدلائل تؤكد حرص الإسرائيليين على الحياة في كل صورها ، بغض النظر عن كون هذه الحياة كريمة ، أم غير كريمة ، يشعر فيها ذات الإنسان اليهودي أو الإسرائيلي بقيمته في الحياة أم لا يشعر ، يعيش ويحيا كما يحيا سائر البشر الكرام ، أم يقضيها كالحشرات والأنعام [١]، ومن ثم جاء الحديث عنهم في القرآن الكريم ، وتعلقهم بالحياة المنكرة فقال تعالى :" ولتجدنهم أحرص الناس على حياة " **فمجئ كلمة حياة منكرة في السياق القرآني يدل على أن هذا** الصنف من الناس ، يسعى للحياة مهما كانت دنيئة ، أو رديئة في الوسائل والغايات ، أو في طبيعتها الحياتية من مطعم ومشرب وخلافه .

يقول الشيخ البرديسي : ان الله تعالى يعلم ما في نفوسهم ، كما يعلم آمالهم وأحلامهم ، وقوله الحق فقد بين أنهم جبلوا على الرضا بالخسيس من السلوكيات والأخلاق ، لأنهم يطمعون في العيش ، ويكرهون الموت ، ولن يغير الله أحوالهم ماداموا إلى الأفعال المشينة يطمعون [٢].

وهذا النوع من التعلق بالحياة صار ظاهرة في ذات النوع من البشر ، لأنه لم يقع في بعض الأفراد ، وإنما شملهم جميعاً بل راحوا يتواصون عليه . يقول هاري ماس : لقد كان أوائلهم يلتمسون الحياة من الحماة العشائريين ، كما كانوا يطلبون أسبابها من الحماة العائلين ، شأنهم في ذلك شأن كل الأمم الوثنية ، وكانوا يتحملون في سبيل ذلك كل ألوان الذل وأنواع المهانة ، كما كانوا يعملون الأعمال المهينة كلها دون أن يظهروا أي نوع من الاستنكار[٣].

---

(١) وهذا التشبيه في نظري يتعالى على ما في طبيعتهم الغريبة ، التي لا يجدي معها فعل أي لون من ألوان الخير

(٢)الشيخ محمد على البرديسي ــ نظرات في كتاب الله ــ ص ٩٣ مطبعة المهدي ١٩٥٧م .

(٣) أ . ب هاري ماس : الأديان القديمة ص ١٧١ ترجمة مهندس راجح الزينى ط دمشق ١٩٦٨م.

وقد أدى بهم هذا التعلق إلى المحافظة على أسباب الحياة،سواء أكانت في النفاق والخداع ، أم كانت في المكر والدهاء،أو جاءت من خلال ممارسة الأفعال المنهي عنها عرفاً وطبعاً ، وهو ما يفسر تباعدهم عن الأخلاق الفاضلة كلها ، في كثير من الأوقات مع انغماسهم في الأفعال الذميمة ، التي حفلت بها أسفار العهد القديم من دعارة معلنة[١] وفاحشة سافرة [٢]، وربا لا حدود له .

بيد أن هذه الأفعال إن جاءت في مجال السلوكيات العملية ، والاحتياجات اليومية،إلا أن الجانب العقدي كان أكثر انفلاتا ، حيث ساقهم ذات التعلق بالحياة الدنيئة إلى مداهنة الحكام الذين يتملكون زمام أمورهم،واصطناع الرهبة منهم ، فكان ذلك الجبن يعطي الفرصة لهؤلاء الحكام حتى يمارسوا عليهم كل ألوان الذل والاحتقار ، بدليل أنهم حين كانوا بمصر قام الفرعون بتسخيرهم في أعمال الطين ، والبناء حتى أتم على أكتافهم بناء مدينتين ، من الطين والجص [٣].

في نفس الوقت فإن فرعون استضعف تصرفاتهم الدنيئة ، فهانت نفوسهم عليه ، وضعفت أمامه ، فراح يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم[٤]ولم يجرؤا على الصراخ في وجهه ، أو الهرب منه ، بل لم يعملوا على الخروج من هذه البلاد في مرحلة من المراحل ، إذ كانت طبيعتهم تملي عليهم الاختباء من وجه العاصفة حتى تهدأ ، حرصاً على الحياة ، وطلباً لما فيها .

---

(١) راجع للباحثة نجلاء مصطفى بوءس الدوافع في العهد القديم وموقف الإسلام فيها ص ٢١٢ وما بعدها رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية ــ جامعة الزقازيق عام ٢٠٠١م .

(٢) يذكر العهد القديم أن ابشالوم بن داود جمع سراري أبيه ونصب خيمة فوق السطح ، وظل يمارس معهن الجنس على مرأى ومسمع من الجميع ، وقد تعجب ليوتاكسيل من هذا الصنيع الغريب ، ونعت مؤلف السفر بأنه كان يغوص في العمليات الجنسية القذرة .

(٣) راجع أسفار العهد القديم ، حيث تذكر المدينتين اللتين بنيتا وهما فيتو ، رعمسيس .

(٤) سورة القصص الآية ٤ قال تعالى:". إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ" صدق الله العظيم.

كما أن هذه النفوس المريضة قد انشغلت بسرقة المصريين وخداعهم ، والعهد القديم يعترف بذلك ، وتسجله أقلامهم ، كأنه عمل يستحق الافتخار ، وإظهار التباهي ، فيذكر سفر الخروج أن الرب قال لموسى قل لشعب إسرائيل تطلب كل امرأة إسرائيلية من جارتها المصرية ، ومن نزيلة بيتها التي استضافت الإسرائيليين أمتعة فضة ، وأمتعة ذهب ، وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين[١]، وقد استجاب الشعب وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى ، حيث طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وأعطى الرب **نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم ، فسلبوا المصريين**[٢] وفروا هاربين ،إذن كان ذلك هو فعل الإسرائيليين حين هموا خارجين من مصر وقد طلبت كل امرأة إسرائيلية من جارتها المصرية إعارتها حليها وملابسها ، وأغلى ما تقتني ، لأنها تريد التحلي به في زيارة الضيوف لها ، وكذلك فعل الرجال الإسرائيليون ، حتى إذا جن الليل وأرخى سدوله ، انسحبوا جميعاً هاربين بكل ما سرقوا ، مخادعين المصريين الذين تمتعوا بقدر كبير من الغفلة ، في التعامل مع هؤلاء المناكيد .

بل أن العهد القديم نفسه ذكر أن يعقوب لما أقام عند خاله لابان ، وتزوج بنتيه راحيل وليئه ، وجمع مالاً وصار له أغنام وأتن وعبيد دفع زوجتيه — ليئة وراحيل — لسرقة أصنام أبيهما خفية فقامت راحيل بسرقة أصنام أبيها [٣]، وأما ليئة ففشلت ولم تنجح في سرقة شئ ، ولما تأكد يعقوب أن زوجته راحيل قد نجحت في هذه العملية ، خرج من أرض خاله لابان عائداً إلى بلاده،متجاهلاً أنه

---

(١) سفر الخروج ٤ / ٢١ — ٢٢

(٢) سفر الخروج ١٢ / ٢٥ — ٢٦ .

(٣) العهد القديم — سفر التكوين ٣١ / ١٩ .

سرق خاله ، الذي أواه من غضب أخيه عيسو[١] ، وزوجه بنتيه [٢]ولكنه تنكر لذلك كله ، واستباح سرقة خاله الذي هو في نفس الوقت حماه ، الذي يحل في النفس محل الأب والخال معاً ،

يقول ليوتاكسيل : لم يكتف يعقوب بهذه الخدعة المرة التي سلب فيها لابان تسعة أعشار قطعانه ، بل قام في أحد الأيام ورحل دون أن يخبر أحدا بذلك ، فقد هرب ومعه عائلته كلها ، بعد أن وافقت زوجتاه على خطته ، بل أن راحيل سرقت أصنام أبيها كلها وحملتها معها [٣].

فلما عرف لابان بأن أصنامه قد سرقت،وفيها الذهب الذي كان يحتفظ به حاول اللحاق بهم ، فلما رأت البنات أباهن تصنعت كل منهما العذر النسوي وجلست على بعض الأصنام التي سرقت ، فلما فتش الأمتعة لم يجد الأصنام المسروقة ، ولما حاول تفتيش بنتيه رفضت راحيل الامتثال،بحجة أنها عاجزة عن القيام ، لوقوع العذر الذى يأتي النساء ، ومن ثم هرب يعقوب وزوجتاه بالمال الذي سرقوه.

يقول العهد القديم : فدخل لابان خباء يعقوب وخباء ليئة وخباء الجاريتين فلم يجد شيئاً ، وخرج من خباء ليئة ودخل خباء راحيل التي كانت قد أخذت الأصنام ووضعتها في حداجة الجمل وجلست عليها ، فجسّ لابان كل الخباء ولم يجده ، فقالت راحيل لأبيها لا يغتظ سيدي إني لا أستطيع القيام أمامك لأن عليّ

---

(١) راجع سفر التكوين ١٧ / ١ ــ ٤٦ ، حيث سرد قصة خداع يعقوب لأخيه عيسو الأكبر منه ، وكان الكتاب المقدس نفسه يقنن عمليات الخداع والنصب ، ويدعو إلى ممارسة الرذائل كلها .

(٢) راجع سفر التكوين ــ الإصحاح التاسع والعشرون والثلاثون ، ففيها تفاصيل زواج يعقوب بليئة وراحيل وهي قصة فيها الخداع من كل ناحية .

(٤) ليوتاكسيل ــ التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ١٣٤ .

عادة النساء ، ففتش حولها ، ولم تقف هي ولم يجد شيئاً(١).

من ثم فإن هذا الصنف من الناس كانوا يصانعون الحكـام الأقويـاء كمـا يصانعون من ينزلون عندهم حتى يخدعوهم ثم يسرقوهم ، وذلك من شـأنه أن يدفع إلى ممارسة الأفعال التي يمارسها الآخرون ، وبالتالي صـاروا وثنيين كأصحاب هذه البلاد ، وأكثر منهم انحرافاً في الوثنية وذلك كله مما يفسر طبيعة العقلية التى تحكم هذا الصنف من الناس ، إنهم لا يحرصون إلا علـى إشـعار الأقوياء بأنهم أتباع لهم ، بغية البقاء في الحياة التي يحرصون عليها ، بكل مـا لديهم من قوة ، أو يتمكنون من مجهود وطاقة . فكـان ذلـك مدعـاة لقبولـهم الاعتقادات والأفكار الوثنية .

الثاني: تقليد الآخرين :

تقرر في الأفهام الصحيحة أن التقليد في العلوم والمعارف قد يكون أمـراً مألوفاً ، متى كان ذلك المقلد من أصحاب القدرات العقلية المتواضعة ، الذيـن لا تعينهم قدراتهم العقلية ، وإمكانياتهم النفسية على النظر في الأدلـة ، واكتسـاب العلوم والمعارف من غير اعتماد على الآخرين ، بل إن التقليد في هذه الحالـة يكون هو الأولى ما دام يقلد عالماً بدليله ، وفي الأحكام العملية لقوله تعالى :" لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا "(٢) .

أما التقليد في العقيدة فلا يصح،لأن كل إنسان مهما ضعفت إمكانياته العقلية يستطيع أن يدرك من نفسه دليل وجود الله تعالى ، وما له من الكمالات التـي لا تتناهي قال تعالى :" وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ "(٣)، قال الشيخ الخازن : وفـي

---

(١)العهد القديم — سفر التكوين ٣١ / ٣٢ — ٣٥ وراجع الإصحاح كاملاً وسترى عجباً .

(٢)سورة البقرة الآية ٢٨٦ .

(٣) سورة الذاريات الآية ٢١ .

أنفسكم ايات ، عن من مبدأ خلقكم إلى منتهاه ، أفلا تبصرون قدرة الله في خلقكم لتعرفوا قدرته على البعث ، قال ابن عباس: يريد اختلاف الصور والألسنة ، والألوان والطبائع والسمع والبصر والعقل [١] إلى غير ذلك مما يدل على وجود الله تعالى ، وتوحيده ، وما له من صفات الجمال والجلال والكمال والإكرام .

قال الإمام السنوسي : اقرب شئ يخرجك عن التقليد بعون الله تعالى أن تنظر إلى اقرب الأشياء إليك ، وذلك نفسك ، قال الله تعالى: "وفي أنفسكم أفلا تبصرون " فتعلم على الضرورة أنك لم تكن ثم كنت ، فتعلم أن لك موجداً أوجدك ، لاستحالة أن توجد نفسك ، وإلا لأمكن أن توجد ما هو أهون عليك من نفسك ، وهو ذات غيرك لمساواته لك في الإمكان[٢] والعجز عن هذا وذاك ينتهي حتما إلى ضرورة ، الاحتياج إلى الله تعالى ، وإثبات كمالاته التى لا تنقطع ولا تنتهي ، ولا يصلح فيه التقليد ، إنما لابد من الاجتهاد العقلي والفكري ، كل حسب توفيق الله تعالى له .

أما أصحاب العقول العالية ، والقدرات العقلية الراقية ، فإنهم لا يرضون بالتقليد والمحاكاة ، وإنما يصرون على ضرورة ممارسة أدوارهم الطبيعية في تأمل الكون ، والتوصل إلى معرفة الله جل علاه ، لأن معرفة الله تعالى تغني العقل الصحيح عن التوجه لغيره ، كما تجعل المؤمن يرضى بقضاء الله ، ويفرح لما يجئ به قدره ، ففي الحديث القدسي يقول رب العزة جل علاه :" من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلوائي ، ولم يشكر لي نعمائي، فليخرج من

---

(١) الإمام الخازن ــ تفسير الخازن ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٢) الإمام محمد بن يوسف السنوسى الحسنى ــ عقيدة أهل التوحيد ص ١٠٢ وبهامشها عمدة أهل التوفيق والتسديد ، وبحواش على شرح السنوسي الكبرى للشيخ اسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدى ط أولى الحلبى ١٣٥٤هـ ١٩٣٦م

أرضي وسمائي ، وليختر له ربا سواي"[١].

ولما كانت الجماعات اليهودية قد ألفوا الترحال للأمم الأخرى طلباً للعيش ، فقد انقلبوا في طلبه إلى نوع من تقليد الأمم ، التى نزلوها في الاعتقادات الوثنية والعبادات الفاسدة ، كما سمحوا لأنفسهم بإيجاد نوع من العلاقة بين الممارسة والفكر الوارد ، ومن ثم فقد عبدوا البعل تقليدا للمصريين والكنعانيين الذين كانت إقامتهم الدائمة على الشاطئ البعيد[٢] .

وكانت نزوحات اليهود إليهم متكررة طلبا للعيش ، واحتماء بهم من أعدائهم أو طلباً للنجدة ، والتماسا للخيرات التى قد يكون لها نوع من الوجود المكثف لدى المصريين والكنعانيين .

ومن ثم أخذوا منهم اعتقاداتهم الوثنية المتعددة والمتجسدة أيضاً ، يقول العهد القديم : وارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايثام في طرف البرية ، وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم ، لكي يمشوا نهاراً وليلاً ، لم يبرح عمود السحاب نهاراً ، وعمود النار ليلاً من أمام الشعب[٣]، فصار تجسيدهم للإله في أشكال جمادية من الصور التي أسرعت نحو البروز كنتيجة لتقليد الإسرائيليين لغيرهم في الاعتقادات الفاسدة .

بل إن الكنعانيين والمصريين تجاوزت شهرتهم في الملاحة ، والتجارة كل المدن الساحلية التى كانت لها شهرة واسعة كصيدا وصور ، وكانت عقائدهم وأخلاقهم فاسدة ، وقد قلدهم اليهود حتى قدموا للبعل الضحايا البشرية ، كما

---

(١) الشيخ محمد عبد الرحمن الخليفي — الأحاديث القدسية باب الميم ص ١٢٣ ، وراجع للشيخ المدني الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية ج ٢ ص ٢٥ .

(٢) الدكتور محمد عبد العظيم ثروت — الطبيعة اليهودية وأخطارها ص ٤١ ط أولى ١٩٥٥ .

(٣) العهد القديم — سفر الخروج ١٣ / ٢٠ — ٢٣ .

كانوا يتقربون إلى آلهتهم المتعددة بالشهوات[١] ، وممارسة ألوان المعـــاصي لا حباً فيها ، وإنما ليضمنوا عطف المصريين والكنعانيين عليهم ، وحسبانهم ضمن رعاياهم .

يقرر ول ديورانت أن موسى لم يستطع منع قطيعه من عبادة العجل الذهبي ذلك لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا بمصر[٢]فكانت هذه العبادة منهم للبعل المصري ، بمثابة دليل واضح على رغبتهم الشديدة فـــي تقليد الآخرين فيما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والأخلاق ، وعدم تخلفهم عنها .

وكان البعل في تلك البلاد يعرف بأنه الرب أو السيد العظيم ، كمـــا كـــانوا يقولون إنه إله الشمس ، وقد عبده الفنيقيون ، والكنعانيون ، ومن جـــاورهم ، أو تعامل معهم ، حتى امتدت عبادته إلى البلاد الأوربية في اسكنديناوه وإنجلترا ، وايرلندا ، نظراً لوجود شبه بين عبادة البعل ، وبين اعتقادات سكان هذه الجهات في ذات الوقت[٣] .

ولم يخرج اليهود عن هذه الاعتقادات الفاسدة ، وإنما تمسكوا بها رغم أنـــها لم تكن اعتقاداتهم الأصلية ، وإنما قاموا بها إرضاء لغيرهم،أو تقليداً لهم ، بدليل أن عجل أبيس كان واحداً من آلهة مصر القديمة ، وكانوا يتخذون لـــه صـــورة ثور صغير وتنحت له تماثيل من ذهب ، ولذلك كان بنو إسرائيل متـــأثرين بـــه عبادة له واعتقاداً فيه حتى صنعوا لأنفسهم عجلاً من ذهب ، وبعد خروجهم مـــن مصر استمروا على عبادته [٤].

كما عبد اليهود الإلهة عشتروت أنثى البعل ، وقد كثرت عبادتها بين طوائف

---

(١)الشيخ عطية إبراهيم الشوادفي — دراسات في التوراة ص ١٣٥ .

(٢)ول ديورانت — قصة الحضارة المجلد الأول الكتاب الثاني — الشرق الأدنى ص ٣٣٨ .

(٣)الشيخ رضوان على المنيلاوي — العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ص ١٩٣ ط دار المهند ١٩٠٧م .

(٤) الدكتور / فوزي محمد ثابت — اليهود وتاريخهم ص ١٩٣ ط أولى ١٩٥٧م .

اليهود في سوريا وفينيقيا ، وسماها اليونان والرومان استر[١]، وكانت الطقوس المصاحبة لعبادتها تتسم بالخلاعة والفجور ، وأطلقوا عليها أيضاً اسم ملكة السماء وقد اقترنت عبادتها بعبادة البعل عند اليهود ، على أساس أن البعل يمثل قوى الخليقة الذكرية ، بينما تمثل عشتروت القوى الأنثوية [٢]، وذلك مما يؤكد أن اليهود كانوا يقلدون غيرهم في اعتقاداتهم الوثنية ، وعباداتهم الباطلة ، مهما كانت متدنية في صورها ، وطرائق ممارستها .

يدل على ذلك قوله تعالى :" وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ " [٣].

يقول الشيخ أبو حويلة : كانت مشكلة اليهود داخلية فهم يعتقدون أنهم أبناء الله ، ثم يقلدون الوثنيين في اعتقاداتهم الوثنية،كالبعل والجعران عند المصريين ، والحية الزرقاء عند الأسكندرانيين ، وقد نتج عن ذلك كله اضطراب في السلوكيات اليهودية لم تقف عند حد معين[٤]. كما أن هذا التقليد قد دفع بهم إلى التخلي عن اعتقاداتهم الأصلية ، وكلما تخلى الإنسان عن الأصول الصحيحة التي جاء بها نبي الله إليه ، فإن الضلال يلتف حوله من كل ناحية ، ويأخذ به من كل اتجاه ، ومن ثم فإن ما وقع فيه اليهود كان بمثابة إعلان نهاية الجماعة اليهودية ، وانخراطها في الجماعات الوثنية .

---

(١)الدكتور – محمد السيد صابر – العقائد الوثنية ص ١٨٣ ط أولى ١٩٦٥م .

(٢) راجع الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية ص ١٠٢ ط أولى المنار ١٩٢٣م .

(٣)سورة الأعراف الآية ١٣٨ .

(٤)الشيخ رزق محمد أبو حويلة – اليهود والعقائد الوثنية ص ٤٧ .

أجل وقع اليهود في تناقض غريب ، ظهرت أثاره في اعتقاداتـــهم التـــي أعلنوا عنها وحملتها أسفار العهد القديم ، وجاءت حكايتها على ألسنة مؤلفيـــها، ولأن من يزعم أنه ابن الله ، يجب عليه ألا يخرج عن تعاليم هذا الإلــه ، فــإذا خرجوا عليه فقد هدموا معبدهم على رؤسهم ، ونقضوا قضيتهم مـــن أصلـــها ، وكانوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة ، حتى صارت يضرب بها المثل .

قال تعالى :" وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِـــذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"[١]، قال المفسرون : أن هذا من الأمثـــال التـــي تضرب حتى يحذر منها العاقلون ، فكل من عرف طريق الله جل علاه ، وأدرك ذلك فعليه التمسك به ، وعدم التهاون فيه ، فلا يلجأ إلى عبادة آلهة أخرى ، ولا يطمع في أمر يغضب الله جل علاه ، وإلا كان حاله كحال التي صنعت غـــزلاً متيناً ، فلما تم لها وصار بإمكانها الاستفادة منه ، تحولت إليه فنقضته من أصله، فصار فعلها يمثل صورة النكارة والخذلان[٢]، وكذلك الحال مع اليـــهود الـــذى جاءهم نبي كريم من عند الله يعرفهم به ويدلهم عليه ، ويأخذهم إلـــى طريـــق طاعته ، كما يدلهم على ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، لكنهم تركوا ذلك كلـه ، وصاروا إلى غيره .

ولئن كانت عملية التقليد للآخرين في الآلهة قد نالت من اليهود شيئاً غـــير قليل ، فإنها لم تقف عند حد معين ، وإنما غطت كل الجوانب ، سواء أكان ذلـك في تعددهم الآلهة أم في تجسدات الآلهة التى انتشرت بين أفراد المجتمعـــات ،

---

(١) سورة النحل الآية ٩٢ .

(٢) راجع للإمام القرطبي الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٧٩ وما بعدها ، وللإمام الفخر الرازي مفـاتيح الغيب المجلد العشرون ص ٩٥ وما بعدها ،وللإمام أحمد الصاوي حاشية الصاوي على الجلالين ج ٢ ص ٣٢٠

والأمم حين نزل اليهود إليها ، أو كانت لهم تعاملات معهم حيث كان أصحاب هذه التعاملات هم الذين يملكون اليد العليا .

وقد عبر موسى بن ميمون[١]عن ذلك من خلال العملية التي نقلت عنه ، إذ أنه لما كان في المغرب كتب رسالة باللغة العربية حث فيها الجماهير اليهودية على التمسك بالعروة الوثقى ، والثبات على النوازل والكوارث التي يريدها الله[٢]، فكان مقلداً أهل الإسلام الذين يؤمنون بقضاء الله وقدره ، ومع ذلك يبذلون كل جهدهم في العمل والاجتهاد .

ولما استقر في مصر وتعايش مع المسلمين ، وصل إلى منصب طبيب البلاط الملكي ، ثم هدأت نفسه حين تولى رئاسة الطائفة اليهودية ، فألف كتب هاجم فيها معارضيه من أبناء ملته ، وهم القراؤن ، ثم هاجم المتكلمين من المسلمين[٣]مقلداً من سبقه .

الثالث : النفاق[٤] الإعتقادي :

النفاق مرض متى أصاب فرداً أو مجتمعاً تحول به من طريق الخير إلى طريق الشر ، ومن الهدى إلى الضلال ، ومن العلاقات السوية إلى الأخرى الشاذة ، ومن ثم فقد تعددت أنواعه ، وجاء كل نوع منها وقد إندرجت تحته مسائل ، وكلها مارسها اليهود على أوسع ، نطاق فمن أنواعه :

---

(١) هو رمبام ويعرف في الأوساط العربية والإسلامية بموسى بن ميمون بن عبيد الله القرطبي ، ولد بقرطبة عام ١١٣٥م ، ومات في الفسطاط عام ١٢٠٦م ، ثم دفن في طبرية ــ راجع لإسرائيل ولفنسون موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ص ٢٥ ط ١٩٣٦م ، وراجع للدكتور دي لاس أولير ــ الفكر العربي ومركزه في التاريخ ص ٢٤٤ ترجمة اسماعيل البيطار ط دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٧٢م .

(٢) الدكتور/ إسرائيل ولفنسون ــ موسى بن ميمون ــ حياته ومصنفاته ص ٧ .

(٣) الدكتوره / اوتسر يسرائيل ج ٦ ص ١٧٧ .

(٤) وردت مادة الكلمة ــ ن ، ف ، ق ــ في القرآن الكريم حوالي أربع مرات ومائة ــ راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٧١٥ /٧١٧

أ – النفاق الدينـــي .

ب – النفاق السياسي .

ج – النفاق العلمـــي .

د – النفاق الأخلاقي.

هـ– النفاق الاجتماعي .

وكل نوع منها يمكن أن تتم ممارسته لمن يجيده ، أو يتفنن في معرفة أدواره ويحسن القيام بها على وجه الإجادة فيها ،وبخاصة إذا كانت البواعث إليه هـــي الغـــالبـــة على من يقوم به ، وهو محرم في شريعة الإسلام الغــــراء ، وكـــل الدوافع التي تؤدى إليه مرفوضة عندنا نحن المسلمين ، لأنها تناقض الإخـــلاص الذي أمر به الله تعالى .

ومن ثم فقد توعد الله أهل النفاق بالعذاب الأليم قال تعالى :" إِنَّ الْمُنَـــافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا "[١]. فهم في الطبقة السفلى مـــن قعر جهنم ، لأنهم جمعوا بين الكفر والاستهزاء بالإسلام وأهله ،والنار دركات ، كما أن الجنة درجات ، ولن تجد لهؤلاء المنافقين ناصراً ينصرهم ، أو منجيـــاً ينجيهم من عذاب الله تعالى[٢].

"واليهود قوم فيهم الذلة والمسكنة طبيعة لا تفارقهم [٣]وسلوكيات لا يخرجون عنها ، كأنهم جبلوا على الخداع والمكر ، وبالتالي فهم يرون النفاق وسيلتهم التى يغطون بها أفغالهم العدوانية ، كما يتقربون به إلى الحاكم مهما كان غشـــوماً[٤]

---

(١) سورة النساء الآية ١٤٥ .

(٢) الشيخ محمد على الصابونى – صفوة التفاسير ج ٢ ص ٣١٢ .

٣) قال تعالى :" وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ" سورة البقرة الآية ٦١ .

(٤) الدكتور/ محمد عبد العظيم ثروت – الطبيعة اليهودية وأخطارها ص ٣١ ط أولى ١٩٣٧م .

ولكنهم قد يفشلون في الوصول إلى قلب الحاكم ، فيسومهم سوء العذاب ويعيشون في الأرض مستضعفين

وقد عبر القرآن الكريم عن صورة من ذلك قال تعالى : ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" [١].

والمعنى: أن هؤلاء اليهود لزمهم الضعف والهوان أينما كانوا ، وأحاطا بهم كما يحيط البيت بساكنه ، لا ينفصل عنهم ، إلا إذا رجعوا إلى الله تعالى ، وتمسكوا بحبله ، وهو شرعه الذى شرع لهم ، وما جاء في كتاب الله مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن القرآن هو حبل الله المتين[٢]، وقاموا على الوفاء بما عاهدوا عليه الله من صحة الاعتقاد وسلامة العبادة ، والوفاء بما عاهدوا عليه الناس من التزام الحقوق والواجبات ، فإذا لم يلتزموا بذلك رجعوا مستوجبين الغضب الشديد من الله ، ولزمتهم الفاقة والحاجة ، كما أحاطت بهم من كل جانب ، لأنهم جحدوا بآيات الله ، وقتلوا الأنبياء ، وتمردوا على الله ، وعصوا أوامره[٣].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٢ .

(٢) وفي الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم ، أنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قالوا : وما المخرج منها يا رسول الله ، قال: كتاب الله ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدي في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وهو الذكر الحكيم ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم .

(٣) الشيخ محمد محفوظ نور الدين ـ من فيض الرحمن في تفسير آل عمران ص ٢٣٧ ط الدار الجديدة ١٩٧٤م .

وقال ابن كثير: ضربت عليهم الذلة حيثما وجدوا ، فلا عز لهم ،ولا اعتصام إلا كائنين بحبل من الله ، وحبل من المؤمنين ، وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية ، فلا عصمة لهم غير ذلك ، ورجعوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ، وقد وقع عليهم ذلك كله ، بسبب أنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك تأكيداً لعصيانهم لأمر الله ، وكانوا يعتدون حيث يتجاوزون الحلال إلى الحرام (١).

والملاحظ أن الآية الكريمة جاء فيها لفظ ضربت مكرراً ، على سبيل التأكيد اللفظي ، مع أن ناتج الضرب مثنى — الذلة والمسكنة — مع بيان أن الذلة تلاحقهم أينما كانوا ، للتدليل على أن نفسية هؤلاء اليهود غارقة في الأوهام ، كما أن ذواتهم غارقة في الأوحال ، فكانت الأفعال التي يمارسونها مستوجبة العقوبات التي ضربت عليهم ، حتى تعيدهم إلى طريق الحق والهداية ، أو تحكم عليهم بأنهم ارتضوا السير في طريق الضلال والغواية حتى النهاية.

بيد أن نزوح اليهود طلباً للراحة ، ورغد العيش ، لم يتوقف بل كان أمراً ضرورياً بالنسبة لهم ،وقد تكرر ذلك منهم ، حيث كان لهم نزوح إلى أرض كنعان(٢)وكانوا قد جبنوا عن دخولها أيام نبى الله موسى الكليم ، تنفيذا لأمر الله تعالى،فعاقبهم الله بالضياع في التيه أربعين سنة،دون أن يتمكنوا من الخروج أو يعرفوا طريقاً يؤدي بهم إلى الخروج ، قال تعالى : "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ

---

(١) العلامة أبن كثير — مختصر تفسير ابن كثير ج ١

(٢) كنعان هي أرض فلسطين الحالية على الجنوب الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وهي أرض ضيقة نسبياً بين البحر والصحراء ، وكان طولها ١٥٠ ميلاً تقريباً ومساحتها ١٠٠٠٠ ميل مربع تقريباً ، ومعظمها في الماضي كان أرضاً خرباء ،وبخاصة في الجنوب والشرق ، أما شمالها فوديان خصبة تتوقف زراعتها على الأمطار الشتوية ونظرا لموقعها بين مصر وفينيقيا ، وأسيا الصغرى ، بين دجلة والفرات فقدكانت كنعان هذه سوقاً لتلك البلاد وطريقاً للتجارة بينها ، كما كانت مسرحاً للقتال الذى وقع بين تلك الأمم ما بين أعوام ١٦٠٥/١٥٨٠ قبل الميلاد — راجع التاريخ العام ص ١٦٥ . .

اذكرو نعمه الله عليكم إذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين يا قوم ادخلوا الأرض المقدسه التي كتب الله لكم ولا ترتدّوا على أدباركُمْ فتنقلِبُوا خاسرين ⁾[١].

والمعنى أن نبي الله موسى بن عمران قال لقومه من بني إسرائيل ، اذكروا نعمة الله عليكم التي تعددت أنواعها واشكروه عليها ، حيث بعث فيكم الأنبياء[٢] الكثيرين ، يرشدونكم إلى رب العالمين ، ومعالم الدين ، وجعلكم فوق ذلك تعيشون كالملوك لا يغلبكم غالب ، بعد أن كنتم مهزومين مقهورين لفرعون ، فأنقذكم منه ، وأراكم هلاكه[٣].

كما أنه تعالى أتاكم من أنواع النعيم والإكرام الكثير من فلق البحر، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك ، ثم طلب موسى إليهم أن يدخلوا بيت المقدس معه ، وسميت الأرض المقدسة ، لأنها كانت قرار الأنبياء ، ومسكن المؤمنين ، وقد كتبها الله لبني إسرائيل من خلال الوعد الذي قطعه الله مع إسرائيل الجد الأكبر ، ولا تكونوا خاسرين بارتدادكم عنها خوفاً من الجبابرة الذين يسكنونها الآن ، فأنتم لهم هداة [٤]، ولكن بني إسرائيل خافوا وجبنوا ، ثم رفضوا دخول الأرض المقدسة مادام فيها القوم الجبارون ، وهي الطبيعة اليهودية الجبانة التي تعيش على الذل وترضى بالمهانة ، طالما كان الآخرون أقوى منهم ، وسياق الآيات القرآنية يدل على ذلك ، أن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون .

---

(١) سورة المائدة الآيتان ٢٠ ، ٢١

(٢) وقال العلامة البيضاوي لم يبعث الله في أمة من الأمم ، ما بعث في بني إسرائيل من كثرة الأنبياء — الإمام البيضاوي — تفسير البيضاوي ج ١ ص ١٤٨ .

(٣)الشيخ محمد على الدين إبراهيم — تفسير سورة المائدة ص ٨٩ ط ثانية ١٩٧٤م .

(٤) الدكتور / رمزي محمد الدليل — نظرات في سورة المائدة ص ٥٣ ط أولى ١٩٨١م .

إذن كانت فترة التيه في الأرض غير كافية لاصلاح شأن اليهود وأحوالهم ، فقضى الله على بقيتهم التى خرجت من مصر بالموت ، لتتأصل تعاليم الدين في نفوس النشأة المولودة في التيه ، ولكن ذلك لم ينفع فيهم أيضاً فإنهم يفسرونها على أن الرب أخبرهم بها وكلمهم عنها [١].

لقد زعموا أنه ليس عليهم القيام بها ، أو العمل على تحقيق الأهداف منها ، وكيف لا وهم الذين وضعوا في أسفارهم موسى موضع الرب الإله ، حيث يقول سفر الخروج : قال الرب لموسى أنا جعلتك إلهاً لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبيك ، أنت تتكلم بكل ما آمرك ، وهارون أخوك يكلم فرعون ليطلق بني إسرائيل من أرضه [٢]. لقد كانوا مع موسى جماعات ، فيهم من يمضي معه ويوافقه ويحاول ضبط إمكانياته معه ، ومنهم من يخالفه ولا يحالفه .

غير أن اليهود بدلوا اتجاههم مع يشوع بن نون خليفة موسى عليه السلام في بنى إسرائيل ، وأمكنه أن يدفع بهم إلى أرض كنعان مرة أخرى ، حتى وقع لهم الاستيلاء عليها ، ودانت أرض كنعان لهم حيناً من الزمان ، فانصرفوا إلى عبادة الأصنام ، والسجود للأوثان من جديد ، والتنادى بالآلهة الوثنية ، فوقع عليهم الحكام القساة الذين اندفع اليهود في طريق نفاقهم ، ولم يتوقفوا عند حد بعينه ، وقد استمر ذلك معهم ، متى تتابع على اليهود حكام كانوا من القضاة ،

---

(١)سفر العدد ١ / ٢٦ ـ ٢٧ وسفر العدد ٣٥ / ١ ـ ٨ .

(٢)العهد القديم ـ سفر الخروج ٧/١ـ٣ والملاحظ أن سفر الخروج يحكي قصصاً عديدة ، فيحكي قصة دخول بني إسرائيل مصر ، ثم خروجهم منها ، كما أنه يحمل أغلب التكاليف التي تسير عليها الجماعات الإسرائيلية ، وبخاصة الإصحاحات من العشرين حتى نهاية السفر ، وفيها كل الوصايا والتكليفات ، وكم أتمنى أن ينهض باحث لدراسة ذلك السفر في رسالة جامعية ، فكل ما فيه يخالفه اليهود .

الذين امتدت فترة حكمهم حيناً من الزمان ، وعرف ذلك باسم عهد القضاة [١].

وفي عهد القضاة وقع اليهود في أحوال مختلفة ، إذ أنهم ما كانوا يخرجون من مصيبة إلا وتلحقهم جملة من المصائب ، نظراً لما هو قائم في الطبيعة اليهودية المحبة للفتن ، والدسائس ، وزرع الخلافات ،والتعامل بأكثر من وجه ، وتبني المواقف المختلفة ، طبقاً لطبيعة الظروف التى يقعون فيها ، أو يلقون بأنفسهم في أعماقها ، وسفر الخروج من أكثر الشواهد على بعض جرائمهم [٢].

ثم ان الأمم التي كانوا ينزلون بها ، ما إن يذوقون من كأسهم المر ، إلا ويسارعون بمطاردتهم في كل مكان ينزلون إليه ، كما يلجأون إلى محاربتهم ومعاقبتهم على الجرائم التي ارتكبوها في حق الأمم المختلفة ، من كذب ونفاق وخداع ومؤامرات واغتيالات،وجرائم جنس لا حدود لها [٣]، وقد استطاعت هذه الأمم غزو اليهود مرات عديدة ، بجانب اضطهادهم إلى الحد الذي يظنون أنه أرجعهم إلى الصواب ، لكن طبيعة اليهود لا تعرف الرجوع للحق أو الاهتداء إلى الصواب ، ماداموا كفروا بالله ، وحاربوا أنبياءه وقتلوهم .

من المؤكد أنه كانت هناك في حياة اليهود ، بعض فترات الهدوء النسبى ، التى تجئ قاطعة لهذه الهجمات ، وحينئذ يتولي قيادة الإسرائيليين قضاة منهم ، بحجة أنهم أرسلوا من الرب لتخليص شعب إسرائيل من أعدائهم ، وهؤلاء

---

(١)ويذكر سفر القضاة أن عثنيل هو أولهم ظهوراً حيث اختار اليهود قضاة ليحكموا فيهم ،وكان ظهور القاضي الأول بعد ثماني سنوات من سقوط الشعب الإسرائيلي في الوثنية حتى صاروا عبيداً للأمم المجاورة ، فحررهم هذا القاضي من العبودية ، ولكنهم بعد سقطوا من جديد في الوثنية ، فسقطوا بعد أربعين سنة في العبودية ـ راجع سفر القضاة ٩/١٠ ، ١١ / ١٤ ومراجعة السفر تطلع القارئ على أمور كلها غرائب وتحمل الأساطير .

(٢)راجع للأستاذ عبد الله التل ـ أخطار اليهودية على الإسلام والمسيحية ، وللشيخ محمد نصر ـ اليهودية الخطر الدائم ، وللدكتور / فوزي عبد العظيم ـ اليهود وأخطارهم .

(٣)الدكتور / محمد عبد العظيم ثروت ـ الطبيعة اليهودية وأخطارها ص ٤٣

القضاة قد كثروا وكان من أشهرهم عثنيل الذى خلصهم من حكم كوشان ملك آرام ــ بلاد ما بين النهرين ــ بعدما عبدوا كوشان ثماني سنوات حين أزلهم وأخضعهم لسلطانه ، أو أمرهم بعبادته وكانوا يمارسون اعتقاداته ويجسدون آلهتهم كما يفعل كوشان نفسه [١].

وبعده عبدوا عجلون ملك موآب ثمانى عشرة سنة ، فلما أنقذهم أهودا اليهودي الأعسر [٢] من الحكام القساة لم يرتدع بنو إسرائيل ، ويشكروا الله على ما أنعم به عليهم ، ولكنهم رجعوا للشر فعملوه بشكل واسع ، ولم يرجعوا عنه حتى أذلهم الملك الكنعاني يابين عشرين سنة[٣] كانوا يبذلون قصارى جهودهم لإقناع هؤلاء الملوك بأنهم رجعوا عن الشر ، واقرب طريق يبلغهم ذلك هو النفاق ، وعرض نسائهم وبناتهم للجنس الحرام[٤].

ثم جاءتهم دبورة المتنبئة التى أنقذتهم من الملوك الطاغين ، فلما نعموا بالعيشُ ، تنكروا للإله الذى أخرجهم مما كانوا فيه، فرجعوا إلى عمل الشر

---

(١) سفر القضاة ٣/٥ــ٦ حيث سكن بنو إسرائيل وسط الكنعانيين والحثيين بجانب االآموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا من بناتهم زوجات لهم ، وأعطوا بناتهم لبنيهم ، وعبدوا كل آلهتهم .

(٢) يذكر سفر القضاة أنه أهود بن جيرا البنياميني ، وكان رجلاً أعسر ، فأرسل بنو إسرائيل بيده هدية يعجلون مل موآب ، فعمل أهودا لنفسه سيفاً ذا حدين طوله ذراع وتقلده تحت ثيابه حتى فخذه اليمنى ، وقدم الهدية لعجلون ملك موآب ، وكان عجلون رجلاً سميناً ، فلما انتهى من تقديم الهدية ، انصرف حاملوها ، أما أهودا الأعسر فقال للملك عندي كلام سر ، فأخرج الملك جميع الواقفين ، فدخل عليه أهودا والملك جالس في عليّة برود ، فقال أهودا عندي كلام الله إليك ، فقام الملك عن الكرسي ، فأخرج أهودا السيف وضربه في بطن الملك عن آخره ، فقتله ثم خرج من عنده وأغلق الباب عليه ، ثم هرب ، ولما وصل إلى إفرايم ضوب بالبوق ونزل بنو إسرائيل معه ، وقتلوا عشرة آلاف رجل موآبي واستراحت إسرائيل ثمانين سنة ، سفر القضلة ٣ / ١٢ ــ ٣١ .

(٣) سفر القضاة ٣ / ١٤ .

(٤)الدكتور / فوزي محمد خضر ــ اليهود عبر التاريخ ص ٦٥ ط أولى ١٩٥٧م .

بأكثر مما كانوا يعملون من قبل مدة سبع سنين [١] فوقعوا في الأسر مرة أخرى ، وسيطرة الملك الطاغية [٢]،وهنا عادوا لسيرتهم الأولى من النفاق واستخدام المال والجنس ، وهم مهرة في استخدام الأساليب الاجرامية بكل ما تحمله الكلمة من معان ، أو يمكن أن تنقله من مدلولات .

ثم جاء جدعون فأنقذهم مما هم فيه من ضعف ومذلة ، لكنهم رفضوا هذا التكريم الإلهى ، وعادوا لممارسة أعمال الشر كلها ، وبخاصة الزنا الذي توسعوا في ممارسته ، والدعوة إليه ، تقليداً للبلعيم الذي عبدوه مرات كثيرة مع العشتروت إنثاه ، والهه آرام ،وآلهة صيدون ، وكذلك آلهة موآب وبني عمون ، وآلهة الفلسطينيين كلها .

وفي نفس الوقت تركوا الرب الذى أنقذهم وتخلوا عن عبادته [٣] لأنهم لم يجدوا من يرغمهم على ممارسة تلك العبادة ، مما يؤكد أن عصر القضاة كان من أبرز عصور الانحلال الأخلاقي ، والانحطاط في العقيدة ، والقيم وإبراز التعدد في الآلهة الوثنية إلى أبعد مدى ، واستعمال النفاق مع قادة تلك البلاد وحكامها القساة بكل ما أمكنهم [٤].

إذن كانت طبيعة اليهود أنهم كلما نزلوا أرضاً ، ووجدوا من ملكها قسوة ، سارعوا إلى نفاقه في الاعتقادات ، فعبدوا آلهة متعددة ، وجسدوا تلك الآلهة ، حتى وان لم تكن قائمة في أفهامهم مع أن العهد القديم نفسه قد أكد على رفض

---

(١)العهد القديم ــ سفر القضاة ٣ / ٨ .

(٢)لم يكن بنو إسرائيل ولن يكونوا مستعدين لفعل الخير أبداً ، كما أنه ليس لديهم أي استعداد للخروج عن أعمال الشرور والآثام ، إنهم حفنة من البشر قد عجنوا بماء الشيطنة ، وخبزوا بدماء الحرام فهم المرارة بعينها.

(٣)سفر القضاة ٤ / ١ ــ ٥ ، قضاة ٦ /١ ــ ٣ وقضاة ١٠ / ٦ــ ٩.

(٤)بل إن مراجعة أسفار العهد القديم تؤكد أن هذه الأعمال العدوانية كان بعض اليهود يقومون بها طواعية ، والبعض الآخر كان القيام به يتم رغماً عنهم ، لكنهم على كل حال كانوا ضالعين في هذه الأمور إلى حد الإجادة والإتقان .

الرب هذه الآلهة ، حيث قال الرب لموسى : أنت تقول لبني إسرائيل أنتم رايتم أنني من السماء تكلمت معكم ، لا تصنعوا معي آلهة فضة ، ولا تصنعوا لكم آلهة من ذهب ، مذبحاً من تراب تصنع لي، وتذبح عليه محروقاتك ، وذبائح سلامتك غنمك وبقرك في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكرا آتي إليك وأباركك[1] ، كما يقول له : لا تسب الله ولا تلعن رئيساً في شعبك [2] ، وفي نفس الوقت يحذر من التعاون مع المنافقين فيقول : لاتقبل خبراً كاذباً ، ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم [3]، ولكنهم تركوا ذلك كله .

إنهم يمارسونها لينافقوا بها الملك الذى أظلهم حكمه ، أو اغتصب أرضهم وديارهم ، أو نزلوا طواعية عنده ،أنهم يزينون له الباطل حقاً ، والخطأ صوابا ، مرددين الأناشيد التى وضعها الكهنة لها ، وهم لا يفعلون ذلك عن قناعة بصدق هذه الآلهة المتعددة وتجسداتها ،وإنما يقومون بذلك كله من باب النفاق الاعتقادي إرضاءً للحاكم حتى يضمنوا لأنفسهم مكاناً بارزاً في مملكته ، أو داخل عقله وقلبه ، ولا مانع لديهم من الوصول إلى وجدانه إن أمكنهم ذلك مع أنها اعتقادات فاسدة ، وعقوباتها متعددة . .

قال تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ"[4]، والمعنى: أن الذين عبدوا العجل من اليهود وغيرهم واتخذوه إلها،قد وقع عليهم غضب من الله الواحد الأحد ، الخالق الذى لا خالق سواه ، ولا معبود إلا هو ، حيث يقع عليهم في الدنيا الذل والهوان وقد وقع ذلك عليهم قال الإمام ابن كثير : أما الغضب الذى نال بنى إسرائيل

(١)سفر الخروج ٢١ / ٢٣ ــ ٢٥ .

(٢)سفر الخروج ٢٢ / ٢٨ ــ ٢٩

(٣)سفر الخروج ٢٣ / ١ ــ ٢

(٤) سورة الأعراف الاية ١٥٢ .

فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة ، حتى قتل بعضهم بعضاً ، وأما الذلـــة فقــد أعقبهم ذلك ذلاً وصغارا في الحياة الدنيا ، كالحال مع كل صاحب بدعة.[1] وقال سفيان بن عيينة : كل صاحب بدعة ذليل [2]،والله عز وجل حكم على كل مـــن لجأ لغيره ،واعتقد فيه ،مهما كان نوع المعبود بالذل والهوان في الدنيا والآخرة .

يقول الشيخ المنيلاوي : لم تكن العقائد التى أعلنها اليهــود أو اعتقــدوها خالصة لهم ،وإنما كانت في الأغلب الأعم تمثل نوعاً من إرضاء الملك،أو رغبة في انتزاع الشر الذي زين في عينيه [3]، ولذا فقد نزعوا إلى النفاق الدينى ، كما نزعوا إلى النفاق الاجتماعي والسياسي والأخلاقي ، وقد برعوا في ذلك كلـــه ، بحيث لم يتمكن أحد من مجاراتهم في شئ منها ، إنهم يملكون وجودها لا تعرف الحياء وكأنهم قطعوها من الحجارة ، كما قد ملكتهم شياطين ألقـــت بـــهم فـــي المجاهل على كل ناحية .

فحق فيهم قول الله تعالى:" فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِــئِينَ "[4]حيــث أن الله تعالى عاقبهم باعتدائهم في صيد السبت المحرم ، واحتيالـــهم علـــى الحيتـــان ، وخداعهم لأنفسهم ، زاعمين أنهم إنما يخادعون الله تعالى ، وهو منزه عن ذلـك كله ، وكان عقاب الله لهم متمثلاً في مسخهم من أشــــكالهم الإنســـانية ، حتـــى صاروا قردة تحمل الذل والمهانة ، زجراً لهم ، ولمن يأتى بعدهم من أمثالـــهم ، وموعظة لأهل الإيمان الصالحين [5].

---

(١)الإمام ابن كثير ـــ مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٢ .

(٢)الإمام الإمام الطبرى ـــ جامع البيان ج ١٣ ص ١٣٦ .

(٣)الشيخ رضوان على المنيلاوى ـــ العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ص ٢١١ .

(٤) سورة البقرة الآية ٦٥ .

(٥)الشيخ محمد عبد العظيم البهنساوي ـــ نظرات في كتاب الله ص ١٢٥ .

ومن يسترجع صفحات التاريخ قديمها والحديث ، ويقلب ذات الصفحات في حكايتها عن اليهود ، يراهم قد برعوا في النفاق الاجتماعي ، حتى خدعوا المصريين فسرقوا ممتلكاتهم،كما سرقوا من نسائهم الحلى والأوانى ، وفي نفس الوقت خدعوا الملوك والحكام الذين تعاملوا معهم دون أن تنال من وجداناتهم وخزة ضمير حي ،أو تتحرك فيهم نزعة إلى الخير، قال الله تعالى :" قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ " (١).

قال الشيخ الصعيدي : قل لهم يامحمد أنتم تعيبوننا لأننا آمنا أن الله واحد منزه عن الشبيه والشريك والولد ، أثبتنا له ما أثبته لنفسه ، فلا نعاب به ، بل نثاب عليه إن شاء الله ، أما أنتم فإني أخبركم حالكم في الشر وانتظار العقوبة والجزاء الأليم من الله تعالى في الدنيا والآخرة ، لقد كفرتم به ، فطردكم من رحمته،وانهمكتم في المعاصي مع وضوح الآيات لكم،فمسخكم الله قردة وخنازير وجعل منكم عبدة الشيطان حيث أطعتموه ولم تحيدوا ، فأنتم من أشر الناس عذاباً ، لأنكم الموصوفون بالقبائح كلها ، وفيكم الفضائح لأنكم ضللتم عن سبيل الله، وتركتم صراطه المستقيم ، والجزاء من جنس العمل (٢).

ومن أكثر الأدلة وضوحاً على عشقهم للنفاق في صوره المختلفة ، وبخاصة الاعتقادي قوله تعالى :" وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَ

(١) سورة المائدة الآية ٦٠ .

(٢) الشيخ محمد عبد العظيم الصعيدي ـ تفسير سورة المائدة ص ٩٥ ط الدار الحسينية ١٣١٩هـ .

كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " [1] .

بيد أن نفاق اليهود لم يتوقف عند عصر بعينه ، أو في ظل حكومة أو ملك بذاته ، وإنما انطلق مخترقاً كل العصور وكافة الحكومات [2]، حتى أمكن لهم مصانعة بلفور الإنجليزي الذي أصدر لهم وعده بإنشاء وطن فوضوي لليهود الملاعين في فلسطين العربية وعمل على تحقيق ذلك مستغلاً الظروف التي كانت قائمة لأبعد حد [3].

ويذهب البعض إلى أن بلفور وقع ضحية امرأة يهودية لعبت به أخلاقياً مستخدمة الجنس المحرم كأحد الوسائل معه ، كما فعلت أستير مع الملك الفارسي في القديم ، وإن هذه المرأة اللعوب أوقعت بالغادر الفاجر في حبائلها ، وطلبت منه وضع فلسطين تحت تصرف اليهود على الناحية غير الرسمية ففعل، وبالتالي سمح بالهجرات السريعة اليهودية لأرض فلسطين ، فلما أيقن قدرتهم على تحقيق حلمهم ، سجل ذلك الوعد الآثم على نفسه حتى يعمل على تنفيذه[4].

وقد نجحت العصابات الصهيونية في استغلال النفاق السياسي حتى سرقوا أرض فلسطين العربية المسلمة ، وراحوا يطاردون أهلها الأصليين عن طريق تفريغ القرى العربية من سكانها بالمذابح الجماعية المتتالية ، كالحال في مذبحة دير ياسين ، وغيرها من القرى الفلسطينية حتى تفرغ تلك من سكانها ليحل بدلاً

---

(١)سورة المائدة الآيات ٦١ — ٦٤ .

(٢) ويعتبر وعد بلفور من أسوأ الوعود في التاريخ المعاصر لأنه وعد من لا يملك لمن لا يستحق .

(٣) لم أتحدث بالتفصيل عن أنواع النفاق الإسرائيلي لأن ذلك قد يخرج هذا الجزء عن الغاية منه ، ولذا فقد ألمحت إلى الناتج عن النفاق .

(٤) الدكتور / عبد العزيز أحمد زهران — إسرائيل وألاعيب السياسة ص ١٣٥ ط أولى وكلامه أو استنتاجاته فيها ربط قوي بأحداث العهد القديم وبخاصة سفر أستير مما يجعلها مقبولة .

منهم المستوطنون اليهود ، الذى قذف بهم التاريخ في المجاهل ، ولـــم يجــدوا لأنفسهم مكاناً ضيقاً في سلاله [١] ، وهاهم يقيمون في فلسطين المغتصبة تـــحت زعمهم أنها أرض الميعاد التي وعدهم بها الرب ، وهم في كـــل مـــا زعمـــوا كاذبون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

لكنهم في كل الحالات مارسوا النفاق حتى صار أحد العوامل الرئيسية فـــي قبول هذا العنصر للأفكار الوثنية ، بل والعمل على طلب المزيد منـــها ، حتـــى صاروا أكثر من الوثنيين أنفسهم في الاعتقادات الفاسدة كلها ، والعبادات الباطلة في كافة أشكالها .

الرابع : إشباع رغبتهم في إعلان التمايز العنصري :

أنبأت الأيام غابرها والحاضر أن الإنسان الطبيعي هو الذي يسعى للخـــير العام في دار الدنيا ، لأنه واحد من أفراد الإنسانية التي لا ينصلح حالها إلا بـــهذا التعاون والتشارك ، كما يسعى للذي ينتظره في دار الآخرة ، عند لقـــاء الله رب العالمين ، حيث يكون القبر بالنسبة له ، إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار[٢] يعرف ذلك كل من لديه عقل صحيح ، وإيمان سليم ، وقطـــرة نقية خالصة لم يقع عليها التلوث .

كما أن الإنسان الطبيعي هو الذي يعمل ويجتهد ، بغية المساهمة في أنمـــاط الحياة وأنشطتها المختلفة ، ويبذل قصارى جهده في إظهار ملكاتـــه والاســـتفادة بقدراته[٣] ، مما يجعله أعلى قدراً من غيره وبخاصة أولئك الذين قعـــدت بـــهم

---

(١) لاشك أن سلال التاريخ قد تتسع لأمثال هؤلاء ، ولكنها عليهم ضاقت أيضاً ، نظراً لأفعالهم الإجراميـة ، وأعمالهم العدوانية ، أما صفحات التاريخ البيضاء فإنها تتسع لأهل العلم والعرفان .

(٢) الشيخ محمد عبد العظيم الطنبولى — من أنوار السنة ص ١٤٥ والحديث له ظواهر من القرآن الكريم منها قوله تعالى :"ا لنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ " سورة غافر الآية ٤٦ .

(٣)راجع للدكتور / رمزي حسن خاطر — الفروق الفردية بين الأسوياء ص ٣٥ ط سعيد رأفت ١٩٨١م.

أمانيهم عن تلبية احتياجاتهم البدنية ، أو الوجدانية ، وبالتالي يكون هذا الإنسان متمايزاً عليهم بماله من جد واجتهاد ، وما يقوم به من تفكير عقلي ، وتركيز ذهني ، يعقبه الإبداع المنشود على النواحي المختلفة ، ومن ثم فهو تمايز قائم على أسس صحيحة .

أما أهل العرفان بالله ، فإنهم يبذلون كل جهد قلبي وعقلي بل وعملي[1] حتى تكون عقيدتهم في الله تعالى صحيحة من حيث الأدلة والعمل القلبي ، سليمة من ناحية الاعتصام بها ، كما يستنفذون طاقاتهم العقلية في تفهم آيات الله الكونية ، والتعرف على أسرارها الكامنة فيها، لأنها تعينهم على تثبيت العقيدة الصحيحة ، ودفع الشبه التي يقوم بها أعداء الله تعالى،وخصوم الأنبياء والمرسلين، وهو مما يميزهم عن غيرهم من الذين عكفوا على التقليد [2]، وارتضوا التبعية للآخرين .

بيد أن أهل الله الذين عرفوه حق معرفته ، وقاموا بما أفترضه عليهم خير قيام ، من عقيدة صحيحة ، وعبادات جاءت بها التكاليف الشرعية على سبيل الوجوب ، أو مكملات تحسينية على سبيل الاستحباب ، لم يقنعوا بما قاموا به ، وإنما تسابقوا في عمل الخيرات ، بغية تمايزهم حتى على أنفسهم ، فراح كل

---

(١) لأن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، فالعمل الصحيح إنما هو تطبيق للإعتقاد السليم ، وبهذا يظهر أن الإيمان بالله له ملامح عملية على ناحية صحيحة ،وهو ما جاء به الإسلام دين الله رب العالمين .

(٢)التقليد من حيث العلاقة بالآخرين نوعان :

الأول : تقليد مذموم : وهو تقليد الكافرين ، وأصحاب الاعتقادات الفاسدة من القائلين بقدم العالم الجنسي وعدم احتياجه إلى الخالق العظيم ، وكاعتقادات الفرق الهالكة من تثليث وتجسد وخلافه ، وتقليد من ينكرون ما هو معلوم من الدين الإسلامي بالضرورة .

الثاني : تقليد ممدوح : وهو تقليد العامي للعالم بدليله ، إذ ليس كل الناس في القدرة على فهم الأدلة الشرعية سواء ، كما أن العالم بالله العارف به ، القائم على شرعه ، متى قلده من لم يقدر على التأمل العقلي واستخراج الأدلة فهو ممدوح .

منهم ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله ، ويبذل ما أستودعه الله من علم حرصا على رضوان الله ، وهم في هذا يتنافسون،وبه على غيرهم يتميزون .

وفي الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنين ، رجل أتاه الله مالا فهو ينفقه أناء الليل وأطراف النهار ، ورجل أتاه الله علماً فهو يعلمه ويعمل به [١]، إنه امتياز في أوجه الخير التي تمهد للمرء طريق الآخرة ، وتجعله في مأمن من الانزلاق ،أو التردى في المهاوي ومسالك الدنيا ، وأنعم به من تمايز لقوله تعالى:"وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ " [٢] .

قال العلامة الطبري : التنافس مأخوذ من الشيء النفيس الذي يحرص عليه الناس وتشتهيه ، بل وتطلبه نفوسهم ، والمعنى فليستبقوا في طلب هذا النعيم ، وليسارعوا بكل ما أمكنهم إليه ، ولتحرص عليهم نفوسهم ، فإن النفس الكريمة لا تقبل إلا على ما فيه الخير ، وتتحقق به السعادة في الدنيا والآخرة[٣]، وكل الأسوياء في العقيدة الصحيحة والعمل السليم ، يحاولون العيام بهذا حتى يفوزوا برضوان الله .

أما غير الأسوياء فإنهم يعتمدون على نزعاتهم الشخصية ، ونزغاتهم القلبية القائمة على الغرور الكاذب ، والخداع المتكرر ، والأوهام التى لا تنقطع ، ولذا فقد يتصور الواحد منهم أن الكفر بالله رب العالمين امتياز له على أهل الإيمان، قال تعالى:" أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا

---

(١) الشيخ محمد عبد العظيم الطنبولى : من أنوار السنة ص ١٦٣ ط أولى ١٩٦٥م .

(٢) سورة المطففين الآية ٢٦ .

(٣)العلامة الطبري ــ جامع البيان من أحكام القرآن ج ٣٠ ص ٦٨ ، وراجع في ذات المعنى التسهيل لعلوم التنزيل ج ٤ ص ١٨٤ ، وللعلامة أبي حيان البحر المحيط ج ٨ ص ٤٤٢ .

أبيك فتتشدد أيدي جميع الذين معك ، فنصبوا لابسالوم الخيمة على السطح ، ودخل إبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل ، وكانت مشورة أخيتو فل التي كان يشير بها في تلك الأيام ، كمن يسأل بكلام الله[١].

يقول ليوتاكسيل : ولكن النقاد لا يرون في مضاجعة ابشالوم سراري الملك علانية الخطوة الصحيحة لكسب الرأي العام ، كما لا يصدقون أنه كانت لابشالوم القدرة على مضاجعة محبات أبيه العشر أمام سكان أورشليم كلهم واحدة أثر الأخرى دون توقف ، ومن الواضح أن المؤلف كان يحب الخوض في القصص الجنسية القذرة [٢]، لقد عاش اليهود على الخنوع والنخاسة بجانب أعمال القتل والسلب والنهب ، فكان تعدادهم للآلهة أحد المظاهر لما هو قائم في صدورهم ، من شعور عارم بأنهم يتمايزون عن الآخرين [٣]، حتى في الخروج على شرع الله ، وقد حرصوا على تسجيل ذلك في كتبهم التى كتبوها بأيديهم وتأتي بهم ، وقد تحدث القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى :" قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ

---

(١)العهد القديم ــ سفر صموئيل الثاني ١٦ / ٢٠ ــ ٢٤ .

(٢)ليوتاكسيل ــ التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٣٥٧ .

(٣)الشيخ رضوان على الميلاوى ــ العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ص ١٨٦ .

كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ " .(١)

واليهود يزعمون لأنفسهم امتيازا إلهيا على غيرهم،وهو خاص بهم وحدهم، كما يدعون لأنفسهم تمايزاً عنصرياً تحت زعمهم أنهم سلالة أبناء الله ، يقـول سفر الخروج : قال الرب لموسى أخبر إسرائيل وقل لهم إن تسمعتم لصوتـي ، وحفظتم عهدي ، تكونون لي خاصة من بين جيمع الشعوب فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة (٢) ، ومن ثم فهم خاصتـه ، ولذلـك سمحوا لأنفسهم بممارسة المنكرات كلها،دون أن يقيموا لشئ من الحق وجـهاً أو العدل ميزاناً ، فكأنهم أرادوا إشعار الناس أجمعين بعدم التساوي معهم ، ومـهما كانت الظروف لغير صالح اليهود ، فإنهم يفسرونها على أن الرب أخبرهم بـها وكلمهم فيها (٣).

وقد تناسى اليهود أن الرب ذاته ــ الذي يزعمون أنه إلههم وحدهم ــ قـد تركهم أثناء فترة التيه في الأرض ، ولم تتمكن تلك الفترة من اقتلاع الشر القائم في نفوسهم ، كما لم تستطع إصلاح أحوالهم ، وأن الرب قضى على بقيتهم التي خرجت من مصر بالموت ، بغية أن تتأصل تعاليم الدين فـي نفـوس النشـأة المولودة في أرض الاغتراب ــ التيه ــ ولكن ذلك لم ينفع معهم (٤).

أجل سقطت أوهام شعب الله المختار ، كما سقطت أوهام امتياز الله لـهم على غيرهم ، لأنهم لو كانوا متمـايزين حـقاً لكان ذلك الامتيـاز بارزاً فـي الاعتقادات الصحيحة والعبادة السليمة ، والأخلاق المقبولة عند الله رب العالمين وهو المقصود بالتسابق في الخيرات .

الْقِيَمةِ ور ـ ذلك جزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي ورُسُلِي هُزُوا (١)

ـ ـ ـ عنهم في الامتياز عن الآخرين ، وإعلان ذلك على الدوام ، قـد صاحبه حوال كثيرة ، فتارة تجئ تلك الرغبة من خلال زعم التفاوت الثقـافي في جانب معرفي سلوكيا كان أم نظرياً ، أو تجريبيا ، أو غير تجريبـي لكـن المهم انهم يريدون إشعار الآخرين بأنهم أعلى منهم ثقافة ، وتراكمات ذهنيـة(٢)، لأن ذلك هو المشكلات التي يواجهونها ، ويحرصون على إبرازها،تلبية لنداءات مركبات النقص العارمة التي تعتصم بداخل كل فرد منهم ، وتارة تجئ في تعدد الآلهة وتجسدها داخل الأفهام والأسفار الموثقة لدى اليهود ، وكل هذه السـلبيات كان ناتج ذلك الزعم المتواصل من أنهم فوق الآخرين على أقل تقدير .

ـ ـ اليهود قد يجئ إعلانهم عن هذا الامتياز،من خلال التفوق الاقتصادي والقدرة على جمع المال ، وإدارته بأفضل الطرق (٣)وهم في سبيل ذلك لا يبالون بأصول قائمة ، ولا أخلاق مستقرة ، كما لا يعنيهم أمر المحافظة على عـادات الشعوب التي ينزلون بها ضيوفاً عليها ، أو يقع لهم معها نـوع مـن التبـادل التجاري والاقتصادي أو غيره .

ثم ان اليهود قوم ناكثو كل العهود ، فاصمو عرى كـل ود ، لايعرفـون احترام ميثاق قطعوه أبداً ، وطبيعتهم الغدر والخسة ، كما تسري في وجداناتـهم الخيانة ، ولا تستريح نفوسهم إلا إذا مارسوها على ناحية عملية ، وما عقدوا مع أحد حلفاً إلا نقضوه(٤)متى ظنوا أن في نقضه مصلحة لهم ، وهم بهذا يتمايزون

---

(١)سورة الكهف الآيات ١٠٣ ــ ١٠٦

(٢) مع أن التراكمات الذهنية لا تعبر إلا عن ثقافة الفرد ذاته ، وليس بالضرورة يمكن اعتبارها دليـلاً علـى تقدم مجتمع ما بعينه ، لأنها مسألة فردية .

(٣)الدكتور التهامي محمد أبو خضر ــ آليات السوق ــ دراسة معاصرة ص ٧٥ ط دار نوار ١٩٨٥م .

(٤)الشيخ محمد الثروي ــ اليهود ونقضهم العهود ص ٥٣ ط الثانية دار مراد ١٩٤٥م.

ونظراً لذلك الفهم الخاطئ الذي اعتقدوه ، والزعم الكاذب الذي روّجوا لــه فقد سارع اليهود إلى ممارسة ألوان عديدة من عبادة الآلهة الباطلة التي عــاش عليها الوثنيون ، ومباشرة الزنا مع المحارم وغيرهن ، كالذى فعله ابشالوم مــع سراري أبيه ، يقول لعهد القديم : فقال أخيتو فل لأبشالوم أدخل إلــى ســراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت ، فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت مكروهاً من أبيك فتتشدد أيدي جميع الذين معك ، فنصبوا لابسالوم الخيمة علــى الســطح ، ودخل إبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل ، وكانت مشورة أخيتو فــل التي كان يشير بها في تلك الأيام ، كمن يسأل بكلام الله[١].

يقول ليوتاكسيل : ولكن النقاد لا يرون في مضاجعة ابشالوم سراري الملك علانية الخطوة الصحيحة لكسب الرأي العام ، كمــا لا يصدقــون أنــه كــانت لابشالوم القدرة على مضاجعة محبات أبيه العشر أمام ســكان أورشــليم كلــهم واحدة أثر الأخرى دون توقف ، ومن الواضح أن المؤلف كان يحب الخــوض في القصص الجنسية القذرة [٢]، لقد عاش اليهود على الخنوع والنخاسة بجــانب أعمال القتل والسلب والنهب ، فكان تعدادهم للآلهة أحد المظاهر لما هو قائم في صدورهم ، من شعور عارم بأنهم يتمايزون عن الآخرين [٣]، حتى في الخروج على شرع الله ، وقد حرصوا على تسجيل ذلك في كتبهم التى كتبوها بأيديــهم وتأتي بهم ، وقد تحدث القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى :" قُلْ هَــلْ نُنَبِّئُكُــمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُــنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ

---

(١)العهد القديم ــ سفر صموئيل الثاني ١٦ / ٢٠ ــ ٢٤ .

(٢)ليوتاكسيل ــ التوارت كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٣٥٧ .

(٣)الشيخ رضوان على الميلاوى ــ العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ص ١٨٦ .

الْقِيَامة وزناً ذلك جزاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً [(١)]

... عنهم في الامتياز عن الآخرين ، وإعلان ذلك على الدوام ، قـد صاحبه حوال كثيرة ، فتارة تجئ تلك الرغبة من خلال زعم التفاوت الثقـافي في جانب معرفي سلوكيا كان أم نظرياً ، أو تجريبياً ، أو غير تجريبـي لكـن المهم انهم يريدون إشعار الآخرين بأنهم أعلى منهم ثقافة ، وتراكمات ذهنيـة[(٢)]، لأن ذلك أهم المشكلات التي يواجهونها ، ويحرصون على إبرازها،تلبية لنداءات مركبات النقص العارمة التي تعتصم بداخل كل فرد منهم ، وتارة تجئ في تعـدد الآلهة وتجسدها داخل الأفهام والأسفار الموثقة لدى اليهود ، وكل هذه السـلبيات كان ناتج ذلك الزعم المتواصل من أنهم فوق الآخرين على أقل تقدير .

... اليهود قد يجئ إعلانهم عن هذا الامتياز،من خلال التفوق الاقتصادي والقدرة على جمع المال ، وإدارته بأفضل الطرق [(٣)]وهم في سبيل ذلك لا يبالون بأصول قائمة ، ولا أخلاق مستقرة ، كما لا يعنيهم أمر المحافظة على عـادات الشعوب التي ينزلون بها ضيوفاً عليها ، أو يقع لهم معها نـوع مـن التبـادل التجاري والاقتصادي أو غيره .

ثم ان اليهود قوم ناكثو كل العهود ، فاصمو عرى كـل ود ، لايعرفـون احترام ميثاق قطعوه أبداً ، وطبيعتهم الغدر والخسة ، كما تسري في وجداناتـهم الخيانة ، ولا تستريح نفوسهم إلا إذا مارسوها على ناحية عملية ، وما عقدوا مع أحد حلفاً إلا نقضوه[(٤)]متى ظنوا أن في نقضه مصلحة لهم ، وهم بهذا يتمايزون

---

(١)سورة الكهف الآيات ١٠٣ — ١٠٦

(٢) مع أن التراكمات الذهنية لا تعبر إلا عن ثقافة الفرد ذاته ، وليس بالضرورة يمكن اعتبارها دليـلاً علـى تقدم مجتمع ما بعينه ، لأنها مسألة فردية .

(٣)الدكتور التهامي محمد أبو خضر — آليات السوق — دراسة معاصرة ص ٧٥ ط دار نوار ١٩٨٥م .

(٤)الشيخ محمد الثروي — اليهود ونقضهم العهود ص ٥٣ ط الثانية دار مراد ١٩٤٥م.

على غيرهم في النقائص كلها[١]، اعتقاداً لها وممارسة ، قـــال تعـــالى:" فَبِـمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْـفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَـى مَرْيَـمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا" [٢].

كما أن أسفار العهد القديم قدمت نماذج كثيرة لممارسات اليهود المجنونة،التى تمثل عدواناً على الاعتقاد في الله تعالى،وتعاليمه وأنبيائه ، كما تمثل ألوانا مـــن نقض العهود التي مارسوها مع كل من الحلفاء ، والخصوم على السواء .

وكتب التاريخ تذكر نقضهم لكل العهود التي قطعوها،والمواثيق التى كـانت بينهم وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك مع الخلفـــاء الراشـــدين ، وإلى اليوم لا تبالي إسرائيل بالاتفاقيات التى تمت مع الفلسطينيين في أوســـلو ، وشرم الشيخ وغيرها ، إنهم لا يلتزمون بشئ أبداً ، وكلما أمضى سلف عـــهداً ، أو وثق وعداً ، جاء الخلف بهدمه كله نقضاً ، وذلك مما يمثل صورة من صــور الامتياز التي يمارسها اليهود في الفحشاء والمنكر [٣]على كل ناحية وفـــي كـــل مكان وزمان ، إنهم شعب صلب الرقبة[٤].

ويقرر أصحاب الدراما السلوكية ، أن الفرد الغير سوي متى شعر بمركـب النقص داخل نفسه ، فإنه يلجأ إلى ممارسة الأمور غير مقبولة ، بغية أن يحــوز

---

(١) لقد نقضوا عهودهم في الأزمنة الماضية مع كل الناس إلا مع الشيطان ، فهم يوثقونها ويقومون على الوفاء بها ،وفي عهد الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة عقدوا معه أكثر من ميثاق ثم قطعوها حتى أجلوا عن المدينة التي أنارها الله بنور رسول الله ، وطهرها من هذه الفئة الظالمة إلى يوم الدين .

(٢) سورة النساء الآيتان ١٥٥ / ١٥٦ .

(٣)هذا الامتياز في السلبيات يعبر عن الطبيعة اليهودية ، بل هو في نفس الوقت مفتاح من مفاتيح التعرف علي الشخصية الإسرائيلية في أطوارها المختلفة .

(٤)راجع تفاصيل هذه التجسدات في رسالة الماجستير " عقيدة تجسيد الإله عند اليهود وموقف الإسلام منها " للأستاذ السيد عبد البديع موافي ــ بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية ــ جامعة الزقازيق .

بين الناس أعلى قدر من الالتفات إليه ، والاهتمام به ، حتـــي يشــبع الرغبــة المكبوتة في صدره ، ودفعاً لمركب النقص الذي يختفي داخل نفســـه ، ويمثــل بالنسبة له سلطاناً داخلياً ، يجعله غير مبال بنتائج السلوكيات التي يمارســها ، أو يدعو إليها[١]، وهو ما ينطبق على اليهود في تأليههم غـــير الله تعـــالى ، مـــن الصور الجمادية بعد تعدد الآلهة فيهم ، وتأليـــه الصـــور النباتيـــة والحيوانيـــة والإنسانية أيضاً [٢]لكن في أخس الصور وأبخسها .

كما أن الدراسات الحديثة في علم النفس تقرر : أن الفرد غير السوي إنمــا تكشف عنه سلوكياته ، وكلما كان الفرد سوياً ، فإن سلوكياته هي الأخرى تكون قائمة على السلم ، وهو ما يحقق جملة المصالح له وللمجتمع الذي يتعامل معه ، لأن هذه الممارسات السديدة تجعله داخلاً في نطاق الأفراد الأسوياء .

أما إذا كانت هذه السلوكيات متصارعة في داخله ، أو متعارضة مع ثقافــة المجتمع وعاداته ، أو قوانينه وأعرافه ، والأصول المعتبرة ، فإنه يكون غـــير سوي،حتى وان أبدى عبارات غاية في التوافق والانسجام[٣].

وبالتالي فالسلوكيات اليهودية الشاذة وغير المسؤولة التي نراهــا اليــوم أو تطالعنا بها أسفار العهد القديم ، ماهي إلا معبر قوي عن الانفلاتات التي تمثــل امتيازات سلبية وهي من أبرز المظاهر الدالة عليهم ، والجنس الإسرائيلي حتــى يشبع هذا النهم الجائع إلى الامتياز الوهمي ، كان لديهم الكثير مـــن الاســتعداد لتقبل اعتقادات الآخرين ، ثم تطويرها وتخليصها من أصولها ، ثم المضي بها قدماً حتى تكون معبرة عنهم وحدهم ، إنهم يصيغونها بما يؤدي في النهاية إلى

---

(١) الدكتور فرانك هيلز ــ الشخصية غير السوية وأثرها على المجتمع الإنتاجي ص ٥٣ ترجمة الدكتورة وفاء صادق ١٩٧٣.

(٢)العهد القديم ــ سفر الخروج ٢٣ / ٥ .

(٣)توماس هير كيلر ــ الفروق الفردية بين غير الأسوياء ص ٧٢ ترجمة صابر حسن دار حسام ١٩٥٣م.

انطباقها عليهم وحدهم بحيث لا تقع المشاركة فيها مع أحد أبداً .

ومتى أمكن وضع هذه الاعتبارات في مجال التطبيق العملـــي ، بالنسـبة لممارسات اليهود في اعتقاداتهم ، التي قامت على التعدد في الآلهة ، والتجسـد المستمر لها،والانطلاق بها نحو الزيادة عليها تارة،والإنقاص منها تارة أخرى ، والدفع إلى ممارسة هذه وتلك بالإرهاب تارة،والعنف أخرى ، أو الدس والوقيعة بجانب الخداع والمؤامرات[1]، فإن النتيجة الضرورية التي لابد من الانتهاء إليها هي أن اليهود ، قوم لا يبالون بالإنفلاتات التي يمارسونها ، كما لا ينظرون إليها على أنها إنفلاتات ، وإنما يعتبرونها أنواعاً من الامتيازات التي لا تجئ إلا معهم وحدهم .

من ثم فقد عددوا في الآلهة ما وسعهم التعـــدد ، وأقـاموا لـــها الأسـماء والتجسدات المختلفة[2]، كما نعتوها بما شاء لهم الهوى ، بغرض إثبات تمـايزهم عن غيرهم في هذا الجانب أيضاً ، وهم بذلك قد أخفقوا لأنهم يخالفون الفطـــرة التي فطر الله الخلائق عليها ، من توحيده تعالى ، والتسبيح بحمده جل شـــأنه ، بجانب أفراده جل علاه وتنزيهه على الناحية التى يجئ منها ، قال تعالى :" فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[3].

قال الشيخ ابن الجوزي: أن الله فطر الناس على توحيده ، وافراده وحـــده بالعبادة ، وهي الفطرة السليمة التي لا تغيير فيها ولا تبديل ، ولفـــظ لا تبديـل لخلق الله يفيد النفي ، ومعناه النهي ، كأنـــه قال لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس

---

(١) وهذه الصور المتعددة تعبر بوضوح عن الاتجاهات التي تجري في نفوس أولئك اليهود أياً كانت اتجاهـــاتهم الجماعية أو الفردية ، سواء أكان ذلك على المستوى الرسمي ، أم كان على المستوى الشخصي .

(٢)وكان ذلك التعدد منهم في الذوات والصفات والأفعال أيضاً ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

(٣) سورة الروم الآية ٣٠ .

عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها[١]، وهو ملحظ جميل يعبر عن فهم دقيـــق ، وشعور عارم فياض رقيق .

وفي الحديث الشريف يقول صلى الله عليه وسلم : ما من مولود إلا يولـــد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتـــج البهيمـــة بهيمة جمعاء ، هل ترون فيها من جدعاء[٢]، ولكن اليهود عملوا على تحويـــل أنفسهم عن هذه الفطرة ، وتحويل من يتعامل معهم عنها أيضاً .

كما أنهم حين يمارسون التعدد في الآلهة ، ثم يجئ التجسد في الآلهة معهم، إنما يؤكدون على رغبتهم الدائمة في مخالفة تعاليم الله تعالى لنبـــي الله موســـى الكليم ، حيث جاءهم بالتوحيد الخالص ، فإذا هم يلجأون إلى التعدد على أشـــكاله المختلفة ، كما جاءهم من عند ربه بالتنزيه الكامل العام لله رب العالمين ، فـــإذا هم يجسدون الإله في أشكال حيوانية وإنسانية ونباتية وجمادية أيضاً ، مما ينبـــئ بخروجهم على النبي الذين ينسبون أنفسهم إليه بهتاناً .

لأن الاتباع شرط إعلان الانتساب الحقيقي ، والله تعالى قد بين أن نبي الله الكليم موسى بن عمران ناداه ربه بإعلان التوحيد الخالص ، والعبادة الصحيحـــة لله رب العالمين بجانب الإعلان عن النبوة ، والبعث ، قال تعالى :" إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إن الساعة ءاتية أكاد أخفيها لتجـــزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى "[٣]

وفوق ذلك فإنهم بهذه الاعتقادات الوثنية ، إنما كانوا يقلدون الأمم الوثنيـــة ، ويمارسون اعتقاداتهم الفاسدة الباطلة ، وسوف تنقلب عليهم في الدنيا بالحسرة والندامة ، بجانب الأمراض النفسية والعصبية ،والعلل الاجتماعية ، وفي الآخرة

---

(١)الإمام ابن الجوزي ــ زاد المسير في علم التفسير ج ٦ ص ٣٠٢ .

(٢) والحديث متفق عليه من روايتي البخاري ومسلم ، وراجع للعلامة المنذري الترغيب والتهذيب ص ٣١٩

(٣)سورة طه الآيات ١٤ ــ ١٦ .

يلاقيهم العذاب الأليم تستوي في ذلك فرقهم كلها لقوله تعالى:"كلما دخلت أمة لعنت أختها " .

كما أثبتت الدراسات النفسية أن الذين يعيشون في الإلحاد ينتهي أمرهم دائماً بالصراع النفسي ، والقلق المرضي ، والاضطرابات الذهنية ، وأمراض العصاب ، والمانخوليا ، والوسواس القهري وغير ذلك ، على أساس أن الفطرة الإلهية والصنعة[1] الربانية ، هي التي تقوم التوحيد والتنزيه لله تعالى ، فمن خالف ذلك فإنما يعارض ما هو ثابت في طبيعته الذهنية ، ويعارض قواه العقلية كما يحطم مملكته الوجدانية التي لا سبيل إلى أنارتها إلا بالأصول الإيمانية[2].

بيد أني ذاهب إلي أن الرغبة في إعلان التمايز للجنس اليهودي على غيرهم ، كانت عالية إلى حد بعيد ، وأنها فرضت على الجميع دراستها من خلال الأفكار التي يتناقلونها ، وذلك مما دفع بهم إلى إنكار وحدانية الله ، واتخاذهم شركاء معه يتم تجسيدهم إياه بغية نصرهم على غيرهم ، ولكنهم خاسرون لقوله تعالى:" فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ "[3].

والمعنى فهّلا نصرتهم آلهتهم التي يدعون من دون الله ، أو تلك التي تقربوا بها إلى الله في زعمهم ، حيث جعلوها شفعاءهم عند الله حتى تدفع العذاب عنهم ، إنها لم تنصرهم ، ولم تستجب لهم ، ومن ثم فلن تدفع عنهم عذاب الله تعالى ، وإنما غابوا عن نصرتهم ، وهو أحوج ما يكونون إلى ذات النصرة ، فإن لم ينصروهم وقت الضيق والحاجة ، فما هي القيمة التي تتعلق

---

(١) قال تعالى : " صنع الله الذي أتقن كل شئ إنه خبير بما تفعلون " سورة النمل الآية ٨٨ .

(٢) الدكتور / محمد السيد فليفل ــ النفس في القرآن الكريم ص ٨١ ط أولى الدار الجديدة للطباعة والنشر ١٩٦٥م.

(٣) سورة الأحقاف الآية ٢٨ .

بهم ، ولا شك أن الذي أصاب هؤلاء من خذلان الآلهة ، مرجعه إلـــى كذبـــهم وافترائهم على الله تعالى[١] ، وذهب العلامة أبو السعود إلى أن في الآية تـــهكماً بهم ، كأن عدم نصرهم إنما كان لغيبة هؤلاء الأنداد عنهم [٢].

وأي دارس يحاول إبعاد فكرتهم في التمايز أو الشعوبية عن ميدان البحـث الذي يخطط له في اليهودية، إنما يضرب في الهواء ، لأن هذا الامتياز المزعوم متى وضع للدراسة ، فإنه يحقق صورة واقعية وثائقية لما يقوم به الإسـرائيليون اليوم ، وما يمارسونه في كل أمر، ومع أي شعب وأية أمة .

وأستعير هنا بعض ما قاله الشاعر المسلم لبيد بن ربيعة العامري [٣]:

إذا المرء أسرى ليلة ظن أنـــــه   **قضى عملاً والمرء ماعاش عامــل**

فقولا له ان كان يقســـم أمــــره   **ألما يعظك الدّهــر أمك هابــــــلّ**

فتعلم أن لا أنت مدرك ما مضـــى   **ولا أنت مما تحــذر النفس وائـــل**

فان أنت لم تصدقك نفسك فانتسب   **لعلك تهديك القــرون الأوائـــــل**

فان لم تجد من دون عدنان باقيـاً   **ودون معـد فلتــزعك العــــواذل**

أرى الناس لا يدرون ماقدر أمرهم   **بلى.كل ذي لب إلى الله واســـــل**

---

(١) الشيخ محمد عبد الكريم الحسيني ــ تفسير سورة الأحقاف ص ٩٥ ط ١٩٦٥ م.

(٢) العلامة أبو السعود ــ إرشاد العقل السليم ج ٥ ص ٦٩ .

(٣) هو لبيد بن ربيعة المقترين من بني عامر ، وأمه تامر بنت زنباع من عبس ، تزوجها أولاً قيس بن جزء بـن خالد ابن جعفر فولدت له أريب ،ثم تزوجها ربيعة فولدت له لبيداً ، كان مولده قرابة عام ٥٤٥م ، وفـد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بئر معونه حين أرسله عمه أبو براء إلى رسول الله ليسأله الطب من الدبيلـة التى لحقت بأبي براء ، وقد حسن إسلامه ، وإشترك في بعض الفتوحات ، وترك الشعر وصار من قراء القـرآن فأجزل له الخلفاء العطاء ، وهو معدود في الكوفة من القراء ، وأدركته المنية في خلافة سيدنا عثمان ، وكـــان أوصى بأن يسجى في ثوبه وتستقبل به القبلة ، يرى البعض أنه مات عن عمر يصـــل إلى ١٥٧ســنة وهــم المكثرون ، بينما المقلون يرونه مات وعمره ١١٠ سنة ــ ديوان لبيد بن ربيعة ــ مقدمة الديوان .ص ٣ ، ٤ طبعة صادر بيروت ــ لبنان .

ألا كل شئ ما خـــلا الله باطــل وكل نعيم لا محـــالة زائـــــل
وكل أناس ســوف تدخل بينهــم دويهيـــة تصفر منها الأنامـــل
وكل أمرئ يوما ســيعلم ســعيه إذا كشــفت عنــد الإله المحاصــل [١]

حيث يصيح الرجل بأهل العقل ، وأصحاب النهي ، حتى يعودا إلـــى الله تعالى، ويعلنوا انحيازهم للحق الذي شرعه ، فالناس جميعا ملـــك لـــه ، وهـــو خالقهم ، وهو مالكهم وسيدهم ، وهم بيده الخاضعون له ، الواقعون تحت قدرتـــه وإرادته ، وعلمه وعنايته ، فلا امتياز لأحد على آخر بجنس،أو عنصــر، إنمـــا **الامتياز في النفوس والعمل الصالح ، ومن ثم فكل امتياز يزعمه اليهود ، إنمـــا** هو إخلال بمبدأ عام ثابت ، هو ان الناس جميعاً أمام الله سواء ، وإنما يمتـــازون بالقبول منه جل علاه .

الخامس : إعلائهم العبقريـــة[٢] :

إذا كانت العبقرية الإتيان بما فيه التفوق العقلي ، مع كماله وبراعته ، فـــإن العبقري هو الذي يقوم بذلك على الوجه الذي يحقق أعلى المنافع لنفسه،والمجتمع الذي يعيش في الدنيا ، أما في الآخرة فهو الذي يتمكن من تقديم ما يرضـــي الله تعالى عنه ، حتى يكون له القبول عند الله تعالى ، وإلا لم يكن عبقرياً ، طالمـــا كانت العبقرية تمثل نوعاً من الامتياز في القدرات والملكات ، ومن الضـــروري أن يكون هذا الامتياز قائما في السلوك والأفكار، والعقلية الناضجـــة ، بجـــانب الوجدان المستقيم .

بيد أن اليهود يحرصون على نسبة أي فضل أو امتياز إليهـــم مهما كانت

---

(١)لبيد بن ربيعة العامري ـــ ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ١٣١،١٣٢ طبعة بيروت ـــ لبنان .

(٢) عبقر اسم مكان كانت العرب في القديم تظن أنه موطن الجن ، ثم نسبوا إليه كل شئ تعجبوا من حذقـــه وجودة صنعته ، والعبقري هو المنسوب إلى عبقر ، وهو صفة لكل ما لا يفوته شئ في كماله وبراعته ـــ المعجم الوجيز باب العين ص ٤٠٤.

جنسية القائم به ، طالما تعلق ذلك الفضل والامتياز بالقدرات العقلية ، والملكات النفسية ، بل أنهم لا يجدون حرجا من نسبة أية نتائج عقلية متمايزة لأنفسهم ، أو نسبة أصحاب هذه الامتيازات إلى جماعتهم ، بدليل أنه ما من عقلية ظهرت لها إبداعات في مجال من المجالات،إلا سارع اليهود بإعلان أن صاحب تلك العقلية من السلالة اليهودية ، أو أنه تعلم على أيدي اليهود ، حتى وان لم تكن له أدنى صلة باليهود في أية مرحلة من مراحل حياته .

وهم حين يفعلون ذلك إنما يحاولون التأكيد على أنهم جنس متميز في قدراته العقلية ، وملكاته النفسية ، كما هو متميز — حسب زعمهم — في أصوله العرقية — بدليل أنهم نسبوا إلى اليهودية تشارلز داروين صاحب نظرية التطور التاريخي والبيولوجي ، التي كان ظهورها بمثابة الصدمة الشديدة جداً للقيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية في المجتمع الإنساني[1]الذي رفض عقلاؤه هذه الأفكار الشيطانية ، وأبانوا عن أوجه فسادها من النواحي المختلفة .

كما أن رغبة اليهود في إعلان عبقريتهم فوق رؤس غيرهم ، تدفعهم دائماً إلي محاولة قتل كل صاحب إبداع فكرى ، لم يتمكنوا من نسبته إليهم ، سواء أكانت عملية القتل من خلال التصفية الجسدية ، أم استخدموا فيها القتل الأدبي ، ولهم حيل شيطانية لا تنقطع ، كما أنهم يسعون دائماً لبلوغ تلك الغايات مستخدمين مقولة ، أن الغاية تبرر الوسيلة ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

---

(١) الدكتور محسن محمد توفيق — علاقة الداروينية بالصهيونية ص ٣٥ دار المنير ١٩٥٧ ، كذلك نسبوا إلى أنفسهم كلا من ألبرت أينشتاين الرياضي المشهور ، وتوماس هيلر الكيمائي الذي كان له دور كبير في بناء ذلك العلم ، وسيجمعون فرويد وغيرهم ممن يظهر لهم أثر فني أو علمي إقتصادياً كان أم نظرياً ، انهم يريدون إبلاغ العالم كله رسالة مؤداها أنه لولا الجنس اليهودي ما وجد شئ على وجه الأرض ، كما يريدون إبلاغ رسالة تهديد،وإرهاب للجميع،تقوم على أنه إذا لم يكن العالم يهودياً أو خاضعاً للسيطرة اليهودية،فإن الفناء هو البديل لا محالة ، وهو من أنواع الإرهاب الذي ورد كثيراً في أسفار العهد القديم ، ويمارسه اليهود على أوسع نطاق،ولا يستحيون من نسبة الجرائم إليهم أخلاقية ، كانت أم غير أخلاقية .

وحتى يبلغ اليهود العبقرية المعلنة فقد سمحوا لأنفسهم بتجاوز كل الحدود ، والقفز فوقها إلى ابعد مدى ، بحيث لا ينظر اليهودي إلى شئ سوى التعبير عن مكنونات صدره على أساس أنهم ساميو الأصل ، أحفاد إبراهيم الذي يمتد بأصوله إلى الجبارين،أبناء الرب من بنات البشر[١]، وكانوا يسمون بالعبرانيين لأنهم أبناء إبرام ، وجده الخامس كان يدعى عابرا ، وقد عبروا من شرقي الفرات [٢]فاعتبروا ذلك مما يسترعى الانتباه ، كما يستدعى التمايز على كل البشر ، ومن ثم قاموا باستخدام الإعلان المتواصل عن هذه العبقرية ، أو الامتيازات الوهمية.

وكانوا يسمون بالإسرائيليين ظانين أن هذا يؤكد نسبتهم إلى يعقوب عليه السلام [٣]كما يدعم موقفهم من أنه أمير مع الله ، أو هو الغالب القادر أيضاً مع الله ، وهو الصورة المثلى التي تجلى فيها ذات الإله ، والمعبر الطبيعي عن الكلمة التي خرجت من فم الرب[٤]وقد رددوا هذه الأفكار على الدوام بغرض انتزاع الاعتراف من الناس بأنهم فعلاً يتميزون على باقي البشر بالعبقرية ، كما هم متميزون عليه بالجنس العرقي ، والملكات الذاتية ، وهم في كل ذلك كاذبون .

---

(١) هذه الفكرة يرددها العهد القديم ، راجع سفر التكوين الإصحاح السادس ١/ ٨ .

(٢) راجع للأستاذ أمين الخولي تاريخ الملل والنحل ص ١٩٧ والتاريخ القديم ص ١٨ .

(٣) هذا النسب محل شك بين الدارسين ، إذ لم يقم دليل واحد على صحة ذلك النسب ، كما لايوجد دليل صحيح يمكن الاعتماد عليه بخصوص هذه النسبة ، وإنما هي اقوال سعى إليها أصحابها ويرددها عملاؤهم في بعض الأحيان من خلال بعض وسائل الإعلام مدفوعة الأجر – راجع للدكتور / خيري حسن السيد – المشكلة الصهيونية ص ١٧ ط أولى ١٩٦١م .

(٤) ذهب إلى ذلك دائرة المعارف الإنجليزية تحت تأثير أصحاب الدعاية الصهيونية ، ومن ثم فما تدلي به من هذه الناحية ليس محل قبول ، وراجع للأستاذ أمين الخولي تاريخ الملل والنحل ص ١٩٩ وما بعدها ، وأيضاً التاريخ العام ص ١٢١ .

إذن رغب اليهود في إبراز عبقريتهم وامتيازهم على غيرهم من الأمم الأخرى ، فسارعوا إلى اعتقاد تعدد الآلهة بين الأمم الموحدة، كنوع من الامتياز وإظهار النبوغ والعبقرية ، إذ كانت الأمم تعبد إلها واحداً ، أو آلهة متعددة ، فأما اليهود يمكنهم الاعتقاد في آلهة كثيرة ، ثم رسم صور لذات الآلهة ، وإدخال بعض التعديلات على الأفكار القائمة في التعدد ، وإضافة العديد من النعوت التي تكون من نتاج العقلية اليهودية الإسرائيلية وحدها .

ومنها زواج البعل الذكر بالآلهة عشتروت الأنثى،ثم يتوقف أمرهما عند حد الممارسة لمسألة الزواج ، دون أن يتحقق لهما الإنجاب الطبيعي ، فمع أنهما آلهة إلا أنهما قد عجزا عن تحقيق الأحلام الطبيعية التي يسعى إليها الجميع ، وتمنحها الآلهة لهم ، وهي إنجاب أطفال يحملون أسماءهم ، ويبقون ذكرهم ، ويخلدون آثارهم .

وحتى لا يفلت الزمام من بين أيدي هذه العصابة اليهودية بكثرة التعدد في الآلهة ، فقد اخترعوا فكرة مصارعة الإنسان يعقوب لاله العهد القديم [١]بحيث تمكن يعقوب من الظفر بإنسان الرب إله التوراة ، مما دفع به إلى أن يصرخ ويمسك بحقو فخذه ، وفي النهاية يبارك إله التوراة يعقوب المظفر ، ويمنحه اسماً جديداً هو إسرائيل[٢]حتى يكون ذلك الاسم الإلهي لقباً على أحفاد الرب المقدسة،الذين جاؤا من يعقوب من ناحية الامتداد والتوالد الطبيعي، وبارك الرب هذا المكان الذى تمت فيه المصارعة ، وسماه فينئيل ، فوقعت البركة للمكان

---

(١) يطلقون عليه اسم إنسان الرب ، باعتبار أن الرب تكلم بالكلمة فخرجت هذه الكلمة من فم الرب وظلت تكبر وتظهر لها أطراف مختلفة حتى اكتملت صورة إنسان الرب ، ولأن هذا الإنسان أصله قائم على كلمة الرب فقد سمي بإنسان الرب — راجع الدر الثمين في شرح سفر التكوين ص ١٥١ .

(٢)العهد القديم — سفر التكوين .وسوف أعرض لشئ من ذلك في الباب الثالث عند الحديث عن تجسيد اليهود للإله في صور بشرية .

والمصارع معا ، وهي بركة إله مهزوم ، أمام عبقري قوي .

في نفس الوقت فقد حرص اليهود علـى إذكـاء روح التعصـب للجنـس الإسرائيلي ، وإظهاره بمظهر القوة التي لا تغلب ، والصرامة التي لا حدود لـها بجانب النبوغ والعبقرية التي لا مثيل يقترب منها ، بدليل أن يعقوب الإسـوائيلي استطاع إلحاق الهزيمة الثقيلة بإله التوراة نفسه[١]، فهل بعد ذلك نبوغ أو عبقرية ؟ بل فيه إشعار بأن اليهود ماداموا قد سجلوا ذلك في كتبهم ، وحرصوا علـى إذاعتها فلا مانع لديهم من استخدام كل الطرق الموصلة إلى نشرها ، بغيـة أن يكون لهم شئ من التفوق ، إن لم يكن عملياً فعلى الجانب النظري .

واليهود يزعمون أيضاً أن الههم نفسه قد اعترف بعبقريتهم هذه ، وذكاهـا فيهم ، بدليل أنه يقوم بإفساد كل خطط الأممين ، حتى لا يكون لأحد ميزة علـى اليهود ، فضلاً عن أن يقع لهم شئ من التساوي مع غيرهم ، فيذكر العهد القديـم أن الناس بعد الطوفان كانوا أمة واحدة ، وأن بعض مهاجري الشرق قد وصلـوا في رحلتهم إلى سهل سنعار — ببلاد سومر وغفار — الذي أقيم به برج أبليل — آلهة الهواء — وكان الإسرائيليون أشداء توارثوا فكرة ضرورة إقامة بناء مدينـة لها برج يرتفع حتى يصل عنان السماء ، والا تفرقوا على وجه الأرض .

تمثلت هذه الفكرة في العقلية الإسرائيلية على أوسع نطاق حتى صارت جزءا من عقيدتهم الدينية ، فأعدوا عدتهم لبناء المدينة والبرج ، وهناك نزل عليهم إله التوراة ، فبلبل أفكارهم ، وعقد ألسنتهم ، وشتتهم خوفا منهم [٢]ثم عكفوا على أصنام لهم يعبدونها ، فاختار الرب إبرام ليكون مرشداً لهم وحدهم ، ومن ثم يقع

---

(١)ليوتاكسيل — التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ١٣٧ ترجمة الدكتور حسان ميخائيل .

(٢) وغرضهم من ذلك إثبات أن الرب يقف معهم ضد الآخرين ، وهذه الفكرة تنتشر في العهد القديم بشكل لافت للنظر . .

لهم الإمتياز على غيرهم من الأمم الأخرى .

إذن يمكن القول بأن اليهود لم يقف بهم الأمر عند حد الاعتقاد في الآلهة المتعددة كفكرة ، وإنما عددوا في ذوات الآلهة وأسمائها ، ياهو ، يهوه ، الوهيم، كما عددوا في تجسداتها البعل عشتروت ،العجل الذهبى ، الحية النحاسية ، حتى صار لكل سبط من أسباطهم إلها ، أوجملة من الآلهة ، وكلها تنقلها تجسدات ثابتة في بعض الأحيان ، متحوله في بعض الأحيان الأخرى ثم حدث تطور في اعتقاداتهم ، ومن ثم فقد ظهرت فيهم الألهة الشخصية ، والآلهة العائلية ، بجانب الآلهة الشعبية ، مما يؤكد وقوع العقلية اليهودية في الأفكار والاعتقادات الوثنية إلى حد التمسك بها والدفاع عنها،بل وممارستها والدعوة إليها كما صار بالإمكان القول بأن اليهود قوم وثنيون ، والله عز وجل قد توعدهم وأمثالهم من الوثنيين.

قال تعالى: "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ" [١]

والمعنى أنه لا أحد أكثر ظلماً ممن اختلق الكذب على الله تعالى ، وتجرأ على ذاته جل شأنه ، فنسب إليه الولد أو الصاحبة أو التعدد ، أو كذب بصفات الله تعالى ،وكذب بالقرآن والمعجزات الباهرة التي يجريها الله على أيدي الأنبياء

---

(١) سورة الأنعام الآيات ٢١ — ٢٤ . قال العلامة ابن كثير : "ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته" أي لا أظلم ممن تقول على الله فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته "إنه لا يفلح الظالمون" أي لا يفلح هذا ولا هذا لا المفتري ولا المكذب. يقول تعالى مخبرا عن المشركين "يوم نحشرهم جميعا" يوم القيامة فيسألهم عن الأصنام والأنداد التي كانوا يعبدونها قائلا لم "أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون" كقوله تعالى في سورة القصص "ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون".وقوله تعالى "ثم لم تكن فتنتهم" أي حجتهم إلا أن قالوا "والله ربنا ما كنا مشركين" ،"ثم لم تكن فتنتهم" بليتهم حين ابتلوا " إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين" .

والمرسلين ، وينسبها للحسر ، مع أنها دلائل النبوة التي يجعلها الله تعالى مع النبي المبلغ عن الله تعالى[١]، فهم جمعوا بين أمرين :

الأول : الافتراء على الله جل علاه ، من حيث يجب نفي هذا الافتراء .

الثاني : التكذيب بالله وآياته ورسله ومعجزاته فوقعوا في الظلم الشديد الذي يلقي بصاحبه في النار ، لأنه لا يفلح ظالم في دنياه ، كما لا يقدح في أخراه ، وإنما تقع عليه المذلة في الدنيا والندامة في الآخرة .

قال العلامة أبو السعود : وكلمة " أو " في الآية إنما سبقت للإيذان بأن كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم ، فكيف وهم قد جمعوا بينهما ، فأثبتوا ما نفاه الله تعالى ، ونفوا ما أثبته ، قاتلهم الله أنى يؤفكون[٢]، فاليهود لما أعلنوا عبقريتهم الزائفة كانوا مستعدين لتقبل الاعتقادات الوثنية كلها.

السادس : فقدان النصوص الصحيحة :

اقتضت حكمة الله في خلقه أنه جعل في كل أمة نذيراً [٣]، وأنه متى بعث الرسول إلى أمة من الأمم ، فإنه يجعل مع هذا الرسول كتاباً،يكون بمثابة المادة الحافظة للنصوص المقدسة ، التي جاءهم بها ذات النبي من عند ربه[٤] ، بحيث تكون سلوكيات الرسول تطبيقاً عملياً لما في ذات الكتاب ، فإذا غاب الرسول عنهم كانت التعاليم الإلهية هي التي يجب اتباعها ، من خلال الكتب التي استحفظوا عليها ، فإذا عاد الرسول إليهم كرر عليهم الإستحفاظ بما في ذات الكتب عملاً وسلوكاً .

---

(١)الشيخ محمد عبد النبي البكري ـــ تفسير سورة الأنعام ص ٤٥ ط أولى ١٩٣٤م .

(٢)الإمام أبو السعود ـــ إرشاد العقل السليم ج ٢ ص ٨٨ .

(٣)قال تعالى :" إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ" سورة فاطر الآية ٢٤ .

(٤)قال تعالى:" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ "سورة النحل الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

وقد تكون مادة الكتاب أوحى بها إلى ذات الرسول على سبيل المشافهة،من غير طلب تدوينها بنفسه حتى لو كان قارئاً[١] ، وقد يطلب إليه تدوينها،حتى لو لم يكن قارئاً [٢]، المهم أن النبي المبعوث من الله تعالى ، ينفذ تعليمات الله في شكل أساسي متقن ، بل هو الإتقان بعينه ، لأنه رسول الله،وفي نفس الوقت هو الصورة المثلي التي يجب أن تحتذي،لقوله تعالى :" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" [٣].

لكن الذين يجئ فيهم النبي قد يحادونه على أوسع نطاق بالوسائل التي تكون في طاقتهم وربما طلبوا لمحاربته ما فوق الطاقة ، ومن ثم يصدقون ويعرفون الناس عنه بكل ما أوتوا من قوة ، وقد يتم ذلك حال حياته ، وقد يتم بعد انتقاله ، فإذا انتهت حياة النبي بين من بعث إليهم ، وبدلوا في تعاليمه التي جاءهم بها من عند الله ، وحرفوها ، فإن الله تعالى يرفع عنهم أنوار النبوة ، لأنهم لم يعودوا مستعدين للقيام بأعبائها ، وذلك من شأنه أن يتركهم وشأنهم مع النصوص التي بدلوها .

كما يرفع عنهم القدرة على اكتشاف النصوص المحرفة من الأخرى ، التي ينتظرها التحريف ، أو لم يقع عليها التحريف ، لأنهم قد تركهم الله في ظلمات يعمهون [٤]وهو ما يفضي إلى اعتبار كل النصوص مستهدفة بالتحريف، لأن القوم تناسوا ما استحفظوا عليه .

بيد أنه لما كان اليهود قد أهملوا ما كلفوا بالمحافظة عليه ، وتناسوا هذه

---

(١) كالحال مع التوراة فإنها أوحى بها إلى نبي الله موسى الكليم ، ولم يطلب إليه كتابتها وتدوينها ، أو حفظها استظهاراً لها ، وكذلك الحال في الإنجيل .

(٢) وهو حال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث أنزل الله عليه القرآن الكريم وأمره بكتابته وحفظه في الصدور ، كما هو مدون في السطور .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٤) قال تعالى:" اللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ " سورة البقرة الآية ١٥ .

المكتوبات من حيث المحافظة عليها ، بجانب عدم التزام الصدق في الحديث عنها ،والتعامل معها ، فقد صارت النصوص كلها في غاية واحدة ، بل ويجري عليها الحكم العام من أنها غير صحيحة جميعها[١] ، وبالتالي تظهر بينها حفرة عميقة ،أو فجوة غير متساوية .

فإذا أراد آحاد الناس الوقوف على هذه الديانة لم يجد كتابها ولا رسولها حتى يكون ذلك مرجعه أو دليله ، لأنها كانت ديانات خاصة ، ورسالات مؤقتة بالزمان والمكان والأشخاص ، وهو ما يدعوا للدهشة ويسقط زاعمي عالميتها في الكبوات ، بل يسمح للمرء أن يبحث عن مصدر آخر يثق فيه ، ولن يجده لأنها جميعاً أمام ناظريه سواء .

كما أن الكتب السابقة كانت تغلب عليها صفة المشافهة ، وليس حركة التدوين ، بجانب أن الغاية منها لم تكن الإعجاز[٢] ، بقدر ما كان المراد منها التبليغ أو المساهمة ، فيه بجانب أن الله لم يتعهد بحفظها،إنما كلف الناس القيام بهذا الدور قال تعالى :" إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ "[٣] وهذا مما سهل عملية السطو عليها ، حتى صارت كأن لم يكن لها وجود،ونفس الحكم يشمل كل الكتب السابقة على الإسلام مما جعل الوقوف على كتاب صحيح منها الآن أمراً مستحيلاً ، ومن ثم فقد

---

(١) والذي يطلب العقيدة من العهد القديم ، أو العهد الجديد ، مادامت غايته العقيدة الإلهية فلن يجدها ، لأن المصادر التي تدعي حملها فقدت الثقة في مضمونها .

(٢) أما القرآن الكريم فالإعجاز فيه على كل ناحية ، إنه إعجاز في اللغة بجانب القصص والأخبار ، إنه في ذاته المعجزة الفعلية والحسية والوصفية أيضاً .

(٣) سورة المائدة الآية ٤٤ .

صارت الكتب الموجودة الآن ليست مما أنزل الله ، وإنما بـــاتت مثـل أديانـــاً للشيطان وليست للرحمن .

يقول الإمام ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : أن الله قد بعـــث محمـــداً صلى الله عليه وسلم رسولاً إلى أهل الأرض ، وهم أصناف خمســـة اليــهود ، والنصارى ، والمجوس ، والصابئة ، والمشركون ، وبالتالي فالأديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن [١]، وكلها موجودة في آية الفصل وهي قوله تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" [٢].

ويوم القيامة يقضي الله الحق ويحقه بين أصحاب هذه الدعـــاوي الخمســـة الباطلة فيدخلهم جميعاً النار، أما أهل الإيمان بالله الذين آمنوا بنبوة سيدنا محمـــد صلى الله عليه وسلم ، وأنه مرسل للإنس والجن جميعاً إرسال تكليف [٣]، فـــإن

---

(١) العلامة ابن القيم ــ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى بهامش الفارق بين المخلوق والخـــالق ص ٢٨١ سلسلة من ذخائر التراث تحقيق عبد المنعم فرج درويش ١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م .

(٢) سورة الحج الآية ١٧ .ومن ثم فكل ديانة غير دين الإسلام لا اعتداد بها ، وكل كتاب غير القرآن الكـريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة لا مكان له .

(٤)ذهب الشيخ محمد نورى الشافعي رحمه الله إلى أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قد تعددت جـــهات إرساله على النحو التالي :

أ ــ إرسال التشريف : وهو للملائكة لأنهم مكلفون من أصل الخلقة ، وحكي أن هناك من يذهـــب إلى أنـــه صلى الله عليه وسلم مرسل للملائكة إرسال تكليف وهذا الرأي مرجوح .

ب ــ إرسال تكليف : وهو للإنس والجن جميعاً لقوله تعالى " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً "

ج ــ إرسال رحمة : وهو للحيوان وفي الحديث الشريف إن الله كتب الإحسان على كل شـــئ فـــإذا قتلتـــم فاحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته .

د ــ إرسال تأمين : وهو الذي يكون للنبات والجماد ، ففي الحديث الشريف إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها ، راجع للشيخ محمد نوري الشافعي ــ نور الظلام شرح منظومة عقيـــدة العـــوام ص ٨ ط الحلبي الأخيرة .

الله تعالى يتفضل عليهم بالجنة والرضوان ، إذ الجنة بفضل الله لأهل الإيمـــان ، والنار بعدل الله لأهل الكفر والعصيان ، ومن يهن الله بإدخاله النار ، فلا يقـــدر أحد على دفع الهوان عنه ، إن الله يفعل ما يشاء .

من ثم فلما افتقدت النصوص الصحيحة التي كانت تمثل التوراة التي أنزلها الله على موسى ، وفيها هدى ونور ،اصطنع الإسرائيليون نصوصا من عندهم ، وجعلوها بديلة عن التي أرسلها الله إليهم ، ولما كانت هذه العقول طامعـــة فـــي الشر، مقبلة على ارتكاب المحرمات ، فقد وكلهم الله لأنفسهم التي ســـولت لـــهم القبيح حسناً ، والتعدد في الآلهة عقيدة ، والتجسيم لذات الآلهة عين العبادة [1].

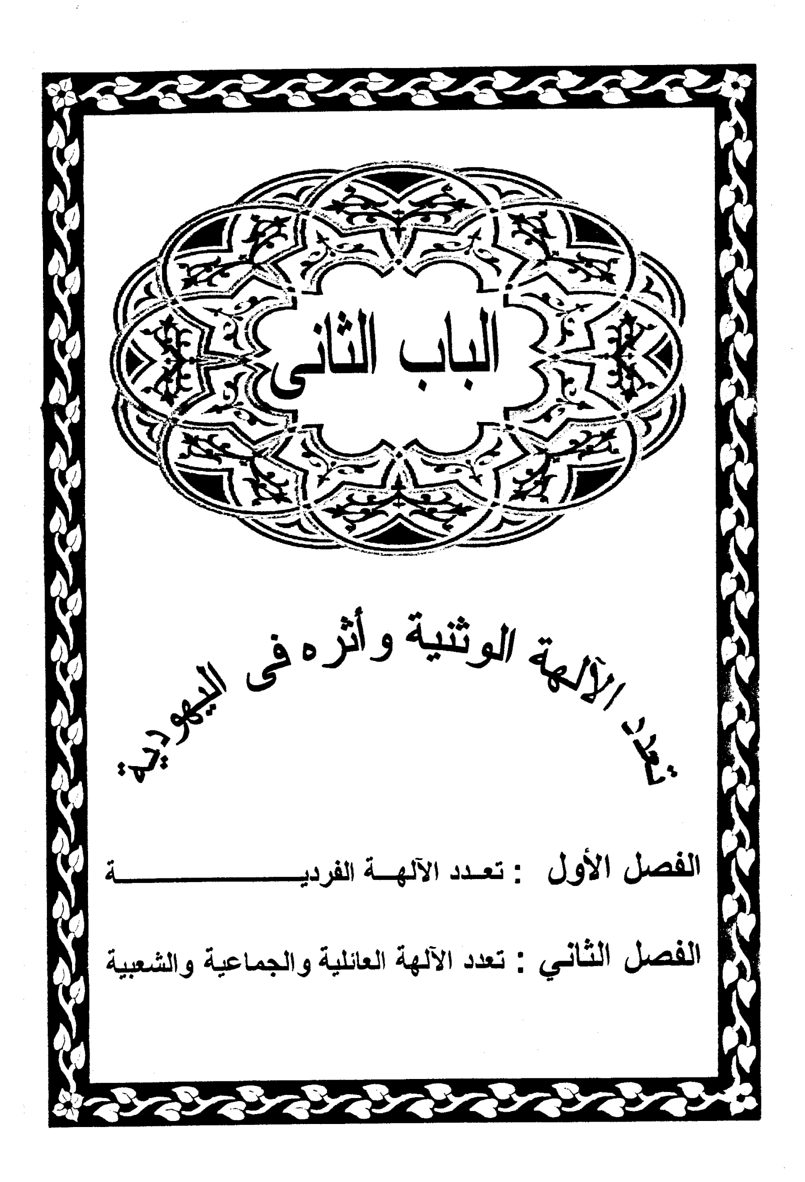
ومن ثم تقبل هؤلاء الأشرار ، جملة الأفكار الوافدة وابتلعوها ،على أن فيها النجاة ، بينما هي الهلاك بعينه ، والخراب من كل ناحية ، بل لم يعـــد لديـــهم ميزان دقيق يقدرون به الصحيح ويميزونه عن الفاسد ، وهو ما دفعهم إلى قبول الأفكار الوثنية والعادات التي تجئ من ذات الطريق لم يتخلوا عنها .

بل المؤسف أن دفاعهم عنها قد اتخذ صورا مختلفة ، كمـــا أن حرصـــهم عليها قد ساهم في نشر العديد من الخرافات والأساطير ، وهو ما تشهد به أسفار العهد القديم ، بل أن ذلك قد شاع فيها بحيث لم يخل سفر مـــن أســـفاره عـــن الخوض في الأفكار الوثنية ، والتركيز عليها ، ودفع الناس إلـــى ممارســـتها ، وبنفس القدر من الشيوع لها في العهد القديم ، ظهر الحرص من الباحثين ، فـــي التعرف عليها ، وبيان مواطنها .

لكن الذي لا جدال فيه هو أن هذه الدوافع قد دفعت الإسرائيليين إلى قبـــول الاعتقادات الوثنية ، والتنازل التام عن العقيدة الإلهية فكفروا بالله رب العالمين.

---

(١) هذه التفاصيل جاءت في أسفار العهد القديم ، كما تعرضت لبيان بعضها في الباب الثاني والثالث من هـذا الكتاب .



الباب الثانى

تعدد الآلهة الوثنية وأثره فى اليهودية

الفصل الأول : تعدد الآلهـة الفرديـــــــــــة

الفصل الثانـي : تعدد الآلهة العائلية والجماعية والشعبية

((مدخـــــــــــل))

من المؤكد أن التوحيد الخالص لله رب العالمين ، وما يستتبع ذلك التوحيــد وهو إخلاص القلب والوجدان والأعمال لله رب العالمين هو الذى بعث الله بـــه الأنبياء والمرسلين ، لقوله تعالى :" قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّــهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [1].لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ. ". ومن ثم فكلمــا كانت العقيدة التي يتمسك بها فرد ما ، أو جماعة بعينها هي العقيدة الإلهية كانت صحيحة وتكون العبادة هى الأخرى صحيحة وسليمة أيضاً على ما جاءت بـــها الرسالات السماوية كلها .

كما أن الأنبياء والمرسلين قد بلغوا بها أممهم ، وهى عقيدة واحدة تقوم فــى أجزاء ثابتة جاء بها القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة المطـــهرة[2] ، ولا يصح الإيمان إلا بها كلها ، لكن هناك عقائد متعددة تجئ بعيدة كل البعــد عــن العقيدة الإلهية الخالصة ، وهذه الاعتقادات بعضها من إنشاء أصحــاب العقــول التى إرتضعت ألبان المعتقدات الفاسدة المتباينة ، وبعضها أقيم على سبيل التعبير عن توجهات أصحابها ، ومن ثم فهى لا تخرج عن كونها معارف ثقافية غـــير مقبولة ، وليس لها من العقيدة إلا الاسم فقط [3] .

وبعض الاعتقادات الفاسدة قام على أنقاض ديانات كانت أصولها ترتبـــط بأصول صحيحة في الماضي ، ثم حرفت فيما بعد فهى عقائد محرفة لاعلاقة لها بشئ من شرْع الله ، حتى وإن حملت أسماء أنبياء الله أو انتسبت إليهم، إذ العبرة

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٢ .

(٢) أجزاء العقيدة الإلهية ستة جاء بها الحديث الشريف على سبيل التتابع في قوله صلى الله عليـــه وســلم : "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" .

(٣) كالحال مع مذاهب المنفعة والمذاهب الذرية بجانب ما أعلنه الابيقوريون في الماضي ، والوجودية والوضعيـة المنطقية بجانب العلمانية والماركسية وأمثالها في العصر الحديث .

ليست في الادعاء والانتساب[1] ، إنما العبرة باتباع ما أمر الله تعالى والانتهاء عن ما نهى عنه ، وكل العقائد الفاسدة قائمة فى أفهام أصحابها مرتبطة بعبادة الأحجار أو الحيوانات ، أو مرتبطة بالمخاوف والمنافع ويجرى فيها تجسيم هذه المعبودات على ناحية من النواحي .

يستوي فى ذلك أن يكون المعبود متجسدا فى صورة كائن ذى روح مشاهد كالإنسان والحيوان ، أو أن يكون ذلك المعبود قد تجسد فى صورة كائن حى غير ذى روح كالنباتات المختلفة ، وربما صوروه فى شكل ما مؤلف يجمع بين أكثر من شكل بعينه كالحال مع الصور التى استقرت فى أعماق الكلدانيين قديماً وجاراهم البابليون فى تصور هذه المتجسدات ، ثم عبدوها على أنها آلهة حقيقية يجب لها كل التقديس والاحترام .

بيد أن تاريخ الأديان الإنسانية قد يكشف عن وجود معبودات جاءت على صور لها ملامح متعددة لكن يحملها حجر واحد ، أو ترسمها مجموعة من الأحجار بحيث تكون متجسدة فيها على أشكال مختلفة ، وتعبر عنها هذه التماثيل أو الصور المتجسدة ، ولها اعتبارات مختلفة لكن دراستها تكشف عن علاقة وطيدة بين ذاك المعبود ، وعقلية من سلك به مسالك الاعتقاد فيه أو العبادة له[2] إذ أن هذه الدراسة تعين على معالجة المواقف بصورة دقيقة .

وربما كان ذلك المعبود أحد الظواهر الكونية العادية التى هى من سنن الله الكونية ، كالشمس والقمر ، والليل والنهار ، وضياء الشمس ونور القمر مع أنها

---

(١) كالحال مع ما يعلنه دعاة اليهودية الذين نسبوا أنفسهم إلى نبى الله موسى الكليم وهو منهم براء ، والمسيحية التى جاءت بعد نبى الله عيسى ابن مريم وهو منهم براء ، لأن الأنبياء جميعاً كانوا لله مسلمين قال تعالى:" ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين " سورة آل عمران الآية ٦٧.

(٢) الدكتور / محمد المهدى محمد سليمان . العقائد وتطوراتها ص ١١ ط أولى سنة ١٩٧٥م .

جميعاً من خلق الله[1] ، وقد يكون المعبود ظاهرة غير عادية كالبرق والمطر أو الرعد والزلازل فضلاً عن الفيضانات والبراكين والعواصف المرعدة ، أو القواصف المبرقة حتى أن القرآن الكريم ذكر أن ذلك من آياته عز شأنه ، قال تعالى : " وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "[2] . والمعنى أن من آياته العظيمة الدالة على قدرته تعالى ووحدانيته أنه يريكم البرق خوفاً من الصواعق، وطمعاً في الغيث والمطر ، خوفاً للمسافر ، وطمعاً للمقيم.[3]

غير أن بعض العقول الفاسدة قد اتجهت للاعتقاد في تأليه الكائنات الغير مرئية ، واعتبروها آلهة كاملة ، أو معبرة عن آلهة غير متكاملة ، كالاعتقاد في تأليه الملائكة ، والجن والأرواح الغريبة التي تحدثت عنها الأساطير ، أو تناقلها بعض الأفراد [4] ثم استقرت في بعض الشعوب حتى صارت لهم عقائد ثابتة وهي تقوم على مبادئ إنسانية ، لا على أنها دين من عند الله يهدي إلى الحق والصواب ويبصر بأسرار الكون[5]ولا يمكن حسبانها سوى أفكار لم تنل القبول.

إذن هذه العقائد الفاسدة التي وضعها البشر ، وفيها اقتباسات عديدة من ثقافات شعبية وثنية قد انطلقت إلى الفكر اليهودي فانتزعته بعيداً عن ما تركه لهم نبي الله موسى الكليم ، ثم أسلمتهم إلى أهواء أنفسهم التي سيطرت عليهم حتى صاروا وثنيين من الرأس إلى أخمص القدم ، وذلك مما يستلزم تقديم

---

(١) قال تعالى :" هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " سورة يونس الآية ٥ .

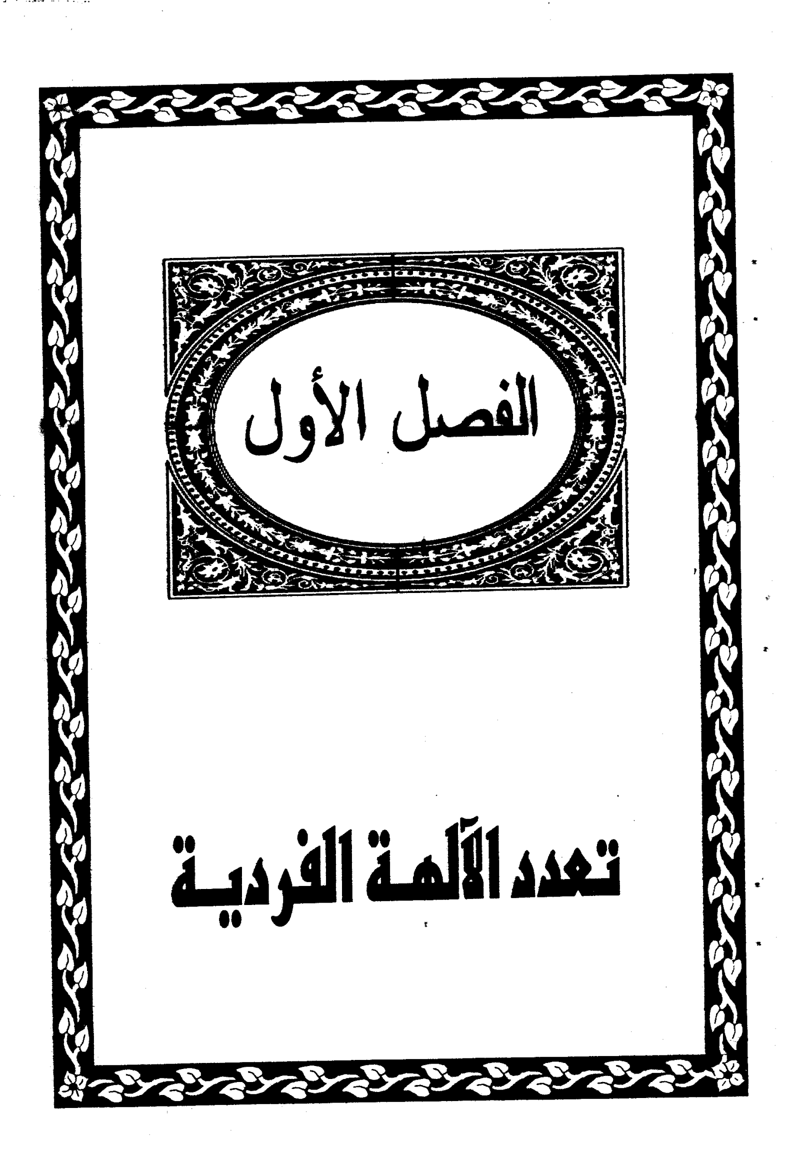
(٢) سورة الروم الآية ٢٤

(٣) الإمام الطبري جامع البيان ج ٢١ ص٢٢.

(٤)الدكتور حسن السيد صادق: اتجاهات الفكر الديني القديم ص ٥٨.ط الأولى دار المهدي بتونس ١٩٥٦م

(٥)الشيخ كامل محمد محمد عويضه " كارل بوبر فيلسوف العقلانية النقدية ص ١٣٨ طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

صورة لملامح الاعتقادات الوثنية في الفكر الإنساني ، ومتابعة كيفية تسللها إلـى الاعتقادات اليهودية التي أمسكت بتلابيبها وتشبثت بها حتى صـــارت صـــورة مستنسخة لها ، وسأتناول تعدد الآلهة في الديانات الوثنية للوقوف على الطريقــة التي سارت فيها هذه الفكرة ، حتى نقلت إلى الفكر والعقائد اليهودية أيضاً ، كما أنه يكشف مفهوم الألوهية على الجانب الذي يتمسك به اليـــهود بعــد نبـــي الله موسى عليه السلام إلى يومنا هذا .



الفصل الأول

تعدد الآلهة الفردية

الدين الإلهي واحد فهو منزل من الله ، ويعلن وجود الله تعالى ووحدانيته سبحانه جل شأنه فى الذات والصفات والأفعال، كما يدل على أن الله تعالى واحد فى ذاته حيث لا تركيب فيه بوجه من الوجوه ، ثم انه تعالى هو المستغنى عن كل ما من شأنه إيجاد نوع من المشابهة بين ذات الله تعالى وذوات غيره أيا كان ذلك الغير ، لأن وحدانية الله تعالى ليست بالأعداد[١]ولا الإضافات أو الاعتبارات[٢]والتراكيب[٣]، إنما هى وحدانية خالصة لا مثيل لها ، ولا يقع فى شئ منها المشابهة أبداً ، فالله هو الواحد الحقيقي وحده .[٤]

وكل العقلاء يقرون ذلك على الوجه الصحيح ، لأن إنكار الوحدانية لله يفضي إلى إنكار وجود الله تعالى وهو عين التعطيل ، ولا يقول بذلك عاقل ، يقول الإمام الشهرستاني:"تعطيل العالم عن الصانع القادر الحكيم لست أراها مقالة لأحد ، ولا أعرف عليه صاحب مقالة ،إلا ما نقل عن شرذمة من الدهرية" ثم يقول :" فما عددت هذه المسألة من النظريات التى يقام عليها برهان ، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها ، وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير[٥].ويقول الشيخ محمد الفضالي: الله تعالى واحد في ذاته، بمعنى أن ذاته تعالى ليست مركبة من أجزاء ، والتركيب يسمى كمّا منفصلاً ، وبمعنى

---

(١)لأن الوحدة بالأعداد تستلزم الزيادة والنقصان طبقاً للقواعد الحسابية من خلال علاقاتها الأربعة الجمع والطرح ثم الضرب والقسمة ، فالله تعالى ليس واحدا بالعدد بل يستحيل وصف الله تعالى به .

(٢)وهى وحدة تجئ فيها الأزمنة أو الأمكنة والله تعالى منزه عنها جميعاً لأن الله تعالى لايحد بزمان ولا مكان ولا إضافة وإنما هو متعال عنها جميعاً .

(٣)الوحدة بتركيب الأجزاء تصح فى المخلوقات لأنهم يتركبون من تراث الأجزاء والله تعالى منزه عنها جميعاً لاحتياج الكل إلى أجزائه ، واحتياج الأجزاء إلى المركب الذى يجمعها والله يستحيل وصفه بشئ من ذلك كله

(٤) يقول الإمام الإيجي وشارحه ، فالواجب لا تركيب فيه ولاكثرة ، بل هو واحد حقيقي ـــ السيد الشريف الجرجاني ـــ شرح المواقف ـــ الموقف الخامس الإلهيات ـــ المسلك الأول .

(٥) الإمام الشهرستانى ـــ نهاية الإقدام فى علم الكلام ص ١٢٤ ، ١٢٥ تحقيق الفرد ـــ حيوم

أنه ليس ذات في الوجود ، ولا في الإمكان تشبه ذاته تعالى ، وهـــده المشـــابهة المستحيلة تسمى كماً منفصلاً فالوحدانية في الذات نفي الكمين المتصل في الذات والمنفصل فيهما(١).

وكما أن الله تعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله فله كذلك الجلال والجمال والكمال والإكرام ، وبالتالي فلا يقع التشابه بين الله تعالى وأحد مـــن خلقـــه أو جملتهم ، وان وقع شئ من الاشتراك فى اسم الصفة بين الله تعالى والمخلوقيـــن كالحي والسميع والبصير ، فإن هذا الاشتراك الاسمي لا يعطى المعنى الحقيقـــي وإنما يعطى اسم الصفة لا حقيقتها ، والفرق بين اسم الصفة وحقيقة الصفة هـــو ذات الفرق بين المخلوق والخالق .

يقول العلامة الجرجانى : " أعلم أن الصفات على ضربين صفات الـــذات وصفات الأفعال ، والفرق بينهما أن كل ما يوصف به الله ولا يجوز أن يوصف بغيره فهو من صفات ذاته ، نحو الوجود والقدم والقدرة والعلم والحياة ، وكل ما يجوز أن يوصف به وبغيره فهو من صفات الأفعال ، نحو الرحمة والشـــفاعة والغضب ، ونحن نستدل على الله تعالى بصفات الأفعال على صفـــات الـــذات كخلق العالم مثلاً على العلم والقدرة والحياة وسائر الصفات "(٢) .

إذن صفات الذات الإلهية هى التى تختص بذات البارى جل علاه ، ولا يقع فيها الاشتراك الاسمي بين الله تعالى وشئ من خلقه كالخالق والرازق والمحيـــي والمميت ، وصفات الأفعال هى التى يمكن أن يقع فيها مجرد الاشتراك الاســـمي دون الحقيقة ، وهو الذى عليه أهل العلم بالله رب العالمين ، ولذا فالعقيدة الإلهية واحدة تتكون من أجزاء جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة

---

(١) الشيخ محمد بن الشافعي الفضالي ــ كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام ص ٤١ هامش حاضية تحقيق المقام ط الحلبي .

(٢) العلامة الجرجانى ــ حاشية الجرجانى على مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص ٩ ط ١٣٠٥هـ .

أما العقائد الوثنية فإن الآلهة فيها تتعدد طبقاً لثقافات وعادات أولئك الذيــن أقاموها أو يعملون على إقامتها،لأن كل عقيدة وثنية إنما تعبر عن صورة مستقلة كما ترسم الوجه الحقيقي لمن أقاموها ثم تمسكوا بها واعتقدوها ، فإذا اجتمعــت هذه التصورات الذهنية معاً فإنها تمثل صورة للعقائد الوثنية طبقاً لاتجاهات كـل جماعة إنسانية ، ولذا فقد ظهر التعدد فى الأمم الوثنية بأنواعه المختلفة .

أولا : في ديانة قدماء المصريين :

انتشرت الاعتقادات المتعددة فى آلهة فرديـــة مذكــرة ومؤنثــة داخــل مجتمعات وثنية كثيرة ، وكان التوحيد الخالص لله رب العالمين يظهر فى تلــك المجتمعات من خلال أفراد قلائل يدعون إليه ويتمسكون به ، ويحرصون عليــه وقد ينالهم العذاب الأليم من جراء هذا الاعتقاد الصحيح على أيدى أتباع الكفر[١]

وكان المصريون القدماء يعتقدون فى ذلك إلى أبعد مدى ، وسار هذا الاعتقاد داخل العديد من المدن بأسماء الآلهة التي كانت منتشرة آنئذ ومنها الإلــه " زوس ونحوت ، وزوسر ، ورع ، وإخناتون " ، وكان كل إله منها تناط به مسـئوليات محددة ، حيث كان زوس للمطر والنبات ، بينما كان رع لليل والنـــهار ، أمــا زوسر فقد كان للانتصار على الأعداء وجلب الشرور والآثام على الخصوم .[٢]

أجل كان أغلب المصريين يعرفون هذه الآلهة المتعددة حتى كانت فكرة التعدد فى الآلهة عندهم أقرب إلى الثقافة العامة ، أما التوحـيد فكان يمثـل الاسـتثناء وأتباعه هم الذين يقع عليهم عبء الدفاع والتحدي وقد قصه القرآن الكريم علينا قصة مؤمن آل فرعون [٣].

---

(١) الشيخ / محمد عبد العظيم أبو هداية ــ التوحيد الخالص ص ٧١ ط أولى الدار القومية ١٣٣٥هـ .

(٢) أ . ب جون فيكتور ــ عقائد الشرق القديم ص ٧٥ ترجمة وفاء صبرى سنة ١٩٧١م .

(٣) قال تعالى : "وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ " سورة غـــافر الآية ٢٨ ، وراجع حتى الآية ٣٣ .

ومن ثم فقد ظن قدماء المصريين أن هذه الآلهة الفردية منها ما هو مذكر ، ومنها ما هو مؤنث ، ومنها ما هو جماعي مذكر ومؤنث ،وكان على المصريين القيام بعملية إرضاء واسعة ومتنوعة لكل إله على حدة ، يظنون فيه القدرة على الخصوم المجهولين ، مطاردة لهم ، أو غلبة وانتصاراً عليهم ، وكان ذلك الفهم يشكل عقول الكثيرين من المصريين القدماء .

وفى نفس الوقت كان هناك اتجاه عام لدى الكثير من المصريين يقوم على أن الخصوم الذين يمكن معرفتهم بشكل جيد من الممكن كذلك بأنفسهم دون معونة من الآلهة ، ومن ثم تعددت اتجاهاتهم فى التوجه إلى هؤلاء الآلهة الذين شغلوا الكثير من العقول ، كما كانوا علامات ثابتة بالنسبة لمدن بأكملها [1].

فقد كان الإله مين ، والإله بتاح فى منف ، أما الإله أتوم فكانت إقامته فى هليوبوليس ، والإله آمون فى طيبة ، بجانب إله الموتى ، أما أوزوريس فكانت إلهة النيل ، وكان إخناتون هو الصورة المتجسدة للآلهة المنفردة لدى غالبية أهل مصر .[2] فى ذلك الوقت .

وكان يفعله رغم إعلانه توحيد الآلهة [3] الذي كان يفهمه على نحو يتلاقى مع رغباته الشخصية وتوجهاته السياسية والفكرية ، ومن الملاحظ أن كل واحد من هذه الآلهة الفردية التى حفلت بها بعض البلدان المصرية قديماً قد تعددت أسماؤه وملامحه ومظاهر تقديسه بتعدد تلك المدن وهو ما يعنى وقوع القوم فى أمرين :

---

(١) الشيخ / نصر الدين عبد الوهاب فطيم ـ التوحيد عند المصريين القدماء ص ٥٣ ط ثانية ١٩٤١م .

(٢)جفرى بارندر ـ المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص ٥٠ ترجمة د / إمام عبد الفتاح سلسلة عالم المعرفة بالكويت العدد ١٧٣ لسنة ١٩٩٣م .

(٣)فرانسوا توماس ـ آلهة مصر ص ٧٧ ترجمة زكى موسى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة الألف كتاب ـ الكتاب الثانى سنة ١٩٨٦ م .

الأولى : وجود العديد من الآلهة الفردية مذكرة أو مؤنثة .

الثاني : انفراد كل واحد من هذه الآلهة بظروف خاصة ، وسمات معينة .

كما لوحظ أن هذه الآلهة كانت تقوم بمهامها من خلال قرارات إلهية يتـــم اتخاذها فى اجتماع مجلس عائلي إلهى ، يتحقق انعقاده كلما جـــاءت الظـــروف الداعية إليه [١] حيث لم يكن هناك مانع من تقبل هذه الأفكار أو القيام بها علـــى أوسع نطاق ، باعتبار أن لغة العصر فى هذه البلاد غلبت عليها ملامح الوثنيـــة فى الوقت الذى تم فيه التضييق على أهل التوحيد الخالص إلى أبعد مدى .

ولم يكن لدى عامة الشعب مانع من تصور هذه الاعتقادات في صــــور أو تجسدات بعينها ، وقيام أحد هذه الآلهة بمهام خارج نطاق قرارات مجلس العائلة الإلهية ، حتى لو كانت جزءا من أعباء أو تكليفات إله آخر ، ومن ثم تصـــوروا إمكانية وقوع صراعات عديدة بين هذه الآلهة .

كما كانوا يتصورون أن هذه الآلهة الفردية يسعى بعضها إلى بعض علـــى سبيل الاتفاق فى الأغراض ، والتعاون فى الوسائل بغية تحقيق أهداف مشـــتركة يعجز الواحد منهم عن القيام بها منفرداً [٢] وحينئذ تقع الثنائية أو التثليث أو مــــا فوق ذلك أثناء سعى الآلهة الأفراد إلى بعضهم لتحقيق هذه الأغراض .

ونظراً لانتشار هذا التعدد الفردى فى الآلهة لدى قدماء المصرييـــن ، فقـــد تصوروا إمكانية وقوع الخلافات الشديدة بين هذه الآلهة ، كما يمكن أن يحـــدث الاتفاق إذ لا يوجد مانع قوى يحول بين اتفـــاق الآلهة الفرديـــة أو اختلافهــــا داخل المنطقة الواحدة ، وفى خصوص أغراض بعينها ، فإذا وقع الاتفاق بيـــن آلهة أقليم ما برزت الشمس وظهر القمر وتحقق الخصـــب والنماء ، وسكـــنت

---

(١)الدكتور / حسن السيد صادق ـــ اتجاهات الفكر الدينى القديم ص ٦٣ طبعة دار المهدى تونس ١٩٥٦

(٢)الدكتورة / سنية محمد أبو سنة ـــ عادات وعبادات قديمة ص ٧٥ ط الدار الجديدة ١٩٧٧م .

الأرض فاختفت الزلازل وصمتت البراكين .[١]

وبمعنى آخر متى وقع بين آلهة المصريين القدماء اتفاق تحقق السلام بين الناس وحلت المودة ورفرف على كل الناس الخير ، فجرى النيل وفاضت العيون والآبار ، بل كان ظهور هذه الأمور أبرز المظاهر التى تعلن عن اتفاق الآلهة الفردية ، كما تعبر عن قبول كل منهم استعمال قدرته في مملكة الآخر ، وبالتالي تفتح الأبواب للأفراح ، ويقع بين الناس السرور.

وقد ظلت هذه العقائد سارية بين قدماء المصريين مع إدخال بعض التعديلات عليها طبقاً لما تستلزمه الظروف ، حتى جاء الفتح الإسلامي لمصر أبان خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ على يد عمرو بن العاص ﷺ وقد كان من إعتقادات المصريين آنئذ ضرورة إسترضاء النيل كل عام بقربان يقدم إليه حتى لايغضب أو يرفض الفيضان .

وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بما يجرى فى إعتقادات الناس فأرسل الخليفة عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص كتاباً جاء فيه : "إنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابى هذا فألقها فى النيل ، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر.

أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر. وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله أن يجريك "، فألقى عمرو البطاقة فى النيل فأصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر زراعاً فى ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم[٢].

أما إذا حدث نوع من الاختلاف بين إله أقليم بعينه [٣] مهما كان قليلاً فإن

---

(١)الدكتور / عبد العظيم محمد خليل ـــ الحضارة المصرية القديمة ص ١٧٣ ط أولى ١٩٦٥م .

(٢)الإمام الحافظ ابن كثير الدمشقى ـــ البداية والنهاية ج ٢ فصل فى البحار وألاتها ص ١٣٥

(٣)سواء كان الإختلاف بين كل الآلهة أم بين إله وآخر فقط بحيث تبقى الآلهة الباقية خارج نطاق التنازع .

نتائجه تكون مؤلمة ، لأن آثار هذا الاختلاف تبدو فى كسوف أو خسوف للشمس والقمر وإنعدام للمطر ، وندرة فى مياه النيل ، بجانب غضبة عارمة تشمل المزروعات التى تعلن هى الأخرى تضامنها مع أحد الآلهة المتنازعة ، وكانوا يعتقدون فى ذلك اعتقاداً كبيراً .

وقد يحدث أن يبادر أحد الآلهة المتنازعين إلى التصالح مع خصمه بتقديم تنازلات قليلة أو كثيرة ، وربما استمر فى تقديم التنازلات حتى يقع التصالح ، وقد يصر أحدهما على التمسك برأيه ، ورفض قبول كل التنازلات من بسلبيه الإعتزاز بالنفس والمحافظة على الكرامة .

أجل قد تحدث التناقضات بين الآلهة الفردية بحيث يظل أحدها مستمرا فى غضبه ، بينما يسعى الثانى للتصالح ، ويستمر فى تقديم التنازلات إلى أبعد مدى بغية إنهاء الخلاف ،ولا يكون ذلك ميسوراً فى بعض الأحيان ، وبخاصة إذا كان الصراع قد احتدم بين الآلهة الأقوياء الذين يتميزون بالبطش والبأس والشدة [١] على أساس أن ذلك يعرض البلاد كلها للعديد من الأخطار، التي لا قبل لأهل البلاد بدفعها كالزلازل والبراكين،وحبس المطر فيموت الزرع ، ويجف الضرع.

فإذا استمر غضب الآلهة قائماً وتنازعهم مستمرا ، فان على الكهنة القيام بدور نشط فى معابدهم يتمثل هذا الدور فى القيام بالمزيد من الصلوات والإبتهالات بجانب الأناشيد وترتيل الكتب ، والترانيم الدينية التى تعودوا قراءتها معتقدين أن ذلك الفعل يعمل على تقريب وجات نظر الآلهة المتنازعة .

كما كانوا يعتقدون أن ما يقومون به ككهنة يتيح الفرصة للآلهة الأخرى فى

---

(١)ادولف ادرمان ــ عقائد مصر القديمة نشأها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلف سنة ص ٧ ترجمة د/ عبد المنعم أبو بكر وآخرين طبعة الحلبى إشراف وزارة المعارف العمومية .

التدخل المباشر لإنهاء النزاع [1] ومن هنا تعاظم دور الكهنة فى النفوس إلى الحد الذى جعل البعض من أفراد الشعب يعتقدون فى نبوتهم للآلهة وتعظيمهم إلى الحد الذى يوحى بأن الكهنة أنفسهم تجسدات لذوات الآلهة [2] .

ولم يكن دور راعى البلاد ــ الفرعون ــ فى ذلك الوقت دوراً سلبياً ، وإنما كان يمثل حجر الزاوية فى المسألة برمتها " إذ كان الفرعون ــ من وجهة نظرهم ــ يملك القدرة على استرضاء الآلهة الغضبى بطريقة من الطرق ، كما كان باستطاعة الفرعون القيام بها على أنه سليل الآلهة حسب الإعتقادات التى كانت سائدة بين بعض أفراد الشعب [3] إبتداء من حكم إخناتون إلى ما بعد ذلك.

بيد أن أبرز مظاهر استرضاء الآلهة التى يستطيع الفرعون القيام بها آنئذ تمثلت فى :

أ ــ تقديمه بنفسه القرابين للآلهة سواء أكانت القرابين بشرية أم حيوانية .

ب ــ تخفيض بعض الضرائب عن أفراد الشعب حتى لو كان ذلك التخفيض صورياً ، أو تم بناء على توصيات بعينها .

ج ــ التقليل من عمليات التسخير التى يقوم بها لجملة كبيرة من أفراد الشعب وبخاصة المستضعفين .

د ــ تكليف الكهنة الكبار بإجراء المزيد من الطقوس الدينية ، واستمرار التراتيل والأناشيد ، مع إطلاق البخور وما يستلزمه إرضاء الآلهة .

---

(١) سير . ج سونيرون ــ كهان مصر القديمة ص ٤٧ ترجمة دكتورة / زينب الكردى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .

(٢) ادولف ارمان ــ ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها من أربعة آلاف سنة ص ١٣٧ ترجمة دكتور / عبد المنعم أبو بكر ودكتور / محمد أنور شكري ط الحلبي بإشراف وزارة المعارف العمومية .

(٣) الدكتور / محمد عبد القادر محمد ــ الديانة فى مصر الفرعونية ص ٩٣ ط دار المعارف .

ولما كان فى مقدور الفرعون مخاطبة الشعب بأنه وريث الآلهة القدامى ، وهو الممثل الجسدي لهم ، فقد صار بإمكانه التعامل مع الجميع بالمنطق الذى يرتضيه وبالتالي فهو صاحب الأمر والنهى وليس من حق أحد الخروج على ذلك الملك مهما كان ظالماً غشوماً مستبداً ، ومهما بعدت به تصرفاته عن الواقع أو اندفع معها إلى خارج كل ما هو معقول ، لأن الخروج عليه يمثل استعداء صارخاً للآلهة على أفراد الشعب ، واستنزالاً لغضبهم الذى يمكن أن تعم آثاره البلاد جميعها .[1]

وقد كثرت الآلهة الفردية فى اعتقادات المصريين القدماء إلى حد كبير ، وكذلك مظاهر تقديسها فضلاً عن وجود الآلهة — أتون ورع ، وآمون ثم إيزيس وسيت وغيرها مما يؤكد أن تعدد الآلهة كان هو السمة الغالبة على كل الاعتقادات والديانات الوثنية [2] . وكانت مظاهر تجسداتها من أبرز الدلائل على ذلك التعدد ، بل صارت أصدق تعبير عن هذه التصورات الفاسدة فى تأليه كائنات مخلوقة ، وتعدد آلهة انتهت إلى ما هو أعظم فساداً .

أجل لم يكن قدماء المصريين جميعهم على هذه الاعتقادات الفاسدة يقيمون ، وإنما كان الغالبية العظمى منهم يساقون إليها سوقاً من خلال أوامر وتعليمات فراعينهم الذين اعتبروا أنفسهم آلهة لها حق السمع والطاعة ، كما لها فى أعناق الناس واجب القبول والانقياد ، وقد قص القرآن الكريم علينا طرفاً من ذلك فى العديد من السور والآيات القرآنية من ذلك :

---

(١)الدكتورة / سنية محمد أبو سنة — وعبادات وعيادات قديمة ص ٩١ وراجع للدكتور عبد العظيم محمد خليل — الحضارة المصرية القديمة ص ٧٣ .

(٢)الدكتور / محمد فؤاد الهاشمي — الأديان فى كفة الميزان ص ٢٦ ط دار الحرية سنة ١٩٨٦ .

١ ــ قوله تعالى :"ونادى فِرْعونُ فِي قوْمِهِ قال يا قوْم أَلَيْس لِي مُلْكُ مِصْر وهذِه الْأَنْهَارُ تَجْرِي من تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُون "[١].

قال الإمام أبن كثير: يقول تعالى مخبرا عن فرعون وتمـــرده وعتـــوه وكفـــره وعناده ، أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحا مفتخرا بملك مصر وتصرفه فيـــها "أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي"، قال قتادة قد كـــانت لـــهم جنات وأنهار ماء "أفلا تبصرون" أي أفلا ترُون ما أنا فيه من العظمة والملـــك ، وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء[٢]وهذا كقوله تعالى " فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى "[٣]، بحيث لم يفلته فمات غرقـــاً كـــافراً متكبراً ، بدليل أنه لم يقل أبداً آمنت بالله ، وإنما قال آمنت بالذي آمنت به بنـــو إسرائيل وأنا من المسلمين .

إذن لم يكن نداء فرعون فى قومه إلا نداء الآمر الناهى ، ولذا جاءت لغـــة الجزم ، والاستفهام التقريرى سارية فى مفردات كلماته ، فهو يقررهم أنه مـــالك مصر إبتداء وإنتهاء ، وأن الحياة التى تتبع مصادرها من الأنهار هى بيـــده ، ويملك مقاديرها بنفسه ، وهذه الأنهار تجرى من تحتى ، ثم يعمل علـــى تقييـــد حركاتهم العقلية ، وقدراتهم الإنصرافيـــة ــ عقـــلاً ونظـــراً وفكـــراً ــ أفـــلا تبصرون[٤] .

ثم يخرج عليهم فى النهاية كلاعب السيرك الذى انخدع بألاعيبه الأغـوار ، فوقع لأفعاله فى نفوس هؤلاء الكثير من مظاهر الاسترهاب التى لم يكن لديـــهم

---

(١)سورة الزخرف آية رقم ٥١ .

(٢)الإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم المجلد الرابع ص ٣٧٧ .

(٣)سورة النازعات الآيات ٢٣ ــ ٢٥ .

(٤)والقاعدة قاضية بأن كل طاغية متى وجد من أفراد الرعية خضوعاً لأهوائه ، وانسياقاً لأوامره ازداد طغياناً وأكثر من ممارسة الإجرام معهم على الأنحاء المختلفة ، لأنه لا يتوقع من أحد مقاومة ، كما لا ينتظر مـــن أى فرد معارضة ، ولذلك بعض المظاهر فى الكثير من الدول النامية التى ساد فيها حكم الفرد الطاغية .

قدر من الشجاعة حتى يفكروا فيه . أو يناقشوه فيه فرصة عليهم . ولما أطاعوه طاعة عمياء ، قال تعالى فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين "(١) ، والمعنى فاستخف فرعون قومه بعقولهم واستجهلهم ، وخفة أحلامهم أطاعوه فيما دعاهم إليه من الضلالة ، وقد أجابوه لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله(٢) فكان هو وقومه على نهج واحد يسيرون ، كما أنه كان حريصاً على إبراز كونه إلهاً ومن سلالة الآلهة فقط .

ومن ثم فقد أمرهم بالاعتقاد فى ألوهيته بالرغم من أن بعضهم قد حضر مولده(٣) كما أمرهم أن يقيموا الطقوس لشخصه بمناسبة مولده ، وجلوسه على العرش وزواجه إلى غير ذلك وهم يفعلون هذه الأمور على أنها تعليمات مقدسة ، وحينئذ يتحول الأمر معهم من مجرد إحترام لشخصية الفرعون إلى اعتقاد فى ألوهيته،ونسبة الخير الذى يجيئهم إليه .

وبالتالي يفقدون إيمانهم بالله ليحل محله الإعتقاد فى الفرعون ، والتصديق التام بكل قراراته بل إنهم يقلدونه في كل شئ وينفذون ما يأمرهم به على أية ناحية ، "قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ" (٤).لقد أخذته العزة بالاثم ، واستبد به الجبروت والطغيان فرفض نصح الناصحين . ووعظ مؤمن آل فرعون ، وأعلن على الجميع ما أشير عليكم برأي سوى ما رأيت وما أهديكم إلا إلى سبيل الصواب الذى أتمكن وحدي من معرفته.(٥)

---

(١) سورة الزخرف الآية ٥٤

(٢)الشيخ محمد بن عطية البهتيمي ــ نظرات في سورة الزخرف ص ٢٥٣ ط أولى ١٩٥٧م .

(٣)لاشك أن كل ملك أو فرعون حين ولادته كان هناك من هو أكبرمنه سناً سواء ممن يعملون بالخدمة فى البيوت الملكية ، أم من أفراد الشعب الذين يلهبهم الحماس الوطنى الزائف فيعلنون فرحهم بمولد ولى العهد الذى سيصير فيما بعد ملكاً ، وكل الدول الملكية فى وقتنا الحاضر مازالت تمارس نفس العادات السابقة

(٤)سورة غافر الآية رقم ٢٩ .

(٥)الشيخ على بن محمد أبو الوفا ــ تفسير سورة غافر ص ٧٢ ط الدار الميمنية ١٣١٨هـ

بيد أنه لما كان الفراعين يتعددون بتعدد من يموتون ويتولون بعدهم فإذا مات الواحد منهم حل بدلاً منه ولى عهده — وكل واحد منهم له سماته الخاصة وطباعه التى نظم حياته عليها ، فقد صار التعدد فى الآلهة تابعاً للتعدد فى شخصية الفرعون نفسه ، وكان لذلك أثره فى تكوين إعتقاداتهم التجسدية ، كما كان بارزاً فى تكوين اعتقاداتهم التعددية من طول وقصر ، وضخامة جسم أو نحافته ، بجانب لون البشرة والصفات الجسدية .

٢ — قوله تعالى :" وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ"[(١)] قال الإمام ابن كثير: يخبر الله تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافترائه في دعواه الإلهية لنفسه القبيحة لعنه الله ، وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم ، وسخافة أذهانهم ، ولهذا قال: "يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري" وقال تعالى إخبارا عنه "فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى" .

يعني أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحا لهم بذلك فأجابوه سامعين مطيعين ولهذا انتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة ، وحتى أنه واجه موسى الكليم بذلك فقال: "لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين"[(٢)] .

وقوله: "**فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى**" **يعني أمر وزيره هامان ومدبر رعيته ، ومشير دولته أن يوقد له على الطين يعني يتخذ له آجرا لبناء الصرح ، وهو القصر المنيف الرفيع العالي كما**

---

(١) سورة القصص الآية رقم ٣٨ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢٩

قال في الآية الأخرى:" وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ "[١]وذلك لأن فرعون بنى هذا الصرح الذي لم ير في الدنيا بناء أعلى منه ، إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى وجود إله غير فرعون ، ولهذا قال: "وإني لأظنه من الكاذبين" أي في قوله إن ثم ربا غيري لا أنه كذبه في أن الله تعالى أرسله لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع جل وعلا فإنه قال: "وما رب العالمين" وقال: "لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين" وقال: "يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري" [٢].

لم يكن فرعون جاهلاً بالملوك الذين سبقوه ، من حيث أنهم ولدوا ثم أجلسوا على كرسي الملك ، وأنهم كذلك ادعوا الألوهية ، ومع هذا ماتوا أما الاله الواحد الأحُد فإنه لايموت ، وبالرغم من ذلك فلم يقل له واحد من ملائه — ولو على سبيل التذكير — لقد علمنا فراعين قبلك عبدناهم على أنهم آلهة ثم ماتوا ، ولو فعل واحد منهم ذلك ثم مات، لكتب فى سجل الخالدين ، لكن الجبن الذى اعتصر قلوبهم ، لم يسمح لهم بإعلان شئ منه وهو ما يفهم من قوله تعالى : فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ " [٣]

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أنه ما من قوم خالفوا شرع الله تعالى وهجروا تعاليمه ، إلا جعل الله فيهم ما توعدهم به ، وهو ما يمثل صورة من عقاب الله لهم وعقابه إياهم ، قال تعالى " فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ

---

(١) سورة غافر الآيتان ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) الإمام ابن كثير تفسير القرآن العظيم المجلد الرابع ص ٢١٧ .

(٣)سورة الزخرف الآية رقم ٥٤ .

فجعلْناهُمْ سلفًا ومثلًا للْآخِرين"(١).

قال الإمام أبو السعود : كان فرعون يعتري على نبي الله موسى ، وتنقيص له عليه السلام في أعين الناس ، باعتبار ما كان في لسانه من عقدة ، ولكن الله أذهبها عنه بدعائه "وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي"(٢) ، غير أن ملأ فرعون لما أغضبوا الله تعالى بهذه التصرفات الغريبة ، والأفعال العجيبة ، أوقع الله بهم العذاب انتقاماً منهم، حتى يكونوا عبرة لمن يعتبر فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين.

ولأن الطاغية يسبق قومه إلى المعاصي ، ويقودهم إليها ويباعد بينهم عن الطاعات كما يصرفهم أو يصدهم عنها ، فإنه بنفس القدر يتحمل أوزارهم حتى يكون الجزاء متكافئاً مع الجريمة،قال تعالى:"يَقْدُمُ قوْمهُ يوْم الْقِيَامَةِ فَأَوْردهُمُ النَار وبِئْس الْوِرْدُ الْموْرُودُ وأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لعْنةً ويوْم الْقِيَامةِ بِئْس الرِّفْدُ الْمرْفُودُ"(٣).

قال الإمام ابن كثير : وقال تعالى "يَقْدُمُ قوْمهُ يوْم الْقِيَامةِ فأَوْردهُمُ النَار وبِئْس الْوِرْدُ الْموْرُودُ " وكذلك شأن المتبوعين يكونون موفورين في العذاب يوم القيامة كما قال تعالى "لكل ضعف ولكن لا تعلمون"(٤) وقال تعالى إخبارا عن الكفرة أنهم يقولون في النار: " ربَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا ربَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كبِيرًا "(٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "امرؤ القيس حامل لواء شعراء الجاهلية إلى النار"(٦)، لأنه كان يقدمهم إلى فعل ما هو منهي عنه أو بغيض.

من ثم فإن عملية الإعتقاد فى آلهة متعددة التي ظلت سائدة لدى قدماء

---

(١) سورة الزخرف الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) سورة طه الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

(٣) سورة هود الآية رقم ٩٨ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٣٨ .

(٥) سورة الأحزاب الآيتان ٦٧ ، ٦٨

(٦) الإمام الحافظ ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم المجلد الرابع ص ٩٧

المصريين كانت مسألة يسعى إلى القيام بها الفراعين أنفسهم ، من باب التأكيد على عصمة دواتهم ، وخضوع الشعب لهم ، ويمثلها أفراده في ضمائرهم واعتقاداتهم ونواياهم لذلك الجالس على عرش الملك وبيده سدة الحكم على أنه الاله [١]وقد انتشر هذا الوباء داخل أروقة الأفئدة حتى ظن الناس أن الفرعون لا يموت كما يموتون ، وإنما يحدث له نوع من الإنتقال الذى يمثل قفزات مستجدة فى عالم خاص به وحده .

ومن ثم بنوا لفراعينهم القبور قصوراً [٢]، متوهمين أن ذلك يرضى فرعونهم الراحل عنهم ، كما يجعل الفرعون الذى يخلفه عطوفاً عليهم ، غير ملق بهم في أتون الجحيم أو مجرى السيول ، أو يجعلهم في مأمن منه ، على أساس أنه ما أقام علاقات إلا غدر بصاحبها قبل مغرب الشمس .

وكانت هذه القبور بمثابة الأوثان[٣] الثابتة التى يطوفون حولها ، وينظرون إليها نظرة استعطاف متى احتاجوا إلى ذلك ، سواء أكانت الحاجة هي إنزال المطر أم رفع الظلم ، أم كانت الحاجة داعية إلى شئ آخر دفعاً له أو تحقيقاً وكلما تعددت القبور الفرعونية تعددت معها رموز الآلهة ، وبالتالى يمكن القول بأن المصريين القدماء انتشرت بين أغلبهم الاعتقادات فى وجود الآلهة الفردية مذكرة أو مؤنثة [٤].

ونظراً لهذا التعدد الفردى فقد ظهرت جماعات تعتقد فى قدرة إله على فعل الكثير، وقدرة آخر على فعل ما هو أقل ، وذلك كله مهد لإضافة المزيد من

---

(١) الدكتور / فوزى محمد شبل ـــ دور الفراعين فى العقائد المصرية القديمة ص ١٤٤ طبعة أولى ١٩٥١م.

(٢) وليس أدل على ذلك من وجود الأهرامات والقبور التى تكشف عنها الحفريات المتواصلة.

(٣) قال العلامة الراغب الأصفهانى ت ٥٠٢ هـ الوثن واحد الأوثان ، وهو حجارة كانت تعبد ، قال تعالى: "وقال إنما اتخذتم من دونه أوثانا "، وقيل أوثنت فلاناً كذا ، بمعنى أجزلته عطيته ، وأوثنت من كذا أكثرت منه المفردات فى غريب القرآن باب الواو ص ٥١٢ تحقيق محمد سيد كيلانى ط دار المعرفة ـــ بيروت .

(٤) الدكتور الشحات السيد نبوي ـــ عقائد قدماء المصريين ص ٤٩ ط الأولى ١٩٥٧م .

النعوت لفراعينهم اعتقدوها فيما بعد على أنها صفات لتلك الآلهة ، ثم نقلت هـذه الانفلاتات منهم إلى غيرهم على أنها عقائد مقبولة .

ولما كانت الآلهة التى إعتقدها المصريون القدماء لاتغنى أنفسها عن الغير[١] فلم تدفع عن أصحابها ما يمكن أن يلحق بهم من باب أولى ، وإنما سقطت الآلهة فى الوحل ولقى أتباعها نفس النتيجة ، كما أن فرعون مصر ظن نفسه إلها على الحقيقة ، فمارس مع الغفلى عملية التأكيد عليها ، قال تعالى : " وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّـي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ "[٢].

كما أنه لما اشتدت به الحماقة ، وبلغ معه السفه مبلغه زعم أن إله موسـى عليه السلام من جنس الآلهة المزعومة ، بحيث يقع له تعدد وتجسد ونعـوّت ، يحذف منها أو يضاف إليها ويعرض له من العوارض التى تلحق بـالمخلوقين تعلى الله عن قولهم علواً كبيراً ، من الجلوس إليه ، وتحريضه أو تعبئتـه بمـا يريد الخصم اللدود، أو القائد الفاشل الذى يقبض على ناصية قومه بالحديد والنار تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، قال تعالى حاكياً هذا الموقف :" وَقَالَ فِرْعَـوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ" [٣] .

لقد قال فرعون لملائه خلوا عني واتركوني اقتل موسى ، فـإني أعلـم أن صلاح ملكي في قتله ، وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله كي منعني من قتله ، او

---

(١) لأنها تحتاج من يطعمها ويسقيها ويقوم على شئونها جميعاً ، أليس الفرعون يأكل ويشرب ، ويصح ويمرض ويتزوج وقد ينجب ، ثم بعد ذلك يموت ويقبر ، وهو في هذه الحالات محتاج إلى الغير ، ومادام محتاجاً إلى الغير فلا يكون إلها أبداً .

(٢) سورة القصص الآية رقم ٣٨ .

(٣) سورة غافر الآية رقم ٢٦ .

يمنعه مني ، إن أخاف أن لم أقتله أن يغير دينكم في عبادتي ، أو أن يفسد دنياكم من التحارب والتهارج إن لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية ، وفي الآية إشـــارة إلى أن فرعون من عمى قلبه ظن أن الله يذره أن يقتل موسى بحوله ، وقوتـه ، أو يذره قومه ولم يعلم أن الله يهلكه ويهلك قومه[1].

كما أن فرعون لايسمح لأحد بمناقشته فى أمر زعمه الألوهية أو الربوبية ، بل أكد لهم على أنه سلالة إلاهية ، وأنه قد توارث ذلك من قديم الزمـــان ، وأن الآباء والأجداد قد أعطوه ذلك أمانة ، وهو أحرى بالمحافظة عليها ، وبناء عليه فإن كان موسى يدعو إلى رب العالمين فأنا ربكم الأعلى ، وليـــس مـــن شـــأن الأعلى الأنصياع للأدنى أو الأقل .

قال تعالى مصوراً ذلك عنه : " وهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَـالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى "[2]

يقول الإمام ابن كثير " يخبرالله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنـــه ابتعثـه إلـــى فرعـــون وأيـــده الله بالمعجزات ، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه ، حتى أخذه الله أخـذ عزيـز مقتدر ، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ، ولهذا قال في آخر القصـة "إن في ذلك لعبرة لمن يخشى" [3]

والبادى أن جماعة المستضعفين فى مصر أبـــان حكـم الفراعيـن كـــانوا يخضعون بشكل تام لهذه العقائد الوثنية ، وأنهم مارسوها عملياً حتى يضمنـــوا

---

(١)الشيخ إسماعيل حقي البروسوي ـــ تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ـــ المجلد الثالث ص ٤٢٢ .

(٢)سورة النازعات الآية رقم ٢٦ .

(٢) الإمام ابن كثير ـــ تفسير القرآن العظيم المجلد الرابع ص ٢١٧ .

لأنفسهم نوعاً من الحياة بين جدرانات عقول هؤلاء المصريين ، وكلما أراد الفرعون إرهاب الناس مارس على هؤلاء المستضعفين بعض الأعمال الإجرامية التي يجئ فيها الإرهاب بأشكاله المختلفة ، والعنف بمظاهره المتنوعة قال تعالى : " إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ"[١]، فكان علو فرعون يمثله الاستكبار والتجبر ، بجانب مجاوزة الحد في الطغيان على أرض مصر التي جعل أهلها فرقاً في استخداماته يستعبد فريقاً منهم إلى حد الاستذلال ، ومنهم بنو إسرائيل فيسومهم سوء العذاب ، حيث كان يقتل الذكور الأقوياء[٢]، أما الإناث فحظهن الاستبقاء على قيد الحياة لخدمة الفرعون وحاشيته ، وما فعل ذلك إلا لأنه من الراسخين في الفساد ، المتكبرين في الأرض ، المستكبرين على الخلق ، المتجبرين عند إذلال المستضعفين[٣]، كما أنه ادعى الربوبية لنفسه والألوهية لذاته ، وكان أغلب قومه يعتقدون أنه إله من سلالة الآلهة[٤].

ولي مع هذه الاعتقادات الوثنية بالنسبة للآلهة المفردة عند قدماء المصريين وقفات قد تطول وقد تقصر من هذه الوقفات ما يلي :

الأولى : أن الفراعين هم الذين كانوا يعلنون بتأليه أنفسهم ، إما على أساس أنهم من سلالة إلهية ، كما فعل أخناتون حين زعم أنه ابن الإله الشمس[٥] وإما على أساس أنهم الأقدر وحدهم على دفع الضر عن الناس وتحقيق الخير لهم ، وهم

---

(١) سورة القصص الآية رقم ٤ .

(٢)الشيخ محمد علي نصار – من قصص القرآن الكريم ص ٧٣ ط أولى ١٣٣٥هـ

(٣)الشيخ علي بن محمد علي الجامي تفسير سورة القصص ص ٦٥ ط الدار السلفية .

(٤)وهكذا أشاع الفراعين في مصر قديماً أنهم آلهة وأبناء آلهة وأحفاد آلهة ، ومن ثم فلا نعجب إذا وجدنا العهد القديم يعلن في سفر التكوين أن أبناء الرب تزوجوا من بنات البشر – سفر التكوين الإصحاح السادس ٨/١ وذلك مما يدل على أن اليهودية قد تأثرت بالوثنية .

(٥) فتوحيد إخناتون ليس توحيد إله إنما هو توحيد آلهة والفرق كبير .

فى كلا الأمرين قد خانهم التوفيق ، وظاهرهم الباطل ، أما لماذا ؟

فلأنهم فى قرارة أنفسهم يعلمون عدم اختلافهم عـــن بـــاقى البشـــر فـــى العوارض والهيئات من أوصاف بشرية ، وطوارئ صحية أو مرضية . ومن ثم فإن مزاعمهم إمتيازهم عن غيرهم أو تمايزهم عليهم تكذبـــه الوقـــائع العمليـــة والظروف الحياتية ، إذ أن كل واحد من هؤلاء الفراعين يعلم أنه قد جاء مـــن أبوين حملت به أمه ثم وضعته ، فنما على الأرض ثم رضع وأكـــل وشـــرب ، ولعب كما صح ومرض ، وتعلم وجهل ، وأخيراً مات السابق وخلفه اللاحق .

وهي كلها من نعوت المخلوقين ، ولا يصح أبداً أن يوصف بها أو شئ منها الإله الواحد رب العالمين . لأن العقل الصحيح يحيل ذلك بناء على قـــاعدة أن فاقد الشئ لايعطيه ، وإذا كان الفرعون فاقداً لأصل الحياة ـــ بدليل أنه مـــات ـــ فهل يملك منحها لغيره ؟ ولو كان يملكها لاستبقى نفسه حيـــاً بـــدل أن يلحقـــها المُوت ، أما وأن كل واحد منهم قد مات فدل الأمر على أن فكرة تأليههم إنمـــا هي خيال مريض .

كما أن النصوص الشرعية قد دلت على أن الله تعالى واحد فى كل شـــئ ، واحد متعال عن كل اعتبار، لأنه الخالق لكل شئ قال تعالى : " ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُـمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَـــيْءٍ وَكِيـلٌ لاَّ تُدْرِكُـهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"ﷻ .[1]ذلكم الله ربكم وحده ، لا إله سواه ، ولا خالق إلا هو ، مالككم جميعاً ، ومدبر أموركم كلها فـــأعبدوه وحده ، ولأنه لما كان هو الخالق لكم ، فهو الحافظ والمدبر لكل شئ ، ومن ثـــم فوضوا الأمر إليه،وتوسلوا بالطاعات لتنالوا المنح الإلهية،وتقع عليكم البركات[2] والله عز وجل لا تحيط به البصار في دار الدنيا حتى تراه ، ولكنه يرى الجميع،

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢)الشيخ عبد العليم على النادي ـــ تفسير سورة الأنعام ص ١٢٥ ط الأولى ١٩٢٧م .

فعلمه شامل ، وإرادته نافذة ، وقدرته غالبة ، وهـو اللطيـف بعبـاده الخبـير بأحوالهم ما يبدون وما يسرون[١].ولما كان الفراعين من جنـس المخلوقيـن ، يولدون ، ويأكلون ويشربون ثم يموتون ، فدعواهم الألوهية ضلال مبين وكفـر بالله رب العالمين .

الثانية : ان الفراعين حينما زعموا لأنفسهم الألوهية أو الربوبية قد نظروا إلـى الرعية ، وهى نظرة القوي المتكبر إلى الضعيف المحتاج حيـث يجـئ معـها التعالى ويتحقق الهوس والمرض ، لأن المتكبر لايحاول رؤية من هو أعلى منه على طبيعته وإنما يعمل على إجهاض كل محاولة جادة يقوم بها عقله فى هـذا الجانب ، ولما كان الكبر يحول بين صاحبه والنظرة الصحيحة للأشياء فقـد ذم الله الكبر والمستكبرين قال تعالى : " إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِـالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّـهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ "[٢].

بيد أن هؤلاء الفراعين لو نظروا إلى الكائنات التى تحيط بهم ، وقد خلق الله الإنسان كجزء منها،على أنها مخلوقة لله وحده فمن المؤكد أولا أنهم لم يخلقوهـا بدليل عجزهم عن تكرار الخلق لو زعموه ، وإنما الخالق لها هو المتعالى عـن الأغيار والأشكال ، إنه الله تعالى الذى ليس كمثله شئ وهو السـميع البصـير ، وكل عاقل يدرك أن هذه الكائنات لم تخلق نفسها ، وإلا كانت متقدمة على نفسها باعتبارها خالقة ، ومتأخرة عنها باعتبارها مخلوقة ولا يقول بذلك عاقل .

الثالثة : أن إكراه الفراعين أفراد الشعب على اعلان تأليه فرعون زمانه يمثـل نوعاً من استخدام السلطة فى غير موطنها ، والوقوف بها عند مظان الهلكة[٣] ،

---

(١)الشيخ عبد العظيم محمد عبد الوهاب ـــ نظرات في سورة الأنعام ص ١٣٧ ط الدار القومية ١٩٥٧م .

(٢) سورة النحل الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٣)الشيخ عبد العليم على النادي ـــ تفسير سورة الأنعام ص ١٤٧ .

ومن ثم فمن الممكن وجود فرد وأفراد يعلنون الرفض لهذه الأفكار ، وينـــادون في الناس بأعلى صوت أن هذه العقائد الباطلة لا وجود لها ولا يمكن قبولـــها ، وأن الفراعين قد اندفعوا للهلاك ووقعوا في الضلال .

كالحال مع مؤمن آل فرعون قال تعالى مصوراً موقف هذا المؤمن:" وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّـــهُ وَقَـد جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْـضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُـمُ الْمُلْـكُ الْيَـوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّـــهُ يُرِيـدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ "[1]

لاشك أن صوت مؤمن آل فرعون كان عالياً، وأن تأثيره في بعض النفوس كان قوياً إنه قطع الصمت الرهيب على كل ناحية ،وأعلن في الملأ المستكبرين:

أ – وحدانية الله التي جاء بها الأنبياء والمرسلون ، وبلغ بها نبي الله موســـى الكليم وذلك مما لا يقبل الجدل العقلي متى لاحظتـــه العقـــول الســـليمة ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله [2]، وفي هذا دليل على أن هذا الرجل هو الآخر كان مؤمناً بالله ، فلم يقل أتقتلون رجلاً أن يقول ربه الله ، وإنمـــا يقول ربي الله فدل الأمر على أن هذا الناصح كان مؤمناً موحداً .

ب – إعلان تصديقه بنبوة موسى عليه السلام وقد جاءكم بالحق من ربكم ، وفيه دليل

(١)سورة غافر الآية من ٢٨ إلى ٣٣ .

(٢) وفي هذا الإعلان جاء الإقرار بوجود الله تعالى أولاً ، ثم وحدانيته ثانياً ، وأخيراً التمسك بذات العقيـــدة مهما كانت النتائج .

على لفت العقول إلى أن الرب المعبود بحق واحد هو الله .

ج ـ الحرص على اتباعه ترغيباً ، والحذر من مخالفته ترهيباً ، "وان يك صادقاً يصيبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب"(١).

د ـ الإيمان بالبعث وأنه حقيقة واقعة "(٢) فمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سبيل الرشاد (٣). مع أنه لم يكن إلا آخذاً بهم إلى طريق الهلاك ، قال تعالى : "يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ "(٤).

ورغم صيحات التحذير ، وأساليب الترهيب التى أطلقها مؤمن آل فرعون والتى أحاطها بشئ من الترغيب ، إلا أن العماية غلبت على الفرعون والملأ الظالمين ، فعادوا الحق الذى جاءهم به نبى الله موسى من عند رب العالمين وتعاووا عليه عواء الكلاب من كل ناحية ثم أصرهو ومن معه على ركوب متن الباطل ، "وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ"(٥) فإندثار الظالمين عبرة ، وكل ما سوى الله باطل وهالك ، قال تعالى :" ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ".(٦)

---

(١) فيه تزكية لنبي الله موسى الكليم ، واتهام لفرعون وملائه حيث رتب على صدقه وقوع العذاب الذي توعدهم به ، وهو تهديد ما بعده تهديد ، واتهام صريح بأن فرعون ومن معه كل منهم مسرف وكذاب أيضاً.

(٢) وهو من الأدلة على أن هذا المؤمن كان واثقاً من إيمانه بالله الواحد ، مؤمناً بالله والنبوات واليوم الآخر ، كما كان مؤمناً بأجزاء العقيدة الإلهية كلها اعتقادا قلبياً وسلوكاً عملياً

(٣) وهي النعرة التى يعلنها دائماً أهل الإلحاد والمستكبرون مهما كانت معالم الحق واضحة .

(٤) سورة هود الآيتان ٩٨ ، ٩٩ .

(٥) سورة القصص الآيتان ٣٩ ، ٤٠ . (٦) سورة الحج الآية ٦٢ .

وهو الغني عن كل شئ الخالق لكل شئ ذو العظمة والعزة والجبروت ، فلا أعلى منه ولا أعظم [illegible] ولا إله معه أصغر أو أكبر ، وإنما هو وحده الإله الحق ، وسواه هو الباطل الذي لا يقدر على شئ أبداً [١] فتبارك الله رب العالمين.

ولما كانت الآلهة المفردة المذكرة المتعددة فى الأديان الوثنية تعيش بين الناس . وتقاسمهم الأفراح والأتراح ، كما تقع تحت أسماعهم والأبصار فلاشك أن هذه الآلهه المتعددة في الذوات قد تعددت أيضاً فى الأغراض والأعراض ، حتى صارت تأكل وتشرب وتتزوج وتتناسل كما يقع لها الضحك والبكاء ، بجانب الندم والفزع ، وهى فى مجملها أفكار تغنى بها الوثنيون على كل ناحية، وكان كل فرعون يتولى حكم البلاد يسارع إلى إكراه أفراد الشعب على إعتقاد تلك الوثنيات ، وممارسة ما يترتب لها من طقوس وعبادات يخترعها الكهنة[٢] أو يدعو إليها رجال الدين الذين يقيمهم ذلك الفرعون ، أو ممن أقامهم سلفه .

لكن لما كان لليهود نزوح متكرر وهجرات متوالية إلى مصر ،وبخاصة أيام الأسر ، وما بعد الأسر أيضاً ، وأمكن لليهود العيش بين سكان هذه البلاد بعض الوقت . فقد تأثروا بهذه الأفكار الوثنية ، ولم يكن لديهم مانع من اعتقادها أيضاً بل والتسليم بتعدد الآلهة الوثنية بجانب ممارسة بعض الطقوس المؤدية إليها ، والشعائر التى تقرب هؤلاء المشردين حتى يكونوا في جانب حماية هؤلاء الآلهة المتميزين

من ثم فقد اعتقد اليهود تعدد الآلهة الفردية حتى تجاوزوا بها ما كان لدى المصريين القدماء بكثير " إعتقاداً منهم أن ذلك يعلى قدرهم بين أهل تلك البلاد ، كما يجعل منزلتهم فى نفوس الحكام تزداد قدراً ، بدليل أنهم كلما نزلوا أقليماً

---

(١) الشيخ محمد على أبو النجا تفسير سورة الحج ص ١٣٧

(٢) كان بعض الكهنة يرتزقون من هذه الطقوس والعبادات المخترعة ، وبالتالي فلم يكن لديهم مانع من الزيادة عليها

مصريا أقتبسو الهة دلك الأقليم ، وأعلنوا اعتقادهم فى تأليهها [١]، من غير نظر إلى ما إدا كانت هناك قواسم مشتركة بين الآلهة التى كانوا عليها فـــى الأقـــاليم التى سبق لهم النزول بها مع آلهة هدا الأقليم أم لا ، وقد سجلوا ذلك فى أســـفار العهد القديم .

ولما كان اليهود يعملون على إبراز تميزهم على غيرهم فى التمسك بتلـــك الآلهة ــ من باب إرضاء حكام الأقاليم التى تستضيفهم أو التى ينزلون بــها ، أو من باب جهلهم باللغة والطقوس التى تعبر عن هذه الآلهة ــ فقــد وقعــوا فـــى الكثير من أوجه التعدد للآلهة الوثنية .

وقد كانت مفردات اللغة أحد أسباب تعدد الآلهة الفردية لدى اليهود ، إذ قد يكون اسم إله المطر فى إقليم ما هو زوسر مثلاً ، بينما هو نفسه فى إقليم آخـــر اسمه بوشر ، باعتبار أن سكان ذلك الأقليم ينطقون حرف الباء زاياً ،وحـــرف السين شيناً وبناء عليه فقد كانت الجماعات اليهودية النازحة من مصر الفرعونية تحمـــل جملة من العقائد ،لمجموعة من الآلهة المتعددة التى جاءتهم من عقـائد قدماء المصريين[٢].

والأغرب من ذلك هو أن اليهود بعد نزوحهم من مصـــر تمســكوا بـــهذه العقائد المتعددة ودافعوا عنها "على أساس أنها اعتقاداتهم الخاصة،ومارسوها بكل دقة ثم صنعوا لها تماثيل يصحبونها فى حلهم والترحال [٣]، وكـــان بإمكانـــهم التخلص منها بعد الرحيل ، أو التخلي عنها ، من باب أن ما أكرهوا عليه فـــي دار الضيافة جدير بطرحه متى يعودوا عنها ، أو تخلصوا من ســيف البــاطش وسوط الجلاد .

---

(١)الدكتور / فوزى محمد شبل ــ دور الفراعين فى العقائد المصرية القديمة ص ١٥٧ ط أولى ١٩٥١م

(٢)الدكتور / جوستاف لوبون ــ اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٦٣ ترجمة عادل زعيتر .

(٣)الشيخ محمود رزق محمد أبو حويلة ــ اليهود والعقائد الوثنية ص٤١ ط الدار الجديدة ١٩٣٧م

إن دور اليهود فى نقل العقائد الوثنية عن المصريين القدماء كان كبيراً ، باعتبار أن استقرارهم فى منطقة ما كان بمثابة الإعلان عن ضرورة ممارسة اعتقادات سكان تلك المنطقة ، ثم إنهم لم يكتفوا بمجرد نقلها وإنما أعلنوا أنها عقائدهم أيضاً ، ولا يمكنهم التخلى عنها(١) ، ولست أدرى كيف سمحوا لأنفسهم الوقوع فى تلك المغالطة البسيطة ، حيث يزعمون أنهم أبناء الله ثم يسمحون لأنفسهم — وهم أبناء الله — أن يعتقدوا فى آلهة متعددة أخذوها عن شعوب أممية وثنية ليسوا أبناء الله . ألا يدل ذلك على أن اليهود فقدوا أبسط الأسس ، وتناسوا الأصول العامة .

يقول مارتن اسكورت : أن معالم أقتباس اليهود من ثقافات الشرق وديانات المصريين القدماء لايمكن إخفاؤها ، وأوجه المقابلة بين أسفار العهد القديم وكتابات المصريين القدماء تكشف عن تمام المطابقة بين اعتقادات هؤلاء المصريين القدماء ، واعتقادات اليهود فى مراحلهم المختلفة ، مما يؤكد أن أثر العقائد الوثنية قد برز فى الديانة اليهودية على أوسع نطاق ، وبخاصة فى فكرة تعدد الآلهة وتجسداتها ، والقرابين البشرية (٢) ومهما حاول اليهود إنكار تأثرهم بالاعتقادات الوثنية المصرية وغيرها ، فإن الشواهد القائمة فى أسفار العهد القديم على سبيل التكرار والتأكيد تفضحهم وتكشف عن قبح ما يفعلون ، أو عليه يعتمدون .

ثانيا : فى ديانات بلاد الرافدين :

بلاد الرافدين كانت فى الماضى إذا اطلقت فإنها تدل على كل من بابل وآشور ، ونظراً لوقوع هذه البلاد بين نهرى دجلة والفرات فقد أطلق عليها

---

(١) وأسفار العهد القديم تتحدث عن أصنام لأبان خال يعقوب ، كما تتحدث عن إنسان السرب ، والمحرقة وغيرها كالبعل والبوهيم ، والحية النحاسية وكلها أصنام تمسك بها اليهود .

(٢)مارتن اسكورت/ الفكر الشرقى القديم العقائد والعبادات ص ١٤٧ ترجمة زكى رزق ط الثانية ١٩٥١م.

أيضاً اسم بلاد مابين النهرين ، وقد ظهرت فيها ديانات كثيرة ، جاءت فيها الوثنية البغيضة بأشكالها المختلفة ، حيث تمثلت الوثنية من خلال تجسدات بعينها وتمثلات في صورها مما يعني كثرتها إلى حد كبير .

وقد عنى بها الباحثون فى تاريخ الديانات وفى مجال المقارنة أيضاً ، كما اهتم بها المؤرخون من القدامى والمحدثين ، كما وقعت إليها هجرات ونزوحات لليهود ، ومن ثم فإن الحديث عن تعدد الآلهة فيها يكشف عن أوجه تأثر اليهود بهذه الديانات ، كما يبين عن الأسباب التى دفعت إلى ذلك ، ولما كان مصطلح بلاد الرافدين يطلق قديماً على كل من بابل وآشور على سبيل الأصل ، فإنى ساخص تعدد الآلهة عندهما بالذكر في هذه السطور، لمعرفة ملامح الأثر الذى أمتد لليهود ، والطريق الذي سلكوه حتى اقتبسوا تلك العقائد الوثنية .[1]

أ ـ فى ديانات البابليين :

يذهب المؤرخون إلى أن بابل فى الماضى البعيد كانت عبارة عن قرية صغيرة على شاطئ الفرات أهلها قليلو العدد ، يعملون بالصيد والزراعة ولا شأن لهم بالحرب ، ولأن مصدر عيشهم فى الغالب هو الفرات صيداً وزراعة فقد كانوا يعتقدون أن الفرات هو الإله الذي خلقهم ويتولى رزقهم ، وبالتالى فقريتهم هى باب الله [2] الذى تأتيهم الأرزاق من ناحيته .

غير أن هذه القرية الصغيرة لم تلبث أن توجهت إليها أطماع الغزاة من

(١) الأستاذ / عبد الكريم الخطيب ـ الله ذاتاً وموضوعاً ص ٢١٧ الكتاب الأول سلسلة قضية الفلسفة والدين الطبعة الثالثة دار الفكر العربى بالقاهرة سنة ١٩٨٣م .

(٢) كان اسمها فى اللغة الاكديه باب اميلو ، وفى اللغة السومرية تسمى كادنجرا أو قاموس الكتاب المقدس يؤكد ذات الاستنتاجات وراجع للدكتور عبد العزيز صالح الشرق الأدنى القديم ج١ مصر والعراق ص ٤٦٠ مطبعة الأنجلو المصرية الطبعة الرابعة ١٩٨٤

العموريين الدين استولوا عليها ، ثم أقاموا بها وجعلوها قاعـدة يغيرون منـها على البلاد المجاورة ، من أمثال سومر وآكاد ، وما كان ذلك إلا رغبة منهم فى إمتداد سيطرتهم وبسط سلطانهم على تلك البلاد لتكوين مملكة تحمل ملامحـهم فيما بعد ، وقد تحقق لهم ذلك حين قاموا بتوحيد تلك البلاد تحت قيادة عموريـة واحدة .[١]

وبابل من المجتمعات القديمة التى ظهرت فيها الحضارة ، لكن لـم تكـن اتجاهات أهلها متوافقة مع ذات الحضارة المتقدمة فى الناحية الإعتقادية ، بدليـل أنهم أمسكوا بالحضارة على الناحية المادية والثقافية ، أما فى الجوانب الإعتقادية فقد إعتقدوا تعدد الآلهة الفردية بوجه خاص ، حتى صار لكل فرد بـالغ داخـل العائلة الحق فى اختيار إله من الآلهة المنتشرة بذات المجتمع[٢] .

, كما كان له الحق فى استعمال التماثيل والتجسدات التى تعبر عن الإله الذى يعتقده ، ولو خالف فى ذلك باقى أفراد الأسرة التى يعيش كفرد من أفرادهـا ، على أساس أن الاعتقاد مسألة خاصة ، وعملية ذاتية ، وهو ما يعني إنهم كـانوا يتمتعون بحرية في اختيار العقيدة التي تناسب كل فرد فيهم .

كان الإله الفردى هو الغالب على اعتقادات كل الأفراد وبخاصة حوالـى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد حيث كانت البلاد مقسمة إلى نظم مسـتقلة ، وممـالك صغيرة لكل مملكة منها إله أعلى يحيط به آلهة ثانويون [٣]، ولم تتغير اعتقاداتهم بالنسبة لهذه الآلهة إلا فى العدد والأسماء ، وكلما توسعت مملكة فـى نفوذهـا

---

(١) المستشرق جيمس هنرى بريستيد ـــ العصور القديمة ص ١٣٩ ترجمة داود قربان ط مؤسسة عز الديـن للطباعة والنشر ببروت ١٤٠٣/١٩٨٣م وقريبا من نفس الأفكار ذكرها فى كتابه فجر الضمير وقد ترجمتـه ونشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة مكتبة الآسرة ، كما سبق نشره بمكتبة مصر

(٢) الشيخ عطيه إبراهيم الشوادفى ـــ دراسات فى التوراة ج ١٢٩ المؤتمر العالمى للسيرة والسنة النبويـة ـــ المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية صفر ١٤٠٦هـ نوفمبر ١٩٨٥م .

(٣) فكرة الآلهة الثانوية والآلهة الأصلية سادت الديانات الوثنية حتى كانت غارقة فيها

رفعت إلاهها الأعلى إلى مقام أعلى فإذا كانت مملكته هى التى آل إليـــها أمــر الملك فإن إلهها يدفع به إلى مقام الإله الأعلى فى الدولة ، ثــم ترتــب الآلهــة الأخرى بجوار الإله الأعظم [١] طبقاً لترتيبات المملكة ضمن المملكات البابليــة الأخرى ، ويظل الأمر كذلك حتى يبلغ أقصاه فى مراتب الإتحاد السياسى الـذى يقع فيه اتحاد بين الآلهة جميعاً ، بحيث يكون هذا الإتحاد هو الممثل الوحيد لــها المتحدث باسمها المعبر عنها [٢].

وقد استطاعت الآلهة أن ترسم لأنفسها صوراً عديدة فـــى نفــوس أولئــك المعتقدين لها وأذهانهم أيضاً ، بحيث تصوروا أنه يمكنهم مخاطبتها والتعـــامل معها ، والخوف منها ، وربما التعلق بها إلى أبعد مدى ، وكان مؤلفــوا العــهد القديم قد عايشوا سكان بابل ايام التشرد والترحال ، وقبل نظام القبيلة فســـجلوا ذلك كله داخل نصوص وأسفار العهد القديم .

ثم برز التعدد فى الآلهة والتجسد لها داخل المعتقدات اليهودية حيث تحدثوا عن الإله ياهو، كما تحدثوا عن الإله الوهيم، وقبل ذلك كان الإله يهوه ، وجعلوا لهذه الآلهة صوراً مادية خالصة ، كما خاطبوها وتحدثوا معها ، ثم جردوها من طبيعتها وأعادوا صياغتها كلما أرادوا ذلك .

---

(١) الدكتور فوزى السيد ثابت ـــ بابل والحضارة القديمة ص ٢٤٧ ط أولى ١٩٥٧م .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع لاسكورت ـــ الفكر الشرقي القديم ، وللدكتور عبد العزيز صالح ـــ الشـــرق الأدنى القديم ، وهنري بريستيد ـــ العصور القديمة ، وفجر الضمير ، وللدكتور فوزي السيد ثابت ـــ بـــابل والحضارة القديمة .

يقول سفر التكوين وقال الله لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه [1] فكان الإنسان عندهم صورة كاملة لذات الإله الذى يعتقدونه ، ولما كانت أفراد الإنسان يتعددون فقد تعددت الآلهة هى الأخرى بتعدد المظاهر والأشكال الإنسانية . وإن لم يكن بهذا الحجم الإنسانى إلا أنه تعدد فردى أيضاً ، فيه نوع من المشابهة بين الآلهة اليهودية والإنسان نفسه .

يقول صاحب الدر الثمين : أوضح الكتاب المقدس سر الثالوث إيضاحاً حقيقياً بقوله : إن الله قال : لنخلق إنساناً بصورتنا كشبهنا أوضح الأب والابن والروح القدس ، وهى هذه المشورة العظمى[2] وذلك مما يؤكد أن اليهود بعد نبى الله موسى الكليم قد أخذوا إعتقاداتهم من الأمم الوثنية ، التى نزلوا بها على سبيل التقليد لهم والمحاكاة ، أو على سبيل النفاق وإظهار الحب لآلهتهم ، كما هو الشأن لدى أولئك المغضوب عليهم فى كل وقت حين يرون فى أنفسهم ضعفاً عن ملاقاة سلطان الدولة التى يقيمون بها .

ولما كانت الآلهة الفردية قد تعددت فى بابل ، واليهود قديماً قد ساكنوا البابلين فترة من الزمان فمن المؤكد أنهم أرتضعوا ألبان الفكر البابلي ، وتمسكوا باعتقاداتهم الدينية ، وسجلوا ذلك فى مؤلفاتهم ، ومارسوا مظاهر ذلك أينما كانوا والشواهد على ذلك في أسفار العهد القديم كثيرة بحيث لا يخلو سفر عنها وهي

---

(١) العهد القديم — سفر التكوين ١/٢٤—٢٨ يقول : وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها ، بهائم وديانات ووحوش أرض كأجناسها ، وكان كذلك فعمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها ، وجميع ديانات الأرض كأجناسها ،ورأى الله ذلك أنه حسن ، وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء ، وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الديانات التى تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلق ذكرا وأنثى خلقهم " سفر التكوين ١/٢٤—٢٨.

(٢) الدر الثمين فى شرح سفر التكوين ص ٢٧٢ المطبعة الخديوية بمصر ١٨٩٥م .

تصور الإله في تجسدات إنسانية ، ثم تجسدات حيوانيـــة ، ونباتيـــة ، وســـوف أعرض لذلك منها[١] بحيث يكون الأدلة قائمة ، وبخاصة أن المشابهة واضحـــة بين ما جاء في الفكر الوثني ، وأسفار العهد القديم ، وآيات القرآن الكريم دالـــة على أنهم جميعاً فى ضلال مبين قال تعالى : " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَـــا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ " [٢].

ب ــ فى ديانات الآشوريين :

يذكر المؤرخون أن سلالة الآشوريين لم يكونوا من سلالات بلاد الرافديـن ، وإنما هم سلالة من أحد الشعوب السامية [٣] التى عاشت على الرعى، ثم نزحت إلى أرض الهلال الخصيب طمعاً فى الرزق [٤] وكان ذلك قبل مطلـــع الألــف الثالث فيما قبل الميلاد[٥] ثم كونوا إمبراطورية نسبت إليهم فيما بعد ، وفى آشور كانت آلهتهم أقرب شبهاً فى تعددها وتجسداتها بما هو قائم لدى البابليين ، كمـــا كانوا يجسدون آمالهم وأحلامهم فى هذه الآلهة ينادونها بكل إمكانياتهم ويفرزون لها من أموالهم يقدمون باسمائها القرابين المتعددة بتعدد الحاجات[٦] .

وفى نفس الوقت فإن هذه الآلهة المتعددة إتخذت فيما بينها شكلاً من أشـــكال الاتحاد السياسى تحت راية راعيهم الأكبر أو الإله العظيم آشور ، ونعتوه بأنــه

---

(١) سوف أعرض لذلك في الباب الثاني أثناء الحديث عن تجسدات الآلهة في الفكر اليهودي .

(٢) سورة الحج الآية رقم ٦٢

(٣)الدكتور / محسن السيد السرجاني ــ آشور الحركة والدولة ص ٢٥ ط دار التوحيد بفاس ١٩٦٥م .

(٤)الدكتورة / وفاء محمد بن المقراح ــ آشور وتغيرات العصور ص ٧٣ دار الثقافة العربية بالمغرب ١٩٦٣م

(٥)أندريه بارو ــ بلاد آشور ــ نينوى وبابل ص ١٧ ط وزارة الثقافة بغداد ١٩٨٠م.

(٦) إذ كانوا يعتقدون أن هذه الآلهة متى رضيت تحقق الخصب وعم الخير ، أما إذا غضبت فإن الدمار واقـــع والهلاك محقق ، وهو من جملة اعتقاداتهم الخاطئة في الآلهة التي اعتقدوها ، مما يؤكد أنهم كانوا في الغالب الأعـــم يعيشون على الوثنية .

أكبر من كل الآلهة الأخرى [١].

كما زعموا أنه يمتاز عليهم بكونه لم يولد بين أب وأم ، كما لم يلد ، حيث لم يجعلوا له زوجة بحيث يجئ منها ولده " بعكس الآلهة الأخرى ، فان بعضها جاء من أم ، وبعضها جاء من فم أب ، وبعضها جاء بين أم وأب إلهين من سلالة الآلهة ، أما آشور نفسه فقد إمتاز عليهم جميعاً [٢]، وبالتالى فهو الموحد لهم فى ذاته ، أو هو الممثل لها جميعاً أمام آلهة البلدان الأخرى .

وكان الآلهة الثانويون فى آشور يمثلون رأياً إستشارياً بالنسبة للإله الأكبر العظيم آشور ، ومن ثم فإذا جاءت أسماء هذه الآلهة الثانوية بجوار اسم الإله الأعظم آشور فإنها لاتخرج عن كونها رموزاً متعددة ، أو صوراً مختلفة ألتقطت لجسد واحد ، أو تعبر عن مظاهر القدرة الإلهية فى الطبيعة نفسها [٣] وقد حرص هؤلاء الآشوريون على ممارسة الدعوة للإعتقادات الوثنية التى ظهرت لها أسماء كثيرة ، وتجسدات أكثر .

بيد أن نظرة هؤلاء إلى آلهتهم المتعددة كانت مغايرة لنظرة كل من المصريين والهنود على الخصوص ، إنها نظرة تتسم أحياناً بنوع من التعالى لآلهة الآشوريين على آلهة غيرهم ، وكذلك إرتفاع أسهم الإله أشور نفسه على باقى الآلهة المحلية ،حيث يشعر بأنه المالك والسيد بينما باقى الآلهة المحلية تقوم بدور الخادم أو الوصيف إنه الإله الأعظم والأكبر بالنسبة لباقى الآلهة جميعاً[٤] وبالتالى فهم يرسمون له العديد من التماثيل الكبيرة التي تتناسب معه وبجواره

---

(١)الشيخ حسن عبد المعبود عطيه ــ اتجاهات الفكر الشرقى القديم ص ١٦٧.

(٢)الشيخ عبد الحميد حسن الطويل ــ حضارة بابل وآشور ص ١٨٥ الدار الميمنية ١٣٣٧هـ

(٣)الدكتور إبراهيم بيومى مدكور ــ مذكرات فى الفلسفة ١٨٥ ط الجامعة المصرية ١٩٤٦م .

(٤)توماس هيرز ــ الحضارة القديمة في بابل وآشور ص ١٦٣

تماثيل أصغر منه ، كانوا يحتونها على ما يمكن أن يتبلـــور فـــى أفهامـــهم ، وبخاصة إذا وقع لهم شيء من الإنتصار ، أو تحققت لهم الغلبة ، حيث ظلـــوا يعتقدون أن آشور نفسه هو مصدر ذلك كله "[1] فى حين كانت نظرتـــهم إلـــى الآلهة الأخرى التي توضع تماثيلها بجواره ، أقل من تلك التى يتجهون بها إلـــى آشور نفسه .

ونظراً لارتباط المملكة الآشورية ببعض الاتصالات الوثنية مع البابليين فقد وقعت إقتباسات وتداخلات بين شعوب تلك البلاد بشأن هذه الآلهة طبقاً لعلاقـــة التأثر والتأثير ، وذلك مما سمح بإنتقال بعض المعتقدات الدينية من بـــابل إلـــى آشور وبالعكس ، وأن هذه المعتقدات الوثنية قد ظهرت بشكل واضح في تعـــدد الآلهة الفردية ، كما أن التشابه القائم بين هذه الآلهة الوثنيـــة فـــي كثـــير مـــن النعوت التى وصفوا بها الآلهة يدعم قضية التأثر بشكل كبير .

يقرر هيبيرز أن المعتقدات الدينية فى كل من بابل وآشور كان يقـــع لـــها التوارد على سبيل التبادل المقصود أو غير المقصود ، بناء على رغبة أهل هذه البلاد فى أجتياز العقبات ، وتحقيق أعلى قدر من النجاح بجـــانب الفـــوز فـــى المجالس المختلفة بغض النظر عن نوعيتها ، ودون نظر إلى قبول ذلك النـــوع من التأليه أو رفضه [2]لأن النزاعات التى وقعت بينهم فى الماضى ، قد دفعـــت بكل منهم إلى محاولة الغلبة على الآخر أو تحقيق الأنتصار عليه ، أو تجـــاوز هذه المرحلة إلى ما بعدها .

إذن ظهرت مسألة تعدد الآلهة الفردية فى آشور بشكل كبير حتى أن كـــل فرد صار بإمكانه استخدام صيغة بعينها واطلاقها على الإله الذى أختاره معبوداً له . وظهرت كذلك تجسدات عديدة لهذه الآلهة المختلفة فى صغرها وكبرهـــا ،

---

(١)الشيخ محمد منصور الديداموني ـــ بلاد الرافدين وحضارة الآشوريين ص ٨٧ ط دار نجم ١٩٥١م

(٢)توماس هيوز ـــ الحضارة القديمة فى بابل وآشور ص ١٦٨ترجمة هناء وصفى ١٩٥٧م ط كركوك

وكانت تتحدث عن فوائدها والمتطلبات التى لابد منها ، حتى يتم الحكم على صحة الإعتقاد فى هذا الإله أو غيره[١] .

ويذهب أحد الدارسين إلى أن عملية التبادل التجارى والثقافى بين آشور وبابل هي التي ساعدت كلا منهما ودفعه دفعاً إلى محاكاة البلد الآخرى فى معتقداتها ، إذ كانوا ينظرون إلى هذه الآلهة المفردة على أنها مصدر الاستقرار الإجتماعى والإقتصادى والعسكرى ، وكان ذلك وحده كافياً لاعتناق فكرة تعدد الآلهة ، واصطناع آلهة أخرى جديدة تكون قادرة على تحقيق أحلام هذه الشعوب [٢]التى كانت تتعلق بنظام تعدد الآلهة إلى أبعد مدى .

ومن ثم يمكن القول بأن النظام الاقتصادي في كل من بابل وآشور كان متشابهاً إلى حد كبير ، وأن الذي ساعد على ذلك عدة عوامل منها :

١ ـ التجاور بين البلدين حيث ساعدت عملية التجاور على حرية الانتقال الفردي ، وكذلك التلقيح الاعتقادي[٣].

٢ ـ محاولة غزو كل منهما الآخر ، وشأن ذلك أن يدفع أهل كل بلد إلى نقل ثقافتهم من بلدهم عن طرائق مختلفة يتحقق معها الغزو الفكري والثقافي ثم تأتي الغلبة[٤].

٣ ـ التبادل التجاري والثقافي وذلك مما لايمكن إنكار أثره ، بل هو من أكثر العمليات سرعة في نقل أية ثقافة وغزو أية دولة .

---

(١) ومعنى ذلك أنهم كانوا يختبرون آلهتهم فإما أن تحقق لهم أمانيهم ، أو يقع التنازل عنها كلها أو بعضها .

(٢)الدكتور / نادر محمد السيد شعبان ـ بابل وآشور حضارة قديمة ص ٩٣ طبعة أولى الإسكندرية ١٩٦٦م.

(٣)وذلك من شأنه أن يرسخ في كلا البلدين اعتقادات البلد الأخرى ، أو يسارع في نقلها إليها على صورة من الصور .

(٤) والغلبة لفريق على أخر تجعل المهزوم أيضاً يقبل على عقائد المنتصر من باب ربما تكون هي التي ساعدته على الانتصار ، ومن ثم فقد يتمسك بها طلباً للإنتصار من جانبه .

٤ ـ الاحتكاك القتالي بين الدولتين ساعد على وجود أرضية مشتركة قامت عليها الاعتقادات المتبادلة بين الطرفين[١] وهو ما يعني أن عقائدهم كانت متقاربة إلى حد كبير .

لم يقف اليهود بهجراتهم وزحامهم عند حدود مصر أو بابل ، وإنما ارتحلوا إلى آشور وغيرها وأخذوا عن أهلها اعتقاداتهم الوثنية ، ثم قاموا باجراء بعض التعديلات عليها تغلبهم حماقة مطبوعة فيهم ، انطلقوا منها إلى تعدد فى الآلهة وتجسيد لها ، والإنغماس فى هذه الأهواء حتى الأنوف .

ونظراً لأن الآشوريين قد امتد حكمهم لهذه المنطقة من الفترة ٢٠٠٠ قبل الميلاد واستمر حتى عام ٦١٢ قبل الميلاد ، وكانت لهم توسعات كثيرة على حساب المدن القريبة منهم والبلدان التى تمكنوا من الإستيلاء عليها ، وكان فى هذه البلاد الكثيرون من اليهود ، فقد سارع أولئك اليهود إلى إعلانهم التمسك باعتقادات الآشوريين ، ثم مارسوها على أوسع نطاق ، من باب إرضاء الحاكم القوى[٢] وبخاصة بعد أن تمكنت الإمبراطورية الآشورية الثالثة ٧٤٤ـ٦١٢ ق.م من القضاء على مملكة إسرائيل وإحتلال عاصمتها السامرة ، وقامت بسبى أهل السامرة ، وهو ما عرف لدى المؤرخين باسم السبى الآشورى الذى يختلف كثيراً عن السبى البابلى .

ومن الواضح أن الأثر الآشورى الذى إمتصه اليهود قد بدت معالمه فى تعدد الآلهة داخل الفكر اليهودى ، وكذلك فى النعوت التى وصفوا بها آلهتهم المتعددة وفوق ذلك فإن ملامح التجسدات التى وسمت بها فكرة الألوهية داخل اليهودية تؤكد وجود الأثر الآشورى فى اعتقادات القوم ، وإتجاهاتهم الأدبية ، وبخاصة الجانب الروائى الذى إمتلأ بالخرافات وتشبع بأنواع الأساطير .

---

(١) وقد دلت الأنبياء السيارة عن وقوع طرفي التنازع في قبول الاعتقادات وتبادلها ولو لفترة من الزمان

(٢) الدكتور محسن محمد عبد الباسط ـ اليهود وتاريخهم ص ١٢٣ لسنة ١٩٦٥م

ثالثاً : في ديانة عند الكلدانيين :

الكلدانيون أمة من الأمم التى رحلت من كلديا تحت بعض الضغوط ، ثـــم رجعت إليها بعد الاستقرار ، ولذا فهم قوم فيهم طبيعة الارتحال ، وظلت رغبات الشعب الكلدانى فى تعدد الآلهة تنطلق بهم نحو النظام الكهنوتى القائم على تعـدد الآلهة الفردية بنوعيها المذكرة والمؤنثة والجماعية بل والشعبية أيضاً .

وكان ذلك يتم طبقاً لما أرساه الكهنة فى نفوس أفراد الشعب من أن الآلهـــة هى التى تنصرهم وتعيدهم إلى أوطانهم ، وكانوا أول الأمر يخشون الإعــــلان عن ذلك فى ظل وجود تحركات عدوانية تجاههم ، كما كـــانوا ينظـــرون إلـــى أصحاب العقيدة الملكية على أنهم أصحاب عبادة الفرد الــــذى أفـــرزه النظـــام الوراثى فى مملكة كلديا[1] .

بيد أنه لما كان أغلب الكلدانيين من الفقراء فإن عقيدتهم فى تأليه ملك البلاد كانت مفروضة عليهم ، وظلوا يتطلعون إلى اليوم الذى ينعمون فيه بنسيم الحرية ومن ثم يسمح لهم بتعدد الآلهة التى يختارونها بأنفسهم ، ولا يمليها عليهم نظـــام ملكى مستبد [2] يدفع إلى توحيد الآلهة وتجميعها فى القرارات التـــى يصدرهـــا بنفسه وحده ، ويقع فيها التأليه لنوع من الآلهة التى يختارها الملك هـــو حتـــى تحولت الإعتقادات الدينية بينهم إلى اعتقادات ملكية .

وفي ظل ولاية ملك ضعيف أمكن للبعض القيـــام بـــالثورات الإجتماعيـــة والسياسية مما دفع هذا الملك إلى قبول فكرة تعدد الآلهة داخل كلديا نفسها ، وما ان تم الإعلان عن قبول فكرة التعدد هذه إلا وسارع هؤلاء الفقراء لممارستها لا حباً فيها ، وإنما رغبة منهم فى إعلان رفضهم الداخـــلى لعبادة الأســـرة المالكة وحدها أو فرض اعتقادات من جانب ذات الأسرة قد لا يكون لها شئ من القبول

---

(١)الشيخ محمد منصور الديداموني ــ بلاد الرافدين وحضارة الآشوريين ص ٩٧

(٢)توماس هيرز ــ الحضارة القديمة في بابل وآشور ص ٦٧ .

القبول لدى سكان كلديا أنفسهم [١]

أما يكفى هذه الأسرة إمتصاص دماء الأفراد بجانب إستنزاف طاقاتهم والسيطرة على مقدراتهم ، وتخزين عائدهم بين يدى أفراد ذات الأسرة ، وراحت أسئلتهم الداخلية تقفذ بهم نحو الاعتقادات الاختيارية بعيداً عن الاعتقادات الملوكية ، وهرباً من عقائد التأليه التي تمليها عليهم الأسرة الحاكمة حتى كان الملك قوياً ، أو جباراً متسلطاً .

ومع هذا ظلت الأسرة المالكة تجبر أفراد الشعب على إعتقاد تأليه الملك وحده تحت شعار الملك ظل الله فى الأرض " الوارث للعرش من قبل الآلهة المتعددة التى إنتدبته وحده للقيام بهذا الدور ، أو أعلنت وراثته لهذه العروش الإلهية ، فصار ملكاً إلاهياً يتوارثه أفراد الأسرة المالكة"[٢] بغض النظر عن كون ذلك الملك صغيراً، أو ضعيف العقل أو متلافاً سفيهاً ، المهم أنه الملك الذى يجب تأليهه على كل ناحية ، كما يجب عبادته في الأوقات التي يحددها الكهنة .

إذن لم تلبث الأمور أن إنبعثت بينها مسألة تعدد الآلهة ، وأخذت فى الظهور حتى بدأ الناس يتصورونها فى صور شتى ، عبرت عنها مجموعة من الترانيم والأناشيد والأدعية التى تحولت هي الأخرى إلى مجموعة من التماثيل والتجسدات فى أشكال نباتية أو حيوانية أو جمادية ، كما ظهرت ملامح التأليه فى أنماط غير تقليدية عبرت عنها مجموعة من التماثيل الجديدة .

غالى الكلدانيون فى شأن هذه الآلهة الفردية إعتقاداً فيها ، وتصويراً وتجسدات بل وعبادة لها حيث الذبائح باسمها ، كما قدموا القرابين لها ، وأقاموا المحرقات في طول البلاد وعرضها ، كما أقاموا أنصبة المذابح التى توقد فيها

---

(١)انطوني بلاك — الكلدانيون حضارة وتاريخاً ص ١٧٥ ترجمة الدكتور خليل حسان .

(٢)الدكتور / نادر محمد السيد شعبان — بابل وآشور حضارة قديمة ص ٩٨ .

النيران . إبتهالاً للآلهة ،وإعلاناً عن الحب لها والإحترام [١] وبلغ من إحتفائهم بهذه الآلهة أنهم كانوا يقيمون لها مواسم متعددة أحياناً وثابتة في أحيان أخرى ، حيث تحاول كل أسرة كلدانية أن تبرز في هذه المناسبات المقننة قدراتها على التفنن فى صنع أمثلة وتجسدات متميزة للآلهة التى تعتقدها[٢] وتتمسك بها .

" كما كانوا يعددون فى اسمائها ، بجانب الأعياد التى يحتلفون فيها بهذه الآلهة ، والأشكال التى يتصورونها مؤدية إليها ، حيث ظهر الإله باكو على أنه الأكثر عنفاً وقسوة ، ولعله كان إله الأسرة الحاكمة قبل ظهور الأنظمة السياسية الجديدة عند الكلدانيين [٣] .

أما الإله فاركو فكان هو الأكثر قرباً ومودة وهو يظهر كأنه ضعيف بالنسبة للإله باكو ، ولذا أعتبروا فاركو إلهاً للفقراء أو لعامة افراد الشعب ، على أن يكون لكل إله منهما ـ باكو القوى العنيف، وفاركو الطيب المتواضع من النواب الكثير ، ويوصف كل نائب بأنه إله أيضاً ، ومن ثم ظهرت التماثيل ذات الفخامة دالة على إله الأسرة المالكة ، بينما كانت الأقل فخامة حتى أدنى مستوى هى المعبرة عن آلهة عامة الشعب .

وقد تأثر اليهود بذات الإعتقادات نظراً لتلاقيهم مع هذه الأفكار التى تعلق بها الكلدانيون حتى صاروا أحد المعبرات عنها، وهو مابرز فى الإعتقادات التى ركن إليها اليهود وسجلوها فى اسفارهم التى صنعوها بأيديهم ، وهم فى كل مازعموا كاذبون ، وعلى الله يتقولون ، والله أعلم بما يوعدون فبشرهم بعذاب اليم .

---

(١)الشيخ على محمد حكمت الله ـ العقائد الوثنية ص ٨٣ دار المشيخة تركيا ١٣١٥هـ .

(٢)وهو ما عرف باسم تجسدات الأسر الكلدانية ، وهو غير التجسدات العامة والشعبية ، إذ أن كل واحد منها كانت له سمات بعينها

(٣)أ. ب ـ هيدرز ـ ديانات فارس القديمة ص ٧٥ ترجمة زكريا رزق ط دار المهند العراق ١٩٦١م .

يقول هلير كان نزوح اليهود فى الماضى إلى كلديا بمثابة الموصل الحقيقى الذي إلتقط ثقافة الكلدانيين وعقائدهم ، ثم أبرزتها الأسفار اللاهوتية فى اليهودية على أنها كلمات ياهو المقدسة ، وما هى فى الحقيقة سوى مجموعة من الثقافات المتباينة التى أمكن لليهود أن يتمسكوا بها ، لأنها جاءت معبرة عن اتجاهاتهم ومرضية لمشاعرهم [١]التى تنعكس عليها ثقافات الآخرين ، ثم يعتقدونها رغم زعمهم أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أعلى من كل الأمم .

كما أن تعدد الآلهة لدى الكلدانيين القدماء حين انتقل إلى اليهود لم يحدث سوى نوع من التبديل اليسير لبعض الألفاظ والاسماء ، واقتضته طبيعة اللغة المنقول منها ، وطبيعة اللغة التى تم النقل إليها ، ومن هاتين الطبيعتين ظهر نوع من التباين فى التسميات ، لكنه تباين لغوى فقط ، فإذا أردنا العودة إلى الأصول العامة والمبادئ الثابتة وجدنا التراث اليهودى النقدى قد تأثر بالأفكار الكلدانية إلى حد الإعجاب والإعتقاد معاً [٢].

ومن البدهى القول بأن اليهود يحتاطون فى التعامل مع الشعوب والأمم الأخرى من خلال قاعدة القوة والضعف ، فمتى كان اليهود أقوياء فإنهم يتمسكون بالتمايز الكاذب على الأمم الأخرى ، وإعلان ذلك مهما كانت النتائج ، ومتى كانوا فى موقف الضعف فلا مانع لديهم من استجداء الشعوب والذوبان فى الأمم [٣]إنهم حشرات متسلقة ، وحيات وعقارب ، فيهم كل خسة ، ومن ناحيتهم يجئ كل هلاك .

---

(١)ف . م . هلير ــ مجمل تاريخ العالم ص ١٩٧ ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة طبعة دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بدمشق .

(٢)الأستاذ / فاروق إسماعيل ــ الوثنية مفاهيم وممارسات ص ١٥٣ ط دار المعرفة الجامعية بالأسكندرية ١٩٨٥م.

(٣)الشيخ على محمد حكمت الله ــ العقائد الوثنية ص ٩٢ وحال اليهود شاهد حى على أنهم متى كانوا يشعرون بالضعف يصيرون خدماً ، ومتى ظنوا القوة فى أيديهم إنقلبوا إلى شياطين مردة .وراجع سفر استير

وربما يسئ المرء قائلاً ما هو الأثر الاعتقادى الذى وجد لدى اليهود مأخوذا عن الكلدانيين حتى تكون الدعوى قائمة في أصول صحيحة ؟ على أساس أن كل دعوى لاتدعمها أدلة لايكون لها شئ من القبول .

والجواب أن فكرة التعدد فى الآلهة الفردية عند الكلدانيين كانت تقوم على حالات وبعوث بشريه وحيوانية وغير ذلك ، وهى نفس الفكرة التي ظهرت فى التراث اليهودى لأن الإله فى اليهودية شخص متجسد يأكل ويشرب ، يفرح ويغضب، ينام ويستيقظ، يشعر بالتعب كما يستلذ بنشوة الإنتصار، وفوق ذلك فله جملة من الأبناء، وكثرة من الأحفاد [1] وهم الذين يمثلهم شعب إسرائيل حتى اليوم

من ثم فإن الأثر الكلدانى على اليهودية لايمكن إنكاره ، وأوجه التشابه بين فكرة الألوهيه فى الديانة الكلدانية ، والديانة اليهودية ليس من السهل إنكارها أو طمس معالمه ، بل إن الخيال القصصى الذى اشتهرت به الثقافة الكلدانية ، وجاء فى جملة الآداب العامة ، قد ظهرت ملامحه فى أسفار العهد القديم [2] مما يجعل الدارس المنصف يقرر أن هذه الأسفار لا علاقة لها بما جاء به رسل الله بل إن أنبياء بنى إسرائيل يبرؤن منها .

يقول حبيب ميخائيل : من الواضح أن الروايات التى جاءت فى العهد القديم مصدرها واحد هو ثقافات الأمم التى كانت لها مع المجتمع اليهودى علاقات من نوع ما . ثم يستطرد قائلاً أجل لقد تمكن اليهود من حبس إلههم داخل إطار بشرى خالص،لم يستطع خيالهم أن يتسامى بصورته إلى ما وراء الحدود المادية

---

(١)الأستاذ عباس محمود العقاد ـ الله ، كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية ص١١١ ط دار المعارف بمصر الطبعة السادسة عام ١٩٦٩م

(٢)صموئيل هنرى هوك ـ منعطف المخيلة البشرية بحث فى الأساطير ص ٤٣ وما بعدها ، وراجع لليوتاكسيل لتور ـ كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ، وكذلك لسير جى توكاريف ، الأديان فى تاريخ شعوب العالم

وبالتالى جاء دكره فـــى رواياتـــهم علـــى صـــورة تأباهـــ النفـــس ويمجـــه الدوق[1]الصحيح ولكن اليهود يتمسكون بها ، ويدافعون عنها تحت مراعم أنـــه من نصوص الكتاب المقدس ، وما فيها من شئ مقدس أبدا .

وإذا كان الكلدانيون قد عددوا في دوات آلهتهم واسماء معتقداتـــهم ، فـــإن اليهود هم الآخرون صنعوا ذات الصنيع ، فالإله اليهودي يظهر مرة في عليقـــة حيوان ، كما يظهر في عمود سحاب ، أو خيمة اجتماع ، وقد يظهر في عمـــود نار يضئ لهم ليلاً ، ويحرسهم من الأعداء ، وفي ذات الوقت فإن الإله اليهودي كما تعددت ذاته تعددت صفاته ، فهو يأكل ويشرب ويلعب ، وكذلـــك تعـــددت أسماؤه بتعدد الذوات التي يجئ فيها ، فهو ياهو مرة ، ثم يهوه تـــارة أخـــرى ، والوهيم مرة ثالثة ، ومن ثم فالأثر الكلداني على التراث اليهودي واضح المعالم، وهي كلها اعتقادات فاسدة ، تدل على أن معينها هو الوثنية فقط

رابعاً : في ديانات الصينيين وقدماء الهنود :

بلاد الصين قديماً كانت مرتع الأفكار والإعتقادات التى لاعلاقة بشىء مـــن شرع الله ومنذ زمن بعيد نشأت أوائل الحضارات الصينية البدائية فـــى وديـــان الأرض العظيمة ـــ منذ زمن سحيق جداً ـــ متفرعـــة عـــن الثقافـــة الشمســـية الحجرية الأولية التى دانت عقائدياً لإمبراطور كاهن واحد هو أبن السماء الكاهن الأعظم ، فلما إنتهى حكم أسرة شانج ١١٢٥ق.م وخلفتها اسرة تشاو تعدد الحكام الآلهة ، وتحولوا من مجرد حكام إلى رموز إلهية [2] .

---

(١)الدكتور / نجيب ميخائيل إبراهيم ـــ مصر والشرق الأدنى القديم ج٣ ص ٢٢١ ط دار المعـــارف بمصـــر ١٩٦٤م.

(٢)هـــ .ج ويلز ـــ موجز تاريخ العالم ج ١ ص ٢٠٣ ترجمة عبد العزيز توفيـــق جـــاويد مكتبـــة الأســـرة ٢٠٠٣م.

ثم انتشرت هذه الاعتقادات في تأليه الحكام ابتداء من الإله ابن السماء إلى ما بعده .

إذن كثرت الآلهة المتعددة في بلاد الصين ، حيث ظهر الإله شينو للحب ، والإله تى للنبات أما الإله تسى فقد كان للريح،والإله بى – نى للحرب ، ويمكنه أن يعقد الهدنة ويمهد للتصالح،أما الإله تشى – تى فإنه يملك إجبار الآلهة جميعاً على عقد إجتماعات للتشاور فى أى أمر من الأمور التى يختص بالنظر فيها الآلهة ذاتها[1]كما يملك ممارسة أية ضغوط على باقى الآلهة الصينية

وفوق ذلك فإن الإله تشى – تى له الرئاسة العامة على الجميع وأمره مطاع فيهم ، لكنه لايملك إمكانية إضافة آلهة شعبية جديدة إلا بالرجوع لمجلس الآلهة المقدسة ، إنه مفوض فى كل ما يتعلق بالأمور الحياتية ، أما الأمور التى لها إرتباط بالدين فلابد من الرجوع فيها إلى قرارات مجلس العائلة الآلهية ، ومجلس الآلهة المقدسة .

وفى فترة حكم أسرة تشاو الطويلة ، تمزقت البلاد إلى شعوب وامارات ومقاطعات بلغت خمسة أو ستة آلاف مقاطعة ، وهو العصر الذى يسميه الصينيون عصر الفوضى [2]السياسية والدينية معاً، لأنه ما من أمة تكثر فيها الآلهة إلا ويكثر فيها الصراع والتنازع ، ومن ثم يقع الانهدام للمجتمع كله .

وكان لكل مقاطعة من الآلهة ما يتناسب مع أهلها ، وبالتالى فقد كانت الآلهة تزيد فى بعض المقاطعات بينما تنقص فى بعض آخر ، حتى وصلت فى بعضها إلى الحد الذى كان كل مجموعة من البيوت يعتقدون فى إله ،أو آلهة

---

(١)الدكتور / محمد المهدى حسن سليمان – العقائد وتطوراها ص ٦٩

(٢)اللجنة الدولية باشراف منظمة اليونسكو – تاريخ البشرية المجلد الأول ص ١٥٣الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٩م.

معينة[1] ولذا فقد كان التنوع حول الآلهة يتكاثر بين سكان هذه المقاطعات بل داخل نفس المقاطعة السكانية الواحدة .

غير أن هذه الآلهة لم تكن مجرد أفكار ذهنية بحيث تحمل معالم الأسطورة فقط ، وإنما قام المتوجهون إليها بالعبادة لها من خلال رسم صور معبرة عنها ، أتخذت أشكالاً مختلفة طبقاً لثقافات واتجاهات الذين يقومون برسم ذات الصور[2] وبالتالي فقد كان بعض هذه الصور كبيراً ، بينما كان البعض الآخر صغيراً ، بحيث يكون الكبير ممثلاً للآباء والأمهات في حين يكون الصغير ممثلاً لأبناء الآلهة وبناته[3] وبخاصة أن مسألة الأبوة والبنوة في الآلهة كان لها النصيب الأوفى من مساحة عقول اصحاب هذه البلاد

أما في الهند فقد كثرت الآراء التى تتحدث عن الآلهة من حيث التعدد في الأنواع المختلفة ، وكذلك من ناحية المعتقدات التى قامت عليها هذه الأعداد من الآلهة ، ولذا فقد أرجع البعض كثرة الآلهة في الهند إلى التركيبة السكانية ذات الأنماط والاتجاهات المختلفة والأعراق المتباينة التى نشأ عنها هذا التعدد الكبير في الآلهة[4]

بينما أرجعها بعض آخر إلى ما في سكان الهند من طبيعة تميل إلى الاعتقاد في وجود قوى أعلى من طاقات بنى الإنسان[5] بدليل ظهور السحر بأنواعه البدائية والأساطير في أشكالها المختلفة داخل المجتمعات الهندية ، حتى

---

(١) الدكتور / على السيد رمضان ــ الصين وعباداها القديمة ص١٣٧ ط أولى ١٩٤٧م .

(٢) ومن ثم فإن هذه الآلهة تتعدد في الأشكال كما تتعدد في المظاهر وهو ما سوف يظهر أثره أثناء الحديث عن تجسدات الآلهة

(٣) الشيخ محمد عبد المعبود عطية ــ اتجاهات الفكر الشرقى القديم ص ١٤٥ طبعة أولى ١٩٥١م

(٤) المستشرق صمونيل هنرى هووك ــ منعطف المخيلة البشرية ص ١٧٧ ترجمة صبحى حديدى نشره دار الحوار للنشر والتوزيع بسورية ١٩٨٣م .

(٥) الشيخ على محمد حكمت الله ــ العقائد الوثنية ص ٩٧ .

يمكن القول بأن كل بلاد الهند أقامت الآلهة المتعددة مقام القبول والاعتقاد معاً ، ثم العبادة التي تجئ مع الطقوس المتوالية

إذن ظهرت هذه التعددات بين عبدة النوع الواحد ، كعبادة البعل والبغل ، والبقرة والنبات في أشكاله المختلفة ، وان كانت السيادة في أغلبها راجعة للمعبودات الحيوانية على أساس أنها مركز الخصوبة فى أنواعها ، والنماء فى أنسالها، طبقاً لما هو مرتبط بجريان الحياة ذات الإتجاهات والأنماط المتعددة(١) .

ولأن الطبيعة السكانية فى هذه البلاد تحمل التباين من كل ناحية ، فقد كثرت فيها الآلهة المتعددة إلى حد كبير ، بحيث يمكن القول بأن ذات الآلهة وقع فيها التباين من آلهة رحيمة طيبة ، إلى آلهة قاسية غليظة ، ومن آلهة اجتماعية إلى آلهة منعزلة ، ومن آلهة شعبية إلى آلهة برجوازية متعالية ، وكان سكان البلاد يقيمون تلك الآلهة كل فى مقامه ، ويقدرون لكل منها قدره (٢).

وكان التعدد فى الآلهة المفردة هو إحدى السمات البارزة بينها ، كما كان التجسد الكلى أو الجزئي هو الآخر ملمحاً هاماً من ملامحها ، مما يؤكد أن هذه الاعتقادات الوثنية قد تم الوقوف عليها،والانتقال منها إلى تعدد الآلهة وتجسداتها معاً ، ولم يكن هنالك مانع من وصول هذه وتلك إلى اليهود الذين كان لهم ولع كبير بها (٣)حتى ان مظاهر تأثرهم بذات الأفكار لم يكن من السهل تناسيها ، أو إغفال دورها فى التراث والعادات اليهودية،بجانب الطقوس والاعتقادات الدينية التى تمسكوا بها وحاولوا إضفاء صفة القداسة عليها .

---

(١)الدكتورة / سنية محمد أبو سنة ــ عادات وعبادات قديمة ص ٨٦ .

(٢)الشيخ / على فضل الله ــ بلاد الهند وطبيعتها ص ١٨٣ الطبعة الأولى ١٩٧٥م .

(٣)الدكتور / رشاد عبد الله الشامى ــ الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ص ٣١ سلسلة عالم المعرفة بالكويت العدد ١٠٢ رمضان ١٤٠٦هــ يونيو ١٩٨٦م

فى ظل تلك الظروف المضطربة أمكن لقورش الفارسى أن يلملم شتات اليهود ويدفع بهم حتى يشيدوا مدينة أورشليم ، كما تمكنوا من تجميع ادبهم وأحلامهم وأطلقوا على ذلك اسم العهد القديم، الذى تصوروه أثناء إقامتهم بمدينة بابل ، وقد تعلقوا بذات الأفكار قرابة خمسة وعشرين من قرون المحن والمغامرة والاضطهاد [١] حيث سرت فيهم فكرة تجميع هذه الآلهة الفردية في منظومة إله واحد وصفوه بأنه :

أ — الإله الخاص بهم وعنه نشأت عقيدة الإصطفاء الالهى عند اليهود .

ب — مستتر عن الآخرين ، وعنه نشأت عقيدة الاله الموعود .

ج — غير مرئى يعيش فى معبد لم تصنعه يد ، وعنه نشأت عقيدة الإله المتجسد

د — رب الخير والبر فى أرجاء الأرض كافة ، وعنه نشأت عقيدة إنابة الكهنة عن الإله فى هذه الأعمال كلها [٢].ومن ثم فلا نعجب إذا طالعتنا فكرة الإنابة في أسفار العهد القديم ، بل واسفار العهد الجديد أيضاً[٣]، لأنها رسخت في عقول الصينيين والهنود قبل وصولها إلى التراث اليهودي .

لم يكن أمام اليهود بد من إمتصاص هذه الاعتقادات في تأليه كائنات أسطورية ، ثم إخراجها على ناحية تغلب فيها الصنعة اليهودية الخالصة ، وهو ما عرف أبان تلك الفترة بتهويد العقائد ، على أساس أن الشعب اليهودى لايعبأ بالشعوب الأخرى طالما كان قادراً على توفير الحماية لأفراده .

والملاحظ أن فكرة الإله الكاهن الأعظم ابن السماء لدى الصينيين هى ذات

---

(١)هـ . ج. ويلز — موجز تاريخ العالم ج ١ ص ١٥٦ .

(٢)الدكتور / ناظم الدين السيد أبو الفضل الإله اليهودى فى أسفارهم ص ١٥٣ طبعة دار العهد الجديد ١٩٦١

(٣)يمكن دراسة فكرة الإنابة في الكتاب المقدس وموقف الإسلام منها داخل رسالة جامعية .

فكرة الإله ياهو عند اليهود[١] ، كما أن ملامح كل منهما متقاربة ، ولمــا كــان الإله الأعظم فى الصينية تقدم له الرسوم الاقطاعية بصورة منتظمــة أو غــير منتظمة – طبقاً للظروف – فإن الإله ياهو لدى اليهود تقدم له القرابين الدمويــة الموسمية على أيدى الكهنة والملوك الكهان داخل المعابد التى اختارها،وهى نفس الأفكار التى أعلنها الصينيون .

وبالتالى فالأثر الوثني في العقائد اليهودية واضح وليس من اليسير إنكاره ، كما أن محاولات اليهود قديماً وحديثاً الالتفاف حول هذه الآثــار بغيــة طمــس معالمها أمر ليس ميسوراً ، أو على أقل تقدير لن يحققوا فيه النجاحــات التــى يأملونها ، أما لماذا ؟

فلأن الشواهد على تأثر الكتاب المقدس بالفكار الوثنية كثيرة ، كمــا أنــها مدونة في أسفار العهد القديم ، وفوق ذلك فإن شراح العهد القديم لم يتمكنوا مــن إنكارها إنكاراً تاماً ، أو تأويلها على ناحية مقبولة.

والعهد القديم يشهد بأن اليهود أصحاب آثام ، ومرتكبوا جرائم ، ومحــترفوا تزوير ، ومن ثم فلم يكن من الصعب عليهم تزوير الحقائق ، والعمل على طمس معالم الثوابت ، يقول سفر عزرا مناجيا ياهو : إلهى إنى أخجل وأخزى مــن أن أرفع وجهى نحوك ، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤسنا ، وأثامنا تعاظمت حتــى جاوزت السماء ، منذ أبائنا ونحن فى أثم عظيم إلى هذا اليوم ، ولأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكنا، وكذلك كهنتك ليد ملوك الأرض حتى يعمــلوا فينا الســيف

---

(١)وجه الشبه بين الفكرتين في التراثين الصيني واليهودي قائم في التسمية والصفات التي ألصقوهــا بالإلــه عندهم . يقول مارتن بولز أن أوجه الشبه بين التوراة وكتب الصين القديمة لا يمكن تجاهلها إن كــلا منــهما صورة مطابقة للأخرى تماماً – الأديان الكبرى ص ١٧١ ترجمة حنان رشدي .

والسبى والنهب وخزى الوجوه[١].

إنهم أمة تعودت على التشرذم ، والتقطع في الأرض ، والعيش تحت سياط الآخرين ، فإذا ما استقروا في بقعة من الأرض ، أو رفعت عنهم سياط التأديب، انفلتوا من كل القيود حتى صاروا حيات تسعى وعقارب تلدغ .

أجل كانت اقتباسات اليهود من أهل الصين كما هى فى الهند ، ومــن ثــم يمكن القول بأنها أخذت طابعاً واحداً فى تأليه كائنات متعددة ، والإنطلاق بــها نحو نعوت وأوصاف نتجت عن الإحتكاك بالأساطير والخرافات التى تمسك بـها كل من أهل الصين والهنود قديماً لكنها تم تدوينها فى العهد القديم على أساس أن الرب ياهو اليهودى العظيم هو الذى أخبر بها ، أو أنه إرتضاها[٢] مع أن يــاهو نفسه فى اليهودية صورة من لاوتسى فى الصينية وكونفوشيوس فى الهندية .

يقول هارفي: من السهل أن تقرأ عن الإله ياهو في العهد القديم ، ولكنــك حين تمارس علمية التفكير فيما تقرأ ، يظهر لك من بين السطور أن ياهو هذا ما هو إلا أحد آلهة الصين القدماء ، لكن في لغة يهودية وداخل معابد تحمل اســم اليهودية[٣] .

ومن المؤكد القول بأن العنصر اليهودى يعيش بين الناس كالحشــرات أو الفيروسات التى تعمل على التكيف مع الكائن الحى ، بغية الظفر بالحياة ومتــى أمكنه الإعلان عن ما في طبيعته الشريرة باشر ذلك فى غير استحياء ، أمـا إذا

---

(١) العهد القديم سفر عزرا الإصحاح التاسع ٧/٦ وفيه اعتراف كامل بأن الجرائم التى أرتكبها اليهود غــير محددة ، وأن سعيهم إليها لم ينقطع ، كما أن رغبتهم فى التمسك بها ماتزال قائمة ، ويكشف أيضاً عن الانهـزام النفسى والاضطراب الداخلى ، والقلق الاجتماعى الذى يعانى منه اليهود ، نظراً لأنهم لا يعرفون سوى لغــة المصالح الخاصة حتى ولو كانت على حساب حياة الآخرين من غير اليهود .

(٢) ليوتاكسيل ـــ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٣٤٥ ترجمة الدكتور / حســان ميخــائيل وراجع للأستاذ محمد فؤاد الهاشمى ـــ اليهود من الكتب المقدسة ص ٩ .

(٣) أ . ب . هارفي ـــ اليهود والتراث الصيني ص ٥٧ ترجمة وفاء رزق .

سعر ـن ذلك الإعلان سيؤدى به إلى الهلكة فإنه يتوارى حتى تحين الفرصة ، ولا مانع من أن يلقى الهوان كله — أثناء تحينه الفرصة — مادام ذلك يحقق له الغاية التى ينشدها .

أجل عشق اليهود ما تفرزه العقلية الوثنية ، ولكن لم يكن ذلك العشق للتراث الوثني من باب المعرفة التي لا تجاوز حدودها ، وإنما كان ذلك العشق لها في القلب ، فتحول معهم من مجرد معارف قابلة للاحتمال والظن إلى عقائد سجلوها في أسفارهم ودافعوا عنها كأنها من بنات أفكار أنبيائهم[1]، وما هي إلا وثنيات تمسك بها اليهود جيلاً بعد جيل .

خامسا : في ديانات اليونانيين القدماء :

لم تكن بلاد اليونان تخالف بلاد الشرق من ناحية اعتقادهم في تعدد الآلهة ، وإنما كانت تزيد على الشرق من ناحية ظهور آلهة متعددة فى نوعياتها متعددة أيضاً فى أشكالها ، فمنها آلهة الحب والمطر ، وآلهة السلم والحرب ، وكذلك آلهة الزلازل والبراكين ، بل وآلهة النبات والحيوان ، "وكل مجموعة منها تتعاون مع بعضها فيما يعرف باسم تعاون الآلهة وحينئذ يقع السلم ، وقد تتعاون فيما بينها فيقع النزاع [2] وكلما تعاونت جماعة الآلهة جاء الخير" ، أما إذا كانت متعاندة متحاربة فإن الشر هو الذى يسود [3].

بناء عليه فقد كانوا يفسرون وقوع العواصف والكوارث الطبيعية من الزلازل والبراكين على أنها صورة ناتجة عن نزاع الآلهة ، أما المطر وإنتاج الحبوب وخصوبة التربة ، وإرتفاع المياه فى الآبار والأنهار والبحار ، فقد كان

---

(١) راجع للدكتور ناظم الدين السيد أبو الفضل — الإله اليهودي في اسفارهم ص ١٦٢ .

(٢) د. تانبهوم — حضارة ما قبل التاريخ ص ٤٥ ترجمة رزق فخرى طبعة ١٩٥٧م .

(٣) هكذا يتصورون الآلهة إنها أقرب للسذاجة العقلية والطفولة الفكرية ، لكن مادامت قد سمحت بها أنفسهم فالحكم عليهم بالسذاجة العقلية والطفولة الفكرية يكون أمراً واقعاً .

ذلك كله يتم تفسيره على أنه تعبير عن اتفاق الآلهة وتصالحهم فيما بينهم ، وهم في كل ما ذهبوا إليه قد وقعوا في الضلال . لأن الله تعالى واحد لاشريك له بيده الملك وهو على كل شئ قدير .

فطن اليونانيون القدماء إلى ضرورة وجود نوع من الإتحاد بين الآلهة أو صيغة تكون قريبة من أشكال التعاقد الإجتماعي ، يتم بمقتضاها قيام الآلهة فيما بينها بنوع من التنازل المشروط عن بعض الاختصاصات " وكان الكهنة في معابدهم يقيمون الصلوات ويرددون الأدعية ، كما يطلقون البخور إرضاء لهذه الآلهة [1] وفرحاً بذلك التصالح الذي تم أو الاتفاق الذي وقع بين آلهة اقليم بعينه أو بين جملة من الآلهة في أقاليم كثيرة ، المهم أن يقع التعاون والاتفاف ثم يجئ السلم .

وكان حكماء اليونان في العصور الماقبل التاريخ قد تخيلوا لبلادهم جملة من الآلهة تمثل المنافع والمخاوف التي يلجأ إليها أهل تلك البلاد ، أو يجدون أنفسهم في حاجة إليها ، ومن ثم ظهرت النداءات والإستغاثات بهذه الآلهة في القصائد الشعرية الرائعة التي عبرت مضامينها عن كل ما يعتمل في عقلية هؤلاء ، كما قفزت بأحلامهم من دنيا الخيال الواسع إلى عالم الواقع [2] بغرض معايشة الآلهة ، حتى لايقع فراغ وجداني داخل الفرد اليوناني نفسه ، وذلك ما دفعهم إلى صنع آلهة مجسدة تكون معهم أينما كانوا.

لذا قيل أن تعدد الآلهة اليونانية سمح بتجسيدها ففتح ذلك عقول الشباب للبحث عن وسائل تكون لها القدرة على انتاج نوع متواضع من الميتافيزيقا لم

---

(١)الدكتور / حسن محمد سالم ـــ الحضارة اليونانية القديمة ص ٧٣ ط أولى ١٩٦٥م .

(٢)الدكتور / توفيق محمد فوزي ـــ اليونان والحضارة ص ٢٧٠ طبعة أولى سنة ١٩٦٥م .

يكن لهم بها عهد سابق ، ومع كونها ميتافيزيقا متواضعة إلى حد ما لكنها كانت البدايات للميتافيزيقا الأكثر شمولاً والأعظم أثراً [١].

ولست أدرى أى نوع من الميتافيزيقا هو الذى قصده تاتيهوم لما هو معروف من أن الميتافيزيقا نوعان :

الأول : الميتافيزيقا التأملية ، وهى التى تتعلق بالجوانب التى لايمكن التطبيق عليها من خلال التجربة المعملية ، ولا الحكم عليها من ناحية الحواس لأنها تتعلق بالعوالم التي لاتقع تحت الحس ، والوضعية المنطقية ينكرونها لاعتقادهم أنه لاوجود إلا للمحسوس الذى يمكن التجريب عليه [٢].

حتى قال أحد أبواقهم في الشرق: أنا مؤمن بالعلم كافر بهذا اللغو [٣] .. وهم فى كل ما زعموا قد كذبوا لأن عقولهم غير مرئية ولا محسوسة ، وكذلك مشاعرهم ، بل ان الأرواح والنفوس هي الأخرى غير مرئية مع أنها موجودة ، أضف إلى ذلك الوجدان والحب والبغض وما كان من هذا القبيل اللهم إلا إذا كانوا قد ارتضوا السير فى الجدل ، وطريقه لا يؤدي إلى خير أبداً ، مادام قيامه على المغالطة ، ومحاولة اشعال حروب كاذبة ، والتغني بانتصارات زائفة ، وهو ما يعرف عندنا نحن المسلمين بالجدل المنهى عنه شرعاً [٤] ومن ثم فلا مجال للحديث معهم أبداً .

---

(١) أ . ب . تاتيهوم – حضارة ما قبل التاريخ ص ٧٩ .

(٢) كان الحسيون أسبق من الوضعية المنطقية فى إنكار وجود غير المحسوسات ، وقد جمع الشيخ الرئيس ابن سينا شبهات هؤلاء الحسيين وناقشهم وأثبت بطلان اعتقاداتهم على كل ناحية ، وجاء ذلك فى كتابه الرائع الاشارات والتنبيهات النمط الرابع فى الوجود وعلله – فراجعه تظفر به .

(٣) الدكتور / زكي نجيب محمود – المنطق الوضعي ص (ج) من المقدمة .

(٤) هيأ الله لهم فى القرن الماضى علمين من علماء الأزهر الشريف ،قاما بالرد عليهم،وإثبات بطلان ما إليه يذهبون وهما الأستاذ الدكتور سليمان سيد أحمد دنيا فى كتابه التفكير الفلسفى الإسلامي مطبعة الخانجى ، والأستاذ الدكتور محمد البهى فى كتابه الفكر المادى الحديث وصلته بالاستعمار .

الثانى : الميتافيزيقا النقدية : وهى المتعلقة بالجوانب العلمية التجريبية التى يكشف عنها العلم حيناً بعد آخر ، وكذلك التى تجئ فى المفردات اللغوية القابلة للتطبيق من خلال الواقع العلمى ، بحيث تظهر لها ملامح فى الوجود الفعلى ، وهو الذى يتمسك به الحسيون ، والماديون ، والسوفسطائيون وغيرهم ممن يكفرون بالغيب كله ، ولا يعتقدون إلا فى وجود المحسوس وحده .

على أن اليونان قد زعموا فى أنفسهم القدرة على التعامل المباشر مع الآلهة فى أشكالها المختلفة ، ولم لا ؟ أليسوا هم الذين تخيلوها ! وعلى أشكال بعينها أقاموها ! وتجسدات محددة أتقنوا التفنن فيها ! وبالتالى فقد ذهب البعض من مؤرخى الديانات إلى أن أوجه التعامل مع الآلهة فى اليونان لم تقتصر على نوع محدد ، وإنما تجاوزت كل الأنواع المتوقعة ، حتى بات الفرد اليونانى المثقف نفسه صورة لإله ما يمكن الأقتداء به ، وان كان لا يعبده [1] .

بناء عليه فقد صار الواحد منهم يعتقد أنه ينام وبين نيديه الإله الذى فيه يعبده ، أو ينام بين يديه ذات الإله ، مما دفعهم إلى إبراز العديد من التجسدات المعبرة عن هذه الآلهة ، بل أنه صار يلقى بالغرور فى نفوس الذين اعتبروا آلهة ، وكان ذلك من أهم الأسباب التى دفعت بالسلطة الحاكمة إلى تقييد حريات بعضهم ،أو قضت على حياة البعض بطريقة معهودة أو أخرى غير معروفة[2].

ولما كان من المؤكد أن تعدد الآلهة في أي مجتمع ما تستتبعه محاولات جادة فى رسم صور لها ، وإقامة تماثيل وتجسدات تعبر عنها فى السلم تارة والحرب أخرى ، فقد أفرد اليونان لهذه الآلهة أمكنة واسعة تجئ فيها التماثيل

---

(١)الدكتور / توفيق محمد فوزى ـــ اليونان والحضارة ص ٩٧

(٢)فمثلاً اقم ساركوس بأنه ينفث على الآلهة ويتهمها بالغباء فى الوقت الذى يتميز هو بالفهم عنهم ، مما حدا به إلى إعلان نفسه واحدا من جملة الآلهة لكن به روح ، مما دعا الحاكم إلى قتله بزعم إفساد عقول الناس فى إسبرطة وتسفيه آلهتهم وتم ذلك القتل صبراً . راجع لتاليهوم حضارة ما قبل التاريخ ص ١٣٣ .

الكبيرة المتعددة [١]، فظهرت طائفة من النحاتين الذين احترفوا صناعة الأصنـام والأوثان لتكون آلهة معبودة .

ولم تتمكن ثقافات بعض الحكماء المتميزين من إقتلاع هذه الوثنيات التـي احتلت النفوس حتى ظن أصحابها أن عبادة الآلهة المصنوعة تقرب للآلهة غـير المصنوعة ، أو هما معاً يؤديان إلى غاية واحدة ، وقد تقاسم العامي والمثقـف هذه الاعتقادات فراح كل منهما يدافع عنها بطريقته الخاصة .

بيد أن هؤلاء قد تغنوا بالآلهة المفردة المتجسدة ، وكما افردوا لها طقوسـاً مستقلة فكذلك قدموها في مؤلفات بعينها حتى ذهـب البعـض إلـى أن اليـاذة هوميروس ، وأوديسا هيزيود كانتا قصائد شعرية رسمت ملامح الآلهة فى بـلاد اليونان على الناحية الشعرية ، بقدر ما عبرت عن ثقافة اليونان ، لأنها رسـمت صوراً جميلة للطريق الذى يجئ بين الفكرة المطروحة والمفكر نفسه [٢] .

وفى تقديرى أن اليونان قد ألغوا الجانب الإيمانى الصحيح مـن نفوسـهم بحيث لم يسمحوا له بمباشرة مهامه والإقتداء بتعاليم الله الذى قال : "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ" [٣].

كما أنهم لو تأملوا بأنفسهم الآلهة التى يصنعونها لأدركوا أنـها مصنوعـة بأيديهم محتاجة إلى أجزائها التى يتم تركيبها ، فكيف تكون آلهة خالقة مع أنـها لاتخرج عن كونها مجموعة من الجمادات التى إن وقعت عليها ذبابة عجـزت عن دفعها عنها ، كما أنها لو اسقطها الهواء من جلستها ما أمكنها الاعتدال ،قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ

---

(١) الدكتور / توفيق محمد فوزي — اليونان والحضارة ص ٩٣ .

(٢)الأستاذ / صبرى محمد صبحى — دور الشعر القديم فى تنمية الخيال ص ٨٣ الطبعة الأولى ١٩٣٧م .

(٣)سورة فاطر الآية رقم ٢٤ .

الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ "[1].

قال العلامة الزمخشري: مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطاً عليهم اجتماعهم جميعاً لخلقه وتهاونهم عليه ، وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم ، والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه ، حيث وصفوا الإلهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها ، والاحاطة بالمعلومات عن آخرها ، صوراً وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه وأذله وأصغره وأحقره ، ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا ، وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم ان هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه ، لم يقدروا ضعف الطالب والمطلوب ، وهو التسوية بينهم وبين الذباب في الضعف .

ولو حققت وجدت أن الطالب أضعف وأضعف لأن الذباب حيوان ، وهذا الإله المصنوع جماد ، والذباب غالب ، وذلك الجماد مغلوب ، وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب ، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله[2]

أما الزعم بأنها لم تعبد لذاتها وإنما للقربى من الله فقد حكم الله تعالى ببطلان هذه المزاعم كلها ، لأنه لا وساطة بين الله تعالى وأحد من خلقه فى خلقهم ورزقهم وأحيائهم بعد اماتتهم ، ومن ثم فلا معبود سواه جل علاه .

---

(١) سورة الحج الآية رقم ٧٣ قال الإمام ابن كثير – (يا أيها الناس) من أهل مكة وغيرهم ضرب مثل فاستمعوا له وهو إن الذين تعبدون من دون الله ، وهم الأصنام (لن يخلقوا ذبابا) ولو واحدة ، ولو اجتمعوا لخلقه (وإن يسلبهم الذباب شيئا) مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخين به لا يستردوه (منه) لعجزهم فكيف تجعلونهم شركاء الله تعالى إن هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب المثل (ضعف الطالب) العابد (والمطلوب) المعبود .

(٢)الإمام الزمخشري ـــ الكشاف المجلد الثالث ص ١٧١ .

قال تعالى : " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ " (١).

قال الشيخ البروسوي: الله وحده الذي خلقكم حيث أوجدكم من العدم ، ولم تكونوا شيئاً ، ثم رزقكم أطعاماً ما عشتم ودمتم في الدنيا ، ثم هو وحده الذي يميتكم وقت انقضاء آجالكم ، ثم يحييكم في النفخة الأخيرة ليجازيكم بما عملتم في الدنيا من الخير والشر ، فمنه المبدأ وإليه المنتهى .

هل من شركائكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لله ، من يفعل بكم شيئاً من الخلق والرزق والأماتة والإحياء ، سبحانه وتعالى هو وحده الذي يفعل ذلك كله وهو عز وجل المتعال عما يقول المشركون أو يعتقدون(٢)، إنهم لا يقولون إلا ضلالاً ، ولا يعتقدون إلا بطلاناً ، وقديماً قيل :

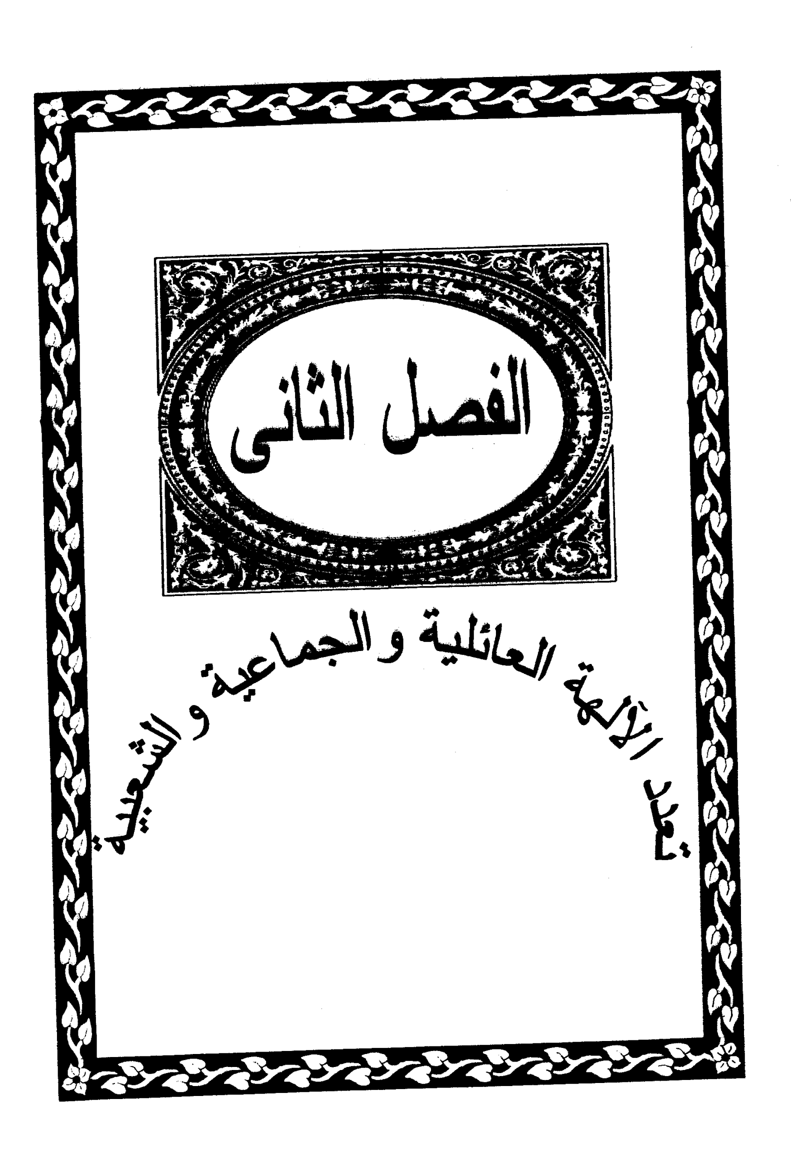
والخير أجمع فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواه اللؤم والشؤم

والذين اعتقدوا تعدد الآلهة الفردية المذكرة والمؤنثة قد خالفوا الصواب ، كما وقعوا في معصية الخالق العليم الوهاب ، ومثلهم في دنيا الناس قليل ، وحسابهم عند الله كبير .

---

(١) سورة الروم الآية ٤٠ .

(٢) الشيخ إسماعيل حقي البروسوي ـ تنوير الأذهان المجلد الثالث ص ١٨٨ .


الفصل الثانى
تعدد الآلهة العائلية والجماعية و الشعبية

سلف الحديث عن تعدد الآلهة الفردية المذكرة والمؤنثة فى أشهر الديانات الوثنية — من وجهة نظري — وبان أنه كان لها الأثر الكبير فى الديانة اليهودية من حيث الاعتقادات والطقوس والعبادات ، كما اتضح أن العلاقة بين الفكر الوثنى ، والفكر اليهودى متواصلة لم تنقطع ، وبحث العلاقة بين المصادر الوثنية وأسفار العهد القديم يعتبر أمراً غاية السهولة بالنسبة لأى دارس ، وقد نشط فى بيان ذلك الكثيرون من المؤرخين [١] .

كما سبق القول بأن ما فى اليهود من طبيعة متناقضة ، كما أنها فى ذات الوقت ممتلئة بالأنانية والوحشية ، قد دفعهم ذلك كله إلى قبول حياة الذل والقهر والاستعباد ، ولم يعتبروا بهذه الأمور ذاتها ، وإنما انساقوا وراء غرائزهم العدوانية ، مندفعين إليها بكل ما أوتوا من قوة ، وما أمكنهم من أساليب المكر والخداع ، بجانب حيل الاستكانة مع التذلل والخضوع ، طبقاً للهزائم النفسية ألتى أحاطت بهم ، والانهيار الداخلى الذى أستولي عليهم .

وكان لذلك عظيم الأثر فى قبول الأفكار الفاسدة والتمسك بها ، بدليل أن الإسرائيليين استطاعوا الاصطباغ بصبغة الكنعانيين فور الاتصال بهم [٢] ، وكذلك فعلوا مع كل الأمم التى نزلوا بها أو كانوا تحت سيطرتها ، من باب الممالأة للقيادة السياسية تارة ، والرغبة في تحقيق مراكز لهم داخل نفوس أفراد الشعب تارة أخرى .

بيد أنه لما كانت أنواع تعدد الآلهة كثيرة ، وعرضت لنوع منها — وهو

---

(١)يستوي فى ذلك مؤرخو العرب والمسلمين ، ومؤرخو المستشرقين فكلهم قد سارع إلى بيان هذه الجوانب وكلهم عبر عن هذه الاستنتاجات بشكل وافق المنهج الذي وضعه لنفسه .راجع الأديان في تاريخ شعوب العالم.

(٢)جوستاف لوبون — اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٤٤ وراجع و .ج.دى بورج — تراث العالم القديم ج ١ ص ٤٨ ترجمة زكى موسى مراجعة د/ يحيى الخشاب سلسلة الألف كتاب نشر دار الكرنك بالقاهرة ١٩٦٥

التعدد الفردى — فإنى سأتناول باقى الأنواع — حسب تصورى — على النحو الذى يجئ فى ثنايا هذه السطور .

أ — تعدد الآلهة العائلية :

سادت فكرة العائلية الإلهية ، أو الآلهة العائلية أوساط المجتمعات الوثنية القديمة كلها ، بحيث يمكن اعتبارها قاسماً مشتركاً بين أفراد هذه المجتمعات ، وبخاصة فى فترة عصور ما قبل التاريخ [١] وربما امتدت تأثيرات هذه الأفكار الفاسدة إلى بعض البلدان التى تجرى فيها الاعتقادات الوثنية حتى يومنا هذا ، وإن اختلفت أسماء بعضها أو صفاتها من مجتمع لآخر ، أو بين قوم وآخرين.

يقول هلير : لقد سادت عملية تعدد الآلهة العائلية شعوباً كثيرة ، كانت ترى فى ذات التعدد نوعاً من التقديس ليس له وجود بالنسبة للآلهة الفردية ، إذ كانوا يطلقون عليها اسم العائلة الإلهية المقدسة ، وهم فى كل ذلك يعتقدون أن عملية التأليه هذه لا غنى عنها [٢] بالنسبة لهم ، ومن ثم فقد ازداد حرصهم على ممارستها والقيام بأعبائها .

فالاشتاريون قديماً قبل العصور التاريخية كانوا يعتقدون فى ضرورة وجود العائلة الإلهية المكونة من الإلهة أشتار وإبنها أنار ، وأخيها أزورا ، وكانت هذه

---

(١)ما قبل العصور التاريخية مصطلح يقصد به الفترة الواقعة بين وجود الجنس البشرى فى مظاهره الأولى ابتداء من أبى البشر آدم عليه السلام حتى ثلاثين قرناً قبل الميلاد ، أو خمسين قرناً قبل الميلاد على أكثر تقدير ، الدكتور / ناظم السيد محمد السعيد — المنظومة التاريخية ص ٥٣ طبعة أولى دار الهدى دمشق ١٩٤٣م ويذهب الدكتور عبد العزيز صالح إلى أن مفهوم أو مصطلح عصور ما قبل التاريخ يطلق على كل الأزمنة السحيقة التى سبقت عصور اهتداء الأمم القديمة إلى الكتابة ، وإلى تكوين الوحدات السياسية المستقرة والقوميات الكبيرة . الدكتور عبد العزيز صالح — الشرق الأدنى القديم — مصر والعراق ج١ ص ١٩ الطبعة الرابعة الأنجلو المصرية ١٩٨٤م .

(٢)ف . م . هلير — مجمل تاريخ العالم ص ٨٧ ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة — دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بدمشق .

العائلة منتظمة على شكل ثالوث بحيث تكون في قاعدته الإله أثار الابن ، وخاله أزورا أما القمة ففيها الإلهة أشتار نفسها ، وكل واحد من الثلاثة إله كامل في الاستقلال على ناحية المفهوم ، ومع ذلك فالكل يكمل الثالوث العائلي الاشتارى المقدس [1]، بحيث لا يتصور وجود إله منها إلا مع باقي العائلة الإلهية الأشتارية التي سادت هذه البلاد فترة طويلة .

على معنى أن كل فرد من هذه العائلة يمثل ضلعاً من الأضلاع ، أو زاوية من الزوايا فى ذات المثلث ، الذى تجئ فيه الآلهة المذكرة مع الآلهة المؤنثة داخل إطار واحد ، ومن الممكن أن تقع بينهم الإنابة فى الأعمال التي تدخل في واجبات هذه الآلهة ، بحيث يكون كل واحد من هذه الثلاثة بديلاً عن غيره في تسيير أمور الكون وما يلزم لذلك .

بل كانوا يعتقدون أن كل واحد من هذه الثلاثة قد منح نفس الصفات الكاملة التى هى حق لكل واحد من الآلهة الأخرى ، على أساس أن النظام العائلي في الآلهة يستلزم وجود هذه الصفات المتكاملة،ولم يكن لديهم مانع من قيام كل واحد من هذه الآلهة الثلاثة لتكوين عائلة ثانية تكون هى الأخرى منضمة إلى ذات القائمة التى لها رصيد كبير فى التأليه العائلي ، الذي يقع على سبيل التواصل.

يقول الأستاذ / سليمان مظهر : كانت الإشتارية تمثل الاعتقادات الوثنية فى تأليه العائلة الإلهية أصدق تمثيل ، وقد تسللت عقيدة الثالوث المقدس إلى الديانات التى أنبثقت به من الإشتارية[2]القديمة ، يستوي في ذلك أن يكون المقتبس ديانة تنسب إلى السماء أو تنسب إلى الأرض .

وكانت الاعتقادات العشتارية هى الأخرى تقوم على منظومة من الآلهة

---

(١)ألبر كامي — الديانات القديمة ص ٤٥ ترجمة السيد زهدى ١٩٢٣م .

(٢)الأستاذ / سليمان مظهر — قصة الديانات ص ٧١ طبعة دار الوطن العربي للطباعة والنشر .

تتكون مـــن الإلهة عشتار[١] وابنها الإله أنوس ، وعشيقها الإله طامو ، وكــــل منهم له دور فى حماية الأسرة الإلهية العشتارية طبقاً للأنظمة المعمول بها داخل هذه العائلة التي وقع لها التقديس في أشكاله المتعددة .

إذن كان العشتاريون فى كل الأحوال يعتقدون أن ابنها لم يكن من نتــــاج أمه مع عشيقها ، وإنما جاء نتيجة لاجتهادات مجموعة إلهية متعددة ارتضت أن يكون هو الممثل لها جميعا [٢] فتحول من كونه الإله الابن المشخص إلى فكــرة لها وجود فعلي قوي وذلك ما يمثل نوعا من الارتداد للخلف على غير المعــهود فى العقائد الوثنية التي كانت تجري مع التطور من الأصول العامـــة والقواعــد القائمة إلى ما هو خيالي أو فكر بعيد كل البعد عن الواقع المعاش .

بيد أن أصحاب العقيدة العشتارية لم يكونوا فى توجههم لهذه الآلهة المتّعددة على قدر سواء ، وإنما صار بعضهم متعلقاً بالآلهة العائلية المذكرة ، فى الوقـت الذى عاش البعض الآخر قائماً فى منظومة الآلهة العائلية المؤنثة ، وبناء عليــه فقد ظهرت جماعات متباينة تدعوا لجملة من الآلهة حسب رؤية كـــل جماعــة وتصوراتها لهذه الآلهة .

يقول ريتاى : ظهرت الآلهة العشتارية غير متآلفة حتى فى عشتار نفســه ، بدليل أن البعض أعتبره إلها مذكراً يقود جماعة من الآلهة الذكور،بينما نظر إليه البعض الآخر على أنه إلهاً مؤنثاً يحتضن جملة من الآلهة المؤنثة ، وبات من العسير الجمع بين هذه الاتجاهات المتباينة [٣]بل والتوفيق بين تطلعات الجماعات

---

(١)هناك فرق بين أشتار أو عشتار وبين عشتروت التى لها وجود واسع لدى قدماء المصريين ، وقـــد تمســك اليهود بهذه الأفكار حتى صارت جزءاً من تراثهم الدينى أيضاً ، راجع للشيخ على محمد حكمت الله ــ العقائد الوثنية ص ٩٧ وما بعدها ، ولتوماس هيبرز الحضارة القديمة فى بابل وآشور ص ١٧٨ .

(٢)ألبير كامى ــ الديانات القديمة ص ٥٧ .

(٣)أ . ب . ديتاى ــ المجتمعات الدينية فى القديم ص ٢٩٧ ترجمة لحنان نعمة الله ط فاضل ١٩٦٣م .

التى تعتقد فيها .

ونظراً لأن اليهود فى فترة الشتات كانت لهم تطلعات واحتكاكات بهذه المجتمعات الوثنية ، فقد قلدوهم فى ذات الاعتقادات الوثنية ، وإن لم يعلنوا عن المواطن التى اقتبسوا منها ذات الإعتقادات الفاسدة ، التى تطل فى أسفارهم وغالب الكتابات التى صدرت عنهم ، وابسط مظاهر ذلك الأثر هو التحول بالأفكار الوثنية إلى اعتقادات تتبعها بعض الممارسات .

يقول الشيخ البيطار: ان الناظر فى الإله الذى نادت به الأسفار المقدسة عند الطوائف اليهودية يراه صورة لذات الإله الموجود فى الديانة العشتارية ، حيث تتمثل فيه جملة من الآلهة العائلية مكونة من الإله يهوه ، وأبنائه الذين دخلوا ببنات البشر ، ثم أبناء هذا الخليط وهم جملة الأحفاد الذين تزعم اليهودية اختصاصهم بهذا النسب ، ويحتكرون ذات الشرف ، وهذه المزاعم التى ظهرت فى أسفار العهد القديم ، قد كذبها القرآن الكريم قال تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ" [١]وهم فى كل ما زعموا كاذبون تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً [٢] .

---

(١) سورة المائدة الآية ١٨ وقال تعالى: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" سورة الأنعام الآية ١٠١ .

(٢) الشيخ محمد على البيطار — عقائد مصر القديمة ص ١٦١ ط المختار ١٩٣٧م وراجع لفرنسوا دوماس — آلهة مصر ص ٤٣ وقد تعددت الديانات فى مصر بتعدد الآلهة راجع لفيليب حتى موجز تاريخ الشرق الأدنى ص٦١ ترجمة الدكتور / أنيس فريحة ط دار الثقافة بيروت — مطبعة الغريب .

قد خانهم التوفيق ، وظاهرهم الحراب ، لأنهم اقتطعوا لأنفسهم ما ليس مستحقا لها ، وطعنوا على القواعد الصحيحة والعقيدة السليمة

كما أن المصريين القدماء ظهرت عندهم أيضا فكرة العائلة الآلهية المكونة من الإله رع إله الشمس ، والإله أخناتون ابن إله الشمس،والإله حتحور الراعى بينما لوحظ فى هذا النظام العائلي أن يكون الإله الابن نائباً عن الإله رع ، وحاكماً على كل البلاد باسم هذا التملك الممنوح له من الإله الأكبر .

من ثم لا يجوز الخروج عليه أبدا ، إنه ملك إله معاً ، ومع كونه ملكاً إلها فهو في نفس الوقت من جنس البشر فى التعاملات البشرية التي على أساسها يجئ المطعم والمشرب والإنجاب، وهو أيضاً إله من حيث أنه ابن الإله الأكبر ، وكل ملك من العائلة الآلهة تكون أعماله كلها هى الأخرى مقدسة[1] باعتبار أن العائلة الإلهية تكون هى الوعاء الرئيسى الذى تصب فيه الآلهة الأخرى اتجاهاتها ، ومنه تبدأ انطلاقتها ، فالعائلة الإلهية تمثل المصدر الرئيسي والمستورد الأصلي لكل الأفكار التي تتبناها الاعتقادات الوثنية .

وكانت فكرة الآلهة العائلية فى الديانة المصرية القديمة تحظى باهتمام عظيم من أفراد الشعب ، كما تحوز ذات الاهتمام من كهنة المعابد الذين أكثروا من دكرها والحديث عنها، ولذا فقد تصوروا إمكانية وقوع التزاوج بين هذه الآلهة[2] وحينئذ تتكون الأسرة الصغيرة من الإله الزوج الذكر ، والإلهة الزوجة الأنثى ، ثم يمتد بهم الخيال حيث يجئ الإله الابن[3] وذلك ما يمثل البدايات التي تظهر

---

(١) أدولف ارمان ـــ ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف ص ١٩٧ ترجمة د/عبد المنعم أبو بكر ودكتور / محمد أنور شكرى

(٢) فرنسوا دوماس ـــ آلهة مصر ص ٤٧ .

(٣) ادولف أرمان ـــ ديانة مصر القديمة ص ١٩٩ .

العائلة الإلهية فى مراحلها الأولى ، ثم يقع بعد ذلك التكاثر فى العدد الإلهي أو التعدد بين الآلهة ويكون هو النتيجة الطبيعية أو الحتمية التي تجئ عقيب التزاوج الطبيعي بين هذه الآلهة ، كما لم يكن لديهم مانع من وصف الإله الزوج بالإله الأب ، وبالتالي ينعتونه بأنه أعظم الآلهة أولاً ، ثم تجئ باقى الصفات تابعة للنعت الأول .

وذلك كالحال مع الإله أوزيريس فهو عندهم إله حصاد قربانى، على أساس أنه البذرة والمحصول معاً [١]، ومن ثم تمثلوه فى صورة من يموت مراراً وتكراراً ثم يبعث حيا كأنه خلق نفسه ، أو يعيش لنفسه من غير حاجة إلي شئ آخر وراء ذلك ، وهو توسع طبيعى جاء مع المستعملين للفكرة التى تبحث على وسيلة ما بحيث تضفى على ذات الإله صفة الخلود ، وبناء عليه فقد جعلوا له رموزاً منها :

أ - الجعل - الجعرانة - مديد الأجنحة الذى يدفن بيضه ليبعث من جديد ، ويتكرر ذلك معه على الدوام ، فكل ألفاظ الجعل ، والجعرانة ، ومديد الأجنحة ما هي إلا رموز لذات الإله القرباني .

ب - الشمس المتألقة التى تغرب كل يوم لتشرق من جديد .

ج - العجل الذى يمثل الخصوبة والقدرة على الإنماء ، وهو ذاته العجل المقدس الذى ترتبط به الربة إيزيس [٢].

ومن المؤكد أن هذه الرموز الفرعونية كانت تتحول في بعض الأحيان من مجرد نعوت وصفات رمزية إلى أن تعيد أفكاراً ذات دلائل واقعية ، وكلها يختص بها الإله الأكبر الذكر في العائلة الإلهية .

---

(١) هذا الخلط المقصود يكشف عن رغبة القوم في التعدد والامتزاج على أية ناحية ، إنهم لا ينفصلون عن هذه التعددات أبداً كما لا يخرجون عن ذات الاعتقادات الوثنية ولا يبرحونها .

(٢)الدكتور / فاروق إسماعيل - الوثنية مفاهيم وممارسات ص ٧٢ ط دار المعرفة بالإسكندرية ١٩٨٥م .

أما الإلهة ايزيس فهى أقل حظاً من أوزيريس فى النعوت لأنها إلهة أنثـى تمثل جزء من هذه العائلة ، لكنها تحظى باهتمام واسع على أساس أنها إلهة أم ، وزوجة الإله الأعظم ، وأم الإله الابن ولذلك فقد نعتوها بأنها :

أ ــ هاتور الذى يظهر أثناء عمليتي النمو والحصاد ، بجانب الجمال والأناقة .

ب ــ البقرة التى تحمل الخير والنماء لأفراد الشعب .

ج ــ الهلال ونجمة البحر [1].

ولا شك أنها نعوت وأسماء غلبت على أفهام أصحابـها ، اقتبسـوها مـن المجتمعات التي نزلوا بها أو حلوا فيها ، أو إنهم استطاعوا تخيلها مـن وقـائع حياتهم اليومية ، ثم نسبوها لآلهتهم التي صنعتها خيالاتهم ، أو أقامت تماثيلـها أيديهم .

والغريب أنهم لا يقفون عند هذا الحد من التصورات الساذجة عن الآلهة، وربما يضيفون إلى ذلك العديد من الأساطير والخرافات ، حتى يقودهم الاندفـاع إلى أبعد من ذلك فيتصورون أنه بعد موت الإله أوزيريس حملت الإلهة إيزيـس طفلاً هو الإله حورس[2]وقد رسموا لها صوراً وتماثيل وهى تحمل هـذا الإلـه الابن بين ذراعيها طفلاً رضيعاً تلقمه ثديها ، وقد وقفت وسط الهلال .

كأنها تتلمس لهذا الإله الابن أسباب النجاة ، أو تتوسم فيه مخايل الصفـاء والنجابة ، فهي التي تمنحه الحياة وهي التي تطلب له البقاء ، ومع كـل هـذه السلبيات والنقائص تعتبره إلهاً ويتوجه إليه البعض بالعبادة .

(١) فرانسوا دوماس ــ آلهة مصر ص ١١٢ ترجمة زكي سوس ــ سلسلة الألف كتاب الثاني العدد العاشر ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م .

(٢) الدكتورة سنية محمد أبو سنة ــ عادات وعبادات قديمة ص ٣١ .

يقول ويلز : إن هذه العلاقات ليست بطبيعة الحال منطقية ، غير أن العقـل البشرى استحدثها قبل تطور التفكير الجدي المنظم ، والتماســك بينـها أشـبه بتماسك الأحلام [١]فى عقول النائمين ، الذيـن أقضـت مضاجعـهم الـهموم ، وسيطرت على أحلامهم عوامل القهر والغلبة ، فلم يجدوا وسيلة ينفسون بها عن ما يجرى فى نفوسهم سوى الأحلام الساذجة والأماني الكاذبة .

لم تكن هذه الآلهة العائلية وحدها التى تعيش فى وجدانات قدماء المصريين إبان تلك الفترة ،وإنما كانت هناك آلهة أخرى ظهرت فـي أشـكال متعـددة ، وأنماط مختلفة يجئ فيها التباين من كل ناحية، بدليل أن المؤرخين ذكروا نماذج وصوراً عديدة لأنماط جديدة من الآلهة العائلية .

فظهرت آلهة شريرة يحيط بها الغموض من كل ناحية كالإلـه أنـوس ، والإلهة بيتى بجانب الإله أنوبيس الذى تمثلوه على أن له رأس كلب ، والإلهـة جيتُو التى تمثلوها فى صورة النجوم المحترقة،أو الليل الأسود البهيم ، ثم نعتوها بأنها أرباب تلتهم وتغرى ، وتفسد وتعادى الإنسان والرب على السواء [٢].

فلما تمكن الإغريق من غزو المصريين صارت مصر عامة والإسـكندرية خاصة تجرى فيها عمليات الاعتقاد فى الآلهة العائلية بشكل واسع، حتى صارت مركز الحياة الدينية للعالم الهللينى كافة [٣]، بحيث يفد إليه كل من يريد معرفـة

---

(١)هـ . ج . ويلز ـ موجز تاريخ العالم ج ١ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢)هـ ج.ويلز ـ معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثاني ـ تاريخ الإغريق والرومان ـ الكتابان الرابع والخامس ص ١٣٧ ترجمة عبد العزيز قوصي جاويد ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٩م .

(٣) هـ .ج.ويلز ـ موجز تاريخ العالم ج١ ص ٢٦٤ /٢٦٥ ـ وله أيضاً مجمل تاريخ العالم قـام بترجمته إبراهيم ميخائيل عودة ط دار اليقظة العربية بدمشق وتقوم مكتبة الأسرة الآن بطبع موجز تاريخ العـالم ج١ وكان قد طبع من قبل حيث نهضت إلى طباعته مكتبة النهضة المصرية بمطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨م .

النظام العائلي داخل الأسرة الإلهية .

فأقام بطليموس الأول معبداً عظيماً هو معبد السرابيوم كانت تعبد فيه الآلهة العائلية تمثلها جملة من الأرباب هى : سيرابيس ، وإيزيس ، وحروس ، وقد انتشرت هذه العبادة حيثما بسط النفوذ الهلينى العربية حتى بلغ شمال الهند وغرب الصين[١] فكانت القاعدة التى تنطلق منها هذه الأفكار هى مدينة الإسكندرية على وجه الخصوص ، ومعابد مصر القديمة على وجه العموم .

وكان كهنة المعابد المصرية يقومون بدور المبلغ لهذه الأفكار المدافع عنها، بل أنهم حينما مارسوا عمليات التبليغ هذه جعلوا غايتهم إرضاء ذات الآلهة أولا ثم إرضاء الغازى المستعمر ثانياً ، ظناً منهم أن ذلك سيجعل لهم فى النفوس مكانة أعلى مما هم عليها ، ومن ثم حققوا بعض النجاحات القليلة ، لكن لحقت بهم الخسائر العظيمة ، إذ بعد جلاء المستعمر أعاد الفرعون نظام العمل الكهنوتي الرسمي القديم ، كما غير من أوضاع القائمين علي المعابد فيما بعد[٢]، وأنزل الكهنة القدامى درجات عن التى كانت لهم فى نفوس أفراد الشعب والأسرة المالكة قبل الغزو .

ولما كان اليهود قد ساكنوا المصريين فترات كثيرة ، حين كانت تتم عمليات النزوح والهجرات ــ حسب روايات أسفار العهد القديم ــ فقد تمسكوا بالآلهة العائلية ، ولم يكن لديهم مانع من وصف الإله فى اليهودية بأنه أعظم الآلهة ، وكيف لا وياهو العظيم لا ينظر إلا إلى شعب إسرائيل،شعب الرب الذى اختاره لنفسه ، فهو إله حرب وخراب على أعداء اليهود ، ثم هو إله رحمة ومحبة على اليهود وحدهم .

---

(١)البير كامي ــ الديانات القديمة ص ٩٧ ، وراجع لهنري وستن العصور القديمة ص ٥٣ .

(٢)جورج قرم ــ تعدد الأديان وأنظمة الحكم ص ١٢٢ ط دار النهار بيروت ١٩٧٩ م .

ثم إن فكرة الخطيئة التى يقع فيها الرب ثم الموت للإلــه التــى أحــاطت بالأساطير المصرية ، قد أخذ اليهود ذلك كله حتى تصوروا ياهو إلها يقع فـــى الخطيئة على الدوام، ويتأسف فى نفسه ويندم على أنه خلق الإنسان الشرير[1]ثـم طوروا الفكرة،وأطلقوا عليها اسم موت الخطيئة هرباً من فكرة الموت الحقيقي .

وقد تندر ليوتاكسيل من هذه الاعتقادات الوثنية التي برزت فـــي الأســفار اليهودية فقال : إذا كان ياهو المسكين قد وقع فى الخطيئة ، خطيئة خلق الإنسان الشرير ، ألم يكن هذا المسكين على علم بأن الإنسان الذى صنعه بيديـــه متـــى ألحق به عيب فإنه بالضرورة يصير طبيعة فى ياهو وعيباً فيه، أم أن ياهو ألقى هذا البيان عندما تقدمت به الســن وصار عاجزاً عن إصـــلاح الخطــأ الــذى اقترفته يداه ؟ ![2] أم أن صنعته تأبت عليه فلم يعد بإمكانه إصلاح ما فيها مـــن أخطاء وعيوب فجاء العجز هذه المرة من جهة المفعول وهو الصنعـــة لا مــن جهة الفاعل وهو الصانع ، مع أن العقل الصحيح يقرر أن الذي خلق الشئ مــن العدم يمكنه خلقه مرة ثانية بعد العدم ، قال تعالى:" وَلَهُ مَـــن فِـــي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "[3].

فهو الذي أنشأ آدم وحواء ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، ثم هو الــذي يميتهم عند انتهاء آجالهم ، ثم يعيدهم في الآخرة فيكونون أحياء كمـــا كـــانوا ، والإعادة أسهل عليه تعالى من البدء[4]، بالإضافة إلى الإنســـان والقيـــاس إلـــى

---

(١)العهد القديم ـــ سفر التكوين ٨/٦ والقصة موجودة فى هذا الإصحاح بتفاصيلها .

(٢)ليو تاكيل ـــ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ١٢٩ ترجمة د/ حسان ميخائيل .

(٣)سورة الروم الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

(٤)فلا شئ أصعب أو أهون على الله تعالى ، وإنما كل الأشياء بالنسبة لقدرته تعالى سواء ، وإنما الاســـتعمال اللغوي في لفظ أهون للدلالة حتى تمكن الحكيم العليم من الإعادة ، كما تمكن من البدء عليهما معاً ـــ البـــدء والإعادة ـــ أقدر .

أصولكم وإلا فهما عليه تعالى سواء ، وله الوصف الأعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال ، وهو القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن وإعادته ، الحكيم الذي يجري الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة[1].

ورغم سطحية الأفكار التى دعا إليها بعض قدماء المصريين في هذا الشأن، إلا أن اليهود تمسكوا بها تمسك الفريق الذى اقبل عليه الموت،فلم يتركوها حتى بعد خروجهم من مصر ، وإنما اشتد تمسكهم بها إلى أبعد مدى ، وجعلوها ضمن نصوص أسفارهم ، وراحوا يتعبدون بها , رغم علمهم بأنها أفكار ساذجة لم يأتهم بها نبى ، إنما هى نوع من الثقافة المنقولة عن فكر وثنى .

وبالتالى فإن اليهود قد تمسكوا بالفكر الوثنى وأنزلوه من نفوسهم منزلة الاعتقادات الدينية الصحيحة فصارت اعتقاداتهم التي يذيعونها صورة من الأفكار الوثنية بلغة عبرية أو سريانية فاستحقوا الحكم عليهم وأمثالهم من الله رب العالمين بالخسران في الدنيا والآخرة .

قال تعالى :" قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا "[2].

قال أهل التفسير: قل يامحمد لهؤلاء الكافرين ، هل نخبركم بأكثر الناس خسراناً عند الله تعالى من ناحية الأعمال ، إنهم الذين بطل عملهم وضاع في هذه الحياة الدنيا لأن الكفر لا تنفع معه طاعة ، قال الضحاك هم القسيسون

---

(١)الشيخ إسماعيل حقي البروسوي ــ تنوير الأذهان ــ المجلد الثالث ص ١٨٤ .

(٢)سورة الكهف من الآية رقم ١٠٣ ــ ١٠٦ .

والرهبان يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم مع أنها غير مقبولة منهم[1]وقال غيره هم كل من لا يكون عمله متوافقاً مع ما شرع الله تعالى[2]، وقال آخرون كل من يعتقد ما لم يشرعه الله ، أو يعمل بعيداً عن ما بعث الله به الرسل فهم جميعاً من أكثر الناس خسراناً [3]عند الله تعالى في دار الدنيا ويوم القيامة ، إنهم يفعلون المحرمات ويظنون أنهم بأفعالهم الباطلة يحسنون صنعاً ، أولئك الذين كفروا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، والبعث والنشور فبطلت أعمالهم فليس لهم عند الله قيمة ولا وزن ، ولا قدر أو منزلة[4]وعقوبتهم نار جهنم جزاء كفرهم بآيات الله ورسله .

لم يكن حال الكلدانيين بعيداً عن هذه التعددات فى الآلهة ، وإنما كان ذا النظام أمراً ثابتاً بينهم ، وقد انغمسوا فيه إلى أبعد مدي حتى ظهرت جملة من العائلات الالهية ، كل مجموعة منها تعبر عن منطقة بعينها ، لكن قد تكون هذه العائلة مكونة من فردين كالحال مع آلهة منطقة أور ، التى كان فيها الإله رانو والإله سنو ، وقد تكون الآلهة فيها ثلاثة كمنطقة طنبو التى كان فيها الإله شانى والإله ليو ، والإله سانو[5] .

وقد يزيد عدد العائلة الإلهية فى منطقة ما عن الثلاثة بحيث تكون أربعة فما فوق ، وكلها يطلقون عليها اسم العائلة الإلهية ، وقد انتقلت هذه الاعتقادات من بلاد الشرق إلى غيرها من البلدان الأخرى ، كما استقبلت بلاد الشرق عقائد سكان بلاد الغرب — رغم قلة الوثائق الدالة على ذلك — لأن الفكر الإنساني

---

(١)راجع للإمام أبي حيان — البحر المحيط الجزء الثاني ص ٢٧١ .

(٢)راجع للشيخ محمد علي الصابوني — صفوة التفاسير ج ٦ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ والبيضاوي ج ٢ ص ١٣

(٣)الإمام أبو السعود — تفسير أبي السعود ج٣ ص ٢٦٧ .

(٤)راجع للإمام الفخر الرازي — مفاتيح الغيب المجلد ٢١ ص ١٧٢ وتفسير الطبري ج ١٦ ص ١٩ /٢١

(٥)البير كامي — الديانات القديمة ص ٨٧ .

يلقح بعضه بعضاً ، وكل العقائد التي مصدرها العقل الإنساني فإنها تقبل التلقيح لا محالة ، كما يجئ معها أمر التأثر والتأثير.

والمتأمل فى فكرة الآلهة العائلية لدى الكلدانيين يراها قريبة الشبه بما كان سائداً فى عقلية الكنعانيين ، بل لا أغالى إذا قلت أنهما أصل واحد أنتسخ منه صورتان ، أحدهما ظهرت بين الكلدانيين والثانية بان أمرها فى أرض كنعان ، أما لماذا ؟ فلما يلى :

أولا : نظراً لأن الشعب الكنعانى استوطن أول أمره الساحل اللبنانى القريب من مصر فقد تأثر الكنعانيون بالحضارة المصرية ، والديانات التى ظهرت فى مصر الفرعونية [1] وكذلك الحال مع الكلدانيين الذين سكنوا بلاد الرافدين وأخذوا من ثقافة المصريين فكانت الظواهر الدينية فى كل من وادى النيل وبلاد الرافدين متشابهة إلى حد كبير، بحيث يمكن القول بأن ما ظهر في وادي النيل من عقائد وعبادات ظهر مثله في بلاد الرافدين ، بل طابقه تمام المطابقة .

ثانياً : تأليه قوى الطبيعة المتعلقة بمظاهر الخصب والنماء توجد في أفهام كل القائمين على عقيدة التأليه العائلي أو الفردي ، وبالتالى فقد حصلت استعارات للعادات ، والاعتقادات والمهارات وكذلك وقعت اعارات أيضاً [2] على أساس أن الفكر الإنسانى يزاوج بعضه البعض الآخر ، كما أن العادات هى الأخرى قابلة للتنقل والتبادل ولا يختلف الأمر المهاري عن كل من الفكر والعادات ، وتاريخ الإنسانية فيه الكثير من هذه العمليات التى يقع فيها التبادل فى العادات بجانب التزاوج بين الثقافات .

---

(١)الدكتور / نجيب ميخائيل ـــ مصر والشرق ج ٣ ص ٣١ ونفس النتيجة إنتهى إليها كل من موسكاتى ف كتابه الحضارات السامية ، وفيليب حتى ف كتابه تاريخ لبنان .

(٢)الدكتورة / سنية محمد أبو سنة ـــ عادات وعبادات قديمة ص ٤٣ .

ثالثاً : أن الآلهة العائلية لدى الكلدانيين ظهرت فى تمثلاتها التى كرر الحديث عنها الكنعانيون أيضاً، من تأليه العجل وعائلته . والأفعى وعائلتها ، وتقديم القرابين لها جميعاً على ناحية واحدة [١] وهو ذاته ما يؤكد أن الفكرة المعروضة عند كل منهما إنما هى صنو الأخرى أو بديل لها وليست ضد إلهاً أو نقيضاً أبداً

يقرر موسكاتى أن الكنعانيين استعاروا من اعتقادات وعبادات جيرانهم ، وكذلك فعلوا بطقوسهم ، وبخاصة أهل كلديا وأهل بابل بجانب المصريين القدماء الذين أعاروهم ، وأنهم نقلوا إلى الكلدانيين كما نقلوا عنهم بنفس المستوى مع باقى الشعوب الأخرى[٢] ، وهو مما يؤكد وقوع التشابه فى الديانات الوثنية ، وأن اليهود حينما نقلوا عن الكلدانيين إنما كانوا ينقلون جملة من التراث الذى اختفت الأصول الأولى له ، بحيث يصعب نسبته إلى مجتمع بعينه ، كما أنه ليس من السهل الوقوف باتعقاداته عند طائفة بعينها ، إنهم أخذوا من كل مجتمع ما أمكنهم أخذه ، ثم أعلنوا اختفاءه حتى إذا ظهر فيما بعد نسبوه لأنفسهم .

وبملاحظة عابرة تبين أن الكلدانيين والكنعانيين كانا يعتقدان بمجتمع الآلهة العائلية وعلى قمته الإله الأكبر الذى يسكن منبع النهرين ، بعيداً عن باقى الآلهة الأخرى ، وكانت له زوجة تدعى آثرت ، ويطلقون عليها اسم السيدة الكبيرة ، وكانوا يعتقدون أنه قد نشأ بينهما أبناء على طريقة الآلهة ، وبالتالى فالإله الأكبر هو خالق الخلق ،أما الإلهة السيدة الكبيرة فهى أم الآلهة وهى خالقة الآلهة [٣]،

---

(١)سبيتينو موسكاتى ــ الحضارات السامية القديمة ص ١٣١ ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر طبعة دار الرقى بيروت ــ لبنان ١٩٨٦م .

(٢) ولا يخفى أن عملية النقل والتأثر والتأثير من الأمور المعتادة في اليهودية كما هي معتادة عند غيرهم ممن لا يتحرجون في النقل عن الآخرين مهما كانت بضاعتهم مزجاه .

(٣)الدكتور / نجيب ميخائيل ــ مصر والشرق ج ٣ ص ٥٧ وراجع لفيلب حتى تاريخ لبنان ص ١٤٥ .

ويمكن لها التأثير على زوجها الإله الأكبر [١] ومن ثم كانوا يتقربون إليها بعيـــه ذات الأغراض ، ومن أبرزها ما لها من قدرة فائقة في تغيير مجرى القـــرارات التي يصدرها مجمع الآلهة العائلية

ومادام الإله الأكبر قاسم مشترك بين الكلدانيين والكنعانيين وهي فكرة قائمة في اعتقادات هذه الشعوب فإنها ذات الصورة القائمة فى أسفار العـــهد القديـــم . حيث يجلس ياهو على عرش مجمع الآلهة المقدس وإذا غضب لليهود فإنه يجئ إلى أعدائهم ومعه هذا الجمع العائلى من الآلهة فيدمر ويحرق ويفعل بخصـــــوم شعب إسرائيل ما يفعل [٢] .

ومن المؤكد أن الأثر الوثنى فى العائلة الآلهية قد امتد للفكر اليهودى بـــــل والاعتقادات اليهودية على كل ناحية ، كما دل على أن اليـــهود حينمـــا كتبـــوا أسفارهم ، إنما كانوا يفرغون مجمل الثقافات التى أخذوها عـــن الآخريـــن ، أو بالأحرى يصورون الثقافات والأساطير الوثنية ، ثم يقومون بصياغتـــها علـــى ناحية تأليفية ، عرفت فيما بعد باسم أسفار العهد القديم .

أما فى روما فقد ظهرت الآلهة العائلية بعضها كان لأفراد الشعب على جهة العموم وبعضها كان لرجال الدولة على ناحية الخصوص فى نفس الوقت فـــإن الآلهة المؤنثة نلن الحب في قلوب الشعب رغم ضعف قوتهن [٣]إذا قيست بقـــوة الذكور.

أما فى يهوذا فقد كان اليهوذيون يعتقدون فى العائلة الإلهية المكونة من الإله

---

(١)البير كامى ـــ الديانات القديمة ص ٩١ ، وراجع لفيليب حتى موجز تاريخ الشـــرق الأدنى ص ٧٩ ومـــا بعدها ، وللشيخ على محمد حكمت الله العقائد الوثنية ص ٩٩/١٠١

(٢)الشيخ / رضوان على المنيلاوى ـــ العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ص ١٤١

(٣)ول ديورانتـــ قصة الحضارة ج ٨ ص ١٢٧ وراجع لهنرى وستن ـــ العصور القديمة ص ٤٩٥ ترجمة داود عريان لبنان ١٤٠٣هـــ ١٩٨٣م .

الاب ، والإله عزير (١) حتى أنهم لم يسمحوا لأنفسهم بمجرد مخالطة غير يهودى فى شئ مما يدعوهم إليه ، بل أنهم سموا ابن الإله — فى زعمهم — عزيـــرا ، وعلى ذات الاعتقاد سارت باقى فرق اليهود (٢) فيما بعد

وقد تمسك اليهود بهذه العقائد الوثنية ، من تعدد الآلهة المفردة ، والآلهـــة العائلية إلى أبعد مدى ، ولم يفكروا فى التخلى عن شئ من هذه الاعتقـــادات إلا حينما كانوا يجبرون عليه ، بل أنهم مارسوا هذه الاعتقادات حتى اسلموها لمـــن بعدهم ، ودونوها فى أسفار العهد القديم والتلمود وغيرهما من المؤلفـــات التـــي يذكرون أنها تخدم العهد القديم والأفكار اليهودية ، كما حـــرص الإســـرائيليون والصهاينة على أثباتها فى البروتوكولات .

ومن المؤكد أن كل فرد يهودى ظل يعتقد أحقيته فـــي تخيـــل إلهـــه ، أو تصوره بصوره ما (٣)، كما ان من حقه الرجوع على ذات الإله بطلب النجـــدة والنصر والغلبة ، كما يسأله المصالح التى يريدها ، وعلى العموم هو إلـــه لـــه وحده ، ومن حقه أن يتعاون معه إلى أبعد مدى ، ومن حقوق اليـــهودى أيضـــاً على إلهه الذي يختاره أن يطلق على ذلك الإله من الاسماء والصفات ما يراهـــا متناسبة معه ، طبقاً لقدراته العقلية وثقافته الشخصية (٤).

فكان من جراء ذلك ظهور تعددات الآلهة بتعدد الأشـــخاص مـــع ارتبـــاط الجميع بالعائلة الإلهية ، كما صار ذلك أمراً مقرراً معهوداً لدى كل اليهود وفـــى

---

(١)نفس الفكرة هى التى تجرى فى أعراف المسيحيين الذين يعتقدون بالإله الآب ، والإله الابن ، والإله الروح القدس وكلها مقدسة ، راجع على سبيل المثال — للقس الياس مقار — إيمانى أو قضايا المسيحية الكـــبرى ص ١٨٣وللقس صموئيل مشرقى عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه ص ٣٩ وغيرها من المصادر المســيحية التى تتحدث عن العقائد المسيحية

(٢)الشيخ رضوان على المنيلاوى — العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ص ١٣٧

(٣)البير كامو — اليدانات القديمة ص ١٩٥

(٤)الشيخ رضوان على المنيلاوى — العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ص ١٨٥ .

كل طبقات فرقهم ، ولم يقع لطائفة منهم أو جماعة شئ من الإستثناء فى هـــــده الآلهة المتعددة الشخصية (١) .

ويقرر ويلز أن اليهود كانوا يؤمنون بان الله الرب الأحد للعالم أجمع كـــان رب بر وصلاح ، ولكنهم كانوا يقولون ايضاً بأنه رب تاجر حيث أتم فى شأنهم صفقة مع أبيهم إبراهام صفقة رابحة جداً لصالحهم حيث يتعهد فيها الرب بـــأن يرفع اليهود إلى السيادة العظمى على الآخرين (٢).

ومن المؤسف له أن المسيحيين جاءوا بعد اليهود فكانوا خلفاء لهم فى نفس الأوهام ، كما تمسكوا بعقيدة الثالوث المقدس التى صارت أبرز عقائدهم ، وقـــد أمكن استيلاد عدة عقائد كلها مأخوذة من الثالوث الوثنى ، حيث ظهرت عقيـــدة الأبوة ، كما ظهرت عقيدة البنوة ، وصار التثليث قائماً على الإله الآب ، والإلـه الابن ، والإله الروح القدس.

قال تعالى مصوراً هذا عنهم :" وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْـــنُ اللّـــهِ وَقَـــالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِـــن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَـــهُمْ أَرْبَابًـــا مِّـــن دُونِ اللّـــهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّـــا يُشْرِكُون "(٣).حيث نسب اللعناء إلى الله الولد ، وهو واحد أحد فرد صمد ، وإنما قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم بعد بختنصر من يحفظ التوراة،فلما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظاً فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا إلا لأنه ابن الله(٤).

---

(١) البير كامو ــ اليدانات القديمة ص ١٩٧ .

(٢)هــ.ج.ويلز موجز تاريخ العالم ج١ ص ٢٧٣ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة مأمون نجا ــ الهيئـة المصرية العامى للكتاب ٢٠٠٣ ومن كتبه الشهيرة أيضاً معالم تاريخ الإنسانية وقد نقل إلى اللغة العربية

(٣)سورة التوبة الآية رقم : ٣٠ ، ٣١ .

(٤)الإمام البيضاوي ــ المجلد الأول ص ٢٢٢ .

وذكر العلامة الألوسي أن عدي بن حاتم قال - أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال : ياعدي أطرح عنك هذا الوثن ، قال وسمعته يقرأ سورة براءة اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فقلت يارسول الله لم يكونوا يعبدونهم ، فقال عليه الصلاة والسلام أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فيستحلونه ؟ فقلت بلى . قال فتلك عبادتهم[1].

من ثم فإن القول ببنوة عزير الإله لله عند اليهود ، والقول ببنوة عيسى ابن لله ، يكشف عن وجود علاقة قوية بين هذه الأفكار ، وتلك الوثنيات التي رددها أتباع الديانات البائدة قبل ظهور موسى بن عمران وعيسى ابن مريم ، كما تبين أن العقائد الوثنية تجرى في صدور أصحابها لتبحث عن مخارج لها ، أو مظاهر تعبر عنها .وذلك واضح من قوله تعالى :" يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ "[2].

ومن ثم يمكن القول بأن اليهود قد تأثروا بالأفكار الوثنية في مسألة اعتقاداتهم العائلة الإلهية بغض النظر عن جنسية المفكر الذي أخذوا منه ، أو مكانه ، المهم أنهم وقعوا في الوثنيات ، وغرقوا حتى الأنوف ، فما صارت أفكارهم إلا صورة عامة للوثنيات في الاعتقادات والطقوس وغيرها .

---

(١) الإمام الألوسي - تفسير الألوسي ج ١٠ ص ٨٤ .

(٢) سورة التوبة الآية رقم ٣١ .

ب ــ تعدد الآلهة الجماعية : [١]

وهم الذين تحتكم إليهم الجماعة الواحدة فى منطقة بعينها بحيث لا يكون هناك من حاكم آخر ينظرون إليه ويديرون أمورهم نحوه ، فكان أهل روما يقدسون الآلهة الجماعية ، كما برزت تلك الآلهة فى الفكر المصرى القديم، حيث ظهر ثالوث الأرباب المكون من الإله سيرابيس ، والإله أيزيس ، ثم الإله حورس، ولم يكن الناس يعبدونها على أنها أرباب منفصلة ، وإنما كانوا يعبدونها على أنها آلهة جماعية ، وقد انتشرت هذه العبادة حيثما بسط النفوذ الهللينى ألويته[٢] .

كما ظهرت هذه الاعتقادات المتعددة فى سومر عندما تمكن القائد الفارسى سرجون من السيطرة على بلاد سومر ٢٧٥ ق.م ، وجعل الآلهة الجماعية هى الديانة الرسمية [٣] وقد ظهر هذا التعدد للآلهة الجماعية بشكل سافر لافت للنظر فى اليهودية ، وكانت يهوذا أول من اشتغل بعقيدة الآلهة الجماعية ، كما أن هذا النوع من الآلهة الجماعية كان يحتكم أفراده إلى جماعات بعينها ، ماداموا يسكنون منطقة محددة [٤] .

فصار الآلهة الجماعية أقرب شبهاً برؤساء الأحياء فى المدن الكبيرة، وشيوخ القبائل البدوية التى تعيش في الصحراء ، أو الوجهاء في القرى والمدن

---

(١)ويفرق بين الآلهة الجماعية والآلهة الشعبية بأن الأولى يقع عندها الاحتكام ، فهى بمثابة آلهة الأحكام والقضايا التى تصدر عنها ثم يتم تعميمها فيما بعد ، أما الآلهة الشعبية فهى التى يتجه اليها عامة أفراد الشعب على ناحية تطبيق الأحكام التى تصدرها الآلهة الجماعية ، كما أن هناك فرقاً آخر وهو أن الآلهة الجماعية تمثل أنواع التقديس للطبقة الحاكمة ، أما الآلهة الشعبية فهى التى تمثل أنواع التقديس لعامة أفراد الشعب .

(٢)الشيخ محمد على البيطار ــ عقائد مصر القديمة ص ١٨٣ .

(٣)صموئيل نوح كرمة الأساطير السومرية ص ٣٨ ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ وراجع له من ألواح سومر .

(٤)البير كامي ــ الديانات القديمة ص ١٧٣ .

الصغيرة . حيث يطلبون منهم نصرتهم والغلبة على اعدائهم

كما كانوا يطلبون من هذه الآلهة الجماعية تحقيق مايريدونه من الخير أو النفع ، ولأن هذه الآلهة الجماعية قامت لصالح اليهود وحدهم ، فلم يقع تنازع بينهم كأفراد يمثلون عائلة من الآلهة ، كما لم تقع بينهم الحروب كالآلهة الجماعية أيضاً .

أنهم ينزلون كل غضبهم على أعدائهم فقط " وفى سبيل ذلك الهدف التدميرى كل الآلهة الجماعية يتحدون بل ويقع لهم التكامل في الأعمال مادام ذلك لصالح اليهود ،أو يحقق لهم مصالح بعينها ، باعتبار أنهم وحدهم شعب الرب [1]وبالتالى فلم يكن لدى اليهود مانع من تقديم تصورات مختلفة للآلهة الجماعية وهي متناقضة فى طبيعتها وأشكالها وأسمائها ومتباعدة كل التباعد عن الآلهة الفردية، والشخصية ايضاً .

بيد أن فكرة الآلهة الجماعية لم تكن قائمة فى أذهان كل الناس بقدر ما كانت متواجدة، لدى البعض منهم على سبيل التساوى ، إلا أنها نفذت إلى الجميع بعد ذلك وصارت عقيدة جماعية ، بل ان البعض ممن لم ترق له مشرب أو اعتقاد أجبر على اعلان اعتقاده لها والقيام بأعبائها ، إذ أن مجرد رفض تلك العقائد كان كافياً في إلصاق العديد من الاتهامات إلى من يرفضها ، وربما حرمانه من كل الحقوق التى تلتزم بها سلطات هذه البلاد .

لقد صارت فكرة تعدد الآلهة الجماعية بمثابة خطة بحث أو مقدمة مشروع لادارة البلاد على الناحية السياسية من خلال التعامل بألفاظ دينية ، أو هكذا تصورت الجماعات التى دانت بذات الاعتقادات الوثنية التى تسللت إلى أغلب الأمم ، حين غاب عنها نور الوحى الآلهى .

---

(١)أ.ب. هيدرز ـــ ديانات فارس القديمة ص ٩٤ حيث يصور نوعاً من الاعتقادات التى تمسك بها اليهود أثناء وجودهم بفارس وكانت هذه الاعتقادات تشكل جزءا من تفكيرهم فى شكل كبير وعلى أوسع نطاق .

وقد تحدث القرآن الكريم عن صورة من تلك الصور قال تعالى:"وَمَكَرُوا[١] مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا[٢]" .

والمعنى أن الكافرين بالله مكروا مكراً شديداً ، وبالغوا في إخفاء حيلهم ، فاحتالوا على الناس حتى يصدوهم عن دين الله تعالى وتحريضهم على الحاق الأذى بنوح عليه السلام ، ولما كان التوحيد أعظم المراتب ، فإن المنع منه والأمر بالشرك أعظم الكبائر ، فلذا وصفه الله بكونه مكراً كباراً ، وقال الرؤساء للأتباع والسفلة من القوم لا تتركوا عبادتها على الإطلاق إلى عبادة رب نوح ، ولا تتركوا عبادة الأصنام الكبار ولا الصغار ، حيث كان الصنم ود لكلب بدومة الجندل ، وكان سواع لهمدان قبيلة باليمن ، أما يغوث فكان لقبيلة مذحج ، ومنه كانت العرب تسمى عبد يغوث ، ويعوق لقبيلة مراد ، أما نسر فكان لقبيلة حمير غربي صنعاء باليمن[٣].

وقد أضل الرؤساء والأتباع ضلالاً كبيراً ، وأضلوا خلقاً كثيراً ، ولكن لا يحيق المكر السئ إلا بأهله ، ولا تزداد الظالم بشركه إلا المزيد من الشرك والظلم ، لأنه لم يضع الشئ في موضعه الصحيح فصار سفيهاً وضالاً معاً ، وذلك مما يستوجب وصفه بالظلم أيضاً ، فقال تعالى : " ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً" [٤] .

---

(١) والمكر إذا نسب لله تعالى كان معناه إخفاء التدبير ، أما إذا نسب لغير الله تعالى فيكون معناه غاية الحيلة ، راجع للشيخ محمد نصر الله ـــ ما يجوز وما لا يجوز في اللغة باب الميم ص ١٤٥ ط أولى ١٣١٩هـ .

(٢) سورة نوح الآيات من رقم ٢٢ حتى ٢٥ .

(٣) الشيخ إسماعيل حقي البروسوي ـــ تنوير الأذهان ـــ المجلد الرابع ص ٤١٩ وراجع روح المعاني ج ٢٩ ص ٧٦ .

(٤) الشيخ محمد حسن عبد العظيم ـــ تفسير سورة نوح ص ١٤٥ ط أولى ١٩٤١م ..

وقال العلامة الصاوي: ذكر الله هذه التماثيل والصور الخمسة لأنها كـــانت أسماء أصنام يعبدونها ، وفي نفس الوقت كانت أكبر أصنامهم وأعظمهم عندهم، ولذا خصوها بالذكر فقال ذكرها من باب المقابلة والتنبيه على أنها آلهة فاسدة[1].

ومادامت فكرة تعدد الآلهة الجماعية في الديانات الوثنية تعبر عـــن اتجـــاه سياسى قائم على نظام دينى ، أو هى تعبير عن اتجاه لاهوتى غايته إدارة البلاد من الناحية السياسية فمن المناسب متابعة بعض هذه الاتجاهات من خـــلال مـــا لاحظته مرآة المؤرخين عموماً ، ومؤرخى الديانات حول هذه المسألة على وجه الخصوص [2]أما لماذا ؟ فلما يلى :

أولا: أن بحث فكرة تعدد الآلهة من خلال الاطار العقدى وحـــده ، تسـم كـل العقليات التى اعتقدت فيها بالسذاجة العقلية والطفولة الفكرية من الناحية الدينيـــة على أقل تقدير ، فى ذات الوقت فإن هذه العقليات قد انتجت من الناحية المدنيـــة حضُارات زاهية ضاربة فى أعماق التاريخ وما تزال بعض مظاهرها شـــاهدة على تقدم تلك العقليات من الناحية العلمية والثقافية [3] وتأخرها أو تدهورها مـن الناحية الدينية أوالإيمانية .

ثانياً : أن بحث فكرة تعدد الآلهة فردية كانت أم عائلية أو جماعية وتغلغلها فـــى بعض المجتمعات الإنسانية قد يسمح للناظر فيها بقراءة ما بين السطور،وحينئـــذ

---

(١) العلامة الصاوي ـــ حاشية الصاوي على الجلالين ج ٤ ص ٢٥١ وراجع للعلامة الألوسي روح المعـــاني ج٢٩ ص ٧٦ ، ولأبي السعود إرشاد العقل السليم ج ٥ ص ١٩٩ .

(٢)من الملاحظ وجود فوارق دقيقة فى مجال دراسة الأديان بين المصطلحات الآتية : ١ـــ تاريخ الأديان٢ـــ مقابلة الأديان ٣ ـــ التأريخ للأديان ٤ ـــ مقارنة الأديان ، ولمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة علم الأديان المقارنة للمستشرق الألمانى ماكس موللر ، وكذلك الأديان المقارنة للمستشرق الألمانى ماكس شيللر ويمكن مراجعة كتابنا : وميض النصرانية بين غيوم المسيحية الطبعة الثالثة ص ٧ ـــ ١٤ .

(٣)كالحال مع الحضارة المصرية القديمة ـــ راجع فجر الضمير لهنرى بريستيد وكذلك الفكر الشرقى القـــديم لجون كولر .

سيظهر له أن الكثيرين من أفراد تلك الشعوب قد أجـــبروا علـــى قبـــول هـــذه الاعتقادات الوثنية ، من خلال ضرورة الاستجابة لما تمليه السلطة الحاكمة ، أو سلطة الغازى المستعمر[١]، وبالتالى يكون من الضرورى إعادة قراءة الوثـــائق الثابتة من جديد تبعاً لذلك المنظور .

ثالثاً : أن الأديان الوثنية كانت تقوم على فكرة تأليه الحاكم أولاً ، ثم تأليه أفـراد الأسرة الحاكمة ثانياً [٢]وهو ما دفع إلى قبول فكـرة البشـر المعصوميـن ، أو الالهة البشرية ، ومن ثم فقد كان هذا التعدد – فى بعض مراحله – نتيجة غـير منطقية لتصرفات وسلوكيات غير طبيعية ، وقد عبر القرآن الكريم عن صـورة من تلك الصور القائمة فى وجدان فرعون حين قال : " يا أيها الملأ ما علمـت لكم من إله غيرى "[٣]،فهو نصب نفسه إلهاً لعلى الجميع الذين في المملكة التـي هو قائد أمرها على الناحية السياسية .

رابعا : ان فكرة تعدد الآلهة الفردية والعائلية والجماعية والشعبية لم تكن فى كل الشعوب الوثنية على نفس المستوى ، وإنما كانت ضعيفة لدى البعض إلى حـد التلاشى،بينما هى عند آخرين قوية لدرجة يصعب التغلب عليها [٤]وهذا التبـاين فى المستويات يمكن ارجاعه إلى الظروف التى أحاطت بهذا الشعب أو ذاك، من قيادة سياسية ذات طبيعة خاصة ، أو ظروف اجتماعية ، أو عوامل اقتصاديـة ، فضلاً عن المشكلات الحياتية التي تصاحب مسيرة الحياة اليومية .

---

(١)جورج قرم – تعدد الأديان وأنظمة الحكم ص ٤٥ طبعة دار النهار بيروت ١٩٧٩م .

(٢)وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك فى قوله تعالى :" وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ " سورة الزخرف الآيات ٥١ – ٥٦ .

(٣)سورة القصص الآية ٣٨ .

(٤)الشيخ على محمد البيطار – عقائد مصر القديمة ص ٧٣ .

خامسا : ان بحث هده الفكرة – تعدد الآلهة – على ناحية نمطية ، قد يفضـــــي إلى إصدار أحكام فيها الكثير من التجنى ، لأن النمطية في الغالب الأعم تقـــوم على المتابعة الدائمة للآخرين فى كل ما ينقل عنهم ، وهذه المتابعة تمثل انتـهاكا صارخاً لقدرات العقل ، بل واهدارا لطاقاته ، مع ان الله تعالى أمرنـــــا باتبـــاع الدليل وطلب البرهان ، فى وجه الآخرين ، قال تعالى :" قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـــانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " (١).

والناظر فى تعدد الآلهة الجماعية يراها قد تسللت إلى العديد مـــن البلـــدان التى دانت بالوثنية، وكذلك البلدان التى كان للوثنية فيها دور غالب ، على أساس أن هذه الاعتقادات كانت من خيالات أصحابها ناشئة،وفى وجداناتهم قائمة.

١ – تعدد الآلهة الجماعية فى الديانة الأكادية :

أكدت احدى المدن القديمة التى كان لها وجود فعلى فى المـــاضى ، وقـــد امتدت حدودها مع كل من مملكة بابل وتخوم أرض شـــنغار ، وذلـــك الموقـــع المتميز أتاح لها أن تلعب دوراً بارزاً فى ثقافة أهل البلاد المجاورة لها ، ويذهب البعض إلى أن الأصول العرقية للأكاديين غير معروفة من ناحية النسب(٢).

بينما يميل البعض إلى حسبانهم من الجنس السامى الذين هــــاجروا مـــن صحراء الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين(٣)، ويقرر آخرون أن الأكاديين هـــم أبرز الشعب والبطون السامية التى ظهرت على مسرح الأحـــداث التاريخيـــة(٤) وكان لها دور فعال فى صنع ثقافة البلدان التى جاورتهم .

(١)سورة البقرة الآية ١١١ .

(٢)هنرى بارية الآكاديون والسومريون ص ٢٧ ترجمة عبد العاطى فرج ١٩٥٧م .

(٣)فيليب حتى موجز تاريخ الشرق الأدنى ص ٣٧ ترجمة الدكتور أنيس فريحة ط دار الثقافة بيروت .

(٤)الدكتور / حسن ظاظا – الساميون ولغاقم ص ٢٦ وما بعدها مطبعة المصرى بالأسكندرية ١٩٧١م

لقد كانت آكاد مدينة ذات وضع متميز على الناحية السياسية والاجتماعية ، بل والاقتصادية أيضاً ، ومن ثم فقد عاش سكانها تحيط بهم بعض المظاهر المتميزة ، مما جعلهم محط أنظار الآخرين الذين صارت لديهم تطلعات راحت تقودهم للإقتباس من الأكاديين ثقافتهم ومعارفهم وكذلك اعتقاداتهم ، لكن متى تم ذلك ؟

والجواب أنه بعد أن استقرت جموعهم المرتحلة فى تلك المنطقة تعاملوا مع كل من البابليين والسومريين [1] كما تعاملوا مع غيرهم من الشعوب المجاورة لهم ، والأمم التى كانت لها تعاملات معهم ، وقد مكنهم ذلك من التعرف على ما عند الآخرين من خبرات ومنافع ، وديانات واعتقادات ، غير أن العلاقة متى كانت قائمة على أطماع دنيوية فان عمرها الفعلى قصير ، وملامح إنهيارها تكون قائمة فيها .

من ثم فقد حدثت احتكاكات غير مقصودة بين السومريين والآكاديين،إنتهت باستيلاء الآكاديين على ممتلكات السومريين والقضاء على الوجود الطبيعى للسومريين ، بجانب ظهور الدولة الآكادية المنظمة التى تحولت فيما بعد إلى أمبراطورية كبيرة إبتداء من حكم سرجون الأول [2]الذي استطاع تعبئة قومه إلى

---

(١)السومريون قوم سكنوا فى وادى الرافدين قديماً ، ولم يكونوا من الجنس السامى ، إنما كانوا من عناصر مختلفة ممن كان موطنهم الجزيرة العربية ، كما أن لغتهم هى الأخرى أصبحت غريبة فى مفرداتها ، فلا تشبه اللغة السامية القديمة ، ولا يعلم زمن مجيئهم إلى وادى الرافدين على وجه التحديد ، إنما الذى نعرفه أنهم أزدهروا بثقافتهم فى القسم الجنوبى من العراق ابتداء من النصف الثانى للألف الرابع قبل الميلاد ، ولا يعرف على وجه التحديد من أين أتوا ، ولكنهم عاشوا مع الساميين وأجمع المؤرخون على أنهم من المؤسسين الأوائل لمقومات الحضارة والعمران ، ومن المناسب القول بأن كلمة السامية صارت تطلق فيما بعد على أى من المتعاملين باللغة السامية كالأكاديين ، والآشوريين . راجع لصموئيل كريمر ـ من الواح سومر ص ٨ ـ ١٠ ترجمة الأستاذ طه باقر تقديم أحمد فخرى مؤسسة الخانجى بمصر ١٩٥٦م .

(٢)الدكتورة / نمال محمد عميرة ـ الأمبراطورية الآكادية وحضارة الرافدين ص ٢١٢ ط الدار القومية بالمغرب ١٩٦٧ وراجع لويلز معالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول الكتاب الثالث ص ١٦٠

ما يراه مناسبا لهم .

إذ كان سرجون هذا أول قائد عظيم فى تاريخ الجنس السامى ، كما كان أول ملك أنشأ أمة عظيمة فى آسيا الغربية ، وكان لانتصاراته المتوالية أثر عظيم فى نفوس سكان ما بين النهرين لم يمحه مر السنين،وتراخى الحقب بل أن أثر سرجون هذا كانت معالمه واضحة إلى حد كبير ، وترك بصمات لها الكثير من العلامات على ما ذهب إليه هنرى برستيد[1].

وهو رأى قد تكون له وجاهته لكن أحكامه فيها الكثير من العموميات بجانب الغموض أحياناً ، لأنه لو كان قائداً عظيماً ما جاء إلى العرش على حساب رقاب الآخرين ، أو خداع الآمنين .

على كل لم يتمكن الآكاديون المنتصرون من الاستغناء عن السومريين المنهزمين ، وإنما شعروا بالإحتياج الشديد إليهم،وبخاصة فى إقتباس حضارتهم والإستفادة من ثقافتهم ، بل أنهم مارسوا الديانات والاعتقادات التى كان السومريون يعتقدونها ، وكلما عنّ لهم الخروج عليها إرتدوا إليها ، وهو ما يؤكد أن الاعتقادات الوثنية التى عرفها السومريون لم تخرج عنها الاعتقادات التى تمسك بها الآكاديون ، والتى ظهرت آثارها فيما بعد على اليهود[2]، كما بوزت في معتقداتهم وتراثهم بل واسفارهم التي يتمسكون بها .

بيد أن تعدد الآلهة الجماعية كانت له ملامح كثيرة فى كل من الديانتين السومرية والآكادية معاً ، إذ كانت الآلهة فيهم تتكون من الإله أمو الأكبر ، ثم الإلهه فانو وكذلك الإله شنو ، وكل واحد من هذه الآلهة كان يؤدى دوراً ما

---

(١) جيمس هنرى برستيد ــ العصور القديمة ص ١٤٤ ترجمة داود قربان مؤسسة عز الدين بيروت ١٩٨٣م .

(٢)لمزيد من معرفة التفاصيل عن هذه العلاقة راجع للدكتور فاضل عبد الواحد على العراق فى التاريخ ــ القسم الأول العراق القديم ــ السومريون والآكاديون ص ٧١ ومابعدها دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٣م .

بالنسبة لتلك الاعتقادات ، وحيث كان التعاون بين هذه الآلهة مستمرا فإن أشكالاً من النعم تفيض على هذه الشعوب .

كما لم يكن لهذه الآلهة الجماعية الحـــق فـــى الاختـــلاف أو إبـــداء رأى معارض لما استقروا عليه ، وكانت المشكلات التى تطرأ بينهم كآلهة يتم التغلب عليها عن طريق التفاوض ، وترجيح رأى الأغلبية على الأقلية [1] بغض النظـــر عن جدوى الرأى المنتصر ، أو قوة المهزوم ، لقد كانوا آلهة على قدر عال مـــن الدبلوماسية فاستطاعوا أن يقودوا بلادهم إلى الخير العميم .

كما لم يكن تعدد هذه الآلهة الجماعية مقيداً بعدد محدد ، ولذا فقد ســـمحوا لأنفسهم بإدخال عناصر جديدة متزايدة على سبيل التنامى لجملة الآلهة ، بحيـــث ممكن القول بأنهم أرادوا إيجاد حلول لمشكلات تعدد الآلهة الجماعية ، فأضـــافوا إليها مشكلات أخرى ، وهو طبيعة الديانات الوثنية على وجه العموم .

يقول أورسيل : قد كانت المشكلة التى تواجه الأكاديين والسومريين معاً هو كيفية تصور آلهة جماعية تصاغ على ناحية فكرية ، وكلما حاولوا التقدم نحـــو الحل خطوة ، تقهقروا للخلف خطوات ، ولكما ظنوا أنهم وقفوا على حل لإحدى المشكلات فوجئوا بأن ذات المشكلة إزدادت صعوبة فتقـــهقروا باســـرع ممـــا تقدموا [2] وما ذلك إلا لأنهم صنعوا آلهتهم بأنفسهم ، ووظفوها طبقاً لاتجاهاتـــهم الفكرية ، وأخضعوها لتصوراتهم الذهنية ، ومن ثم فلم تنجح محاولاتهم المتوالية فى تقديم أدنى الحلول المقبولة لمشكلة من المشاكل التى صنعوها بأنفسهم .

---

(١) الدكتورة / نمال محمد عميرة ــ الأمبراطورية الآكادية وحضارة الرافدين ص ٣١٥ .

(٢) ماسيون اورسيل ــ الفلسفة فى الشرق ص ١٥٧ ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى ط دار المعارف بمصر ١٩٤٧م

لقد كانت الآلهة الجماعية لدى الآكاديين أول الأمر مجرد فكرة خيالية لاتدعمها ارض الهوامش الفكرية ثم مضوا في هذا الاتجاه حتى اعتقدوها ، والغريب أنهم سلموا بها كجماهير ، وارتضوها على الناحية السياسية ، كما أخذوها مأخذ الاعتقادات التى تمكنت من النفوس وغلبت على الصدور ، بل إنهم انطلقوا بها إلى الأمم الأخرى مبلغين أياها ، لا على أنها عقائد صحيحة ، وإنما بإعتبارها ممثلة لثقافة قومية تنسب إلى الآكاديين على وجه الخصوص .

ونظراً لوقوع نوع من التلاقي بين الشعوب الآكادية واليهودية فقد حدثت أيضاً تفاعلات ثقافية وأخرى اعتقادية ، كما حصل الخلط المقصود بين أفكار وديانات هذه الشعوب ، والدليل أن العهد القديم قد امتلأ بالعديد من الصور والمظاهر التعددية التى تتحدث عن يهوه كإله خاص لليهود ، كما تتحدث عن اليهود كشعب مختار له من قبل الرب [١].

يقول ديتاى : ان اقتباس اليهود من عقائد الأمم الأخرى وعاداتها ليس بالأمر الغريب ، لأن البحث العلمى الدقيق فى تاريخ الديانات القديمة قد كشف عن أوجه التشابه بين قصص العهد القديم والمؤلفات التى صحت نسبتها إلى الأمم الوثنية ، وكان سكان بلاد الرافدين من أكثر الأمم الوثنية التى نقل عنها أحبار اليهود ، وصارت هذه النقول الوثنية المشوهة تمثل الفكر اليهودى الكتابى على أقل تقدير[٢]، أو تمثل صورة من الصور التى تناقلها القوم فيما بينهم ، ثم حملوها للآخرين على أنها نصوص مقدسة ، وما هى إلا أفكار بشرية مقتبسة من الوثنية .

---

(١)الدكتور / فاروق اسماعيل ــ الوثنية مفاهيم وممارسات ص ١١٣ ، وكذلك ليوتاكسيل ــ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ١٧٥.

(٢) أ.ب ــ ديتاى ــ المجتمعات الدينية فى القديم ص ١٢٥ ترجمة حنان نعمة الله طبعة فاضل بدمشق ١٩٦٣م .

بيد أنهم قد اجتمعوا على وصف آلهتهم المتعددة بأوصاف المخلوقين يقــول الإمام الشهرستانى: وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فــرغ من خلق السماوات والأرض،استوى على عرشه مستلقياً على قفـــاه ، واضعـــاً إحدى رجليه على الأخرى [1]كما يفعل سائر البشر متى وقع لواحد منهم الكثــير من التعب ، أو حل به المجهود والنصب تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

ولئن كان اقتباس اليهود من اعتقادات الآكاديين خافتاً أو ضئيلاً ، إلا أنه في كل الحالات قد ترك أثراً كبيراً على العقلية اليهودية ، بـــرزت ملامحـــه فـــي اســـفار العهد القديم ، كما كانت قصصه أحد الميادين التي ظهرت فيه ملامـــح هذه الآثار في شكل واسع .

٢ ــ الآلهة الجماعية في الديانة الأمورية :

الشعب الأمورى من الأمم التى كانت لهم هجرات متوالية ، كما كانت لـــهم نزوحات لم تنقطع ، لكن المشهور أنهم أحد الغصون التى ترجع فى أصلها إلـــى الجنس السامى ، ولذا يقال أن الأموريين هم أول شعب سام / هام ، كانت لـــه إقامة ببلاد سورية ، وكان السومريون أهل الشرق يطلقون على ساكنى الغـــرب بالنسبة لهم اسم الأموريين [2]فالتسمية بالآموريين على هذا النحو تمثل أطلاقـــاً جاء على طبيعة المكان ، لا على الجنس الأصلى للسكان .

وأغلب الظن أن هذه المنطقة كانت فيها اخلاط من السكان قليلـــة العـــدد ، ضعيفة التماسك ، كثيرة الأختلاف ، ولذا لما هاجمت بلادهم هذه الفلول الغازيـــة لم يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم ، بل دانوا للغزاة،وأرتضوا الإنخراط والذوبان

---

(١)الإمام أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستانى . الملل والنحل ج٢ ص ٢٤ تحقيق الأستاذ عبـــد العزيـــز الوكيل مطبعة الحلبى ١٣٨٨هـــ ١٩٦٨م .

(٢)الدكتور فيليب حتى ــ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ٧٠ وما بعدها ترجمة د/ جـــورج حـــداد وعبد الكريم رافق ط دار الثقافة ببيروت ١٩٥٨م .

فيهم ، حتى صاروا جزءا من هذه الأمة ، وعرفوا جميعاً باسم الأموريين الذيـن تأسست منهم دولة نتج عنها العديد من الدول امتدت فى بـلاد سـورية وبـلاد الرافدين [١]وكانت حلقات الوصل بينها وبلاد فارس متواصلة حتى صارت جزء مكملاً للإمبراطورية الآمورية فى وقت من الأوقات .

ومن المؤكد أن الشعب الأمورى كان ــ ككل الشعوب ــ يقبل التفاعل مـع الحضارات والثقافات ، بحيث يأخذ من هذه الثقافات ما يناسبه ويعطيها ما فاض عنه ، ومن ثم يتبادل معها ناتج الثقافات الذي تقوم عليه الحضـارات ، وهـذه **الطبيعة رغم أنها دافعة لتطوير المجتمعات وأنظمتها المختلفة** ، إلا أنها قد تؤدى إلى مالا تحمد عقباه ، متى حدث الاحتكاك الحضارى فأثر سلباً على الجوانـب الإعتقادية والسلوك ، والقيم الأخلاقية .

يقرر توكاريف أن المدن الأمورية قد انتشرت فيـها عمليـة الاعتقـادات المتواصلة في الآلهة الجماعية بشكل كبير حتى صار فى كل مدينة آلهة حمـاة محلية بجنسيها الذكر والأنثى، كما حملت صورها تسميات عامة منها : آيـل، آيلة، بعل ، سلطان ، بعلات ، ربة ، أرون ، السيد ، وكان الاختـلاف بينـها أحياناً يعم تسميات الآلهة لتكتسب صنعة محلية[٢]وهى فى ذات الوقت نوع مـن الآلهة الجماعية .

كما بات الأموريون يعتقدون فى آلهتهم القبلية على أساس أن الههم القديـم الذي كان يرعى قبيلتهم هو الإله مارتو إله الصيد والحرب وكبير الآلهة ، وإلـه الغضب وان هذا الإله القومى خاص بالأموريين وحدهم، وبالتالى أعتقدوا أن له زوجة تقاسمه الأمال ، وتتصف بحب المسرات والنشاط ، وأطلقـوا عليها اسم

---

(١)الدكتورة / خديجة بنت محمد الأقدح ــ ديانات بلاد سورية ص ١٥٣ ط دار الجواد بفاس ١٩٥٥م .

(٢)سير غى أ. توكاريف ــ الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص ٣٥٢ ترجمة د / احمد فاضل ــ الأهالى للطباعة والنشر بسورية الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

عاشرة [١] التي تمكنت من الاستحواذ على قلوب الجماهير من أفـراد الشـعب ، كما أنها أستطاعت الفوز بحب الإله مارتو،أما الإله أمورو ، فقد أعجب بها إلـى أبعد مدى[٢] .

ولا شك أن كثرة الآلهة الجماعية عند الأموريين تكشف عن وجـود أثـار واضحة للثقافات المتباينة التى كانت قائمة فى البلدان المجـاورة للأموريـين ، حيث كانت للأموريين اتصالات بها على ناحية من النواحى[٣]،باعتبار أن الثقافة والاعتقادات الانسانية يحدث لها التلقيح المتواصل ، والازدواج المتكرر، كمـا يقع بينها كل من عمليات المد والجزر الفكرى والثقافى ، بل والعادى فى بعـض الأحيان .

بيد أن هذه الآلهة الجماعية كانت لها رئاسات عامة وأخرى خاصة ، أمـا رئاسة الآلهة الجماعية العامة فكانت في كل من تانيت ، وبعل ، وقمون ، وكـل واحد منها يتولى الاشراف على آلهة اقل حظاً منه ، أو لم تنل حظها من الشهرة وذيوع الصيت الحد الذى بلغته الآلهة الجماعية الرئيسية [٤]ومن ثم فقد كان هـذا التقسيم للآلهة الجماعية أحد السمات البارزة فى الاعتقادات الأمورية .

وليس هذا فحسب — تعدد التقسيمات والرئاسات للآلهة الجماعية — وانمـا ظهرت تقسيمات أخرى للآلهة الجماعية تخضع للسلم أو الحـرب أو تخضـع للخصوبة والإنماء أو للتصحر والحرب ، وهى ما يطلق عليه اسم آلهة الظروف

---

(١)الدكتور فيليب حتى — تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج١ ص ٨٣ وراجع هنرى برستيد العصور القديمة ص ١٩٨ وموسكاتى الحضارات السامية ص ٢٢٥ .

(٢)الدكتورة / تماني محمد الفقي — دراسات في الملل والنحل القديمة ص ١٥٣ .

(٣) وهذا الاقتباس الثقافي يؤكد أن المجتمعات الوثنية تتأثر ببعضها كما يؤثر بعضها في البعض الآخر .

(٤)خريسايف الاشمندريت — أديان العالم القديم ص ٤٨٩ طبعة سان بطرسبرج ١٨٧٣م ترجمة الدكتور فوزى حافظ طبعة بغداد عام ١٩٥٧م .

الطارئة ، أو آلهة المسؤوليات الخاصة[١] ، وقد تمثلت الأفكار الإنسانية هذه الآلهة فى صورة الرعد حيناً والمطر حيناً آخر ، كما تمثلتها فى صورة العاصفة أو الصاعقة .

ومن ثم فلم تكن اعتقادات الأموريين بعيدة عن فكرة تعدد الآلهة الوثنية، وإنما كانت حريصة على تأكيدها والتمسك بها إلى أبعد مدى ، وقد انتقلت بعض هذه الاعتقادات الوثنية إلى الآموريين من بابل ، ومصر ، وآكاد ، وغيرها وهو ما يعرف بالروافد التى استقى منها الأموريون اعتقاداتهم ، ثم قاموا بتصدير هذه الأفكار لغيرهم ، كالشأن مع كل الديانات الوثنية والأفكار البشرية .

ونظراً لتداخل اليهود فى تلك المنطقة من بلاد آسيا ، وانخراطهم بين سكانها مستجيرين بهم حيناً ، خاضعين لسلطانهم في بعض الوقت ، أو وصولهم إليها متاجرين أو مغيرين ، فقد أمكنهم الاطلاع على تلك الثقافات ثم اعتقدوها وعملوا على القيام بها ثم ممارسة هذه الاعتقادات مسجلينها فى نصوص أسفارهم التى بين أيديهم[٢] .

ومن مظاهر ذلك اطلاقهم اسم إيل على الههم تارة ، ثم إطلاق اسم ياهو عليه نفسه تارة أخرى ، وثالثة يطلقون عليه اسم بعل كما يطلقون اسم الوهيم[٣]، وكلها اسماء وجدت لدى الأموريين الأسبق وجوداً ، والذين كانت لليهود معهم اتصالات وإرتباطات ، تؤكد كلها وجود الأثر الوثيق فى الاعتقادات اليهودية ، التى حرصوا على تدوينها فى أسفار كتابهم المقدس ، وما فيه شئ مقدس أبداً .

---

(١) وهو اصطلاح يمكن أن يقع فيه التناسب على ناحية من النواحي التي تجي فيها الآلهة .

(٢) راجع سفر التكوين وسفر الخروج وسترى أنها قد امتلأت بالأفكار التي تعبر عن اتجاهات غير صحيحة ولا معقولة على الناحية الدينية الإسلامية أبداً .

(٣)الدكتور مرسي سعفان ــ اليهود وكتبهم المقدسة ص ١٢٣ ط أولى ١٩٦١م .

من ذلك أنهم اعتقدوا في نوم الإله مع أن الله تعالى لا يغفل ولا ينام ، ففي الأثر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيباً في القوم بأربع كلمات فقال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه[١].

كما أن اليهود أسرفوا في الوثنيات اقتباساً منها ، وتعلقاً بها ، دليل ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن بني إسرائيل قالوا يا موسى هل ينام ربك ؟ قال: اتقوا الله ، فناداه ربه عز وجل ، ياموسى سالوك هل ينام ربك ؟ خذ زجاجتين في يديك فقم الليلة ، ففعل موسى ذلك .

فلما ذهب من الليل ثلث ، نعس فوقع لركبتيه ، ثم انتعش فضبطهما حتى إذا كان آخر الليل نعس ، فسقطت الزجاجتان فانكسرتا ، فقال الله ياموسى لو كنت أنام لسقطت السماوات والأرض فهلكت كما هلكت الزجاجتان في يديك ، فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم آية الكرسي[٢]فجاءت رداً على كل شبهاتهم ، وأجابة على كافة أسئلتهم ، وقاطعة ألوان جحودهم وكفرهم .

ربما يقال أن الآلهة الجماعية كان لها زعيم تحتكم إليه ، ويتولى التعبير عنها ، فهل كانوا جميعاً على قدم المساواة،أم كان هناك نوع من التباين فى تلك المراكز الإلهية ؟ والجواب أن كبير الآلهة كان له دور كبير ورئيسى فى المسألة ومن ثم فلما حطم خليل الرحمن آلهة قومه ، علق ذلك الفعل على كبير آلهتهم مجاراة لهم لعلهم يتوجهون إلي ذلك الصنم الكبير بالسؤال فيعجز عن الجواب ، وبالتالى يظهر لهم أن هذه الآلهة جميعاً آلهة زائفة .

---

(١)الإمام ابن كثير — تفسير القرآن العظيم المجلد الأول ٣٧٥ .

(٢) الشيخ محمد حسن عبد العاطي — تفسير آية الكرسي ص ١٣ ط أولى ١٣١١هـ .

قال تعالى : " فجعلهمْ جُذاذًا إلَّا كبيرًا لَّهمْ لعلَّهمْ إليْهِ يرْجعُون قَالُوا مَن فعل هَذا بآلهتِنا إنَّهُ لمِن الظَّالمِين قالُوا سمِعْنا فتًى يذْكُرُهُمْ يُقَالُ لهُ إبْرَاهِيمُ قَالُوا فأْتُوا بهِ علَى أعْيُنِ النَّاسِ لعلَّهُمْ يشْهدُون قَالُوا أأنتَ فعلْتَ هذَا بآلهتِنَا يَا إبْرَاهِيمُ قَالَ بلْ فعلَهُ كبِيرُهُمْ هذَا فَاسْألُوهُمْ إن كَانُوا ينطِقُونَ فرَجعُوا إلى أنفُسِهِمْ فقَالُوا إنَّكُمْ أنتُمُ الظَّالمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا علَى رُؤُوسِهِمْ لقَدْ علِمْتَ مَا هؤُلَاء ينطِقُونَ قَالَ أفتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا ينفعُكُمْ شيْئًا ولَا يضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ ولِمَا تعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أفلَا تعْقِلُونَ قَالُوا حرِّقُوهُ وانصُرُوا آلهتَكُمْ إن كُنتُمْ فاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وسلَامًا علَى إبْرَاهِيمَ وأرَادُوا بهِ كيْدًا فجعلْنَاهُمُ الْأخْسرِينَ"[1].وكان هؤلاء الأصنام هي المعبودة في ذات الوقت فقد كانوا هم والأصنام من جملة الأخسرين.

٣ ــ تعدد الآلهة الشعبية :

وهم الذين يتجه إليهم أفراد الشعب كل بطريقته ، وعلى الناحية التى يمكنه استعمالها ، وهذا النوع ، ظهر فى شعب إسرائيل حيث كانوا يتجهون إليه جميعاً فى موطن بعينه ، ويختلفون فى هذا الاتجاه طبقاً للظروف والمستجدات التى تحيط بهم ، فهم إن ساروا فى بلد ليلاً زعموا أن هذه الآلهة تسير مع كل واحد منهم فى عمود نور تضئ لهم الطرقات ، وتكشف لهم عن مواطن العثرات .

أما إذا ساروا فى النهار فإن هذه الآلهة الشعبية تتحول معهم إلى سحابة تسير فوق رؤسهم فتظلهم من حرارة الشمس ، ومهما كانوا جمعاً كبيراً ، فإن هذه السحابة تعمهم جميعاً بحيث يكونون تحتها قابعين في الظل ، بينما تكون هي بمثابة الظل الذي لا يأتي من ناحيته الحرور أبداً .

---

[1] سورة الأنبياء الآيات ٥٨ ــ ٧٠ قال صاحبا الجلالين - (فجعلهم) بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم (جذاذا) فتاتا بفأس (إلا كبيرا لهم) علق الفأس في عنقه (لعلهم إليه) أي إلى الكبير (يرجعون) فيروا ما فعل بغيره.

كما تخيلوا أن هذه الآلهة الشعبية يمكنها الدفاع عن بنى إسرائيل فى أى وقت من الأوقات حيث تصب اللعنات على الخصوم [١]وتلقى بهم فى الأزمات وتعرضهم للنوازل والصعوبات التى لاينفكون عنها ، ومن طبيعة هذه الآلهة الشعبية — على كافة مستوياتها — أن التقرب إليها يكون بممارسة الشهوات أولاً أما العبادات والطقوس فشئ ثانوى يمكن الإستعاضة عنه ، أو القيام بغيره ، أو ممارسته هو فى وقت دون آخر.

ومتى مارس اليهودى شيئاً من ذلك على سبيل استرضاء الآلهة أو التقرب إليها فلا يكون مرتكباً لأمر مخالف لتعاليم الآلهة ، بل يكون مطيعاً للإله الذى أخبره فى كتبه تمايز اليهود على غيرهم [٢].

وربما يقال ما هى منابع فكرة الآلهة الشعبية التي صبت في اليهودية ؟ والجواب : أن منابعها كثيرة ، وكذلك المصادر التى قامت بتغذيتها،حيث ظهرت هذه الأفكار فى بلاد الرومان وأشقائهم من الأغريق ، كما برزت ملامحها فى الديانات الصينية والهندية ، والمصرية القديمة والبابلية أيضاً[٣]، وهذه الملامح

---

(١)ليو تاكسيل — التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ١٧٨ترجمة الدكتور ميخائيل حسان وأسفار العهد القديم قد امتلأت بهذه الأفكار مع ما فيها من سطحية ، وخلوها من الجدة ، ومواطن العظة أو الاعتبار ولمزيد من التفاصيل راجع سفر التكوين وسفر الخروج وراجع لتوكاريف الأديان فى تاريخ شعوب العالم ص ٣٧٥ وما بعدها .

(٢)البير كامي — الديانات القديمة ص ١٨٧ .

(٣)هـ . ج . ويلز — موجز تاريخ العالم ج ١ ص١٦٨ وما بعدها ، وراجع لحبيب سعيد أديان العالم طبعة دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ١٩٧٧م ، وجورج قرم — تعدد الأديان وأنظمة الحكم ص ١٤٧— طبعة دار النهار للنشر ببروت ١٩٧٩ ، ولتيودور جيانا كوليس — اليونان شعبها وأرضها ص ١٩٥ترجمة محمد أمين رستم طبعة مؤسسة فرانكلين للطباعة بالقاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣م ، ولاستانلى كاسون — اليونان قبيل بلوغ أوج عظمتها/ ترجمة عبد الحافظ معوض المجلد الثانى من تاريخ العالم ص٢٥٢ نشره جون هامرتون ترجمة إدارة الترجمة بوزارة المعارف المصرية ، مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية

قد تتلاقى فيما بينها ، وقد يحدث التباعد ، لكنها في جملتها تعبر عن شئ غير طبيعي بعيد كل البعد عن الفطرة الإلهية التي فطر الله الناس عليها .

ولاشك أن عقيدة التوحيد الإلهى هي الأصل بجانب كونها الأساس الصحيحلكل دين إلهي لأن الله تعالى واحد لاشريك له ، وهو تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، ولذا فان إثبات وحدانية الله تعالى تكون بالنقل والعقل أما إثبات أسمائه الحسنى فلا تكون إلا توقيفية من الله تعالى . أما عقيدة التعدد بالنسبة للآلهة فى الذات فإنها من ملامح العقائد الوثنية .

وقد بين الله تعالى بطلان هذه الاعتقادات على كل ناحية :

فمن ناحية بطلان عقيدة التعدد الثنائى فى الآلهة قال تعالى:" وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ "[1] .

قال الإمام ابن كثير :يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو ،وأنه لا تنبغي العبادة إلا له،وحده لا شريك له فإنه مالك كل شئ وخالقه وربه. "وله الدين واصبا" ، دائماً غير منقطع[2]على سبيل الوجوب ، خالصا له العبادة وحده ممن في السموات والأرض ، كقوله "أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون" هذا على قول ابن عباس وعكرمة فيكون من باب الخبر وأما على قول مجاهد فإنه يكون من باب الطلب ، أي ارهبوا أن تشركوا

---

(١) سورة النحل الآيتان٥١ ، ٥٢ قال صاحبا الجلالين :وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين ، تأكيد (إنما هو إله واحد) أتى به لاثبات الإلاهية والوحدانية (فإياي فارهبون) خافون دون غيري وفيه التفات عن الغيبة - (وله ما في السماوات والأرض) ملكا وخلقا وعبيدا (وله الدين) الطاعة ، (أفغير الله تتقون) وهو الإله الحق ولا إله غيره والاستفهام للانكار والتوبيخ .

(٢) ومن مال إلى هذا المعنى كل من الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد ، وعكرمة ، وميمون بن مهران ، والسدي وقتادة .

بي شيئا وأخلصوا لي الطاعة كقوله تعالى "ألا لله الدين الخالص"(١) .

ومن ناحية بطلان التعدد المثلث بالنسبة للآلهة قال تعالى : " لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ "(٢).

قال الإمام ابن كثير : "لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة" قال ابن أبي حاتم: هو قول اليهود "عزير ابن الله" وقول النصارى" المسيح ابن الله" فجعلوا الله ثالث ثلاثه(٣)وهذا قول غريب في تفسير الآية أن المراد بذلك طائفتي اليهود والنصارى .

والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ،ثم اختلفوا في ذلك ، فقيل المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة وهو: أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا(٤) والطوائف الثلاثة من الملكانية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم ،وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا ، وكل فرقة منهم تكفر الأخرى،والحق أن الثلاثة كافرة(٥) .

---

(١)الإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ المجلد الثاني ص ٤١٥ .

(٢)سورة المائدة الآيتان ٧٣ ، ٧٤ .

(٣)فاليهود ذكروا واحداً من الثلاثة وهو عزير ، والنصارى ذكروا واحداً من الثلاثة أيضاً وهو المسيح والثالث هو الله جل علاه في كل منهما .

(٤)وهذا المعنى أكثر وضوحاً من ذي قبل على أساس أن يكون المسيح إلهاً وابن إله في وقت واحد ، وكذلك أمه فإنها هي الأخرى داخلة في نطاق الآلهة المتعددة ، ومن ثم فالله جل علاه هو الثالوث المكمل للصنفين الآخرين ، وهو كذب صريح ، وقول فصيح ، ومن ثم أعلن الله كفر الذين عددوا في الآلهة على أية ناحية .

(٥)وقد كذبهم الله تعالى دليل ذلك قوله تعالى :" مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" سورة المائدة الآية ٧٥ .

وقال السدي وغيره: نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار ، ولكن الله يثبت كذبهم على لسان عيسى ابن مريم قال تعالى:"وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك"[١] وهذا القول هو الأظهر والله أعلم.

قال الله تعالى" وما من إله إلا إله واحد" أي ليس متعددا بل هو وحده لا شريك له ، له جمع الكائنات ، وسائر الموجودات ، ثم قال تعالى متوعدا لهم ومتهددا "وإن لم ينتهوا عما يقولون" من هذا الافتراء والكذب" ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم"، في الآخرة من الأغلال والنكال[٢] .

ثم قال "أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم" وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم ، ومع هذا الافتراء والكذب والإفك ، يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ، فكل من تاب إليه تاب تعالى عليه ، جل شأنه إنه هو التواب الرحيم[٣] .

وعن بطلان التعدد بكل ألوانه ، الجماعي والعائلي والشعبي ، قال تعالى : " قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً.سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِير .تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا"[٤]

وفيه إبطال لكل ألوان التعدد ، كأنه تعالى يقول لو مع الله آلهة أخرى كثيرة كما يزعمون ، لكان هناك إله أعظم من الجميع ، إليه يرتدون في كافة شئون

---

(١) سورة المائدة الآية ١١٦ .

(٢) دليل ذلك قوله تعالى وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً إنا لدينا أنكالاً وجحيما وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً " سورة المزمل الآيات ١١ / ١٣ .

(٣)الإمام ابن كثير — تفسير القرآن العظيم — المجلد الثاني ص ٧٣ .

(٤) سورة الإسراء الآيات من ٤٢ — ٤٤

حياتهم وهوالله الواحد صاحب الحول والطول والعزة والمنزه عـــن الصاحبــة والشريك والولد والحاجة ، وما يقع لغير الله[١] .

ثم إن تسبيح السماوات والأرض لما لم يكن إلا له وحده،فقد دل الأمرعلى أنه واحد وكل ما عداه فهو هالك باطل إذا زعم زاعم أنه إله بحال من الأحوال[٢].

وقال الإمام ابن كثير : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شـريكا من خلقه ، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى ، لو كان الأمر كما تقولون،وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه ، وتشفع لديه،لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون **إليه ، ويبتغون إليه الوسيلة والقربة ، فاعبدوه أنتم وحده،كما يعبده من تدعونــه** من دونه[٣] ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه ، فإنه لا يحـــب ذلك ولا يرضاه ، بل يكرهه ويأباه .

وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه ، ثم نزه نفســه الكريمــة وقدسها. فقال "سبحانه وتعالى عما يقولون" أي هــؤلاء المشــركون المعتــدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى "علوا كبيرا" أي تعاليا كبيرا،بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

يقول تعالى تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن ، أي من المخلوقــات وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره ، عما يقول هــؤلاء المشــركون وتشــهد لــه بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته.

ففي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد.

كما قال تعالى: "تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخــر الجبــال

---

(١)الشيخ محمد نصر الدين عطا الله ــ نظرات في سورة الإسراء ص ٤٥ .

(٢)الأستاذ / توفيق محمد ضبيع ــ آيات الله الكونية ص ٩٧ ط أولى ١٩٤٧م.

(٣) والحجة في ذلك ظاهرة ، إذ مادام هؤلاء يتجهون إلى غيره بالعبادة وهذه الأغيار من الآلهة تتجــه هــي الأخرى إلى الله الواحد فكان على العاقل الاتجاه بالعبادة إلى الأصل وهو الله سبحانه وتعالى .

هدا أن دعوا للرحمن ولدا"[١].

وروى أبو القاسم الطبراني عن عبد الرحمن بن قرط[٢] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى المسجد الأقصى ، كان بين المقام وزمزم ، وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات السبع[٣] فلما رجع قال "سمعت تسبيحا في السموات العلى مع تسبيح كثير، سبحت السموات العلى من ذي المهابة مشفقات لذي العلو بما علا سبحان العلي الأعلى ، سبحانه وتعالى" .

وقوله: "**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**" أي **وما من شيء من المخلوقات إلا** يسبح بحمد الله "ولكن لا تفقهون تسبيحهم" أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات وهذا أشهر القولين[٤] كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. وفي حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ في يده حصيات فسم لهن تسبيح كحنين النحل[٥] وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وهو

---

(١)سورة مريم الآية ٩٠ ، ٩١وقال تعالى :" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ . سورة الإخلاص .

(٢)وهذه من رواية الطبراني عن على بن عبد العزيز من رواية سعيد بن منصور عن سليمان بن ميمون مؤذن مسجد الرملة عن عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط وهو الراوي الأعلى .

(٣) لا يقال أنه ذلك من خصوصيات رسول الله حيث كانت تسبح معه الحصى والرمل،بجانب الشجر والمدر، لأنا نقول : ان هناك فرقاً بين أن تسبح لله ، وأن تسبح بين يدي رسول الله ، لأنها في الثاني تسبح لله مع الرسول شهادة بنبوته صلى الله عليه وسلم ، وذلك من معجزاته الحسية .

(٤) ولا مانع من القول بأن تسبيح هذه الكائنات قد يكون بلغة الحال ، كما يكون بلغة المقال ، ولكن عدم قدرة العاقلين على إدراك لغة الحال لا ينفي كونها مسبحة .

(٥) راجع للشيخ العلامة الذهبي ــ تاريخ الإسلام الجزء الثاني ــ السيرة النبوية ، وكذلك للإمام القرطبي ــ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ج ٢ ، ٣ طبعة دار التراث .

حديث مشهور في المسانيد . وفي سنن النسائي عن عبدالله بن عمرو قال: نــهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال "نقيقها تسـبيح"[١] وقــال قتادة عن عبدالله بن أبي عن عبدالله بن عمرو أن الرجل إذا قال لا إلـــه إلا الله فهي كلمة الإخلاص ، التي لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها،وإذا قال الحمد لله فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها،وإذا قال الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لــم يدع الله أحدا من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح. وإذا قال لاحول ولا قــوة إلا بالله ، قال أسلم عبدي واستسلم[٢] .

وروى الإمام أحمد: عن عبدالله بن عمرو قال أتى النبي صلى الله عليــه وسلم أعرابي عليه جبة من طيالسة مكفوفة بديباج: أو مزورة بديباج فقــالّ: إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع بن راع ، ويضع كل رأس بن رأس فقـــام إليه النبي صلى الله عليه وسلم مغضبا فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه فقــال "لا أرى عليك ثياب من لا يعقل" .

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فقال "إن نوحا عليه الســلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال إني قاص عليكما الوصية ، آمركمــا بــاثنتين وأنهاكما عن اثنتين،أنهاكما عن الشرك بالله والكبر،وآمركما بلا إله إلا الله ، فإن السموات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفة الميزان،ووضعت لا إلــه إلاالله في الكفة الأخرى كانت أرجح،ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتهما أو لفصمتهما ، وآمركما بسبحان الله وبحمده ، فإنها

---

(١) والمنهي عنه من القتل هنا هو العبث بها ، أما إذا كان قتلها لما يلحق بها من الأمراض ، أو يحقق مصلحـــة للإنس فإن هذا القتل يكون داخلاً في الأحكام الشرعية الخمسة الحلال ، الحرام ، المكروه ، المندوب ، المباح.

(٢) وفي الحديث القدسي تأكيد نفس الرواية حيث يقول رب العزة جل علاه " قسمت الصلاة بيـــني وبـــين عبدي ، ولعبدي ما سال " راجع الحديث في النفحات السلفية في الأحاديث القدسية ص ٢٥ .

صلاة كل شيء ، وبها يرزق كل شيء"[1].

وروى ابن جرير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه؟ إن نوحا عليه السلام قال لابنه يا بني آمرك أن تقول سبحان الله ، فإنها صلاة الخلق ، وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق" قال الله تعالى "وإن من شيء إلا يسبح بحمده"[2] ،وقال عكرمة في قوله تعالى "وإن من شيء إلا يسبح بحمده" قال الأسطوانة تسبح والشجرة تسبح الأسطوانة السارية وقال بعض السلف صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه،قال الله تعالى: "وإن من شيء إلا يسبح بحمده" .

وقال سفيان الثوري: الطعام يسبح ويشهد لهذا القول قوله تعالى :" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ"[3].

وقال آخرون إنما يسبح من كان فيه روح من حيوان ونبات قال قتادة في قوله: "وإن من شيء إلا يسبح بحمده" قال كل شيء فيه روح يسبح من شجر أو شيء فيه، وقال الحسن والضحاك في قوله: "وإن من شيء إلا يسبح بحمده" قالا كل شيء فيه الروح. وروى ابن جريرعن جرير أبن الخطاب قال كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام فقدموا الخوان [4]فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعد

---

(١) والظواهر النقلية من الأحاديث النبوية كثيرة ، راجع إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، والأذكار للإمام النووي ، وجامع الحكم والأصول بجانب الصحاح الستة ففيها من ذلك كثير جداً ، ورواه الإمام أحمد في مسنده بأطول من ذلك .

(٢) قال ابن كثير في إسناده ضعف لأن عبد الرحمن الأودي أحد رواة الحديث ضعيف عند الأكثر ين .

(٣) سورة الحج الآية ١٨ .

(٤) الخوان: هو ما يقدم عليه الطعام من خشب كالمائدة أو جلد أو ورق أو خلاف ذلك المهم أنه الذي يقدم عليه الطعام ــ راجع أساس البلاغة باب الخاء ص ٨٧ .

يسبح هذا الخوان؟[١]فقال كان يسبح مرة فكأن الحسن رحمه الله ذهب إلى أنه لما كان حيا فيه خضرة ، كان يسبح فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه.[٢]

وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ،أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة،ثم قال "لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا"[٣] قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء إنما قال ما لم ييبسا،لأنهما يسبحان ما دام فيهما خضرة ، فإذا يبسا انقطع تسبيحهما ، والله أعلم .

"إنه كان حليما غفورا" أي إنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة ، بل يؤجله وينظره فإن استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر[٤] قال تعالى :"وَلَقَدْ جَاء آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ"[٥]،كما جاء في الصحيحين "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ"[٦]

ومن أقلع عما هو فيه من كفر أو عصيان ، ورجع إلى الله وتاب إليه تاب عليه ، كما قال تعالى:" ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله

---

(١) والسؤال ليس للاستغراب ، وإنما هو يسأل من باب التعليم لمن كانوا معهم حضوراً ، وهو من الأدب العالي في إبلاغ العلم وتعليمه .

(٢) وفيه دليل على أن الخشب والجلد وكل مخلوق يسبح لله تعالى الواحد الأحد ، الفرد الصمد .

(٣) متفق عليه من رواية الشيخين وأخرجاه في الصحيحين ، وفيه دليل على أن الماء الذي في الرطب هو الآخر يسبح لله الواحد .

(٤) قال تعالى :" فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا" سورة الطارق الآية ١٧ ، وقد اقتضت حكمة الله أنه ما من قوم كفروا بالله وكذبوا بآياته إلا أخذهم أخذ عزيز مقتدر .

(٥) سورة القمر الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٦) سورة هود الآية ١٠٢ .

غفوراً رحيماً"(١). "إنه كان حليما غفورا" كما قال في آخر فاطر "إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا"(٢).

ولما كان التعدد فى الآلهة عقائد وثنية لايليق بالعاقلين تبنيها والإمساك بها ، فإن عقيدة البنوة أو الأبوة لله عز وجل ، هى الأخرى وثنية ، يجب التخلى عنها، والإفلات من خيوطها التى تنسجها العناكب الشيطانية لها ، قال تعالى : " بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "(٣).

إذ لو كان لله ولد ــ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ــ لكان بحاجة إلى صاحبة التي هي أم ذلك الولد ، وما لم تكن صاحبة لم يكن ولد ، وهم قد عجزوا عن إثبات الصاحبة لله ، ومن ثم فإن عجزهم عن إثبات الولد لله يكون على نفس مستوى عجزهم في الصاحبة ــ أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة(٤).

ثم إنه تعالى الواحد الخالق الذي أبدع الكائنات على غير نظام سبق ، وبقدرة قادرة ، وحكمة متمكنة ، وعلم شامل ، وإرادة نافذة، وهو الخالق لكل شئ ، فلو أراد الولد لخلقه وما كان ولد وإنما كان مخلوقاً(٥)، وخلق كل شئ ، ثم إن الولد قد يأتي لإنقاذ أمور يحاتجها الأب ، وبالتالي فلا يكون هذا الأب إلهاً لعجزه عن تصريف أموره بنفسه واحتياجه إلى ابن يقوم له بذات الدور تعالى الله عن ذلك

---

(١) سورة النساء الآية ١١٠ .

(٢)الإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ــ المجلد الثاني ص ٨٧ .

(٣)سورة الأنعام الآية ١٠١ .

(٤)الشيخ عبد العظيم أحمد النكلاوي ــ تفسير سورة الأنعام ص ١٩٥ ط أولى ١٩٣٨م .

(٥)والقضية التى جاء بها القرآن الكريم ضمنها أسباب تمالفها وانهدامها وهو مما يميز الأساليب القرآنية على غيرها ، راجع ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان وصفوة البيان وكذلك مناهل العرفان في علوم القرآن ، والإتقان والبرهان ، فقد تحدثت كلها عن أوجه امتياز القرآن الكريم وأساليبه .

علواً كبيرا . وقال تعالى : " أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا . وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا "(١).

قال الشيخ البروسوي: تكاد السماوات تتفطرن والأرض تنشق والجبال تخر، لأن دعوا لله سبحانه وتعالى ولداً وما يليق به سبحانه إتخاذ الولد ، لأن الولد بضعة من أبيه ، فهو مركب ولابد من مؤلف فالمحتاج إلى المؤلف لا يصلح أن يكون إلهاً أبداً(٢)وهو من الأدلة النقلية والعقلية والكونية على إبطال وجود آلهة سوى الله جل علاه .

وكذلك التصورات الساذجة التى قام بها البعض فى تأليه جماعات الملائكة أو الجن أو غيرهم وتعدد هذه الآلهة ، لأنها جميعاً اعتقادات وثنية باطلة ، ولايقول بها من فى قلبه إدراك لما يجرى حوله قال تعالى : " وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ "(٣). قال الإمام ابن كثير : يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق،فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد ، التي هي على صورهم

---

(١)سورة مريم الآيات ٩١ ـ ٩٥ وقال صاحبا الجلالين : أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا أي ما يليق به ذلك،وما كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ، ذليلا خاضعا يوم القيامة ، منهم عزير وعيسى ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ، ولا واحد منهم ، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ، بلا مال ولا نصير يمنعه .

(٢)الشيخ إسماعيل حقي البروسوي ـ تنوير الأذهان ـ المجلد الثاني ص ٤٢٣ .

(٣)سورة سبأ الآيتان ٤٠ ، ٤١ قال صاحبا الجلالين :واذكر يوم يحشرهم جميعا، أي المشركين ، ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم ، بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها ،كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك ، تنزيها لك عن الشريك ، أنت ولينا من دونهم ، فلا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ـ بل كانوا يعبدون الجن والشياطين حيث يطيعونهم في عبادتهم إيانا ، أكثرهم بهم مصدقون فيما يقولون لهم .

ليقربوهم إلى الله زلفى فيقول للملائكة "أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون" أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال تعالى :" ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل "[١].

كما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب"[٢].

وهكذا تقول الملائكة. "سبحانك " تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله " أنت وحدك ولينا من دونهم ، فنحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء " بل كانوا يعبدون الجن " يعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم " أكثرهم بهم مؤمنون "[٣] كما قال تبارك وتعالى " إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا"[٤]، فما يعبدون من دون الله إلا أوثاناً سموها بأسماء الإناث كاللات والعزي ومناة ، وما يعبدون من دون الله إلا شيطاناً متمرداً ، بلغ الغاية في العتو والفجور ، وهو إبليس الذي فسق عن أمر ربه فلعنه الله ، وطرده من رحمته ، فأقسم الشيطان لربه قائلاً لاتخذن من عبادك الذين أغويهم وأضلهم خطأ مقدراً معلوماً ، حيث أدعوهم إلى طاعتي وأبعدهم عن طاعة من خلقهم فأزين لهم الشر خيراً والكفر ورعاً وتقوى[٥].

---

(١) سورة الفرقان الآية ١٧ .

(٢) سورة المائدة الآية ١١٦ .

(٣)الإمام ابن كثير ــ تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١١١ .

(٤) سورة النساء الآيتان ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) الشيخ محمد عنسي ــ تفسير سورة النساء ص ١٧١ ط الثانية ١٣٣٥هـ .

ومن البدهى القول بأن تعدد الآلهة لدى اليهود— في الذوات والأسماء — لم يكن أمراً طارئاً عليهم وإنما هو أمر طبيعى فيهم حرصوا عليه ثقافة واعتقاداً ، كما حرصوا على القيام به ممارسة وسلوكاً ، ولم تنل هذه الاعتقادات جيلاً بعينه أو مرحلة محددة ، وإنما كانت ثابتة مع اليهود فى كل أجيالهم بدليل أنها صحبتهم فى رحلتهم من البداية حتى المنتهى[1] ، لكنها قد تخفى بعض ملامحها فى حين من الأحيان ، ثم لا تلبث أن تبرز بشكل أكثر علانية وسفوراً ، وهو ديدن اليهود فى كل زمان ومكان ، ومن ثم استحقوا اللعن من الله عز وجل .

قال تعالى :" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ. كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ. تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ".[2]

قال العلامة أبو حيان: لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل في الزبور على لسان داود وعلى لسان موسى في التوراة ، وعلى لسان عيسى في الإنجيل

---

(١) وقد ظهر ذلك منهم بعد إنجاء الله لهم من فرعون وجنده ، قال تعالى:" وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ " سورة الأعراف الآيات ١٣٨ — ١٤٠ .

(٢)سورة المائدة الآيات ٧٨ — ٨١ قال صاحبا الجلالين : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود بأن دعا عليهم فمسخوا قردة وهم أصحاب أيلة ،وعيسى ابن مريم، بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة ، وذلك اللعن بما عصوا وكانوا يعتدون ، كما كانوا لا يتناهون حيث لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى يا محمد كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، من أهل مكة بغضا لك ،لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ، من العمل لمعادهم الموجب لهم ، وأن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي محمد ، وما أنزل إليه ما اتخذوهم. أي الكفار أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ، خارجون عن الإيمان . الجزء الأول ص ٣٢٨ .

وعلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن [١]

ربما يقال هل يمكن اعتبار المنافع والمخاوف من جملة الآلهة الشعبية ، أم يمكن النظر إليها على أنها أنماط لمجموعة من الإعتقادات التي تتعلق بالمنافع والمخاوف دون اعتبار لفكرة التعدد ، ودون النظر أيضاً إلى ما إذا كانت شعبية أو جماعية أو عائلية أو غير ذلك .

والجواب : ان الله تعالى خلق عوالم لانعلمها على حقيقتها فى العالم الغائب، كما أن العوالم التى نقف علي بعض مظاهرها من العالم المشاهد،لا ندركها ايضاً على حقيقتها ، وإنما نعلم منها ما أعلمنا الله تعالى اياه وهو الغالب ، أما ما يقع تحت معارفنا الحسية ، والعقلية ، فهو قليل جداً إذا قورن بغيره ، وأن هذه العوالم التى ندركها بحواسنا وعقولنا ، منها :

ما يتعلق بالمنافع كالليل والنهار [٢] والشمس والقمر [٣] وكلها واقعة تحت قدرة الله وخاضعة لارادته ، قال تعالى : " ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ "[٤].

قال العلامة صاحب التسهيل: الغرض الرد على من نسب لله الولد من وجهين ، أحدهما : أن الولد لا يكون إلا من جنس والده ، والله تعالى متعال عن الأجناس كلها ، لأنه مبدعها ، فلا يصح أن يكون له ولد.

ثانيهما: أن الله خلق السماوات والأرض ومن كان هكذا فهو غني عن الولد ومن كل شئ [٥].

---

(١)الشيخ أبو حيان التوحيدى ــ البحر المحيط ــ المجلد الثالث ص ٥٣٩ .

(٢)قال تعالى : " وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" سورة القصص الآية ٧٣ .

(٣)قال تعالى : " وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا " سورة نوح الآية ١٦ .

(٤)سورة الأنعام الآية ١٠٢ .

(٥) التسهيل في علوم التنزيل ج ٢ ص ١٨ .

ثم أنه تعالى أكد على وحدانيته وتفرده بالخلق والإيجاد ، ومــن ثــم فــهو المستحق وحده بالعبادة .

وما دامت كل الأشياء مخلوقة لله تعالى فلا يمكن اعتبارها آلهة شــعبية أو غير ذلك ، إنما هى مخلوقات جرت بها سنة الله ، وهى ايضاً تسبح بحمــد الله ، قال تعالى :" الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ. وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَالسَّمَاء رَفَعَــهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ."(١)

قال العلامة صاحب حاشية زادة : الشمس والقمر من خلـــق الله ، وهمــا يجريان بحساب معلوم في بروجهما على سبيل التعاقب ويتناقلان في منازلـــهما من منزل إلى آخر طبقاً لما جرت به سنة الله تعالى ، وبتحقق به مصالح العباد، فلا يحدث خلل أو إضطراب ، كما أن النجم والشجر ينقادان لله تعالى فيما يأمر به ، وما يريد منهما ، النجم بالتنقل بين البروج ، والشجر بـــإخراج الثمـــار(٢)، والعاقل هو الذي ينظر إلى هذه المخلوقات نظرة فيها العظة والاعتبار ، بجـانب قبول الحق والانصياع له ، مع الإقرار بوجود الله تعالى ووحدانيتـــه ، وتــرك الشركاء ، إذ لا يصح من العاقل الكفر والعصيان في الوقت الذي أعلنــت فيــه الطاعة والتوحيد الخالص الجمادات ، والنبات ، بجانب الكونيات ، فمن أطاع الله تعالى نجا ، ومن عصاه هلك ، وتعدد الآلهة والاعتقاد فيها مهلكة ، وخســـران مبين بجانب كونه معصية وكفراً بالله رب العالمين .

وقال تعالى : " تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَــيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (٣) . قــال الشــهيد السيد قطب : إنه لمشهد كوني رائع فريد ، حين يتصور القلب كل حصاة ، وكل

---

(١)سورة الرحمن من الآيات ٥ — ٧ .

(٢)حاشية الشيخ زادة على البيضاوي ج ٣ ص ٤٢٧ .

(٣)سورة الاسراء الآية ٤٤ .

حجر ، كل حبة وكل ورقة ، وكل زهرة ، وكل ثمرة ، كل نبتة وكل شجرة ، كل حشرة وكل زاحفة ، كل حيوان وكل إنسان ، كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء ، ومعها سكان السماء ، كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه ، وحين تشف الروح وتصفو ، تدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون[١].

وما دامت هذه العوالم مما خلقها الله ، ولا نعلمها على الحقيقة ، وهي تسبح الله تعالى ، وتنطق بعظمته ، أفلا يكون الإنسان الذي رزقه الله العقل ، وأغدق عليه النعم ، جديراً بأن يحمد الله تعالى ، ويقف على توحيده ، ويتمسك بوحدانيته وعظمته ، بجانب تقديسه عن كل ما سواه ؟!

كما قد استقر فى العقول الصحيحة ، والفطر السليمة النقية ، والضمائر الخيرة ، أنه ما دامت الكائنات كلها قائمة على أقدار الله تعالى ، وخاضعة لقدرته ، كما أنها واقعة تحت إرادته ، ومنكشفة تحت علمه الأزلى ، وسارية طبقاً لسنن الله فى الكون ، فإن الضرورة العقلية تستلزم ان يتوجه الجميع من المخلوقين إلى الله تعالى بالاعتقاد الصحيح ، والعبادة الحقة لقوله تعالى :" إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي إن الساعة ءاتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى."[٢]

قال الشيخ الصاوي: إنني أنا الله المستحق للعبادة وحدي ، لا إله غيري، فأفردني بالعبادة والتوحيد ، وخص الصلاة بالذكر وإن كانت داخلة في جملة العبادات لعظم شأنها ، واحتوائها على الذكر ، وشغل القلب واللسان والجوارح فهي من أفضل اركان الدين بعد التوحيد[٣]، ومن ثم فإن الله وحده هو الذي يجب

---

(١)الأستاذ / سيد قطب ـــ الظلال ج ١٥ ص ٣٩ .

(٢) سورة طه الآيتان ١٤ ، ١٥ .

(٣) العلامة الشيخ أحمد الصاوي المالكي ـــ حاشية الصاوي على الجلالين ـــ المجلد الثالث ص ٥٠ .

الاعتقاد فيه فون سواه ، كما يجب أن يتوجه المرء إليه وحده بالدعاء ، والرجاء لأن العقائد الأخرى باطلة ، كما أنها تعبر عـــن مخلوقـــات ، أو تحملـــها ذات المخلوقات.ولا يعقل أن تكون هذه المخلوقات واقعة فى نطاق الاعتقادات الوثنية أبداً حتى توصف بأنها آلهة شعبية أو عائلية،أوغير ذلك من النعوت والتسميات.

ثم ان الله تعالى يرسل الرياح فتدفع السحاب إلى جهة يعلمها هو جل شـــأنه فيسقط الماء على تلك الجهة ، وحينئذ تتحول الأرض من موات إلى مدن حيــة ، ومن خربة إلى عامرة ،على أن ذلك كله إنما هو من آيات الله الكونية فلا علاقة لها بالاعتقادات الوثنية جاء بعضها على ناحية التأكيد من كونها مخلوقة لله إبتداء وضرب الله بها الأمثال للبعث في الآخرة ، حتى لا يستبعده من في قبله هـــوس شيطاني ، قال تعالى: " وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ "[1]قال الشيخ الصابونى: والله تعـــالى بقدرته هو الذي يرسل الرياح مبشرة بنزول المطر،فحركت الريـــاح الســـحاب وأهاجته ، فتشير تلك الصورة استحضار ما للخالق من عظمة ، وما يدل علـــى كمال القدرة والحكمة[2].

ولا تختلف المخاوف عن المنافع من هذه الناحية انها جميعاً تجرى بقـــدرة الله ، وتخضع لإرادته جل شأنه ، وتسير طبقاً لما أمرها جل جلاله على أنها من آيات الله حسب ما جاء به النقل المنزل في مثل قوله تعالى : " هُوَ الَّذِي يُرِيكُـــمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِـنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَـــدِيدُ الْمِحَالِ" [3]. قال الشيخ البروسوي : الله وحده المتفرد بكـــل شـــئ ، لا معقـــب

---

(١)سورة فاطر الآية ٩ .

(٢)الشيخ محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير الجزء ١٢ ص ٥٦٧ .

(٣)سورة الرعد الآيتان ١٢ ، ١٣ .

لحكمه ، فهو يريكم البرق الذي يلمع من السحاب ، اخافة من الصاعقة وخـراب البيوت ، وطمعاً في الغيث ، ورجاء البركة ، حيث يكون المطر لبعض الأشياء ضرراً ، ولبعضها رحمة ، فيخاف منه المسافر ، ومـن فـي خزينتـه التمـر والزبيب ، ويطمع فيه المقيم وأهل الزرع والبساتين ، ويخلق السحاب الممتلئـة بالماء ، ويسبح ملك الرعد الذي خلق من نور الهيبة الجلالية ، والرعد صوتـه الشديد يسوق السحاب بصوته كما يسوق الحادي الإبل بحدائه ، وتسبيح الرعـد يكون بحمد الله ، وتسبح الملائكة من خوف الله وخشيته ، وهيبتـه وجلالـه ، وليس خوفهم كخوف أبن آدم ، فإنه لا يعرف أحدهم من على يمينه ، ومن على يساره ، كما لا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شئ أصلاً ممـا يقـع لبني آدم [1].

من هنا فليس من الممكن اعتبار هذه المنافع أو المخاوف آلهة علـى أى نحو من الأنحاء والإحتكام في ذلك لا يكون إلا إلى الأصول الشرعية التى جـاء بها الأنبياء والمرسلون من لدن رب العالمين لقوله تعالى : " اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِـلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْـدَارٍ.عَـالِمُ الْغَيْـبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ. سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِـهِ وَمَـنْ هُـوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ"[2].فلا يغيب عن علمه شئ صغر أو كبر ، كـان عظيماً أم حقيراً ، بل إن المنافع والخاوف كلها في يمينه سواء ، وتحت قدرتـه واقعة ، وبإرادته النافذة ، وحكمته البالغة ، ولا يمكن لأية معبودات أخـرى أن تنال ذلك ، أو يكون لها من الجلال والكمال شئ مما هو لله رب العالمين .

بل ماذا يقول اصحاب عبادة المنافع والمخاوف فى البراكين التى تنفجر مـن باطن الأرض دون سابق إنذار،فإذا هى تحيل العامرات إلى خرابات ،والأخضر

---

(١) الشيخ إسماعيل حقي البروسوي : تنوير الأذهان ـــ المجلد الثاني ص ٢٥٠ ، ٢٥١ بتصرف .

(٢) سورة الرعد الآيات ٨ ـــ ١٠ .

إلى صريم بواديه سوداوات ، حيث ترسل بالحمم والمقذوفات التى تجئ معـــها ألسنة اللهب المحرقة ، فتحيل المنطقة كلها إلى أطلال بالية والأرض الخضـــراء اليانعة إلى جرداء سوداء[١].

فهل يمكن اعتبارهذه المدمرات آلهة ،وما هى إلا من ســنن الله الكونيـــة ، وأفعاله الآلهية ، يرسلها رحمة للمهتدين ، وعقاباً للعاصين ، لاشـــك أن الـــذى يعتبرها آلهة لايمكن النظر إليه على أنه واحد من العقلاء ، بقدر ما ينظر إليـــه على أنه واحد ممن فقدوا القدرة على النظر العقلى الصحيح ،ومثلهم لاعبرة به .

ثم ان الدلائل القطعية قائمة على أن الله تعالى متفرد فى ذاتـــه وصفاتـــه وأفعاله ، " بل أن صفات الله عز وجل عز بلا ذل ، وقدرة بلا عجز ، وقوة بلا ضعف ، وعلم بلا جهل ، وحياة بلا موت [٢]ومن ثم فالله وحده هو الإله المعبود بحق وما عداه فإنما هي معبودات من دون الله مردودة فى وجوه أصحابها ، قال تعالى : " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ. لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ"[٣].

وكان الله تعالى يقول للظالمين جميعاً ، إنكم وما تعبدون من أوثان وأصنام أو أحجار وتماثيل كلكم وقود جهنم ، ولابد أن تدخلوها جميعـــاً ، فلـــو أن مـــا تعبدون آلهة على الحقيقة ، ما دخلوا جهنم وما التظوا بلهيب نيرانها ، إذن أنتـــم وهم ـــ العابد والمعبود ـــ في نار جهنم خالدون ، حيث يقع عليكـــم غليانـــها ، وشدة نيرانها ، ومن ثم فلا تسمعون شيئاً وفيه تهديد لهم بالعذاب الشديد .

---

(١)الشيخ / محمد نصر الدين البنايوسى ـــ من سنن الله الكونية ص ٧٣ طبعة دار الأستانة ١٣١٥هـــ .

(٢)الشيخ سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل ـــ الفتوحات الآهلية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ج٤ ص ٥٢٩ ط دار المنار بالقاهرة ـــ وراجع حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالـــين ج٤ ص ٣١٤ طبعة دار الفكر بمصر .

(٣)سورة الأنبياء الآيات ٩٨ / ١٠٠

ومن الملاحظ أن بعض العقول الملحدة قد أغربت فى الخيال أو سافرت معه وركبت متن الأحلام الجائرة من خلال الشطط ، ولعبت بأوتار أصحاب العقـول الضعيفة ، فتراقصت معها فوق حبال سيرك الأهواء، حتى قلبتهم فوق رؤسهم ، فانكسرت أعناقهم تحت أقدام آلهة من المؤكد أنها ستكون خصوماً لأصحابها يوم القيامة ، قال تعالى :" لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ "[١].

وقال تعالى : " فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ . وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ "[٢].

وقال تعالى : " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ" [٣].

وفى تقديرى أن تعدد الآلهة على أية ناحية ، إنما يمثل نوعاً من الخـروج على الفطرة الإلهية بقدر ما هو خروج على دين الله تعالى ، والآيات القرآنية قد جاءت تخاطب العقل الصحيح بوجود الله ووحدانيته وتنزيهه جل علاه عن كـل أوجه المماثلة والمشابهة والمشاكلة ، من ذلك قوله تعالى : " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا"[٤].

---

(١)سورة الرعد الآية ١٤ .

(٢)سورة الأحقاف الآيتان ٢٨ / ٢٩ .

(٣)سورة الأنبياء الآيات ٩٨ — ١٠٠

(٤) سورة الطلاق الآية ١٢ .

كما أخبرهم أن الخالق يستحيل أن يتعدد على أي ناحية من نواحي التعدد ، قال تعالى : " قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" [١].

وقوله تعالى : " أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ . لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ " [٢] .

وقوله تعالى : " قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ . أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ . أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ " . [٣]

---

(١) سورة الرعد الآية ١٦

(٢) سورة الرعد الآيتان ١٧ ، ١٨

(٣)سورة النمل الآيات ٥٩ ـــ ٦٤ .

وقد أبطل الله تعالى كل هذه الأفكار الإلحادية التى تحاول أو تزعم تعدد الآلهة ، وجاء هذا الإبطال على الناحية التي يحتكم إليها العقلاء رغم ورود مادة الإبطال في الآيات القرآنية من خلال نصوص قطعية في ورودها قطعية ايضاً في دلالتها من ذلك قوله تعالى:" لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ"[1] .

ورغم وضوح هذه الدلائل والبينات وكثرتها إلا أن بعض العقول المستكبرة مازالت مصرة على الإلحاد في الله وآياته والتخلى عن هذه الدلائل كلها ، **وإهمال كل هذه التنبيهات الآلهية من أولها لآخرها ، كما تسرف فى أتباع أهوائها ، فتعتقد الهة باطلة ، وتعبدها من دون الله ، يستوى فى ذلك أن يكون التعدد فكرة مجردة قائمة فى خيالاتهم ، أو كائناً مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى.**

قال تعالى : " وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ . ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ . انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ " [1].

بيد أن اليهود قد وقفوا على هذه الاعتقادات القائمة ن حيث التعدد فى الآلهة فصدقوها ثم التمسوا لأنفسهم طريقاً فيها ، فعددوا فى الآلهة على طريقتهم مستخدمين مسألة بنوة العزير لله طريقاً تارة ، ومسألة بنوتهم هم جميعاً لله تعالى

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٢ وقال صاحبا الجلالين : لو كان في السموات والأرض آلهة إلا الله معبودة لخرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه ، فسبحان تنزيه (الله رب) خالق (العرش) الكرسي (عما يصفون) الكفار الله به من الشريك له وغيره) .

(٢)سورة الأنعام الآيات ٢٢ ــ ٢٤ وقال صاحبا الجلالين : اذكر يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا توبيخا (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) أنهم شركاء الله ، ثم لم تكن (فتنتهم) بالنصب والرفع أي معذرتهم (إلا أن قالوا) أي قولهم (والله ربنا) بالجر نعت والنصب نداء (ما كنا مشركين) ، قال تعالى: (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم) بنفي الشرك عنهم (وضل) غاب عنهم ما كانوا يفترونه على الله من شركاء .

تارة أخرى ،قال تعالى:" وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ"(١) فصار تعددهم فى الأولى قائمـــا فى الإله والعزير ، وفى الثانى اعتبروا أنفسهم آلهة كاملة .

وبالتالى فقد ساقهم التعدد فى الآلهة إلى تجسيم هذه الآلهة ، بحيث يمكـــن القول بأن اليهود قد امتصوا الأفكار الوثنية ، ثم صبغوها بصبغة لاهوتية تحمـل المسحة الوثنية ،حتى تنطلى على العامة منهم والخاصة قاتلهم الله أنى يؤفكون.

كما أن هذا الأثر الوثني لا يمكـــن إهمالـــه أثنـــاء دراســـة المصـــادر أو الاعتقادات اليهودية ، وإلا فإن ذلك الإهمال سيفتح الباب واسعاً لتضليل العقـول التي قد تصدق أن العهد القديم الذي كتبه اليهود بأيديهم ، هو نفسه التوراة التـــي أنزلها الله عليى موسى عليه السلام ، مع أن التوراة الإلهية كان فيها هدى ونوراً أما ما صنعته أيديهم فما فيه إلا الضلال والخسران المبين .

وقد سجل القرآن الكريم عليهم أنهم أخفوا التوراة ، ولعبوا بأحكامها فكـانوا يبدون القليل من هذه النصوص والأحكام ، ويخفون الكثير ، حتى تلاشت التوراة وحل محلها ما يسمونه العهد القديم ، قال تعالى:" وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَـــى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُـواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ "(٢).

ولما كانت الأمم الوثنية واليهود يشتركون جميعاً في الاعتقادات الباطلـــة ، والعبادة الفاسدة ، فقد نبههم القرآن الكريم إلى حقيقة ثابتة ، وهم يمارسونها فـــي حياتهم على الدوام ، وهي طلب الرزق الذي به المعايش ، فهل يطلبون الـــرزق

---

(١) سورة المائدة الآية ١٨

(٢) سورة الأنعام الآية ٩١ .

من الأوثان التي يعتقدونها ، والأصنام التي يقومون عليها ، أم يطلبونـــها مـــن ناحية أخرى ، وهي ناحية الخالق العظيم جل جلاله ، والعاقل يطلب الرزق مـن الخالق لأنه الرازق ، ولا يطلبه من المخلوق لأنه مملوك ، قال تعـــالى:" إِنَّمَـا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِـــن دُونِ اللَّـــهِ لَـا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"[١].

وكالحال مع كل المكذبين بالله وآياته ، يحرك القرآن الكريم فيهم الجوانـــب الخفية ، وينطلق بهم بعيداً عن المسائل التقليدية ، ويرفعهم إلى المصاف التـــي تظهر فيها السمات والقسمات الروحية ، حين يستشعر العبد أنه مملوك لخالقـه ، وأن كل الكائنات هي الأخرى مملوكة لله عظيمها والصغير ، جليلها والحقير .

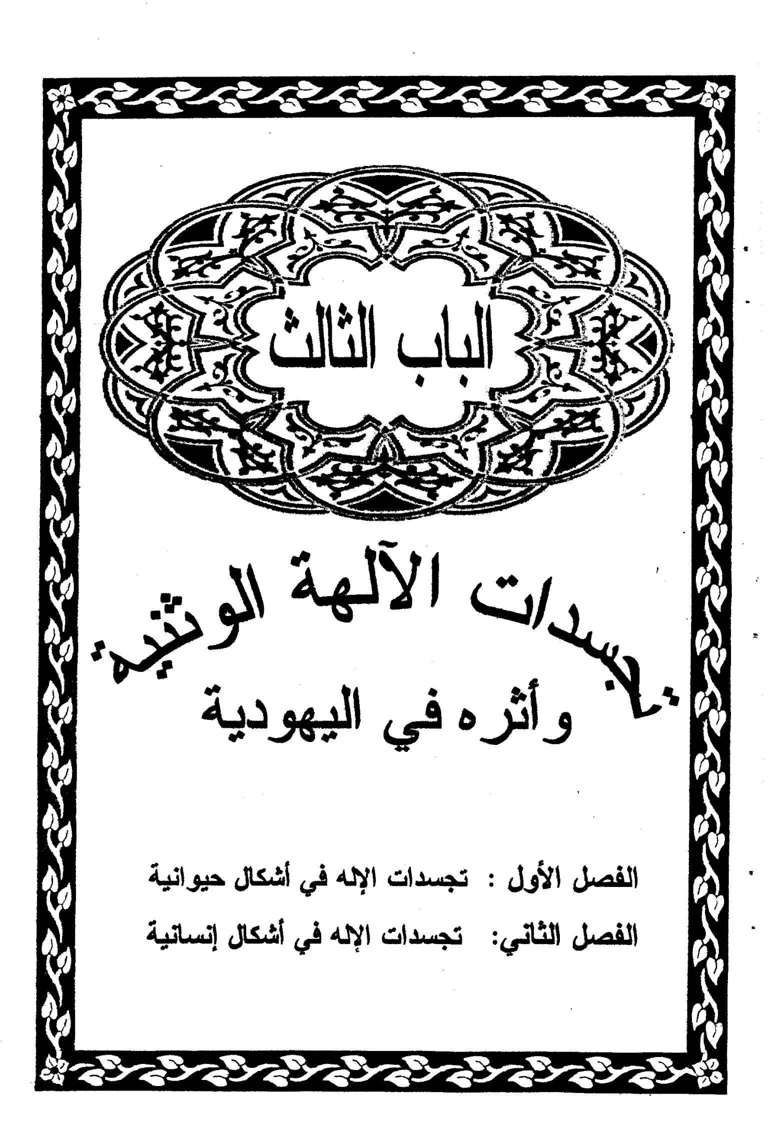
ومن ثم فإن الاعتقاد في آلهة غير الله تعالى إنما هو إنحراف عن الفطـــرة السليمة ، وجنوح بالقدرات العقلية إلى ما فيه هلكتها ، قال تعالى:" وَقَـــالَ إِنَّمَـا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ"[٢].

بناء عليه فإن تعدد اليهود في الذوات التي حسبوها إلهية ، أو في الصفـات التي أطلقوها على الذات الإلهية ، أو غير ذلك من التعدد ، فإنها تكشف حـرص اليهود على الخروج عن الشرع الإلهى ، الذي استقر فـــي الفطـــر الســـليمة ، والعقول الصحيحة ، وفي نفس الوقت يكشف عن ما يختبـــئ داخـــل نفوســـهم المريضة ، وتعبر عنه مفرداتهم التي لا تعرف للحق وجهة ، ولا للهداية طريقاً، ولا لشرع الله تعالى مسلكاً ، والله منهم برئ ورسوله ، لعنهم الله ولهم عـــذاب أليم ، أعاذنا الله منهم ، ونجانا من شرورهم ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) سورة العنكبوت الآية ١٧ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٢٥ .



الباب الثالث

تجسدات الآلهة الوثنية وأثره في اليهودية

الفصل الأول : تجسدات الإله في أشكال حيوانية

الفصل الثاني: تجسدات الإله في أشكال إنسانية

((مدخـــــل))

ما عرفت الفطر النقية ، والعقول الصحيحة ، ولا استقر في أعماقها سوى الخالق العظيم جل علاه رب العالمين ، إلهاً واحداً لاشريك له جل علاه ، تـــنزه عن كل صفات المخلوقين ، كما تنزه عن كل الشبيه والصاحبة والولد ، وتعـــالى عن الند والشريك .

قال تعالى: " فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِـــنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[١].

قال الإمام القرطبي: إن الله جل اسمه في عظمتـــه وكبريائـــه ، وملكوتـــه وحسن اسمائه ، لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، ولا يشبّه به أحد ، وما أطلقه الشرع علىٰ الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم عز وجل بخلاف صفات المخلوق ، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض ، وهو تعالى منزه عن ذلك ، وقال بعض المحققين : التوحيد إثبـــات ذات غـــير مشبهة للذوات، ولا معطلة من الصفات ، وزاد الواسطي فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، وهذا مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة[٢].

تعالى رب العالمين عن مشابهة كل الكائنات ، وتفرد على سائر المخلوقات، كيف لا والضرورة العقلية قاضية بأن الله الفاعل القادر الحكيم المختار ، يتمـايز على كافـــة المخلوقات ، ومن ثم فلا يعرف الله على الحقيقـــة إلا الله[٣] ، ومـــا

(١) سورة الشورى الآيتان ١١ ، ١٢ .

(٢) الإمام القرطبي ـــ الجامع لأحكام القرآن ـــ الجزء ١٦ ص ٨ .

(٣) يقول الإمام الغزالي: لا يعرف الله سبحانه وتعالى كنه معرفته إلا الله تعالى ـــ الإمام الغزالي إلجام العوام عن علم الكلام ص ٩٤ ضبطه رياض مصطفى ـــ منشورات دار الحكمة ـــ بيروت ١٤٠٧هـــ ١٩٨٦م .

يعرفه الخلائق عن الله تعالى من حيث الأسماء والصفات ، وتنزيه الذات ، هـو ما جاء به عن الله تعالى خبر النبوات والرسل بالرسالات .

وعلى هذه القاعدة الأصيلة ، والعقيدة الصحيحة جاءت رسالات الله تعـالى لكل الأمم وكل الكائنات التى تسبح الله ، لقوله تعالى :" تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا "[1] .

و"لا أغالي إذا قلت: إن الله تعالى طبع دليل وجوده ، وعلامات توحيده فى حنايا قلوب **كافة الكائنات ، من باب أن كل صانع يضع فى صنعته ما يدل عليه** وفى الحديث الشريف "إن الله صانع كل مصنوع وصنعته "[2].

يقول الإمام الفخر الرازي: إن عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله تعـالى على الحقيقة ، لما كان كل ما تتصوره النفس فالله بخلافه ، فلم يتمكـن العقـل والنفس من الإشارة إلى حقيقة معلومة ، بأن حقيقة الإله هي هذه الحقيقة[3]

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

والله عز وجل خاطب العقلاء بالأدلة القائمة فيهم ، الدالة كلها على وجـود الله تعالى وتوحيده ، فقال تعالى:" وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ "[4].

ويروى عن سهل بن عبد الله أنه سئل عن ذات الله تعالى فقال : ذات الله

---

(١) سورة الإسراء الآية ٤٤

(٢) رواه السيوطي مرفوعاً ، والحاكم وصححه البيهقي — إن الله صانع كل صانع وصنعته راجع للشيخ محمد جمال الدين القاسمي دلائل التوحيد ص ٢٥ .

(٣) الإمام الفخر الرازي — عجائب القرآن ص ١٤٤ تحقيق عبد القادر أحمد عطا طبعة دار الكتب الإسلامية ١٤٠٢هـ — ١٩٨٣م .

(٤) سورة الذاريات الآيات ٢١/٢٣ .

موصوفة بالعلم ، غير مدركة بالإحاطة ، وقد حجب الخلق معرفة كنه ذاتـــه ، ودلهم عليه بآياته ، والقلوب تعرفه ، والعقول لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنـــون بالأبصار في الآخرة ، من غير إحاطة ولا إدراك نهاية[١].

لكن بعض العقول قد تتبع الهوى فيهوى بها بعيدا عن منـــهج الله تعـالى ، ومن ثم يخالفون تعاليمه التى جاء بها الأنبياء ، وبلغ بها المرســلون ، وحينئـذ يحاولون إيجاد علاقة بين أهوائهم ورغبات ما هو قائم فى أعمـــاق أفئدتـــهم ، فيصطنعون لأنفسهم عقائد هى نتاج عقولهم القاصرة ، ودلائل على انحرافاتـــهم المتواصلة ، وتكشف طويتهم التي يحاولون إخفاءها عن الآخرين .

بيد أن هذه العقائد قد تغير أصحابها فى أشكالها،كما تغير الحية جلدها، وهم فى سبيل ذلك لا يبالون فى أى طريق يسلكون ، ومن ثم يلتزمون العقائد الفاسدة ويتمسكون بها،وربما طالبوا غيرهم بالخضوع لها،والتزام ما فيها،ولا مانع لديهم من بذل مجهودات متواصلة،لاقناع السذج من تابعيهم بقبول مثل هذه الأوهـــام والخرافات على أنها من صحيح الاعتقادات ، وأنها فى ذات الوقت — متى أمكن التمسك بها — تحقق أنواعا مختلفة من النجاحات بين أفراد البشرية[٢] ، وربمـا أوهموهم أنها نفس التعاليم الإلهية،لكنها جاءتهم بناء على طلب من قادة الإنسانية

هذه الانحرافات متى تكاثرت ، فإن الابتعاد المتواصل عن هدى الله يجعلـها تزداد نموا وانتشارا،حتى تصير هى الغالبة بين الناس ، فى الوقت الذى تختفـي تعاليم الله — متى أراد جل شأنه — أن يرفعها عن هؤلاء الناس معاقبة لهم على خروجهم عن المنهج الذى جاءهم به نبى الله لهم قال تعالى : " والذيـــن كذبـوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صـــراط

---

(١)الإمام الفخر الرازي — عجائب القرآن ص ١٤٤ .

(٢)هذه المزاعم قد تنطلى على البعض من السذج في العقيدة ،وان لم يكونوا سذجا من ناحية القدرات العقلية والإمكانيات النفسية .

مُستقيم " ﷺ.(١) قال الحافظ ابن كثير : "والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات" أي مثلهم في جهلهم ، وقلة علمهم ، وعدم فهمهم،كمثل أصم وهو الذي لا يسمع،أبكم وهو الذي لا يتكلم،وهو مع هذا في ظلمات لا يبصر،فكيف يهتدي مثل هذا إلى الطريق،أو يخرج مما هو فيه،كقوله تعالى"مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ"(٢)

وكما قال تعالى: "أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ"(٣)ولهذا قال "من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم"أي هو المتصرف في خلقه بما يشاء.(٤)وهو مذهب أهل الحق .

كما أن أصحاب الاعتقادات الفاسدة يعملون على التقعيد لها، وإحاطتها بالعديد من أوجه الدفع المتواصل ، حتى تصير موروثات يتمسك بها من يطمعون فى أولئك الذين مارسوها ، ومن نفس القاعدة يدافعون عنها ، ويجادلون فيها من دون نظر إلى استحالة اعتبارها بديلاً عن ما شرع الله ، أو عجزها في تحقيق النفع لذاتها ، أو دفع الضر عن المعتقدين فيها ، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ "(٥)ﷺ

---

(١)سورة الأنعام الآية ٣٩

(٢)سورة البقرة الآيتان ١٧ ، ١٨ .

(٣)سورة النور الآية ٤٠ .

(٤)الإمام ابن كثير — تفسير القرآن العظيم — المجلد الثاني ص ١٢٧ .

(٥)سورة الحج الآية ٧٣ .

فالذي وقع عليه النداء والأمر وضرب المثل هو ذلك الإنسان العاقل الـــذي وقع في الإشراك بالله تعالى ، فالله تعالى يقول لهم جميعاً أيها المشركون بـــالله ضرب الله مثلاً لما يعبد من دون الله أوثاناً كانت أم أصنامـــاً أم حشـــرات ، أو حيوانات ، أو غير ذلك ، اعقلوه وتدبروا فيه أن هذه المدعوات من دون الله لـن تعدوا فرادى أو مجتمعين على خلق أضعف كائن حي وهو الذبابة ، فهل يليـــق بأي عاقل أن يجعلها آلهة ويعبدها من دون الله ؟!

وقال الإمام القرطبي: إنما خص الذباب بالذكر في ضرب المثل هنا لأمـور أربعة : مهانتها ، وضعفها ، واستقذارها ، وكثرتها ، فإذا كان هذا الـــذي هـو أضعف الحيوان وأحقره ، لايقدر من عبدوهم من دون الله على خلـــق مثلـه ، ودفع أذيته ، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين ، وأرباباً مطاعين ، وهو من أقوى الأدلة ، وأدق الحجة ، وأوضح البرهان[1].

وما لا شك فيه أن أصحاب الاعتقادات الفاسدة لا ينظرون إلى أوجه النقص فيها ، وإنما قد ينظرون إلي عبادتها على أنها نوع من تقليد السادة والكـــبراء ، قال تعالى :" إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِـــدُونَ وَلِيًّا وَلَا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا نَصِيرًا يَوْمَ تُقَلَّـــبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْـــنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا "ﵞ[2].

وأنها نوع من الاحترام للاعتقادات الفاسدة والعبـــادة المنحرفـــة والتفكـــير المتهافت، بجانب السقطات الأخرى، التى كان عليها الآبـــاء الجـــاهلون، وهـــم جميعاً فى النار يسقطون ، قال تعالى : " فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَـــا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوص "ﵞ[3]

---

(١)الإمام القرطبي ـــ الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ٩٧ .

(٢)سورة الأحزاب من الآيات ٦٤ ـــ ٦٨ .   (٣) سورة هود الآية ١٠٩ .

قال الإمام الطبري: لا تكن في شك يا محمد من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال فدينهم فاسد ، إنهم ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم تقليداً لهم من غير حجة ولا برهان ،وفيه تسلية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ووعد له بالانتقام منهم ، إذ حالهم كحال من سبقهم في الضلال والتكذيب ، وقد بلغك ما نزل بسلفهم ، وسينزل مثله بهم ، وسنعطيهم جزاءهم من العذاب كاملاً غير منقوص مع ما قدر لهم من الخير والشر[١].

ثم ان أصحاب العقائد الفاسدة ليس من اليسير عليهم تصديق الأنبياء أو أتباع المرسلين ، أما لماذا ؟ فلأنهم دربوا أنفسهم على مخالفة شرع الله تعالى ، وصارت لديهم الرغبة فى السير المتواصل داخل ذلك النفق المظلم " فهم صم وبكم فى الظلمات ، كما أنهم فوق ذلك قد " طبع الله على قلوبهم "حيث ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون" قال تعالى : " مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون "ﷺ[٢] وكلما ازدادت على قلوبهم معالم الطبع ، ضاعت منهم ملامح الفهم ، قال تعالى :" ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون "ﷺ[٣] قال الإمام ابن كثير :"ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران،واستبدالهم الضلالة بالهدى فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون، ومن ثم فلا يصل إلى قلوبهم هدى ، ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي[٤] ومثلهم لا يحسبون في عداد العقلاء.

---

(١)الإمام / محمد بن جرير الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ١٢٢ .

(٢)سورة البقرة الآيتان ١٧ ، ١٨ .

(٣)سورة المنافقون الآية ٣ .

(٤)الإمام الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – المجلد الرابع ص ٣١٥

كما أن المكذبين بالله وآياته ، الخارجين على شرعه تأخذهم العزة بالاثم ، كما يغلب عليهم الاندفاع المقصود بغية التماس المزيد من العقائد الوثنية ومحاربة العقيدة الإلهية ، التي تقوم على التوحيد الخالص ، قال تعالى :" بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ. كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ "[1].

بيد أن هذه الأفكار الوثنية قد تأخذ طريقها إلى الإعلان السافر المتواصل ، وحينئذ تتخذ أشكالاً بعينها أول الأمر ثم لا تلبث أن تنقلب إلى عملية الانتقال من شكل إلى آخر، على سبيل التطور فى الأفكار طبقاً لمستوى الخيالات التى تعيش فى عقول القائمين عليها،ومن ثم تتحول هذه الأفكار من أشكال ثابتة إلى صور ذهنية أكثر خيالاً ، قد يقبل عليها السذج ، وينقلب إليها البلهاء ، فتقع فى نفوسهم موقع العقيدة الإلهية ، وبالتالي يؤلهون ذات الأفكار المنحرفة ، ويقدمون لها من مظاهر التقديس والاحترام ما يظنونه كفيلاً بالحصول على كسب رضاها .

وهم فى كل ذلك إنما يتقلبون بين جنبات الباطل ، وفى الأوحال يخوضون، وخلال لجج الشك وملامح القلق يبحرون ، إنهم كفروا بالله وآياته ورسله وكانوا بها يستهزئون ، وآية ذلك أنهم يوسمون الآلهة الزائفة بالقوة والقهر والغلبة ، ويسندون إليها القدرة والإرادة والحياة [2] بل ويهدرون رسل الله وأنبياءه ، بأن

(١) سورة ص من الآيات ٢ — ٧ .

(٢)الأستاذ / تقى الدباغ — آلهة فوق الأرض دراسة مقارنة مجلة سومر العراقية المجلد الثالث والعشرون ص ١٥٧ طبعة بغداد ١٩٦٧م .

هذه الآلهه يمكن أن تلحق بهم الأذى ، أو تصب عليهم ألوان العنف ، أو تذيقـهم البأس الشديد

وقد بين القرآن الكريم أن عادا كفروا بآيات ربهم وعصوا رسله ، وهددوا نبى الله هوداً بآلهتهم الباطلة ، ومعبوداتهم الخاسرة ، كما نسبوه إلى الغى الـذى أوقعته فيه آلهتهم نتيجة إصابتهم إياه بسوء قال تعالى : " قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَـا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِيـنَ . إِن نَّقُـولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ[1]

يقول الإمام ابن كثير: يخبر تعالى أنهم قالوا لنبيهم "ما جئتنا ببينة" أو بحجـة وبرهان على ما تدعيه ، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك لنا اتركوهـم حتـى نتركهم "وما نحن لك بمصدقين ما تقول. "إن نقول إلا اعـتراك بعـض آلـهتنا بسوء" وما نظن إلا أن بعض الآلهة قد أصابك بجنون وخبل في عقلـك بسـبب نهيك لنا عن عبادتها ، وعيبك لها "قال هو دلهم إني أشهد الله واشـهدوا أنـي بريء مما تشركون من دونه" كما أعلـن إنـي بـريء مـن جميـع الأنـداد والأصنام[2].

وكان نبى الله هود عليه السلام يعلم أن آلهتهم باطلة ،وأنها كلها عاجزة عن جلب نفع مهما كان قليلاً أو دفع ضر حتى وإن قل ، بل هى أشد عجزاً ان وقـع عليها هى شئ من الضر ، فأعلنها فوق رؤس الملأ غير هياب بتهديدات قومـه الجبارين ، ولا تخويفه إياهم بها .

قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ. مِن دُونِهِ فَكِيدُونِـي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِـذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ

---

(١) سورة هود الآيتان ٥٣ ، ٥٤ .

(٢)الإمام ابن كثير تفسير القرآن العظيم ــ المجلد الثاني ص ٣٥٧ .

ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ. ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ. وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد. وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود " (١) .

ونظراً لوقوع هذه الاعتقادات الفاسدة فى دائرة الوهم والخيالات ، فإنهم يحرصون على تقديم صور متنوعة لذات الاعتقادات بحيث تأخذ أشكالاً مختلفة جمادية أو حيوانية أو تجئ في تجسدات وأشكال إنسانية مثلاً ، بحيث تكون هذه الآلهة أو المعبودات على شكل إنسان ما متجسد ، يعيش بينهم عيشة كاملة، يأكل معهم ويشرب ، يلعب بينهم ثم يجري ويهرب ، ينام ويستيقظ ، ولا مانع من أن يتزوج منهم وينجب فيهم .

ومن ثم فإنه قد يموت بينهم كما تدفعه أيديهم إلى القبر ، ومع ذلك يقدمون له الكثير من ألوان العبادة ، ومظاهر التقديس ، وقد يتفقون على شخص ما بأنه إله، ويزعمون أنه الذى يجلب لهم النفع ويدفع عنهم الضر فيعتقدون فيه الألوهية الخالقة الرازقة، وله يسجدون ، وتاريخ هذه الحوادث لم ينقطع حتى يومنا هذا .

قد يكون مجئ هذا التجسد للآلهة فى الاعتقادات الوثنية على شكل إحدى المنافع أو الآلات التى تستخدم لتحقيق ذات المنافع ، أو على شكل يجمع بين الإنسان والآلة المادية التى تستخدم لذلك الغرض ، أو على شكل إنسان بعينه ،أو هو تجسد لإنسان غير معين وكلها تجسدات فاسدة تعبر عن اعتقادات أكثر فساداً وانحرافاً .

من ذلك ما ذكره بعض المؤرخين فى تعليلهم عبادة الجاهلين لصخرة اللات، التى كان لها وجود ثابت فى أذهانهم ، واعتقادات قوية فى وجداناتهم ، وعاب

---

(١) سورة هود الآيات ٥٤ - ٦٠ .

القرآن الكريم عليهم عبادتها وأمثالها فى قوله تعالى : "أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى. أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى. فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى. وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى . إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى . وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا . فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى". ﷺ [1]

يقولون أن اللات كان رجلاً أقامه أصحاب النفوذ والثراء على صخرة عند الصفا ، قد حفروا فى باطنها ، وكانت مهمة اللات القيام بصناعة الخبز على جبل الصفا،عن طريق خلط الدقيق بالماء،ثم ضربه بيديه حتى يتماسك،ثم يصنع منه الخبز وبالتالى فصار الرجل لاتاً [2]وصار المخلوط ملتوتاً ،وكان ذلك العمل يقوم به الرجل — أو من يتولى المهمة — على مدار العام ، فإذا جاء الطائفون بالبيت ومروا به،وجدوا عنده الخبز الذى يريدون ، ذاكرين له كل خير،وبخاصة أن الرجل أتقن تلك المهمة .

وفى نفس الوقت كان الجاهليون يتقربون لآلهتهم التى وضعوها على البيت الحرام ، بهذه الأعمال التى يظنونها مقربة إياهم للآلهة،التى تقربهم هى الأخرى إلى الله ، وكانوا فى ذلك كله على غير هدى ، وإنما هو نوع من تزين العمل السئ بشكل العمل الحسن،وهو نوع من الاضلال الذى يستوعب أهل الضلال ،

---

(١)سورة النجم من الآية ١٩ — ٣٠ .

(٢)إذن اللات اسم فاعل من الفعل الثلاثى الصحيح لتّ، ثم صار نعتاً غالباً على فاعله ، وأخيراً غلب الوصف على الاسم فصار يعرف بهذا الوصف ولا يعرف بالاسم ، وهو ما يعرف فى لغة العرب باسم العلم بالغلبة

قال تعالى : " أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ " [1] .

صار للطائفين بالبيت والعاكفين ولع شديد بما يصنعه اللات ، وبالتالى فهي متى قدموا للطواف سألوا عن اللات ، وأخذوا بيما صنعت يداه ، بل صار عمله من وجهة نظرهم مقدساً ، كما صار الإطعام من بين يديه عملاً مقرباً للآلهة ذاتها ، ونوعاً من التقديس الذى يحرص عليه الجاهليون ، ويبذلون جهودهم فى سبيل الإبقاء على ذلك السلوك الذى اعتبروه زلفى إلى الله [2].

تقدمت بالرجل السنون وزحف معه العمر ، ولم يسمح لنفسه بتعليم أحد تلك المهنة ، لأنه نذر نفسه للآلهة ، غير أنه ما لبث أن قضى نحبه فى فترة لم يكن بالبيت طائفون ولا عاكفون ، وبالتالى لم يعلم أهل البداوة أن من كان يصنع لهم الخبز قد مات ، وأن الآلهة التي كان يخدمها لم تتمكن من إطالة عمره ، مع أنه عاش خادماً لها متحدثاً باسمها [3] .

دخل موسم الحج فأقبل الناس ـ وبخاصة الذين سمعوا أو تعاملوا مع ما يصنعه اللات ـ وراحوا يبحثون عن اللات فلم يجدوه ، ولما لم يعثروا إلا على الصخرة التى كان يعجن فيها ويلت الخبز بداخلها ، فقد استمر بحثهم عنه قريباً من الصفا تارة ، والمروة تارة أخرى ، مارين بالصخرة التى كم عجن فيها غدوة ورواحاً داعين الآلهة أن تعيده إليهم [4]وكان هذا عمل الجيل الأول الذى نما بعد موت هذا اللات الذي خدعهم بعبادته آلهة عجزت عن إطالة عمره .

---

(١)سورة فاطر الآية ٨

(٢)الشيخ منصور محمد أبو فريحة ـ الأصنام والعرب الجاهليون ص ٤٣ ط دار المقدم ١٣٢٧هـ .

(٣)الشيخ / عبد الوارث عبد العظيم أبو الوفا ـ الأصنام حكاية قديمة ص ٧١ ط الدار السلفية بلاهور ١٣١٩هـ

(٤)الشيخ منصور محمد أبو فريحه ـ الأصنام والعرب الجاهليون ص ٤٦ .

فلما توالت الآجيال تناقلوا أخبار اللات،لا على أنه رجل كانت مهمته إعداد الخبز[١] وإنما على أنه إله كان يعبده أباؤهم والأجداد،ومن ثم صنعوا آلهة باسمه وانتقلوا بها إلى حيث يقيمون ، ثم عبدوا هذه الآلهة من دون الله ، وأطلقوا على كل منها اسم اللات ، فظهرت تلك الآلهة فى بعض البطون ، وأتخاذ بعضها صغير الحجم على هيئة الصخرة ، وبعضها أكبر على هيئة الرجل ، وبعضها يجمع بين الصخرة والرجل [٢] وهكذا تعددت الأشكال والتجسدات حول صنم اللاّت الذى أنضم إليه فيما بعد كل من صنمي العزى ومناة [٣] وغيرها من **الأصنام التى عرفها العرب الجاهليون .**

ويذهب الشيخ الأنطاكى إلى أن هذا اللات كان كلما امتد به العمر سكن فى نفوس البعض منهم اعتقاد أن الآلهة قد حلت فيه ، وأنها أطالت فى عمره ،ـلأنه يقوم على خدمتها وخدمة زائريها ، وأنه لن يموت أبداً ، فلما أختفى عن أعينهم وبحثوا عنه فلم يجدوه قر فى افهامهم أن الآلهة قد رفعته إليها ، ربما لأن بعض الطائفين لم يحسنوا التعامل معه ، أو أن بعضهم أساء إلى الآلهة فغضبت عليهم جميعاً ، وأخذت اللاّت من بينهم .

ولذلك أسرف هؤلاء الجاهليون فى تقديم الطقوس ، وأكثروا من القرابين لعل الآلهة ترضى عنهم ، ثم جاءت أجيال متعاقبة فعبدوا الصخرة لذاتها ، كما أنشأوا لها العديد من الأصنام التى تحمل اسمها[٤]وهكذا تكاثرت الأصنام وبرزت

---

(١) إذن كان تقديس الجيل الأول للرجل والطواف بالصخرة من باب تذكر أفعال الرجل ، والدعاء له عند الآلهة فقط ، وليس من باب عبادته ، أما الجيل الثانى فقد نظر إلى طواف الآباء حول الصخرة على أنه عبادة وقربى .

(٢)الشيخ محمد عبد العظيم القلعاوى ـــ أصنام الجاهلية ص ٦١ الطبعة الأولى المطبعة الخيرية ١٣١٢هـ .

(٣) لمزيد من التفصيل راجع الأصنام لهشام بن الكلبى ص ٢٣ ومابعدها ، وللدكتور محمود زيادة ـــ العرب وظهور الإسلام ج ١ ص ٨٧ وما بعها .

(٤)الشيخ محمود محمد جار الله الأنطاكى ـــ الأصنام فى مراحلها الأولى ص ٥٧ ط أزمير ١٣١١هـ.

صور الآلهة الباطلة وكانت كلها تجئ فى تجسدات بعينها .

يقول الأستاذ / عبد الرحمن عزام : عبد الناس قوى كثيرة ، إما عبادة أصيلة ، وإما لاتخاذ عبادتها زلفى وتقربا إلى تلك القوة العظمى القاهرة التى يدركونها بفطرتهم [١]حيث عبدوا الأشباح والأرواح والجمادات والحيوانات والنجوم ،كما عبدوا الكواكب [٢] والماء والنار والبرق والرعد ، وكل ما توهموا أن فيه القوة ، أو أنه مثل لها ، أو مظهر من مظاهرها ، بل عبد الناس بعضا ، تجلت فيه قوة غير طبيعية ، ثم قتلوا من عبدوا،حين تبين لهم قصوره عن القدرة التى ظنوها فيه [٣] .

يقول : ومن أعجب ما شاهدت من عبادة الإنسان للإنسان ، أنى جالست قبل ثلاثة وعشرين عاما [٤]إلها من آلهة الزنوج فى جبال النوبة،بأقصى الجنوب من كردفان ، حيث كنا على الأرض نتفيأ ظلالا وارفة لشجرة من تلك الأشجار الاستوائية الهائلة ، وجمع من الشعب رجالا ونساء عرايا يرقصون ، ويطربون فى حضرة الآله الذى يسمونه — الكجور — وهذا الكجور سواء أكان هو الإله ، أم رمزه ، فهو فى عرفهم المعبود الذى يرفع إليه الدعاء ، وتقدم له القرابين ،

---

(١)وقد حكى القرآن الكريم صورة من ذلك فى قوله تعالى :"ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار".سورة الزمر الآية رقم ٣ .

(٢)يقول الشاعر المسلم محمد إقبال :

عبدوا الكواكب والنجوم جهالة ... لم يبلغوا من هديها أنوارا

(٣)ربما يقال أن ذلك التصوير يرتد إلى العصور البدائية،لكن الرجل هنا قدم وصورة وثائقية ، لما شاهده بعين رأسه فى القرن العشرين ، والقاعدة قائله ليس من راء كمن سمع .

(٤)حيث كان ذلك عام ١٩٣١ فى جبال النوبة من جنوب كردفان بالسودان حين كان مبعوثا هناك وقد سجل ذلك بنفسه فصارت كتابته شهادة تاريخية وثائقية .

وهو القدير على تصريف الأمور الكونية،وله كل مظاهر التقديس، فهم يطعمونه ويهبونه ، ومع هذا يتزلفون إليه ، مقابل أن يأتيهم بالمطر لزرعهم وسائمتهم ، وأن يشير عليهم بالوقت المناسب للصيد أو الحرب ، وأن يدفع عنهم البلاء والمرض [١]رغم عجزه هو عن إطعام نفسه،ومنح ذاته ما يدفع عنها الضر .

ثم يقول : ولم استطع أن أتبين ما إذا كان هذا الكجور فى نظرهم إلها كاملا أو كأصنام الجاهلية يعبدونه زلفى لمن هو أعظم فى نظرهم ، ومن عجب أمر القوم أن للكجور حقوقا تقابلها واجبات ، وهم يعطونه حقوقه،فإذا إمتنع عن أداء الواجب قتلوه [٢].

فمثلا إذا أجدبت الأرض ، وهلك الزرع سألوه المطر ، فإذا أبى وتأخر المطر،حاولوا استرضاءه بالهدايا والدعوات ، فإن مرت السنة وأجدب ما بعدها ولم يستطيعوا إقناع كجورهم ليأمر المطر برحمتهم من الجفاف ، فإنهم قد ينتظرونه مواسم أخرى ، ثم يقتلونه أو يرجمونه[٣] ويقيمون غيره إلها بديلا عنه ممن يعرفون فيهم بالميراث ، أو الاختبار فى علم الأسرار ، وفعل الخوارق كلها أو بعضها .

وحينئذ يحلونه محله ،ويقومون له بالتقديس والعبادة ، مع أنهم الذين أجلسوه على كرسى الألوهية ، وهم الذين عقدوا له الاختبار ، وهم الذين أقروا بنجاحه

---

(١)الأستاذ / عبد الرحمن عزام — الرسالة الخالدة ص ١٩ لجنة التعريف بالأسلام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٤هـ—١٩٦٤م .

(٢)لست أدري أي إله ذلك الذي يقتل ، وهل يعقل أن يكون إلها معبودا وهو مقتول أيضا .

(٣)وهو نفس الصنيع الذى كان يمارس فى الجاهلية حيث كانوا يصنعون بعض آلهتهم من الحلوى فإذا جاعوا أكلوها — راجع للشيخ عبد العظيم الفخرانى — آلهة فوق المائدة ص ٥٣ ط دار عبد المبدئ سنة ١٣١٥هـ— وراجع للدكتور رؤف شلبي — آلهة في الأسواق .

فيه ، حتى يكون إلها ، ولست أدرى كيف سوغت لهم عقولهم قبول هذه الخرافات التي جاءتها الانحرافات على كل ناحية .

ثم يواصل قائلا : وأعجب ما فى نوادرهم ماروى لى أنهم شكوا أحد الآلهة مرة إلى الحكومة لامتناعه عن الإتيان بالمطر[1] ، ولم يتركوا موظف الحكومة حتى أمر بحبسه ، واستمروا هم ينتظرون أياما ، وكجورهم محبوس ، فإذا بالكجور نفسه يطلب من الحاكم أن يطلق سراحه فيأتيهم المطر بسرعة ، وما أن إنطلق من الحبس،وسار بالشعب نحو الجبل حتى هطلت الأمطار غزيرة [2] .

وبالتالى فهم لا يشكون أبدا فى قدرته ، ولا يظنون به العجز ، وإنما يظنون به القصد السئ ، وذلك مثل من فكر البشر فى سذاجته ، وفكر البشر حتى فى حضارته أحيانا لايكون أعلى كثيرا ، فقد عبد الإنسان العجل والقط والصنم والنار، وبعض بنى البشر وغير ذلك [3]والمثال الذى ذكره الأستاذ عبد الرحمن عزام في القرن العشرين إنما يكشف عن عقلية ذات طابع يميل كثيرا إلى التصديق بالخرافات ، والوقوع الدائم بين رحى الأوهام وتأليه المعبودات ، وتقديس المصنوعات وهي كلها انحرافات .

وهم فى تأليههم ذلك المخلوق أو غيره ، إنما يمارسون أفعالا منكرة ، واعتقادات فاسدة ، لمتوهمات أقاموها فى نفوسهم مقام الإله الواحد ، والغريب أنهم منحوا هذه المعبودات الفاسدة صفات فيها العظمة والكبرياء ، بجانب الضعف والاستجداء،ثم جعلوها شركاء أقاموها مقام الله عز وجل،الذى سيسألهم

---

(١) وما دام هذا الإله قد تمت شكايته للحكومة ألا يكون ذلك من الدلائل على كونه عاجزا ، ولا يصلح إلها أبدا.

(٢)لاشك أن وقوع هذه الحوادث على ناحية الموافقة للأغراض لا يعتبر من قبيل الخوارق للعادات وإنما هي من قبيل التوافقات والمصادفات التي تدئ بها سنن الله الكونية . .

(٣)الأستاذ / عبد الرحمن عزام ـــ الرسالة الخالدة ص ٢٠ وما بعدها .

عن أنفسهم وشركائهم وموقفهم من الخلق والحق ، قال تعالى : "الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون" ﴿[1]﴾.

ثم ان الله تعالى خاطب المشركين على سبيل التحدى ، إن كانت آلهتهم التى يعبدونها من دون الله قادرة على ابتداء الخلق ، واستمراره ثم إعادته ، وبين لهم عجزها جميعا عن ذلك كله ، وأنها فى كل حالاتها لاتقدم إلا الضلال ، أما الإله الواحد جل علاه فهو الذى بيده الملك ، والأمر والبدء والإعادة وهو وحده الذى يجب أن يعبد وأن يتبع .

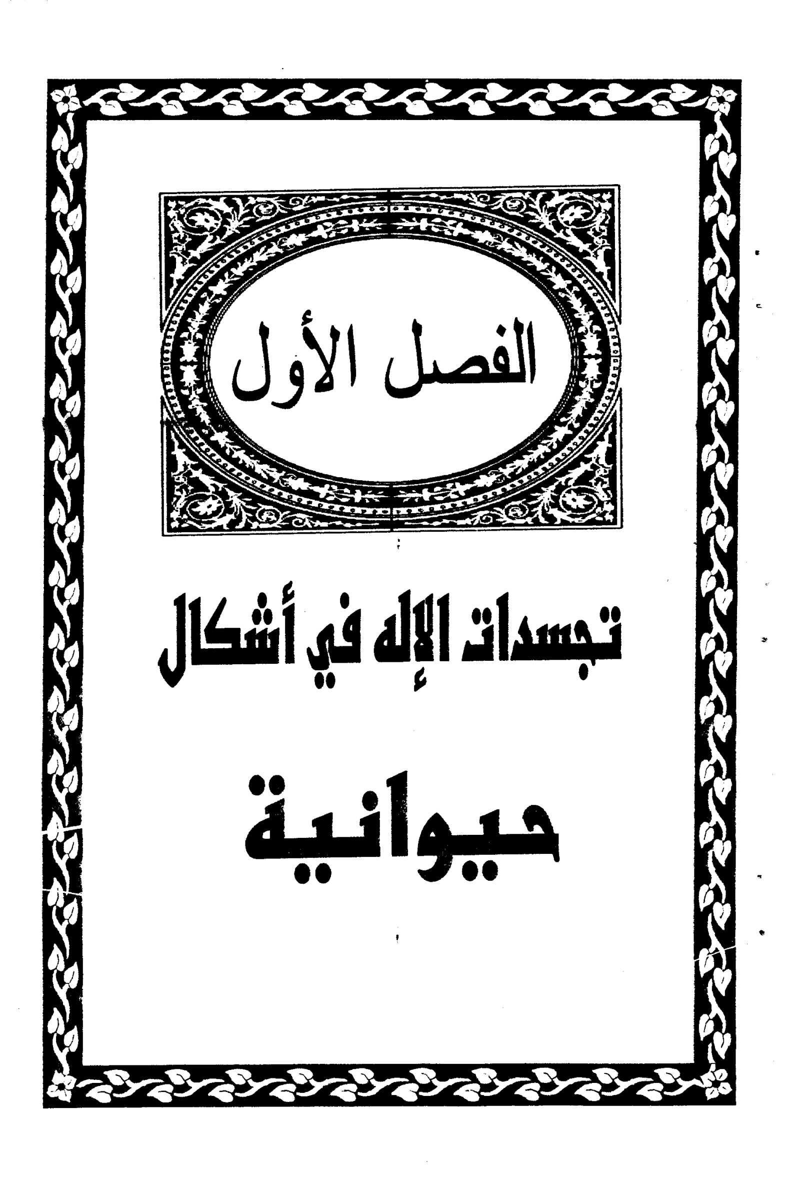
قال تعالى : "قل هل من شركآئكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون. قل هل من شركآئكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون . وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون "﴿[2]﴾

وهكذا ظهرت التجسدات للآلهة ، كما ظهرت التعددات فيها من قبل ، لكن بعض هذه التجسدات جاء فى أشكال ذات أرواح كالإنسان والحيوان ، وبعضها جاء فى أشكال جمادية أو نباتية ، وسادت هذه الاعتقادات فترة من الزمان حيث زعم أصحابها أنها هى الآلهة ، أو تحمل ملامح الآلهة التى يعتقدون فيها ، وذلك مما يحتاج متابعة ميدانية ، لبيان الآثار التى اقتبسها اليهود من تلك العقائد الوثنية ، وموقف الإسلام منها .

---

(١) سورة الروم الآية ٤٠

(٢) سورة يونس الآيات ٣٤ – ٣٦ .



الفصل الأول

تجسدات الإله في أشكال حيوانية

سلف الحديث عن تعدد الآلهة ، فى أشهر الديانات الوثنية ، وألمحت هنـاك إلى وجود أنواع من التعدد لجملة من الآلهة ، وأبنت عن الأثر الـذى أمكننـى الوقوف عليه فى التراث اليهودى ، سواء باعتبار الآلهة الفردية،أم الآلهة العائلية وذكرت الملامح التى انطلقت من التراث الوثنى إلى التراث اليهودى فى الآلهـة والجماعية بل والعشائرية أيضا ، وعقبت على ذلك التعدد الساذج والانحرافـات الفاسدة بالنصوص الإسلامية التى كشفت عن بطلان هذه الاعتقادات ، الموجودة داخل التراث الوثنى كله[١]يستوى في ذلك ما هو قائم بالمصادر اليهودية أيضا .

بيد أن الحديث عن تعدد الآلهة فى الديانات الوثنية،يستلزم المتابعة للمظاهر التعددية فى التجسدات ، والأشكال المختلفة ، ولما كان بحث هذه المسائل يحتاج متابعة متواصلة،ووقفات متأنية — على أساس أن عرض تلك الاعتقادات الوثنية أمر واجب ، ومن ثم فإنه يكشف حجم ما بها من عورات ، ويذهب مـا يظنـه البعض لها من قداسة [٢]أو يضفيه عليها من مهابة ، سواء أكان ذلـك باعتبـار النصوص أم باعتبار الأفكار.

وربما يقال : أن التجسدات الإلهية ظهرت فيها عمليات تأليه قوى الطبيعة ، وغيرها من الآيات الكونية وهى سابقة على تأليه الأشكال الحيوانية والإنسانية ، فلماذا لم نبدأ بها ، ثم نأتى بعد ذلك بغيرها ؟

والجواب : أنى تحدثت عن تأليه بعض الآيات الكونية فى كتاب مسـتقل [٣]

---

(١)المعروف أن أهل الكفر جميعا ملة واحدة ، وكل عقيدة أو عبادة تخالف ما جاء به الإسلام فهى باطلة وثنية لقوله تعالى:" إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب" سورة آل عمران الآية ١٩ وقوله تعالى : " ومن يبتـغ غـير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٢)الشيخ محمد محمود المزلاوى — العرب وعبادة الأصنام ص ٥١ طبعة أولى دار التوفيق ١٩٤٥م .

(٣)كان ذلك فى كتابي : تأليه الديانات الوثنية للآيات الكونية وموقف الإسلام منها ط آل بسيونى أبريل وقد صدر الجزء الأول منه في ٢٠٠٣م.

وبالتالى فمن المناسب،أن يكون الحديث هذه المرة،عن تأليه الديانات الوثنية فـــى التجسدات ، والأشكال الحيوانية والإنسانية ، وكذلك الأشكال النباتية والجماديـــة، وأثرها في الديانة اليهودية، على أساس أن هذه التجسدات المختلفة ، قد ظـــهرت فى العديد من البلدان التى اعتنق أغلب أصحابها جملة من الوثنيات ، فى صورة من الصور ، أو شكل من الأشكال[١] .

لأنه متى أسلم المرء قياد عقله لهواه ، وألغى من نفسه الميزة التي أودعها الله إياه ، فإن البهائم تكون خيرا منه اتجاها ، في حين يكون هـــو أضـــل مـــن الأنعام جهالة وغفلة كما يكون أدنى منها رتبة ، مع أنها مسخرة لخدمته ، لقولـــه تعالى :" أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون "[٢] .

أما لماذا ؟ فلأن الله تعالى خلق للإنسان حواسا وملكات،وجعل قيام هـــذه الحواس الظاهرة من سمع وبصر وشم وذوق ولمس،على ملكات تغذيها وتجرى معها على سبيل التوازن ، فكان المناسب له وأمثاله الاستمتاع بها،واستعمالها في الأمر الذى خلقها الله له، لكنه أسقطها من حسبانه ، وألغاها مـــن وجدانـــه[٣] ، وأنزلها إلى الحضيض من بنيانه .

كما أن الله تعالى قد خلق لذلك الإنسان العقل وميزه بـــه ، حتـــى يـــدرك الأمور قاصيها والداني ، وأمره أن يقوم على ذلك كله في حدود الملكات التـــي أعانه الله تعالى على الاحتفاظ بها ، ولكنه ألغى هذه وتلك ، ثم سار خلف أهواء

---

(١)راجع لسوغي توكاريف ــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ، ولول ديورانت ــ قصة الحضارة ، ولهـــنري برستيد ــ فجر الضمير .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .

(٣) الدكتور محمد السيد صبرة ــ الإنسان في القرآن ص ٣١ ط ثانية ١٩٦٥م .

نفسه ، ونزغات شيطانه ، فصار كالأنعام التى تحيطها الأغلال من كل ناحية[١] ــ وكانت من قبل طليقة ــ حتى أنها تعجز عن التماس ما فيــــه خيرهـــا ، أو النفور مما فيه هلاكها .

قال تعالى : "أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحســب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا [٢].

قال الشيخ النجار : كأن الله تعالى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وســلم " هل رأيت من يجعل هواه إلها له ، كيف يكون حاله ، وحال إلهه معه ؟ إنـــهما يتحولان إلى خصوم ألداء ، إذ كان الواحد منهم متى عبد حجرا بعض الوقـــت فإذا رأى غيره أحسن منه،طرح ما بيده،وأخذ الثاني فعبده ، فإذا وجد أحسن منه طرحه ، وهكذا يفعل مع كل الأصنام التي جعلها آلهة وعبدها ، فهل تكون أنـت وكيلا عليه تصرفه عن غيه ، وتبعده عن هواه، وليس ذلك الأمر لك ، إن عليك إلا البلاغ"[٣]، ومن يسلك طريق الغواية ويبتعد عن منهج الهداية يسقط في النار.

قال العلامة أبو حيان : هذا تيئيس من إيمانهم ،وإشارة للرسول صلـــى الله عليه وسلم حتى لا يتأسف عليهم ، وإعلام أنهم في الجهل بالمنافع ، وقلة النظـر في العواقب ، مثل البهائم من حيث أنها تندفع لشهواتها ، ولا تفكر في العواقــب المترتبة عليها[٤].

---

(١) وجه المشابهة أن الأنعام متى أحاطت بها الأغلال حبستها عن الحركة المنطلقة ، فتهلك من قسوة الحبــس ، والذي يتبع هواه يغل نفسه بها ، فلا يعرف كيفية الوصول إلى الصواب ، رغم أنه كان يستطيع بلوغه لو تخلى عن أهوائه .

(٢) سورة الفرقان الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) الشيخ محمود طه النجار تفسير سورة الفرقان ص ١٣٧ طبعة أولى ١٣٥٧ومعه مقدمة في علوم القرآن

(٤)العلامة أبو حيان ــ البحر المحيط ج ٦ ص ٥٠١ .وراجع تفسير الطبري ، وتفسير القرطبي فهناك وجــوه عديدة يمكن حمل معاني الآيتين عليها ، وكلها وجوه مقبولة وصحيحة .

وهذه العقول التي استمرأت الخضوع للهوى الذاتي ، اندفعت فـي طريـق اصطناع الآلهة المتعددة ، أو الإذعان لهذا النوع من الآلهة المصطنعة ، التـي رسمت ملامحها خيالات مريضة ، حاولت القفز إلى عالم اتسع للخرافات حتـى تنازعتها فيه الأوهام والأساطير ، كما ارتفعت أصوات عديـدة تجـري فيـها الأباطيل من كل ناحية ، وهو ما يؤدي إلى طمس الحقائق .

لقد تصوروا آلهتهم في أشكال حيوانية ، ومنحوها من الصفـات السـلبية الكثير ، وكان ذلك يجئ معها على وجه العموم ،أما الصفات الإيجابيـة فكـان نصيبها منها قليلا ربما وصل حد الندرة[1] ، وهو ما يكشف طبيعة نفوس هؤلاء المؤلهين ، بما فيها من النقص والعوز بجانب القلق والاضطراب .

إنها آلهة مصنوعة ، وتجسدات موضوعة ، فقدت ذاتها أدنى ما لـها مـن اختصاص ، وأنزلت تلك الآلهة منزلة هي الحضيض بذاته ، وذلك مما يحتـاج متابعة هذه التجسدات للآلهة في ذات الأشكال الحيوانية ، من خـلال الديانـات الوثنية ، حتى تتكشف العلاقة التي تربط بين هذه الديانات الوثنية،وبين التركيبـة والاعتقادات اليهودية ، وسيكون التركيز هنا على نوعية الآلهة المتجسدة،لا على الأقوام والشعوب وأن المظاهر قد تتشابه فيما بينها .

(١)تأليه البعـل[2]:

ورد الحديث عن عبادة البعل في القرآن الكريم ، على أساس أن نبـي الله إلياس كان يصرف قومه عنها ، لأنها تدفع إلى عبادة المخلوقين ، وتفرط فـي عبادة أحسن الخالقين ، قال تعالى:" وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومـه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين والله ربكم ورب آبائـكم الأوليـن

---

(١)راجع قصة الحضارة ــ المجلد الأول ــ الكتاب الثاني ، والمجلد الخامس الكتاب الأول والثاني .

(٢) وردت مادة الكلمة ب ع ل في القرآن الكريم سبع مرات ــ راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم باب الباء ص ١٣٠

فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين "[١].

يقول الشيخ البروسوى : إن إلياس هو بن ياسين ، من سبط هارون أخي موسى[٢]، والبعل اسم صنم كان لأهل مدينة بك من الشام ، وهو البلد المعروف اليوم بعلبك ، وكان من ذهب ، فتنوا به وعظموه حتى عبدوه ، فقال لهم إلياس أتتركون عبادة الله رب العالمين،ربكم ورب آبائكم الأولين إلى عبادة غيره ؟، وفي التعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم ، أشعار ببطلان آرائهم ، لأن الخلق والإبداع والاختراع لا يتصور ذلك كله من غير الله حتى يكون هو أحسنهم ، فالله أحسن الخالقين على معنى أحسن المقدرين ، كأنه يقول هب أن هنا مبدعين وموجدين ،فالله تعالى أحسنهم إيجادا على ما يعتقدون [٣] وبالتالي فعبادة هؤلاء للبعل كانت في بني إسرائيل بعد نبى الله موسى الكليم ، لكن من أين لهم بهذه العبادة التي حاول نبي الله إلياس إبعادهم عنها ؟.

والجواب : أن عبادة البعل كانت شائعة في بلاد بابل وآشور كما كانت لدى الكلدانيين ، وهو حيوان مرتفع القامة أكول ، مزواج ، يمثل عندهم القوة بجانب الخصوبة ، وبهذه الصفات نال الكثير من التقدير في تلك البلاد ، حتى رسموا له التماثيل التي تمجده ، وتظهر قوته ، وتعلن عن ضرورة الحاجة إليه .

كما ظهرت عبادته عند الكنعانيين سكان فلسطين،وبخاصة القبائل الرعوية المترحلة ، حيث كانت تهابه الحيوانات الأخرى ، وكان إطلاقهم اسم البعل عليه، من باب تعظيم الأعمال التى تناط به ، إذ كان ينام قليلا،ويعمل كثيرا[٤].

---

(١) سورة الصافات الآيات ١٢٣ / ١٢٨ .

(٢) وذكر أن ذلك النسب هو المشهور ، وعليه الجمهور أيضا ولم يقم عندي دليل يعضده أو ينفيه ، ولذلك حكيته ، وذكرت مصدره .

(٣)الشيخ إسماعيل حقي البروسوى ــ تنوير الأذهان من تفسير روح البيان المجلد الثالث ص ٣٤٥ / ٣٥٠ .

(٤)الدكتور صبري محمد الخواص . العقائد الوثنية في الشرق القديم ص١٢٥ ط أولى الدار الجديدة ١٩٦١م.

ولعلهم استخدموا البعولة من اسمه لتظل دليلا على قوتـــه [١]وإعـــلان الحاجـــة الدائمة إليه.

بل أن عبادة البعل ظهرت لدى المصريين القدماء الذين كانت لهم اتصالات لكل من الكنعانيين والبابليين ، وانتقلت عبادته إليها ضمن المعبودات الحيوانيـــة التي وقع فيها الاقتباس ، إذ كانت العناصر متقاربة ، كما أن المظاهر المعـــبرة عن البعل كمعبود متجسد ظلت هى الأخرى متقاربة إلى حد كبير ، وقد نـــالت عبادة البعل فى هذه الأوساط عناية كبيرة ، واحتراما متزايدا ، ربما لـــم تنلـــها عبادة وثنية أخرى [٢].

ولما كان اليهود قد نزلوا هذه الشعوب،واستوطنوها بعض الوقت على سبيل المساكنة والضيافة ، أو على سبيل الهرب والالتجاء ، أو على ســـبيل الغـــزو والاستعمار ، فقد اطلعوا على عبادة البعل من أهل هذه البلاد ، وعرفوا ما لـــه من مكانة سامية في نفوسهم ، ومن ثم اعتقدوا فيه نفس اعتقاد عابديه ، إذ كانوا أصحاب مصالح ، كما كانوا مترحلين أيضا ، لأنهم ما استقروا في مكـــان إلا انتزعوا خيراته ، ثم نزحوا منه [٣]وهي طبيعة القبائل الرعوية التى لا ترعـــوي عن فعل الشرور وارتكاب الآثام ، وبناء عليه فقد استفادوا هذه العبادة للبعـــل ، بل صار هو الإله الرسمي بجانب الأسمى .

---

(١) وردت كلمة البعل في اللغة العربية على كل من السيد في قومه ، والزوج القوي في بيته ، كما جاءت اسما على الزرع الذى يشرب بعروقه فيستغنى عن السقي بواسطة الآخرين ، وجاءت أيضا اسم معبـــود كـــانت الشعوب الكنعانية وغيرها مما يعبده ، وفي نفس الوقت جاءت اسما على بعض أصنام العرب في الجاهلية كان لها وجود بجوار الأصنام الأخرى كمناة واللات والعزي ـــ راجع القاموس المحيط ، وقطر المحيط ، ومحيط المحـــيط ، ولسان العرب ، أساس البلاغة ، ومعجم مقاييس اللغة .

(٢)الشيخ محمد حكمت الله ـــ العقائد الوثنية ص ١١٢ ط أولى ١٩٣١م .

(٣) وهى طبيعة ثابتة في الجنس الإسرائيلى منذ القديم ، كأنهم ما خلقوا إلا لها ، ولا يعرفون غيرها ، طبيعـــة تقوم على حب الذات إلى ابعد مدى ، أو سلب حقوق الآخرين إلى آخر قطرة .

أجل ظهرت عبادة البعل لدى المصريين القدماء ، أيام حكم الهكسوس الأقوياء ، وقد عاش الإسرائيليون مع الهكسوس في مصر كعبيد لهم ، فلجأوا إلى الأخذ بالثقافة والعبادات والاعتقادات المصرية ، من باب التكيف مع أهل المجتمع الذي يعيشون فيه[١] ، ولما كان الهكسوس يقدسون المعبود المصري ست ويطلقون عليه اسم بعل ، قدسه اليهود أيضا ، ثم اعتبروه إلها خاصا بهم بعد عودتهم من مصر[٢].

من ثم فليس من الصعب الوقوف على الكيفية التى صور اليهود فيها إلههم البعل ، لقد رسموه على الصورة التى حفلت بها مخيلات من نقلوا عنهم ، ولذا جاءت تجسداتهم له على شكل حيوان ذي قرن واحد طويل ، لدى بعض القبائل الإسرائيلية ، بينما جاءت تجسدات أخرى لذات البعل على هيئة حيوان مرتفع القامة ، كأنه يمتد إلى السماء ، وله قرنان ممتدان نحو السماء أيضا كأنه يستجلب بهما المطر ، أو يدفع بهما عن بني إسرائيل عوادي الدهر[٣].

ويرى ناظم السيد أن اليهود لم يكونوا وثنيين فقط،وإنما كانوا الوثنية بذاتها وأنهم أتقنوا هذه الأعمال جميعها من صنع التماثيل ، والتجسدات للآلهة قبل أن يعرفوا كجنس يهودي ، أي قبل مجيء موسى إليهم بزمن طويل ، ثم يستدل علي ذلك بأن هذه الشعوب الإسرائيلية ، كانت تسعى للتجارة وجمع المال ، والاكتساب به بدليل أنهم نزلوا مصر تجارا أول الأمر ، فلما طاب لهم المقام عاشوا فيها وتداخلوا بين أهلها ، فلا عجب أن تراهم يصنعون التماثيل، ويعشقون الآلهة المتجسدة ويعتقدونها من باب تزيين السلعة في وجه المقبلين

---

(١) ويعرف هذا الآن باسم الذكاء الاجتماعي الذي يقوم على الخداع ، وترك النصيحة ، وليست هذه المسائل إلا ناتج الأرصدة المستوردة من الثقافات الزائفة .

(٢)الدكتور / محمد مهران ــ دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٧ ص ٢٦٤ ١٣٩٨/١٩٧٨م .

(٣)الشيخ رزق محمد أبو حويلة ــ اليهود والعقائد الوثنية ص ١٧٥ ط أولى ١٣٤٥هـ .

عليها[١].

ومعنى هذا أنهم لم يكونوا يعبدون البعل لذاته ، وإنما من باب تحسين الصنعة في نظر المقبلين على شرائها ، ولست أوافقه الرأي ، لأنهم لو فعلوا ذلك داخل البلاد التي نزلوا إليها كتجار أو صناع لتخلوا عنها فور خروجهم من تلك البلاد [٢]، أما أن يستمروا في عبادتها ، ويذكروا ذلك في نصوص أسفارهم فما هو إلا من الأدلة على أنهم اعتقدوها إما تقليدا ، أو حبا وعشقا ، ثم أضافوا إليها مثل ما يضيفه من يعشق شيئا اقتبس أصوله وهو يريده لنفسه ، ومن ثم فهو يعمل على القفز فوق هذه الأصول لا يبقي إلا المسروق.

أما فكتور هولمز فيقرر: أن الجماعات الإسرائيلية في الماضي البعيد كانت ثلة من القبائل الرعوية، التى تجرى داخل الجزيرة العربية حينا،وخارجها حينا آخر ، وأنهم كانوا يجمعون اعتقادات من ينزلون عليهم ، كما يجمعون القوت الذي عنه يبحثون ، لقد ارتبطت عقولهم بما ارتبطت به بطونهم ، بدليل ظهور العديد من الآلهة في حياتهم،ومنها الإله الحامي ، والإله السيد ، والإله العشائري،فلا مانع من أن يكون البعل هو الآخر ، قد نال ذات العناية والتقديس بين المعبودات التى امتلأت بها رؤس هذا الشعب[٣].

---

(١)الدكتور/ ناظم السيد محمد السعيد ــ المنظومة التاريخية للديانات الوثنية ص ٤٩ ط أولى ١٩٥٧ ط بغداد

(٢) على أساس أن المرء قد يجبر على ممارسة اعتقادات بعينها ، أو يلجأ إلى عبادات في ذاتها ، لكنه متى وجد الفرصة متاحة فإنه يتخلى عنها ، متى كان مكرها عليها ، أو داعبته أحلامه في المحافظة عليها،بغية تحقيق كسب تجاري ، أو غرض مادي ، أو حق منزلة بين الناس ، فضلا عن أن يكون مكرها على قبولها ، لكن الطبيعة البشرية السليمة متى أجبرت على شيء كرهته ، ومن ثم فقد كان من المناسب للإسرائيليين أن يتخلصوا منها وهم خارج تلك البلاد ، لو كانوا مجبرين عليها داخل ذات البلاد ، ولما لم يتخلوا عنها فقد دل الأمر على أنهم اعتقدوها وعبدوها فكانوا وثنيين كأصحابها إن لم يزيدوا عليهم في الوثنية .

(٣)أ. جون فيكتور هولمز ــ عقائد الشرق القديم ص ١٧١ ترجمة عبد العظيم غسان ١٩٥١م .

ويذهب قاموس الكتاب المقدس إلى التأكيد على أن البعل اسم سامي معناه الرب أو السيد،أو أنه إله كنعاني الأصل ، وكان ابن الإله آيل ، وهو في ذات الوقت زوج الإلهة بعلة، أو الإلهة عشتاروت[١]واعتبره البعض من ابرز الآلهة الكنعانية شهرة ، وبخاصة أن إطلاقه صار ينصب على إله العاصفة ، والبرق والمطر والإعصار، بل كان الإله بعل لدى الكنعانيين ينال المنزلة التي للإله هدد عند كل من البابليين والآراميين [٢].

من ثم يمكن القول بأن الإسرائيليين قبل موسى عليه السلام ، وقبل أن يعرفوا اسم اليهود ، أو يطلق عليهم هذا الاسم ، قد نزلوا ارض مصر ، وتأثروا بعبادتها في الآلهة المتعددة المتجسدة ، وكان البعل أحد هذه المعبودات وقد أحلوه في نفوسهم محل الإله ، ثم لما كانت قبائلهم كثيرة التحرك والانتقال ، فقد غيروا فيه من حيث الأشكال والأحجام طبقا للاحتياجات المعيشية ، وصارت هذه الرموز المتجسدة تنال منهم العناية والاهتمام ، لا على أنها ثقافات اقتبست من الآخرين ، وإنما باعتبار أنها آلهة معبودة تحل بديلا عن الإله الحق جل علاه .

وربما يتساءل المرء قائلا هل كان الإسرائيليون بهذه الدرجة من الضعف العقلي،حتى يقلدوا الآخرين في اعتقاداتهم وعباداتهم ، بجانب طقوسهم وعاداتهم، مع أنهم في قرارة أنفسهم الجنس السامي[٣] ،أو الجنس الإلهي على نحو ما يزعمون من أنهم أبناء الرب ، ألم تكن هذه الدعاوى كفيلة بتذكيرهم أنه يجب عليهم الانصراف عن هذه الاعتقادات الوثنية إلى عبادة الله الواحد جل علاه ؟.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس باب الباء ص ١٨١ .

(٢) سيبتينو موسكاتي ــ الحضارات السامية القديمة ص ٦٢٨ ترجمة الدكتور السيد يعقوب مكي ط دار الرقي بيروت ١٩٨٦م.

(٣)ما تزال السابقة تمثل شماعة المشكلات التى تتحرك بها الصهيونية لتحقق مكاسبها من خلالها وتدفع الناس للجحيم الدنيوي بزعم معاداتها.

كما أن الذى يقع عليه العدوان يغضب دائما من المعتدي عليه ، وإذا اجـبر على ممارسة اعتقاداته أو عباداته وطقوسه،فإنه يتخلى عنها فور شعوره بأنـــه بعيد عن سطوة المعتدي[1] ، ولكنهم مازالوا لذلك الذي جبروا عليـــه قـائمين. فلماذا هذا يقع منهم ؟

والجواب: أن الإسرائيليين لما كانت دعاواهم ومزاعمهم كلها كاذبة ، فـإن نفوسهم إنما تكون ساقطة ، وفي الهبوط إلى أبعد مدى ناقصة،شأنهم فـي ذلـك شأن كل دعي مسرف في الكذب ، طريح الخيال ، كما أن هؤلاء الإســرائيليين متى ساروا خلف ذات السراب ، فإنهم يدعون آلهة أخرى مع الله ، بل يجعلونها في نفوسهم فوق عبادة الله ، وبالتالي يصيرون وآلهتهم في ضلال قال تعالى:" له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلـى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال "[2] .

قال العلامة أبو السعود: شبه حال الكفار والمشركين في عدم حصولهم عند دعاء آلهتهم على شئ أصلا بحال عطشان ، هائم لا يدري ما يفعل ، قد يبســط كفيه من بعيد إلى الماء يبغى وصوله إلى فمه ، وليس الماء ببالغ فمه أبدا،لكونه جمادا لا يشعر بعطشه[3]، ولا يتمكن من الحركة إلى ذات الفم العطش .

ثم إن هذا الشعور بالتدني داخل نفوس الإسرائيليين ، لا يأتيهم من خـارج عنهم،بحيث إذا تخلصوا من سيطرته عادوا إلى طبيعتهم ، وإنما هو شعور نـابع من الداخل فلا يتأثر بالانطلاق ، ولا تجدي معه أنسام الحرية ، أما لماذا ؟ فلأن طبيعتهم الوراثية تحتاج نوعا من الضبط المتوالي ، والقهر المستمر ، وهو مـن

---

(١) ذلك مما يجري في أفهام أصحاب العقول الصحيحة ، والنفوس السليمة ، والطباع الشريفة، بل يقاسمهم في ذلك كله أصحاب الحريات والمنادون بها .

(٢) سورة الرعد الآية ١٤ .

(٣)الإمام أبو السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم — المجلد الثالث ص ١٠٢ .

االمعاني القائمة في معنى قوله تعالى : " ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وبآؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون "(١).

ومن ثم فإن الإسرائيليين لما نزلوا البلاد التي اعتقد أهلها الوثنية ، ورأوهم يعبدون البعل،سارعوا إلى ذات الاعتقادات فمارسوها(٢) لكن بوعي كامل ، ومسئولية تامة ، بدليل أنهم طوروا فيها ، كما أضافوا إليها من النعوت والأسماء ما يجعلها خاصة بهم وحدهم ،أو على الأقل بجعل إمكانية نسبة التطوير فيها راجعة إليهم دون غيرهم ومن الأدلة على ذلك ما يلي :

أ ــ كثرة الأسماء :

كان البعل في الديانات المصرية القديمة ، والكنعانية يسمى الرب،باعتباره الإله الأكبر بالنسبة للآلهة الأخرى ، كما سمي زوج أو سيد من غير إضافة ، أما إذا وقعت إضافته إلى مكان ، أو بلد أو جماعة فإن لفظ سيد هو الذي يكون غالبا ، فيقال مثلا بعل ست ،وبعل صيدا ، وبعل فينيقيا ، حتى صار لفظ البعل اسم جنس كلفظ شعب وجيش وقبيلة ، يحتاج إلى ما يخصصه(٣).

فلما تشرب الإسرائيليون عبادة الإله البعل ، أكثروا من أسمائه المتعلقة بالجنس ، ثم طوروا فيها وأضافوا إليها الأسماء المتعلقة بالتعدد والجمع ، حتى صارت كل طائفة إسرائيلية ، وكل أسرة إسرائيلية ، فضلا عن كل سبط يختار لبعله من الأسماء ما يناسب طبيعة سكان هذه البلاد ، ومن ثم ظهرت

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٢ .

(٢) سبق القول بأنهم يعشقون تقليد الآخرين متى كانوا ضعفاء إما من باب إظهار الخضوع وإما من باب حب التقليد،راجع تفاصيل ذلك في الباب الأول ، الفصل الثالث أثناء الحديث عن دوافع اليهود في تقبل الوثنيات.

(٣)جون روهان ــ اليهود واعتقاداتهم ص ١٧١ ترجمة هناء فخري ١٩٨٧م .

له أسماء مفردة أو مجموعة منها : البعليم ، وبعل بريث ، والبعاليم[1]، وهكـــذا تعددت أسماء هذا البعل في الطوائف الإسرائيلية،حتى صار سمة خالصة لهم .

ويرى ديورانت أن الزمن القديم ، قد شهد عبادة البعل وانتشارها بين أهالي الشرق ، وكثرت معه الأسماء الدالة عليه ،باعتبار أن كل أمة من الأمم الشرقية، تطلق عليه أو تضيف إليه من التسمية ما يعرف به عند أفرادهـــا أو شـــعبها ، لكنها في الغالب تبتدئ بالمقطع الأول ، بعل ثم يضاف إليه الشعب أو المكان أو المدينة ، بناء عليه ظهرت أسماء بعل فغور الذي كان يعبده المؤابيون ، وبعـــل بريث الذى كان يعبده الكنعانيون،وبعل زبون الذي كان يعبده الفلسطينيون [2]وقد عبد الإسرائيليون هذه البعول كلها ، ثم أضافوا إليها بعد عدم اكتفائهم بها .

ب ـــ ذكره في أسفار العهد القديم :

تعدد مجئ لفظ البعل في أسفار العهد القديم ، التي كتبت بأيدي أصحابـــها ، لكنه أحيانا يجئ مقترنا بصورة غضبية تدل على الفزع والقلق،وعدم الرضا من جانب الرب الإسرائيلي عن عبادته،على أساس أنها عبادة وثنية ، وأحيانا يجـــئ على أن عبادته تتساوى مع يهوه تماما بتمام ، وذلك مما يجعل هذا الرب يغضب ويتم تصويره في صورة غضوبة جدا .

---

(١) الدكتور مرسي السيد توفيق ـــ الاعتقادات اليهودية ص ١٣٥ ط أولى ١٩٥٥م يقول : ج . كونتينتو : كان لفظ بعل يطلق عند بعض العلماء على إله بعينه ولكن هذا غير صحيح ، فإن لفظ بعل يطلق على الإلهـــة بوجه عام ـــ فيما عدا إطلاقه في نصوص رأس الشمر الكنعانية ـــ على الإله الأكبر بعل ، فيقال بعـــل هـــذا الإقليم أو ذاك مثل بعل صور ، أو بعل لبنان ، بمعنى سيد صور أو سيد لبنان ، وكان هذا الاصطلاح يومئـــذ اسم جنس يحتاج إلى وصف يتحدد به مدلوله حتى يكون خاصا ، بدل أن كانت طبيعته تدل على العموم ١ ج كونتينتو ـــ الحضارة الفينيقية ص ١٢٠ ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليـــم بالتعاون مع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب مراجعة الدكتور طه حسين سلسلة المراجع الجامعية .

(٢)ول ديورانت ـــ قصة الحضارة ـــ المجلد الأول ج ٢ ص ٣١٥ .

فمن الأول[١] ما ذكره العهد القديم من أن الشعب الإسرائيلي تدرب على الأعمال الوحشية من زنا ، وقتل ومخالفة الرب ، بجانب العديد من الاعتقادات الوثنية ، وأن موسى لما نزل مؤاب قام أفراد الشعب الإسرائيلي إلى بنات مؤاب وتم الزنا بهن[٢] وقامت بنات مؤاب بأخذ الشعب الإسرائيلي إلى مذابح الآلهة المؤابية ، فأكلوا عندها وسجدوا لها .

وتعلق إسرائيل ذاته بعبادة بعل فغور، تلبية لرغبات بنات مؤاب اللآتي تم الزنا بهن ، وكأن القحبة صار لها صوت مسموع ، بدل أن كانت صاحبة ذيل مرفوع[٣] فغضب الرب من ذلك الفعل على بني إسرائيل وتوعدهم ، ثم قال لموسى خذ رؤس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس ، حتى يرتد غضب الرب عن إسرائيل [٤]، الذي تعلق وأفراده بعبادة بعل فغور[٥]على أساس أنه كان أحد الآلهة المؤابين التي اقتبست من آلهة الكنعانيين ، وليس بعل فغور من الآلهة التي أمر الرب بها شعبه الخاص به ، ولما كان المؤابيون قد أقاموا تمثال هذا البعل على جبل فاغور، فقد سمي به ، ولو كان الإله التوراتي قد أمرهم بعبادته، ما غضب منهم على هذه العبادة .

---

(١)مجيء البعل مقترنا بالصورة الغضوبة جدا ، لأن الصورة الثانية هي مجيئه متساويا مع ياهوه ، فهما صورتان .

(٢)والمؤسف له أن هذه العمليات الانحلالية قد ذكرها العهد القديم تفصيلا كأنه يضعها للفخر وسبحان الله العظيم صارت أعمال الحرام عندهم مدعاة للفخر ، ألا يدل ذلك على أنهم شربوا المحرمات كلها فغضب الله عليهم أجمعين.

(٣)ليو تاكسيل ـ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٢١١ ، وعبارته فيها الكثير من السخرية بالعنصر الإسرائيلي ، ومؤلفي الأسفار التي تمثل العهد القديم .

(٤) الأستاذ / صبري جاويش ـ ظاهرة الغضب في العهد القديم وموقف الإسلام منها ص ١٨٣ رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية ـ جامعة الزقازيق قسم الأديان المقارنة ٢٠٠٢م .

(٥)راجع العهد القديم ـ سفر العدد ٢٥ /١ وسفر القضاة الإصحاح السادس ٣٥/٢٥ .

ومن الثاني[١] ما ذكره سفر الملوك الأول : من أن الإسرائيليين قد انطلقوا في عبادة البعل إلى أبعد مدى ، حتى كان منهم أربعمائة وخمسون ممن يعتبرون أنفسهم أنبياء البعل في عهد أخاب ، بجانب أربعمائة آخرين كانوا منتشرين في السواري الوثنية ، التي أقامها الإسرائيليون للبعل وعبادته ، وكانت المواجهات العنيفة تحدث بين أنبياء يهوه من ناحية ، وأنبياء البعل من ناحية أخرى ، وغالبا ما كانت الخلافات تنتهي في أشكال مأساوية[٢] مع أن طبيعتها لم تكن كذلك .

يقول سفر الملوك تقدم إيليا إلى جميع الشعب الذين كانوا يأكلون على مائدة إيزابيل،وقال لهم إلى متى تعرجون بين الفرقتين ، إن كان الرب هو الله فـاتبعوه وإن كان البعل هو الله فاتبعوه ، ولكن الشعب لم يجبه بكلمة [٣] كأنهم أرادوا أن يقولوا له إننا نتعامل معهما معا،على أن كلا منهما هو ذات الرب الذي يتجه إليه اليهود ، ومن ثم يتأكد أن القوم يحرصون على ذكره في أسفارهم ، وتمجيد الأفعال التي تقوم بشأنه ، أو تتم بناء على طلبه.

ج – إقامة التماثيل والمذابح له :

بلغ من حرص اليهود على إرضاء البعل ومحاولاتهم العديدة في التكيف معه ، أن أقاموا له التماثيل ، كما نصبوا لها المذابح ، وقدموا القرابين البشرية والحيوانية باسمه ، ناعتين إياه بصفات عديدة ، من أبرزها :

١ – القدرة على نصرة الشعب الإسرائيلي الذي اختاره لنفسه[٤] .

٢ – الشفاء من الأمراض التي تجئ هذا الشعب وحده[٥].

---

(١) الثاني هو مجئ البعل متساويا مع يهوه في الاعتقادات الإسرائيلية .

(٢) ولا شك أن هذه التصورات الساذجة تكشف للقارئ عمق الأفكار الوثنية في الديانة اليهودية .

(٣)راجع تفاصيل هذه القصة في العهد القديم – سفر الملوك الأول ١٨/١–٢٥ .

(٤)الدكتور محمد سيد مرسي – إسرائيل الماضي والحاضر ص ١٣٥ ط ثانية ١٩٧١م .

(٥)لأنهم جعلوه إلها خاصا بهم ، وبالتالي لن يستجيب لأحد غيرهم .

٣ — كثرة الطعام والشراب الذي يطلبه أفراد الشعب الإسرائيلي وحدهم[١] لأنهم تحولوا به إليهم . بجانب خصوبة الأرض .

وكثيرا ما كانت تحدث بين أنصار البعل،وأنصار يهوه خلافات كثيرة وقد يتمكن أنصار يهوه من هدم التماثيل والمذابح التي صنعت للبعل ، أو تم التعامل معها باسمه .

ذكر سفر القضاة أن الرب كلف القاضي جدعون بأن يهدم المذبح الذى نصب للبعل ، وأن يقطع السارية التي عنده ، ثم يقوم جدعون نفسه ببناء تمثال ومذبح للرب يهوه مكان الذي هدم[٢] ، وفعلا استجاب جدعون ليهوه ، فأخذ عشرة رجال من عبيده،ومع كل واحد منهم الآلة التي يستخدمها في الهدم،وعمل كما كلفه الرب ، لكن على أن يتم ذلك في الليل ، ولا يكون في النهار، لأنه كان يخاف مباشرة ذلك أمام أخوته وأهل المدينة ، الذين تعلقوا بالبعل ونصبوا له التمثال والمذبح[٣].

بيد أن أهل تلك المدينة لما استيقظوا،رأوا أن المذبح الذي كان للبعل قد هدم والسارية التي عنده قد سقطت ، فصار كل منهم يحدث نفسه ، ويتحدث مع صاحبه عن فاعل ذلك ، لكن لم يطل بهم المقام ، حتى غلبت عليهم الظنون بأن فاعل ذلك هو جدعون بن يوآش القاضى ، ومن ثم كان لابد من مواجهته بما فعل ، فطلبوا منه أن يخرج حتى يموت ، لأنه هدم مذبح البعل ، وقطع السارية التي كانت عنده[٤].

---

(١)الدكتور محمد سيد مرسي — إسرائيل الماضي والحاضر ص ١٤١ .

(٢)لأن المسألة ما دامت قائمة في معارك الآلهة فأنصار كل إله عليهم أن ينتصروا له .

(٣)العهد القديم — سفر القضاة ٦ — ٢٥ / ٢٩ .

(٤) إذن هم حين أقاموا التماثيل للبعل ، لم يكن ذلك جبرا لهم من أحد ، وإنما كان رغبة ملحة في صدورهم ، وفوق ذلك كان بإمكانهم السير خلف القاضي جدعون أو مجاراة النبي ايليا في عبادة الإله ولكنهم فضلوا ما هم عليه من عبادة البعل ليكونوا فريقا أخر في مقابلة فريق يهوه .

فلما لم يجبهم إلى طلبهم الأول، أعلنوه بضرورة الخروج ليقاتل البعل بنفسه فإما أن يقبل البعل منه التوبة ، أو يموت لكونه هدم مذبحه،لأنه كان القائم في اعتقادهم إمكانية البعل نفسه في القضاء على هادم مذبحه ونصبه ، وبالتالي أطلقوا على جدعونه يربعل قائلين ليقاتله البعل [١].

ويغلب على ظني أن هذا السفر، مما تمت كتابته من أسفار العهد القديم في مراحل تاريخية متأخرة جدا ، لأن صورة الاقتباس فيه واضحة ، إنها صورة قريبة مما ورد في القرآن الكريم بشأن خليل الرحمن إبراهيم،حيث جعل الأصنام جذاذا ، وقد رجعوا إلى أنفسهم ، وحدثت المحاورة حيث لم تقع ظنونهم على شخص آخر سوى إبراهيم عليه السلام ، غير أن ما في القرآن الكريم،قد جاءت نهايته فيها انتصار خليل الرحمن وانهزام الآخرين حيث قال الله للنار كوني بردا وسلاما على إبراهيم[٢] .

أما في العهد القديم فقد جاءت القصة فيها الكثير من التشابه مع البتر المتعمد ، والاقتباس المغلوط ، والنهايات التي تقف على حافة المجهول،مما يؤكد أمرين في وقت واحد :

الأول : إمكانية أن يكون هذا الاقتباس قد تم من قصص القرآن الكريم على سبيل بتر الأحداث وتجميدها ، حتى يفلت السارقون بجرائمهم ، وكثيرا ما فعلوه بغرض أن يوهموا القارئ العجول الغر أن القرآن الكريم هو الذي يقتبس من أسفار العهد القديم[٣] ـــ وحاشا لله ـــ على أساس استفادة اللاحق من السابق ؛

---

(١)العهد القديم سفر القضاة ٦ ـــ ٣٠ / ٢٤

(٢)راجع هذه القصة القرآنية في سورة الشعراء والصافات ففيها العظة بجانب الإعجاز لكن الاقتباس الذي قام بها مؤلفوا العهد القديم اقتباس مشوه منقوص نهاياته مقطوعة ونتائجه مبتورة .

(٣)مجموعة من خدام الرب ـــ تعليقات على القرآن ص ٣٥ ، ٤٧ ، ٧٣ القسم الرابع نشرة مجلة الحياة ١٩٤٥م ، الطبعة الثانية ١٩٧٤م .

وهم في ذلك كله كاذبون ، لأن قصصهم سيئ كله ، منقوص كله ، مغلوط كله ، أما قصص القرآن الكريم فهو الأحسن من كل ناحية قال تعال:" نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين"[١].

والمعنى : نحن نحدثك يا محمد،ونخبرك ونروي لك أخبار الأمم السابقة من الهالكين والناجين ، بالكلام الصادق والبيان الكاشف الكافي الشافي ، وسيكون ذلك في القرآن الكريم المعجز ، وإن كنت من قبل أن ينزل عليك القرآن الكريم بهذه القصص والأحوال من الغافلين عنها لكونها لم تخطر لك ببال ، ولم تـرد عندك على مورد ، كما أنك أمي لم تقرأ ولم تكتب ، وفوق ذلك لم نجعلك تسمع بها ، حتى تكون خالصا لنا مرسلا من قبلنا[٢].

الثاني: أنها قصص مشبوهة في أحداثها[٣]مبتورة في سياقها ، تجري فيها الوثنية من كل ناحية ، كما أن الحدث فيها غير متطور ، وهو ما يعرف باسم إسقاط الحدث الزمني ، وقصة تفتقد العناصر الأصلية ، لا يمكن حسبانها مقبولة في ميزان النقد الأدبي على الناحية القصصية ، ومن ثم فان هذه الانتقاصات تلحق كاتبيها بقدر ما تلحق ذات الكتابة ، لأنهما ــ القاص والقصة ــ نسيج واحد ،كل منهما يعبر عن الثاني .

د ــ مساواة البعل بيهوه :

ذكرت أسفار العهد القديم أن الاعتقادات الإسرائيلية في البعل تساوت مع الاعتقادات الإسرائيلية في يهوه أيضا ، حتى صار لكل منهما فريق يدافع عنه ،

---

(١) سورة يوسف الآية ٣ .

(٢)الشيخ عبد الكريم السيد الحسيني ــ تفسير سورة يوسف ص ٢٥ الطبعة الأولى ١٣٣٥م .

(٣)المعروف ان أركان القصة المتكاملة هي: أ ــ الموضوع . ب ــ الأحداث. ج ــ الزمان والمكان د ــ الراوي هـ ــ النهاية . ولابد أن يكون الموضوع محددا حق لو كان من بنت الخيال ، وأن تجري الأحداث فيه جريا طبيعيا ، وأن يكون كل حدث متحركا ، يأتي به الراوي الحقيقي أو الاعتبار من غير تكلف راجع للدكتور محمد عبد العظيم الدهشان ــ القصة الأدبية وملامحها ص ٣٥ .

ويناصر الآراء التى يعتمد عليها ، بل أن الخلافات والمعارك التي كانت تحـدث بين أنصار كل منهما تجئ في العهد القديم في صورة مباراة بين فريقيـن[١] ، أو حروبا ضروسا تقوم بين جبهتين أو تعتمد في تشكيلاتها العسكرية والحربية على حلفين ، وذلك مما يؤكد أن عبادتهم للبعل لم تكن وقتية ، أو تمت تحت لون من ألوان الجبر والإكراه . بل إن بعض الأسفار ذكرت تفضيل الشعب الإسـرائيلي للبعل على ياهو ذاتــه أحيانا كثيرة ، فيذكر سفر القضاة،أنه بعد موت جدعــون بن يوآش القاضي الذي هدم المذبح ، رجع بنو إسرائيل إلى الأوثــان ، فزنــوا وراء البعليم،واختاروا لأنفسهم عبادة بعل بريث[٢]، ليكون إلــها جديـدا ، ولــم يعودوا يذكرون الرب الذي أخبرهم أنهم شعبه ، وسبق له أن أنقذهم من أعدائهم جميعا[٣]، وفيه التأكيد على نزعتهم التي تقذف بهم نحو الأوثان أيا كان نوعّها .

يقص سفر الملوك أن الرب اختار لنفسه نبيا هو إيليا ، أمــا البعـل فقــد اختاروا له نبيا هو أخاب ، الذي ضعفت إرادته ، وخارت عزيمته ، أمام سلطان زوجته إيزابيل الوثنية[٤] ذات الشخصية القوية ، وقد استطاعت إيزابيل إجبــار أخاب على جعل عبادة البعل رسمية في المملكة، وقام هو نفسه ببناء معبد فــي السامرة لهذا البعل فصار أخاب هو النبي الممثل للإله البعل[٥]مع عجز البعــل

---

(١)الدكتور محمد على طلبة ــ الحروب وأنظمتها في المصادر اليهودية ــ دراسة ونقد ص ٧٤ .

(٢) بعل بريث هو اسم معناه رب العهد،وهذا الاسم كان يطلق على البعل في شكيم،حين كان حكم القضــاة قائما ، وكان لهذا البعل هيكل ومذبح،وتعددت أشكاله وصوره،وربما عرف باسم أيل بريث ، ومعناه إله العهد وكان بعل بريث يحتل مكانة عظيمة في شكيم . قاموس الكتاب المقدس ص ١٨٢ .

(٣)العهد القديم ــ سفر القضاة ٨ / ٣٣ ــ ٣٧ .

(٤)الدكتور عبد العظيم السيد سلطان ــ دراسات في اليهودية ص ١٨٧ ط أولى ١٩٧٥م وراجع فيليــب حتى تاريخ سورية ج ١ ص ٢٠٩/٢١١.

(٥) وبالتالي صار مفهوم الفريقين قائما لا على سبيل التوافق والتوارد ، وإنما على ناحية الاختلاف والتبــاين ، وهو ما يعني أن البعل امتد سلطانه في العقلية الإسرائيلية إلى حد معين .

عن الاختيار ، لقد فرضوا على إلههم البعل قبول أخاب نبيا له ، طالما كان إيليا نبيا ليهوه .

ولما كان الاختيار قد وقع على كل من إيليا ليهوه،وآخاب للبعل ، فقد صار كل منهما يتربص بالآخر ، يكشف عن ذلك الحوار العجيب الذي قصه سفر الملوك ، حيث ذكر أن أيليا أرسله الرب يهوه إلى آخاب ، فلما رآه آخاب قادما من بعيد بادره بالسؤال أأنت هو مكدر إسرائيل [١]، فقال إيليا لآخاب لم أكدر إسرائيل ، بل أنت ربيت أبيك الذين تكدرون إسرائيل ، بترككم وصايا الرب وسيركم وراء البعليم[٢].

بل أن إيليا نفسه يلح على آخاب أن يجمع رؤساء الإسرائيليين الذين يعيشون في مملكته ، ويحشرهم إلى جبل الكرمل،ومعهم أنبياء البعل الأربع مائة والخمسون ، ومعهم أيضا أنبياء البعل الذين هم بالسواري المقامة عند النصب والمذابح والهياكل،الذين تغذيهم إيزابيل الملكة زوجة آخاب،ويأكلون على مائدتها ويخيرهم بين عبادة يهوه ، وبين عبادة البعل[٣] .

ومن الغريب أن كاتب القصة يفرط في خداع القارئ ،حين يتصوره ساذجا لأبعد حد ، بدليل أنه قص عليه أن جميع بني إسرائيل قد حضروا إلى جبل الكرمل ، ومعهم جميع مدعي النبوة ، دون أن يحيط علم قارئه بأعدادهم ، وهل كان فيهم الأطفال والعجزة وأصحاب الأعذار ، وهل كان فيهم النساء أيضا ، أم

---

(١) ولا شك أن الصيغة تحمل لغة الاقام المباشر لايليا ، بأنه يتحول بالناس من الأمن إلى غيره ، ومن السلم للحرب ، وكل من إيليا وآخاب ، إنما يقاتل في معركة وهمية لا وجود لها في الحقيقة .

(٢) العهد القديم سفر الملوك الأول ١٨ / ١ ـ ١٩ وراجع السفر كله فهو كاشف لأمور يمكن التعرف عليها بسهولة تمس نفس عبادة البعل .

(٣)ألا يدل هذا على أن القوم لا يتجهون نحو الله أبدا ، أنهم يوازنون بين جملة من الآلهة الفاسدة ، ويمارسون أنواعا من العبادات الباطلة .

أنه أراد اللعب على الأوتار المشدودة ، وتناسى القواعد المقبولة ، ثم ينتهي من هذا اللقاء الجامع الحاسم ، إلى نتيجة هزيلة هي أن الشعب لم يجبه بكلمة [١].

بيد أن مساواة البعل ليهوه في الاعتقادات الإسرائيلية لم تكن على سبيل الإضطراد ، وإنما كانت تأتي في بعض الأحيان معكوسة ، يقع بينها تبادل المواقع،فترى عبادة البعل هي السائدة وحدها ، بينما عبادة يهوه خافتة توشك أن تختفي ، وأحيانا تلمح عبادة يهوه هى الغالبة،أما عبادة البعل فمطارد أصحابها ، مهدمة تماثيلها ، محطمة مذابحها[٢].

على كل فان هذه العلاقة الغريبة بين البعل ويهوه تكشف عن اقتباسات ظهرت آثارها بين أنصار كل واحد من الفريقين ، مما يؤكد أن الإسرائيليين في الماضي هم أجداد اليهود الذين جاؤا بعد ذلك حاملين لقب اليهود أو الوصف به، وأنهم قد إنغمسوا في الوثنية حتى الأنوف ، وعاشوا تحت الاعتقادات الفاسدة ، ومارسوا العبادة الباطلة إلى يومنا هذا[٣] .

بدليل أن إيليا لما لم يعجبه سلوك أنبياء البعل ــ الذين أعانهم الملك آخاب ــ في مساواتهم البعل بالرب الإسرائيلي ، سعى في الوقيعة بهم واصطيادهم بأي شكل ، ويبدوا أنه كان متمكنا منها ، لكنه استعمل الطريق الذي يقطع على المخالف الفرصة للهرب أو الاختباء.

---

(١) راجع هذه التعليقات والأسئلة المتواصلة لدى كل من ليوتاكسيل ــ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٢٧٢ وكاجدان ــ الديانة والإلحاد في العالم القديم ص ٣٧٥ ، رانوفتيش ــ المختصر في تاريخ الدين اليهودي القديم ص ٢٤١ .

(٢) كم تمنيت أن يقوم باحث بدراسة علمية أكاديمية عن أثر البعل في اليهودية لأن ذلك يحتاج متابعة في العصور التاريخية والسياسية ويكشف عن علاقة ماتزال قائمة بين النصوص والوثنية .

(٣)والكتابات التي تنشر عن حاخامات إسرائيل اليوم ، قافذة فوق أسفار العهد القديم ، هي من أكثر الدلائل على الممارسات الإسرائيلية المنحرفة قديما وحديثا .

لقد أسف إيليا من هده التصورات الساذجة ، وأراد أن يثبت لهم عمليا كذب البعل ،فطلب ثورين حتى يقدما محرقة للرب والبعل معا ، على أساس أن يقدموا هم ثورهم باسم البعل ، ويقدم هو ثوره باسم الرب[1]ويبدو أنهم وقعوا في السفخ من غير وعي ، فوافقوه على طلبه ،وقدموا أحد الثورين للبعل،وراحوا يتوسلون إليه بالدعاء ، ويلحون عليه بكل ألوان الرجاء،حتى يستجيب لهم[2]،ويرسل نارا من عنده تلتهم الثور .

لكنه لم يجبهم لطلبهم ، وظلوا حيارى ماذا يصنعون ، لقد أسرفوا في الإلحاح والرجاء ، وأكثروا من الدعاء ، لكن بعلهم أصم أذنيه فلم يسمع لهم ، وحاق بهم الخزي ، ولو كانوا عاقلين ما توجهوا بالدعاء والرجاء بعد صحيح الاعتقاد، إلا إلى الله رب العالمين، أما الأوثان، والأصنام فمقضى عليها بالهلاك قوله تعالى :" قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون" [1].

---

(١)الدكتور / يوسف عبد العظيم فرج ــ قصص العهد القديم ص ١٥٣ ط أولى ١٩٦٥ م .

(٢)كاجدعان ــ الديانة والإلحاد في العالم القديم ص ٣٧٧ ، وراجع للشيخ على محمد حكمت الله ــ العقائد الوثنية ص ٣٤٥ .

(١) سورة الشعراء الآيات ٧١/٧٣ لقد كان خليل الرحمن يريد أن يوقفهم على سفاهة عقولهم التي تعبد ما لا ينفع ، وفي نفس الوقت يقيم الحجة عليهم في الحاجة إلى الله تعالى ، إذ كان يعلم مثلهم أنها أصنام لا تتكلم أو تسمع ولا تضر ولا تنفع ، فكان جوابهم هو جواب العاجز حيث قالوا إنها أصنام ونحن نعبدها،وستظل مقيمين على عبادتها افتخارا بها وتباهيا ، فكان سؤاله لهم على الجهة التي يقع بها قبول النداء أو الدعاء فضلا عن الاستجابة ، هل يسمعونكم إذ تدعونهم ، أو هل ينفعونكم إذا دعوتم أو يضرونكم إذا لم يقع منكم الدعاء ، هل يبذلون لكم منفعة ما ، أو يدفعون عنكم أية مضرة مهما كانت ، ولكنهم احتاروا فسقطت منهم المباهاة، وراحوا يتلمسون الأمل في التقليد المذموم ، فقالوا نحن نعلم أنها لا تسمع،ولا تضر ولا تنفع ، لكننا رأينا آباءنا يفعلون ذلك ففعلنا فعلهم ، وقال العلامة أبو السعود : إنهم اعترفوا بأنها لا تنفع ولا تضر بالمرة ، واضطروا لإظهار الحقيقة والاعتراف بها ، وهي أنه لا سند لهم في ذلك سوى التقليد.الإمام أبو السعود ــ أرشاد العقل السليم ج ٤ ص ١٠٩ .

على الطرف المقابل من المواجهة ، سارع إيليا إلى ثوره فأحضره ، ودعا الرب إلهه أن يقبله محرقة،فما أن انتهى من دعائه،إلا ونزلت نار فأحرقت الثور في الحال ، وكان ذلك بمثابة النتيجة النهائية،التي قام عليها تصديق أنبياء الرب، ومنهم إيليا، وتكذيب أنبياء البعل ومنهم آخاب، وبالتالي أعلن الشعب الحاضرون أن الرب الذى يمثل أنبياءه ايليا هو الإله ، أما البعل الذي يمثل أنبياءه جملة من الكذبة قد بان هلاكهم ، فانتهز إيليا الفرصة ألتي جاءت لصالحه ، وأمر بقتل أنبياء البعل جميعا وقد تخلص منهم بمقتلة واحدة[1]، والقصة على هذا النحو تسمح لمن يملك القوة بإبادة الآخرين جميعا والتخلص منهم بأسرع وقت ، وبأية حيلة أو وسيلة .

ولأن أنصار البعل الذين لم يحضروا هذا القربان علموا بالأمر ، فقد حزنوا ولما أخبر آخاب امرأته إيزابيل بما فعله ايليا وأصدقاؤه توعدته بالقتل هو ومن شارك في هذه المقصلة ، ولما أيقن إيليا أن المسألة تعهدتها الملكة ، وأنه هالك لا محالة هرب إلى الجنوب وظل يتمنى الموت لنفسه ، بل أنه طلب من الرب الموت ، ولكن قد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، حيث أرسل الرب لايليا المتوجس خيفة ، والمستعد للهرب ، ملاكا ظل يشجعه ، حتى يواجه آخاب وإيزابيل معا ، وينفخ في أصدقائه من روح الأمل والشجاعة ، وبعد قليل استطاع غلبتهم ، بل صار هو ملكا على إسرائيل وتسمى إيليا باسم الرب ياهو ذاته[2].

---

(١) العهد القديم ــ سفر الملوك الأول ١٨ / ٢٢ ــ ٤٨ وأيضا الإصحاح ١٩ / ١ ــ ٢٠ من ذات السفر ففي ذلك تفاصيل للمذبحة التي ارتكبت ، وراجع لنجلاء مصطفى بدوى ــ الدوافع في العهد القديم وموقف الإسلام منها ص ٢٢٩ رسالة ماجستير بقسم الأديان المقارنة بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية ٢٠٠١م.

(٢)ليوتاكسيل ــ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٢٣٧ .

ومن المؤكد أنه في ظل هذه التراكمات من النزاعات العدوانية القائمة بين الإله ياهو ، والإله البعل ، وأنصار كل منهما ، سوف يظهر العديد من الطقوس والعبادات ، كما يقع الكثير من التجاوزات ، وهو الذى يمثل التعددات الإلهية ، بجانب التجسدات في ذات الآلهة ، طبقاً لما ظهرت آثاره في الاعتقادات الإسرائيلية ، واليهودية الوثنية على السواء .

لكن هناك نقطة مهمة، وهي أن عبادة البعل في الإسرائيليين لم تكن وحدها كما أن عبادة الرب يهوه هي الأخرى لم تكن وحدها ، وإنما كانت هناك اعتقادات وثنية أخرى **كالعجل،والحية النحاسية،والأفعى** إلى غير ذلك ، وهو ما يجعل القارئ العادي للفكر الإسرائيلي[1]بأن ما في الطبيعة الإسرائيلية كان هو المصدر الأساسي الذي استقبل الأفكار والاعتقادات الوثنية ، ثم أدخل عليها بعض التطورات ، لتكون متوافقة مع اتجاهات وأحلام القائمين بهذه التعديلات ، وأخيرا اندفع الإسرائيليون واليهود إلى تصدير هذه الوثنيات،على أنها اعتقادات صحيحة ، جاءت بها أسفار كتابهم المقدس ، وما فيها شئ مقدس أبداً .

لقد تعجب اسكورت من هذه الأفكار وقال: يبدو أن العقلية الإسرائيلية لم يكن لديها استعداد في الابتعاد عن امتصاص فضلات الآخرين ، ويبدو أنهم قد تعودوا هذه الأعمال الوثنية منذ فترة الشتات ، وقبلها بكثير ، ولما لم يستطيعوا التخلص منها ، فقد سجلوها في كتبهم ، على أنها مما جادت به قريحة ياهو ، وما هي إلا نتاج قرائح الذين فقدوا القدرة على الاتصال بالفكر الصحيح ، أو تتسموا الحرية من منابعها الأصيلة[2].

---

(١) لست أجد فكراً محدد المعالم ، أو واضح الملامح ، وإنما الذي يمكن العثور عليه ، شتات أفكار ، واقتباسات غير متوافقة مع بعضها ، ولذا فتسمية ذلك فكرا فيه الكثير من التجاوز .

(٢)جو تفريد مارتن اسكورت ـــ الفكر الشرقي القديم ـــ العقائد والعبادات ص.٢٩٥ ترجمة زكريا عبد العظيم ١٩٣٧م.

والذى تقف لصالحه النتائج العلمية ،هو أن اليهود لم تكن لديهم مبادئ ثابتة يتمسكون بها ، لأنهم قتلوا أنبياءهم،واعتدوا على كتاب الله الذي أنزله على كليمه موسى إليهم[١] فلما نقضوا هذه الأصول ، وهدموا تلك القواعد ، صاروا يتخبطون الظلمات ، فلم يعد الأمر بعيداً ، أن يعبدوا البعل أو البغل ، ويؤلهوا العجل أو البعير، لقد ألهوا كل الحيوانات التي تعاملوا معها ، وسواء أكانت هذه الاعتقادات عندهم مقصودة لذاتها ، أم كانوا يعتبرونها على أنها أمثلة للإله ، أو تمثلات يجئ عليها ، فإن الذي لا شك فيه ، هو وقوع الإسرائيليين واليهود في تجسدات الإلهية بعد التعدد المتكرر فيها .

لقد كانت الأجواء الدينية تختلط بالأجواء السياسية في الأفهام اليهودية ، كما أن الأحوال المعيشية هي الأخرى لم تكن تأخذ طابعاً بعينه ، ومن ثم يمكن القول بأن هذا النوع من البشر اضطربت أحوالهم الدينية، باضطراب أحوالهم المعيشية كما اضطربت أحوالهم المعيشية بالأحوال السياسية ، ومرجع ذلك إلى ما في طبيعتهم من نزعة عدوانية ، واتجاه يميل به نحو العنصرية[٢].

كما أن تأليههم للبعل لم يكن إلا أحد المظاهر البارزة التي تطوف بالفكر وخياله حيناً ، وعواطفه الشجية حيناً آخر ، لأن مظاهر هذا التأليه جاءت بها أسفارهم[٣] لا على سبيل الحكاية لها ،وإنما على سبيل الاستشهاد بها والاقتداء ، وهو ما يفسر لنا إفراطهم في سرد الأحداث،والابتذال في عرضها،وتناولها أيضاً وكأنهم يتلذذون بها حكاية واعتقاداً .

---

(١) ولا شك أن ما في أسفار العهد القديم دليل قوي على العدوان الذي مارسوه بالنسبة لكتاب الله تعالى — التوراة ، لأن العهد القديم بكل ما فيه لا يحمل سوى جملة من الأفكار غير الناضجة ، وقد نظمها أصحابها لتعبر عن أفكارهم وأحلامهم بما فيها من الضعف وما تحمل من الأخطاء .

(٢)راجع للدكتور فوزي محمد حسن — إسرائيل والعنصرية ص ١١٥ .

(٣) ومن ثم فإنهم ليس بإمكانية زعم أن أحداً تجنى عليهم ، أو مارس نوعاً من الضغط على أفكارهم .

ومما لا شك فيه أن متابعة اعتقاداتهم في تأليه البعل وأنواعه ، والتماثيل التي نصبت له ، والمذابح التي قدمت عليها القرابين باسمه ، ربما استغرق كتاباً بأكمله حتى يكون وافياً بما هو قائم في أفهامهم عن عبادة البعل وتأليهه ، لأن العرض الدقيق يحتاج نوعاً من التروي فيه ، بجانب طريقة الانتقال من الحدث للآخر عند المعالجة ، وذلك يحتاج قدرة خاصة على التحرك بالمعاني والمفاهيم نحو الاتجاهات الصحيحة من ناحية الرواية ، لا من ناحية الدقة في اصطياد المادة العلمية لأن العهد القديم جاءت أسفاره كاشفة عوراتها فاضحة نفسها إلى أبعد مدى.

(٢)تأليه العجل الحيواني[١]وتجسيده :

العجل حيوان معروف هو ابن البقرة ، وكانت عبادته معروفة في البلاد الرعوية،والحضرية على السواء ، لما يمثله من قوة وخصوبة فهو الذي يحرثون عليه الأرض ، وهو الذي يحملون عليه المتاع ، ثم هو الذي يكثرون به الذرية، وفوق ذلك فقد كان هذا العجل بمثابة الحارس القوي للقطيع من أعدائه ، حيث ظهرت له ألوان من البراعة في مهاجمة الخصوم ، وكان قرنه القوي يرمز إليه بالقوة الجديدة ، التي تأتي في المرتبة التالية لكل من الحرث والخصوبة[٢].

وهذه الصفات جعلت العجل يقفز فوق غيره من الحيوانات إلى دائرة الاهتمام المتزايد ، حتى اعتبره البعض إلهاً مقدساً ، بينما اعتبره البعض الآخر رمز القوة الإلهية ، ومن ثم فقد تعددت جهات الاهتمام به ، بقدر ما له من صفات بلغت في بعض الأوقات مبلغ التقديس،ثم قفزت إلى المرتبة الأعلى،وهي

---

(١) العجل ولد البقرة الذكر ، وجمعه عجول ، أما ولد الجاموسة ، فيطلق عليه اسم الفحل صغيراً كان أم كبيراً ، وابن الناقة ، يسمى الفصيل ، راجع المنجد في اللغة والفنون والآداب ـــ باب العين .

(٢)أ.ب ـــ هايد ثورك ـــ الديانات القديمة ص ١٩٣ ترجمة لطفي السيد فخرى ١٩٥٣م .

التأليه والتقديس معاً ، ثم اعتباره البديل عن الإله تماماً ، أو هو الإله ذاته [١].

لكن الاعتقادات المتعددة في امكانيات العجل ، جاءت داخل العديد من البلدان المختلفة ، إذ ما من مجتمع استعمل العجل إلا وكان له في نفوس الأفراد أثر قوي ، فالمصريون القدماء ظهرت فيهم عبادة العجل من خلال تجسدات كثيرة ، بعضها ظهر في حيوان ذكر صغير ، وبعضها ظهر في صورة حيوان ذكر كبير، وعرف عندهم باسم عجل " أبيس " ، الذى كان من آلهة مصر القديمة ، وكانوا يتخذون له صورة ثور صغير، وتنحت تماثيله من ذهب [٢].

ويذكر الدكتور فوزي خيرى ، أن عجل أبيس الذي كان يعبده المصريون امتاز بالعديد من الأشكال والصور التي نالت التقديس والاحترام له حال حياته وبعد هلاكه [٣]ونفس الفكرة يقررها الدكتور رؤف شلبي حيث يذهب إلى أن عجل أبيس يعد من أشهر العجول المقدسة لدى المصريين[٤]القدماء ومن أشهر معبوداتهم المقدسة أيضا .

كما كانوا يضعون له مواصفات خاصة ، فكانوا يشترطون فيه أن يكون أسود الجلد ، فيه نقطة بيضاء ، وفى جبهته شامة بيضاء أيضاً مثلثة، ويوم أن يعثروا عليه يعتبرونه عيداً لهم ، ويوم أن يموت يشكل بالنسبة لهم حزناً عاماً ، ويستمر هذا الحزن مهما طال الزمن ، إلى أن يجدوا غيره،مما تنطبق عليه نفس الصفات[٥] وبالتالي يطلقون عليه اسم عجل أبيس ويقدسونه أيضاً .

---

(١) راجع الديانات الوثنية القديمة ص ٣٣٥ ، ولول ديورانت قصة الحضارة ، ولبريستيد فجر الضمير ، وكلها تحدثت عن العجل وتأليهه وعبادته عند الأمم والمجتمعات الوثنية .

(٢) قاموس الكتاب المقدس باب العين ص ٦٠٧ .

(٣)الدكتور فوزي خيري — الاعتقادات والعبادات والطقوس المصرية القديمة ص ١٧١ .

(٤)ومعنى هذا أنهم عبدوا الكثير من العجول وقدسوها وأطلقوا عليها العديد من الأسماء ، وكان العجل أبيس هو الأكثر شهرة من بينهم .

(٥)الدكتور رؤف شلبي — آلهة في الأسواق ص ٢٧٥/٢٧٤ .

من ثم يمكن القول بأن عبادة العجول ، انتشرت في مصر القديمة إلى حـد كبير ، وكان العجل من أكثرها شهرة ، بحيث لا يقارنه في هذا التقديس حيوان آخر ، لقد أضحت تلك الاعتقادات في نفوسهم تمثل حقائق ثابتة ،تتنقل حيناً من حيوان البعل إلى حيوان العجل ، ولا مانع من أن تدخل فيها عبادة البغل أيضاً، إنها عبادات باطلة قامت على اعتقادات فاسدة ، إذ كيف يعبدون العجـل وهـم يرونه يولد ثم يأكل ثم يموت وهي كلها نقائص ، والله جل علاه ، منزه عن النقائص كلها ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

كما ظهرت عبادة العجل لدى البابليين والآشوريين قديماً ، وكانوا يقدسـون العجول الذكور ،أكثر من تقديسهم أى نوع آخر من الحيوانات ، بدليل أنهم متـى أخبروا به أقاموا الأفراح ، وراحوا يرقبونه منذ صغـره ، مقدسـينه قبـل أن يمارس مهامه التي أناطوها به[1]، فهو ينال منهم الاحترام والعبادة سواء ، أقـام بمهامه أم لم يتمكن من القيام بها ، لصغر سنه ، أو ضعف بدنه .

بل الحفريات التي ظهرت مؤخراً دلت على أن الآشوريين كانوا يقدسـون العجول ، ويطلقون عليها أسماء عديدة ، منها كلمات قصيرة ، وأخرى طويلـة وأغلب هذه التسميات مأخوذة من المنافع التي علقوها علـى هـذا الحيـوان ، وبعضها الأقل مأخوذة من المخاوف التي قد تنتج عنه[2]، كما ظـهرت عبـادة الدببة في هذه البلاد أيضاً[3].

يقول ثورك : أن الاعتقادات في العجول وتأليهها كانت قائمـة في الديانات

---

(١)أندريه بارو ــ بلاد آشور ــ نينوى وبابل ص ١٩٧ ترجمة وتعليق دكتور محمد عيسى سـلمان ، وطـه التكريتي ــ منشورات وزارة الثقافة والإسلام بالعراق سلسلة الكتب المترجمة ط دار الرشيد ١٩٨٠م.

(٢) أ . جون فيكتور هولمز ــ عقائد الشرق القديم ص ١٨٥ ، ومن ثم فهذا القاسم مشترك بـين البـابليين والآشوريين والمصريين القدماء .

(٣)سيرغي توكاريف ــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ١٨٨ ، ٢٥١ .

القديمة كلها ، لما في العجل من منافع ، كانوا يحسبونها لصالحه ، وكـان هذا الاعتقاد لا يسمح لهم بقبول أية اعتقادات أخرى،يستوي في ذلك أهل بابل وأهـل آشور ، كما ظهرت لدى الكنعانيين الذين امتدوا بعلاقات متكاثرة مع المصريـين القدماء[١]، ولم يتخلوا عن الاعتقادات الوثنية المشتركة التي طالما جاءتهم مـن جهات متباينة .

والإسرائيليون في الماضى كانت لهم اتجاهات متباينة وأسـفار متداخلـة ، فحين ذهبوا إلى المصريين القدماء ، ورأوا عبادة العجل أبيس سألوا عنه ، ولما تبين لهم أن المصريين يعبدونه لذاته وما فيه من منافع قلدوهم في عبادته ، ثـم صاغوا له تجسدات وتمثلات أعلى من تمثلات وتجسدات المصريين،ظهرتْ في أشكال العجل الذهبي،ولم يتخلوا عن هذه العبادة حتى بعد خروجهم من مصر .

ويعلل ديورانت وقوع اليهود في عبادة العجل الذهبي ، بأنهم لم يتمكنوا من التخلي عنها ، كما أن موسى ذاته ــ بعد أن بعث فيهم ــ لم يتمكن هو الآخـر من صرفهم عنها،لأن عباداتهم لحيوان العجل في مصر كانت ما تزال عالقة في أذهانهم ، حية في عقولهم ، حيث ظلوا زمنا طويلاً يتخذون هذا الحيوان القـوي آكل العشب رمزاً لإلههم ، يرقصون أمامه وهم عرايا[٢]وكأنهم بذلـك يريـدون إشهار العجل على ذلك.

أجل لم يعرف العنصر الإسرائيلي الوفاء لشئ صحيح ، فما قطعوا عهداً أو وثقوه إلا مزقوه قبل أن يفترقوا ، وما عاهدوا عهداً إلا في ذات الوقت نقضوه ، ولكل ما فيه أخلفوه، لكنهم هذه المرة ، وقفوا بالوفاء للعجول المصريـة التـى

---

(١)أ.ب هايد لورك ــ الديانات القديمة ص ١٥٩ .

(٢)ول ديورانت ــ قصة الحضارة المجلد الأول نشأة الحضارة والشرق الأدنى ج ٢ الشـرق الأدنى ص ٣٣٨ ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود ، محمد بدران .

عبدوها ،أما لماذا ؟ . فلعدم ثقتهم في نبى الله موسى الكليم ، وعدم ثقتهم في قدرة الله العظيم على إنجائهم من خصومهم ، وهم يتوقعون أن يتخلي عنهم رب موسى ، وبالتالي يقعون بين أيدي المصريين،فيقع عليهم العذاب منهم،يدلنا على ذلك ما جال بنفوسهم الوضيعة حين هم بهم موسى الكليم خارجاً من مصر قال تعالى : " فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ "[1].

قال الشيخ الجيزاوي : لما رأي بنو إسرائيل فرعون وجنده يحاولون اللحاق بهم قبل النجاة ، حين كان ذلك الجمع من فرعون وقت شروق الشمس ، وقد حصلت المتابعة ، ورأى كل منهما الآخر، دخل نفوس أصحاب موسى القلق ، وساءت بهم الظنون ، فقالوا ياموسى ان فرعون وجنده سوف يلحقون بنا فيقتلوننا ، بل إنه لو أتيحت لهم الفرصة في الهرب من موسى لفعلوا ، فقال لهم موسى مطمئناً لن يدركوكم أبداً ، فارتدعوا عن هذا الكلام الذي يخرج صاحبه عن رضوان الله ، والله عز وجل ربي وحافظي بالنصرة والغلبة ، وسيهديني إلى طريق النجاة منهم ، والخلاص بكم [2]ولكنهم مع ذلك لم يطمعوا في رحمة الله ، وإنما طمعوا فيما عند الناس .

يقول الإمام الفخر الرازي : إن موسى الكليم قوى نفوسهم بأمرين :

الأول : أن ربه معه ، وفيه دلالة على النصرة والتكفل بالمعونة ، ومن كان ربه معه فلا يخاف من أحد أبداً مادام على الإيمان الصحيح بالله رب العالمين ، لقوله

---

(١) سورة الشعراء الآيات ٥٧ / ٦٣ .

(٢)الشيخ محمد عبد العظيم الجيزاوي ــ نظرات في سورة الشعراء ص ١٥٧ ط أولى ١٣١٣هـ .

جل علاه :" إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ"[١].

الثاني: قوله سيهدين إلى طريق النجاة والخلاص ، وإذا دله على طريق نجاته وهلاك أعدائه،فقد بلغ النهاية في النصرة [٢]ولكن بني إسرائيل قوم فيهم صلابة الرقبة والخوف المتواصل من الآخرين والجبن الذي لا ينقطع ، إنهم يطمعون في الحياة مهما كانت متدنية ، ويرفضون العيش الكريم حتى لو كان من خلال حماية الله رب العالمين .

يقول الدكتور / مصطفى يسري : لا نعجب كثيرا إذا وجدنا عبادة البعل والبغل والعجل في التراث اليهودي ، كما لا نعجب إذا وجدنا في الحفريات ما يؤكد خضوع بني إسرائيل لهذه الاعتقادات ، لأن الطبيعة الإسرائيلية لم تتعود السير في الاتجاه الصحيح ، وإنما ألفوا السياحة في الأرض ، والمضي قدماً نحو الطريق الخاطئ[٣]وكأنهم جبلوا على الخطيئة ، بجانب التدني الأخلاقي .

إذن تأليه العجل كان ضمن المعتقدات المصرية القديمة التى ترجع إلى عصور سالفة بكثير على مجئ الإسرائيليين إلى مصر ، لأنه كان في نظر غالبيتهم رمز الخصوبة والقوة ، بجانب العنف والغلبة ، وبالتالي اعتبروا جملة من العجول مقدسة ، ثم أطلقوا عليها من الأسماء ما يجعلها تتمايز عن غيرها متى ذكرت من غير تميز ، وقد أخذ الإسرائيليون هذه المفاهيم عنهم ثم تمسكوا بها كلها.

يقول الشيخ الحملاوي : كانت المعتقدات الدينية لدى المصريين القدماء بأيدي الكهنة ورجال الدين الذين صار بإمكانهم إدخال ما يشاءون إلى المعتقدات

---

(١) سورة غافر الآية ٥١ .

(٢)الإمام الفخر الرازي ــ مفاتيح الغيب ٢٤ / ١٣٨ .

(٣)الدكتور مصطفى يسري ــ الطبيعة اليهودية ص ١٢٣ ط أولى ١٩٥٧م .

الدينية [1] التي يرون إدخالها ، وهم حين يمارسون ذلك إنما يظنونه أحد حقوقهم الأساسية ، التي منحت إياهم من قبل الأرباب ، أو من قبل سلالة الملوك .

يقول والتر : أن العجل إنما كان في نظر القوم رمزاً للقوة في الحروب والإخصاب بسواء ، وأن عبادته كانت على أيام الأسرة الأولى ، اعتماداً على تصوير ملوك هذه الأسرة على هيئة ثيران تستمد قوتها وقدسيتها من ذات العجل الأصلي [2]، ومن ثم فهم حرصوا على عبادته والتغني به ، وحاولوا إقامة العديد من التماثيل له ، بل صار لكل أسرة تمثال أو أكثر على هيئة العجل أو جملة من العجول .

أما أهل نينوي فقد ظهرت فيهم عبادة العجل الذكر على أنحاء شتى ، فهم يستمدون منه الزرع ، ومنه تقع الخصوبة ، بجانب قدرته على حفظ الأمتعة حين يحملها ، وكانت فيهم عادات كثيرة منها إقامة نصب متعددة اقرب شبهاً بالأحجار التي تمثل مراكز ثابتة تعرف بها الشوارع الواسعة في تلك البلاد [3] .

بيد أن عاداتهم تدفقت منها اعتقاداتهم،التي ارتدت إلى أفكارهم في عباداتهم للعجل ، الذي أقاموا له النصب والمذابح وأنه ذات العجل الذي يعتقدون في إمكانياته الكثيرة ، وبناء عليه تعددت أمثال العجل الذكر، كما تعددت التجسدات التي تحمل ملامحه .

بل الأكثر من ذلك أن أهل نينوي ــ رغم عدم حرصهم على الترحال ــ قد وقعت لهم تعاملات مع الآخرين الذين وثقوا في أهل تلك البلاد ، ونقلوا عنهم اعتقاداتهم هذه في العجول المقدسة ، التى كانوا يذبحون أمامها، ويتقربون إليها،

---

(١)الشيخ السيد محمد الحملاوي ــ دراسات في اليهودية ص ١٧٣ ط أولى الدار العصرية ١٣٩٥هـ .

(٢) الدكتور / محمد بيومي مهران ــ دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٧ ص ٤٦٦ / ٤٦٧ طبعة ١٣٩٨/١٩٧٨م وراجع للدكتور فوزي محمد فاضل ــ دراسات في اليهودية ص ٢٩٥ .

(٣)الشيخ عبد الحميد حسن الطويل ــ حضارة بابل وآشور ص ١٣٧ ط الدار البيضاء ١٩٣٩م .

ويحرصون على أن يكونوا دائماً قريبين من ذات الآلهة المتجسـدة ، ويذهب هيدرز إلى أن أهل نينوي استطاعوا سبق المصرين في إدخال العجـل دائـرة الاعتقاد والعبادة ، إلى البلاد التي تعاملت معهم،وبخاصة الجنس الإسرائيلي[١].

ويذهب بارو إلى ابعد من ذلك،حيث يعتقد أن أهل نينوي كانوا أسبق مـن المصريين القدماء تأليهاً للعجل ، واعتقادا في قدرته على النفع ، كما يقـرر أن الإسرائيليين قد استقوا عبادة العجل من أهل نينوي ، لأن المظاهر المشتركة بين العجول في اليهودية ، ولدى سكان نينوي قديماً من أكثر الأدلة على ذلك [٢].

بيد أن الدارس يلاحظ إصرار كل من والتر وبارو على تبني جهة تخـالف الأخرى ، وهما معاً يمثلان اتجاهين متخالفين ، أو على الأقل كل اتجاه منـهما يقرر وجهة نظره ويعتمد عليها ، وكأن الباب أغلق على هذين الاتجاهين فقـط ، ولكن هذا الباب لم يغلق حيث قرر البير كامي أن الديانات الوثنية كانت تجـري في أغلب البلاد الوثنية على أنماط متقاربة ، ومن الصعب القول بأنها ظـهرت في بلد ما قبل الآخر مادامت رموزها واحدة ، وشعوبها عاشت في ذات الفترة ، وشاعت فيـها نفس الاعتقادات ، وإنما يمكن القول بأنـها أفكـار وقـع فيـها التوارد[٣] أو جاءت على سبيل الاعتقادات المتقابلة في صورة من الصـور أو شكل من الأشكال .

وربما دعم هذا الرأي بما ذكره أصحاب تاريخ الأديان من أن عبادة العجل وتأليهه قد كانتا في ديانات الفرس الأقدمين ، إذ كانت هذه العبادة سـابقة علـى عبادتهم النار المقدسة ، وأن تقديس العجل ظهر أول مرة على الأرض مع واحد من أبناء آدم الذي كم يستجب لرجاءات أبيه ثم تطور هذا الأمـر فصـار مـن

---

(١)أ . ب هيدرز ــ ديانات فارس القديمة ص ٢٣٧ ترجمة رزق اسكندر ط أولى ١٩٦١م .

(٢)أندريه بارو ــ بلاد آشور ــ نينوي وبابل ــ ترجمة وتعليق محمد عيسى سلمان وطه التكريتي .

(٣)البير كامي ــ الديانات القديمة ص ٢٣٥ ط الوفاء بتونس ١٩٥٧م .

مجرد حيوان مساعد في الزراعة ، إلى حيوان يجري تأليهه وعبادتـــه بجـــانب تقديسه ، وكان ذلك قبل ظهور عبادة النار المقدسة في بلاد فارس بزمن غـــير قليل[1].

وسواء أصح هذا الرأي من كون سبق العجل في العبادة الفارسية للنـــار ، أو سبق النار لتأليه العجل وتقديسه في ذات البلاد الفارسية ، فالواضح هـــو إن عبادة العجل تعتبر القاسم المشترك بين هذه الأجناس البشرية ، والغاية من ذلـك هو التأكيد على وجود حفريات،وأثار لتأليه العجل وعبادته في بلاد فارس قديماً.

أما هولمز فيعتقد أن تأليه العجل ظهر في ديانات الفراعين ، كما بـــرزت أثاره لدى الكنعانيين الذين باتت اتصالاتهم مع المصريين لا تنقطع ، ثم يؤكد في حسم قاطع أن العجل قد نال العناية الكبيرة في أغلب الديانات القديمة ، ســـواء باعتباره إلها كاملاً ، أم النظر إليه على أنه معبود من نوع متميز [2].

وكأني بهم وصيحات الأنبياء ودعوات المرسلين قد انقطعت عنهم ، فلم يعـد أمامهم سوى اللجوء للحيوانات حتى يعبدوها،ويقيموا لها التماثيل،ويذبحوا تحـت أقدامها القرابين " كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا "[3].

على كل ظهرت عبادة العجل في بلدان عديدة كان للإسرائيليين بها اتصالات وتعاملات ، وأن الإسرائيليين قد أطلعوا على اعتقادات أهل تلك البـــلاد ،وقـد تدنت بهم نفوسهم إلى ميدانها حتى التمسوها ، واعتقدوها ، ثـم طـوروا فيـها وأضافوا إليها ، بل صاروا معتقدين لها أكثر ممن ظهرت في بلادهم أو تناقلتها أفكارهم وإنحسبت داخلها معتقداتهـم ، ومن ثم يلزم متابعـة هذه الاعتقـادات

---

(١) راجع للشيخ محمد عبد المعبود عطيه ــ اتجاهات الفكر الشـرقي القـديم ص ١٣٧ مطبعـة الأسـتانة ١٣١٩هـ وللدكتور نادر محمد السيد ــ بابل وآشور حضارة قديمة ص ١٢٥ ط ١٩٧١م .

(٢)أ. جون فيكتور هولمز ــ عقائد الشرق القديم ص ٣٦٥ ترجمة عبد العظيم بن عيشار ١٩٥١م .

(٣) سورة الكهف الآية ٥ .

للعجل داخل أسفار وأفكار العهد القديم على السواء.

ظهر العجل الذي صنعه السامري كصورة من الصور التي تدل على اعتقادات الإسرائيليين في تاليه العجل [١] لأنه لم يقل لهم أن هذا عجل ، وإنما قال لهم إنه إلهكم ، فرددوا معه نفس الكلام بذات النغمة هذا إلهكم وإله موسى[٢] كما أنهم لما خرجوا من مصر كانت لهم تعلقات بآلهة المصريين إلى ابعد مدى، وقد تعددت عبادة العجل ومظاهره ، وكانت تماثيله الأولى من الذهب ، أو الفضة أو حسب الأحوال التي يمكنهم الرجوع إليها .

وإنهم قد صنعوا ذلك حال حياة نبى الله موسى الكليم بينهم ، إذ لم يكن قادراً على استئصال شأفة هذا التعلق الوثني من قلوبهم ، بدليل أنه لما صنع السامري العجل لهم ، من حليهم التي اختلسوها من المصريين ، رآهم موسى الكليم يرقصون حول العجل فرحين مسرورين ، كما وجدهم يذبحون له ويقدمون القرابين[٣]ولم يكونوا على استعداد لستر أجسادهم ، وإنما كانت قلوبهم مكشوفة، وعوراتهم مثل قلوبهم ، لقد الفوا الاعتقادات الوثنية في العجل ، كما اعتقدوها في البعل ، بل بات من العسير عليهم التخلي عنها ، لقد كان تأثير هذه الديانات الوثنية عليهم كبيراً ، كما كانت استعداداتهم للمضي ناحيتها متواصلة .

ربما كانت هذه التجاوزات منهم بعد خروجهم من مصر، مدعاة للقول بأنهم

---

(١) وقد تحدث القرآن الكريم عن عجل السامري في أكثر من سورة ، كما أفاض مفكروا الإسلام في تفسير هذه الآيات التي جاءت بصورة عجل السامري ، كسورتي الأعراف وطه .

(٢) سورة طه الآية ٨٨ ولم يفكر هو ومن يخدعهم أن العجل لا يجيبهم إلى طلبهم ، ولا يردد مقولتهم قال تعالى : "أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا " سورة طه الآية ٨٩ .

(٣)الشيخ علي محمد حكمت الله ــ العقائد الوثنية ص ٢٨٩ ، فكانت استعداداتهم لمباشرة الأعمال العدوانية هي نفس الاستعدادات لمباشرة الاعتقادات الوثنية .

لو لم ينزلوا مصر سلفاً ما عرفوا هذه الاعتقادات [١] لكن هذا الزعم لا تدعمه أدلة صحيحة ، لأن الاعتقادات في العجول المقدسة كانت عادة قبيحة منتشرة في كثير من البلدان على النحو الذي سلف القول به ، كما أن صاحب هذا القول ، ربما أراد إدانة المصريين القدماء في اعتقاداتهم ، ولكن من القسوة احتساب العقائد الوثنية على الجماعات المصرية القديمة وحدها ، بل هو بعيد عن ميزان العدل أيضاً .

لأن ذلك يكون لازماً متى ثبت أن اليهود لم ينزلوا إلا إلى أرض مصر وحدها في الماضي ، وبالتالي يكون تأثير هؤلاء المصريين عليهم هو القائم ، لكن ثبت أن الإسرائيليين كانت لهم هجرات ونزوحات متكررة إلى مصر وبابل وكنعان وآشور ، وأن الجماعات اليهودية كانت ترحل على الدوام طلباً لأسباب الحياة ، أو بحثاً عن العيش [٢].

بل لا أغرب عن الحقيقة إذا قلت أن التاريخ يؤكد هذه النزوحات ويقرر رغبة هؤلاء اليهود في اقتباس مالدى الآخرين ، وأنهم كلما نزلوا أرضاً اقتبسوا من أهلها ثلة من عقائدهم وعباداتهم بجانب طقوسهم وأخلاقهم ، فصاروا هم المصب الذي يستقبل الفضلات ، وتتلاقى بأعماقه رواسب النزوعات .

ولا مانع لديّ من القول بأنهم عرفوا عبادة العجل في نينوي ، وتأكدت لديهم في بابل وآشور ، وأرض كنعان ايضاً ، فلما نزلوا أرض مصر ورأوا هذه الاعتقادات الوثنية قائمة فيها أيضاً بادروا إلى إعلان تمسكهم بها،والمحافظة

---

(١) يلجأ إلى هذا الطريق البعض ممن يريدون الإساءة لأهل مصر في الماضي أو الحاضر ، بزعم أنه لولا السلوكيات الفاسدة والاعتقادات الدينية التي سادت المصريين قديماً ، لما نقلت هذه الوثنيات إلى غيرهم ، متناسين أن هذه الإعابة إن حكم بها على المصريين قديماً فلا علاقة لها بمصر في ظل الإسلام ، كما أن الوثنيات فى الماضي لم تعرف في مصر وحدها ، وإنما كانت مصر إحدى الضحايا التي ظهرت فيها الوثنيات .

(٢) راجع لجون دوهان ــ اليهود واعتقاداتهم ص ٨٥ ولكامل سعفان ــ اليهود تاريخ وعقيدة ، وللشيخ عطية الشوادفي ــ دراسات في التوراة وغيرها .

عليها ، إذ كانت هي البلد الأخير الذى نزلوا إليه قبل بعثة نبى الله موسى الكليـم إليهم [١].

يقول الشيخ / على محمد حكمت الله ، لقد كانت الجماعـــات الإسـرائيلية كثيرة التنقل والترحال ، كما كانوا يقطعون الجزيرة العربية وبادية الشام ، وهـم حين ينزلون إلى بلاد الرافدين ينقلون مشاهداتهم إلى غيرهم ، فلما نزلـوا ارض مصر طابت لهم عبادات أهلها ، وبخاصة البعل وعجل أبيس ، فسارعوا إليـــها واعتقدوها[٢]دون أن يكرههم عليها أحد .

ثم لما نزحوا من مصر لم يفتهم اصطحاب هذه الأفكار والاعتقادات معهم ، إنها صارت بمثابة الكنز الذي يمدهم بما يشاؤن من أفكار،وما يحاولون القيام به من معتقدات ، فلما كانوا في الخروج أسفوا على نسيان ما تعودوه من المراســم الدينية في مصر وودوا لو أنهم يعودون إليــها ، أو يعبدونـــها ممســوخة فـــي الصحراء[٣].

مع أن الله تعالى حرمها عليهم ، وجاء التحريم من قبل الله مع النبي الـذي أنجاهم معه ، فكان أحرى بهم الالتفاف حول هذا النبي الكريم ، والالتزام بمـــا جاءهم به من عند رب العالمين [٤]، لكنهم غيروا وبدلـوا ، واســتمرؤا الكفـر واستحبوه على الإيمان بالله الواحد ، فحاقت بهم اللعنة ، وحق عليهم الخسران .

---

(١) الدكتور / صبحي محمد حليم ــ اليهود قديماً وحديثاً ص ١٤٥ ط الدار العصرية ١٩٨٣م .

(٢)الشيخ على محمد حكمت الله ــ العقائد الوثنية ص ٣٥٧ .

(٣) الأستاذ / عباس محمود العقاد ــ مطلع النور أو طوالع البعثة المحمديـــة ص ١٠٤ ط دار نهضـــة مصـــر ١٩٨٠م .

(٤) وقد ذكرهم نبى الله موسى بن عمران بنعم الله الكثيرة عليهم ، حيث أنجاهم من عدوهم ، كمـــا حقـــق الغلبة لهم عليه ، وأخلفهم في الأرض التي جعلهم يرثونها من بعدهم ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهـــم لننظر كيف تعملون ، ولكنهم تناسوا ذلك كله كأن لم يكن له أثر .

(٣) تأليه العجل الذهبي :

قررت أسفار العهد القديم أن ملوك بني إسرائيل الأوائل دانوا بعبادة العجل الذهبي ، وأقاموا له تماثيل ، ومحارق ومذابح ، بل أن بعضهم ما كان يكتفي في تأليه عجل واحد أو عجلين ، وإنما كان يتم التعدد في تأليه العجول بتعدد المعتقدين فيها ، والملكات والممالك التي تمارس ذات الاعتقادات[١] ، والدليل أن يربعام أول ملوك إسرائيل أقام عجلين من الذهب،وكلف الشعب الالتجاء إليهما ، وجعل هذين العجلين في المملكة الشمالية ، حيث كان هيكل سليمان في المملكة الجنوبية،فأقام أحد العجلين المصنوعين من الذهب في بيت آيل ، وأقام الثاني في بيت دان من ذات المملكة الشمالية[٢]، وما تم له ذلك إلا بعد أن استشار مجلسه وندماءه .

يقول سفر الملوك : استشار الملك وعمل عجلي ذهب ، وقال للشعب كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم ، هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ، ووضع واحداً في بيت آيل ، وجعل الآخر في بيت دان [٣]، لقد أراد بهذا العمل التأكيد على عدة أمور ، تمثل في جوهرها قضايا أساسية يقول عليها الفكر الإسرائيلي واعتقاداته الوثنية .

الأول : التأكيد على تأليه العجل وعبادته ،لأن امتثال الملك لذلك الفعل ، وصنع العجل من الذهب ، فيه تأكيد على أن ذلك دين المملكة الشمالية كلها ، أو على

---

(١) ولا شك أن ذلك الفعل من شأنه بروز العديد من الاعتقادات الوثنية في أشكال مختلفة وصور متباعدة أحياناً ، متلاقية في أحيان أخرى .

(٢) لقد كان حرص يربعام على مقابلة المملكة الجنوبية في آلهتها واضحاً ، فلم تكن غايته المحافظة على الاعتقادات والسير بها في اتجاه بعينه ، بقدر ما كانت رغبته قائمة في مواجهة سليمان وهيكله في المملكة الجنوبية ، ومن ثم يمكن القول بأن الإسرائيليين كثرت فيهم الآلهة الوثنية .

(٣)سفر الملوك الأول ١٢ / ٢٨ / ٢٩ .

الأقل دين الملك ، والناس على دين ملوكهم [١] فكأنه أراد تحويل الدين إلى مواد قانونية ، وهو ما يعني إما تقنين الدين ، أو تديين القانون والأوامر الملكية .

الثاني : اللعب على عواطف الشعب الذى تعلق بعبادة الأصنام في بلاد الشتات، والهجرات المتوالية أو النزوح المتكرر ، إذ لم يكن لديهم استعداد أو رغبة في التخلي عن عبادة هذه الآلهة الوثنية ، التى قام على عبادتها الكثيرون من الأمم التي نزحوا إليها [٢]، وعادة تقبل النفس ما ألفت ، وتأنف مما لم تألف ، وماداموا قد تعودوا عبادة الأوثان ، وكانت العجول تستولي على جزء كبير من هذه الاعتقادات ، فإن إرجاعها إليهم يكون بمثابة التأكيد لصحة ما في نفوسهم .

الثالث: إيجاد نوع من التوازن الدينى بين مقدسات المملكة الشمالية ، وبين هيكل سليمان في المملكة الجنوبية [٣] إذ أنه تصور انقلاب الشعب إلى هيكل سليمان وحده ، وذلك من شأنه القضاء على كل أمل في استمرار المملكة الشمالية ، إنها ستتحول من واقع فعلي إلى مجرد ذكرى ، ومن حقيقة إلى أثر .

الرابع : استقطاب أفراد الشعب نحوه حتى لا يقع لهم ميل إلى خصمه وبخاصة رحبعام الذي ملك على يهوذا ، وكان يربعام يحنق عليه ، ويضيق به [٤]،ومن ثم فقد كان يربعام يتوجس خيفة من انقلاب الشعب إلي رحبعام ، وبالتالي يصيرون مع رحبعام ، ويقاتلون يربعام ذاته ، وهو الذي حرص على بقاء مملكته بعيداً عن يهوذا إلى الأبد .

---

(١)وذلك الفعل من شانه أن يفرض رأي الملك على أنه دين ولا اعتبار لشئ آخر ، ومن ثم فقد تحولت أغلب الاتجاهات في اليهودية إلى الأسوأ على الدوام .

(٢)الدكتور / محمد صبحي توفيق ــ اليهودية والأديان الوضعية ص ١٧٣ .

(٣)الدكتور / فتحي محمد الزغبي ــ تأثير اليهودية بالأديان الوثنية ص ٦٦٩ ط دار البشير لثقافة العلوم الإسلامية ط أولى ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م.

(٤)الشيخ محمد أحمد الظواهري ــ قصص الكتاب المقدس وأساطيره ص ٢٢٥ الطبعة الأولى ١٣٣٥ هـ.

الخامس : إظهار النزعة الإصلاحية التي تبدو مظاهرها في حرص الملك يربعام على تلبية احتياجات أفراد الشعب،بحيث يضمن ولاءهم إليه[١]كما يضمن عدم ثورتهم عليه ، وفوق ذلك يضمن استعدادهم للقيام بالحرب معه صفاً واحداً دفاعاً عن معتقداتهم التي يتمسكون بها ، مع توفير الوقت والجهد والطاقة .

السادس : السير في طريق الانفصال السياسي والديني ،وإعلان الاستقلال التام عن مملكة يهوذا في خطا سريعة ، بدليل أنه اختار كهنة هذين العجلين من العناصر غير اللاوية[٢]، وكانت غايته التخلص التام من كل أثر لليهوذيين أو صور القعبئة لمملكة يهوذا ، كما سارع إلى سن قوانين،وإصدار قرارات لها قوة القوانين،تؤكد حقه في إحداث تغييرات كثيرة،تتعلق بالأعياد الوثنية التي تقام لها احتفالات خاصة .

وحتى يضمن سير العملية على الوجه الذي رسمه لنفسه ، اعتنى بالعجل الذهبي ، والأماكن التي اعتبرت مقدسة لقيامها على المرتفعات التي تطل على النصب الدائمة للعجول الذهبية ، ولكن قد تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ، إذ أن يربعام كان يهدف إلى حبس الشعب وجذبهم نحوه ، فإذا بأفراد الشعب ومعهم ثلة من اللاويين بجانب الذين اعتبروا سلوك يربعام يمثل مخالفة دينية ، يتركون المملكة الشمالية ، ويهربون إلى المملكة الجنوبية مملكة يهوذا ، التي لم يكن لدى أهلها استعداد لاستضافة هؤلاء النازحين الجدد ، بل لم يكن رحبعام نفسه الذي

---

(١) رغم أن طبيعة بني إسرائيل هي الميل إلى الجبن والسكوت على الظلم ، إلا أنهم متى عايشوا ملكاً أو قيادة ورأوا فرصة للخروج والقضاء عليه سارعوا إلى ذلك متناسين أية عهود سبق لهم توثيقها ، إنهم لا يحرصون على إبرام العهود للوفاء بها ، وإنما ليخدعوا الطرف الذي يقابلهم في التوقيع عليها ، والحاضر الذي نعيشه من أكبر الشواهد عليه .

(٢) لم يكن كهنة المعابد الإسرائيليين إلا من الجنس اللاوي ،في ذلك الوقت لكن يربعام أراد التخلص من هذه القيود كنوع من الحركة الثورية السريعة التي تحتاج المغامرة سواء أكانت محسوبة أم غير محسوبة ، المهم أن يربعام كان حريصاً على كسب الفوز ، وتحقيق الانتصار السريع مهما كانت النتائج أو الوسائل والغايات .

فروا إليه بقادر على التسامح مع قيادتهم ، وإنما حملهم آثار القيادة اليربعامية الانفصالية ، وعاقبهم عليها في صورة رآها ترضي نزعته .

أجل لقد لامهم رحبعام لأنهم لم يثوروا في وجه يربعام ، وقال لهم : أنتم جمهور كثير ، ومعكم عجول ذهب قد عملها يربعام لكم آلهة[1]، حيث لم يكن معهم شئ منها على سبيل الإعلان عنه ، وإنما كانت أغلبها محمولة في أمتعتهم كأنهم أخذوها معهم لتلهي صغارهم ، لكن رحبعام عاملهم على أنهم الذين يطلبونها ، ويحرصون على عبادتها ، وهكذا تحملوا السفر وعناءه ، كما قابلهم رحبعام بالعنف والقسوة .

وإمعانا منه في إذلالهم راح يذكرهم بأنهم طردوا كهنة الرب،الذين من نسل هارون ولاوي ، واستبدلوا غيرهم بهم ، فصاروا مثل باقي شعوب الأرض الوثنية،الذين يقومون بتنصيب كهنة بناء على اختبارات تجرى لهم ، أو ممتلكات تكون معهم [2]، بغض النظر عن كونهم من نسل هارون،أو من نسل غيره ، إذ جمع المال ، والنجاح في الاختبار ، صارت هي المؤهلات التي تسمح لمن يمتلكها بأن يصير كاهنا.

يقول رحبعام : أما طردتم كهنة الرب ، بني هارون واللاويين ، وعملتم لأنفسكم كهنة كشعوب الأرض ، كل من أتى ليملأ يده بثور أبن بقر وسبعة

---

(١) العهد القديم سفر الاخبار الثاني ١٣ / ٨ كأنه يحملهم المسئولية بالتضامن مع يربعام ، في الوقت الذي لا يسعهم إلا التسليم له بما أراد، والهرب نحو مملكة يهوذا وقد فعلوا ، فكان المناسب أن يلاقيهم رحبعام لقاء طيبا بما يخفف عنهم الأوزار ، مهيئاً لهم أسباب الإقامة ، لكنها الطبيعة الإسرائيلية التى تعشق العنف ويستهويها التشفي والانتقام.

(٢)لقد كان غضبه منهم شديداً ، ولذا لم يستمع إليهم ، كما لم يسمح لنفسه بالإصغاء إلى إجاباتهم عليه ، لقد مثل دور القاضي والجلاد ، سلطة الاتهام والإعدام معاً ، وهو ما يجري في أعراف الإسرائيليين إلى اليوم والأخبار التي تتناقلها الصحف أو شبكات التليفزيون من أكثر الأدلة عليه .

كباش صار كاهنا ، للذين ليسوا آلهة[١]وإنما هم كهنة الآلهة المصنوعة كـالعجل الذهبى الذي صنعه يربعام،وأقامه في بيت آيل ،والثاني الذي أقامه في بيت دان.

يقول سفر الملوك : بنى يربعام بيت المرتفعات ، وصير الكهنـــــة [٢]مـــن أطراف الشعب لم يكونوا من بني لاوي ، وعمل يربعام عيداً في الشهر الثـــامن في اليوم الخامس عشر من الشهر ، كالعيد الذي في يهوذا ، واصعد على المذبح وهكذا صنع في بيت آيل ، بذبحه للعجلين اللذين عملهما ، وأوقف في بيت آيـــل كهنة المرتفعات التي عملها ، واصعد على المذبح الذي عمل به في بيت آيل في اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن في الشهر الذي ابتدعه من قلبـــه ، فعمـــل عيداً لبني إسرائيل [٣]، ونفس الشيء فعل في بيت دان ، لأنه لـــم يكـــن يملـــك إظهار شئ من الاختلاف بينهما .

أجل استطاع مؤلفو العهد القديم اختراق حاجز الصمت ، فحكوا عن أحداث الماضي ، ولكنهم عجزوا عن تقديم صورة وثائقية مقبولة ، لما فرضوه علــــى إذن السامع،وعين القارئ وعقله،وهو ما جعل ليوتاكسيل يقول : إن مؤلف ســفر الملوك الأول كان كاهنا على أغلب الظن ، فهو لم يلق بالاً إلا للأمـــــور التــي تتصل بمهنته وحسب ، متجاهلاً أهمية أية مسألة أخرى [٤].

لقد كان العجلان الذهبيان في عهد يربعام يمثلان الطبقية حتى في العبـــادة الوثنية ، حيث كان كل منهما يمثله نموذج محدد لإله متجسد ، أحدهما لأفــــراد

---

(١)العهد القديم ــ الأخبار الثاني ١٣ / ٩ .

(٢)الكاهن هو الشخص الذي يكون مخصصا لتقديم الذبائح ، ويتفقد النظام العام ، وكان كل الأفراد قبـــل النظام الموسوي يقدمون الذبائح كنوع من الكهنوت ، ثم انحصر اختيارهم في كل ذكر من ذرية هارون ،بشرط أن لا يكون فيه عيب أو تشويه جسدى يمنعه من القيام بأعمال الكهانة ــ قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١ .

(٣)العهد القديم ــ سفر الملوك الأول ١٢ / ٣٢ ــ ٣٤ .

(٤)ليوتاكسيل ــ التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٢٦٥ .

الشعب وعامتهم ، والثاني للملك وحاشيته ، ومع هذا كان أفراد الشعب يقدمون ذبائح لهما في بيت الرب ، والمكان الذي يقيم فيه تمثال كل منهما[١].

ربما يقال أن رفض طائفة اللاويين القيام بخدمة العجول الذهبية التي أقامها يربعام ، تعتبر علامة على رفضهم الاعتقاد في تأليه العجول ، ولكن هذا التساؤل في غير موضعه لأن اللاويين لم يرفضوا أن يكونوا كهنة للعجول الذهبية ، وإنما كانت غضبتهم لكون يربعام الملك قد أقام هذه العجول دون أذن سابق منهم ، لما جرت به الأعراف القائمة فيهم ، من أنه متى أراد الملك إحداث نوع من العبادة،فلابد من عرض الأمر أولاً على الكهنة، فان قبلوها تم إعلانها ، وإن لم يقبلوها طلب إليهم الملك بذل المزيد من الطقوس حتى يرضوا[٢] .

كما أنهم لما علموا أن الملك حتماً سيجعل هذين العجلين عقائد ثابتة ، حتى وان لم يوافق عليها الكهنة اللاويون ، ورأوا أن انصرافهم عنه إلى رحبعام سيحقق لهم مصالح ، ويعلي منزلتهم في مملكة يهوذا ، فقد سارعوا إلى رفض الخدمة الكهنوتية أمام هذين العجلين .

يقول العهد القديم ــ طائفة اللاويين لم يقبلوا أن يقوموا بهذا الدور في خدمة تلك العجول في وظيفة كاهن ، وبالتالي اضطر الملك ان يقيم كهنة للمرتفعات التي توجد بها عجول الذهب، المعبرة عن ذات العقيدة المتجسدة كما أن طائفة اللاويين تركوا مسارحهم وأملاكهم ، وانطلقوا إلى يهوذا وأورشليم لأن يربعام وبنيه رفضوهم،من أن يكهنوا للرب ، وأقام يربعام بنفسه كهنة للمرتفعات

---

(١) الأستاذ / السيد عبد البديع محمد موافي ــ عقيدة اليهود في تجسيد الإله وموقف الإسلام ص ٢٢٣ ــ رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية ــ جامعة الزقازيق قسم الأديان المقارنة ١٤٢١/٢٠٠٠م

(٢)وهي نفس المهام التي كان الكهنة في مصر الفرعونية يقومون بها ، تنفيذا لأمر الملك الفرعوني ذاته ، وكانت غايته من ذلك تحويل الناس إلى دور الكهنة في خدمة دين الملك الذي إليه ينسبون .

وللتيوس وللعجول الذي عمل[1].

في نفس الوقت فإن الإجراء الذي أتبع في صناعة عجلين من الذهب ،كان اجراء غريباً ، ويحمل ملامح غير مقبولة ، حيث كان أحدهما يمثل اعتقادات الطبقة الشعبية ، بينما يمثل الثاني اعتقادات الطبقة الملكية ،وبالتالي فإذا يلفت الإسرائيلي إلى أية ناحية ، راحت تلاقيه العجول المتجسدة المؤلهة من كل اتجاه وتملكه على كل ناحية ، ومن ثم لا نعجب إذا ما تكاثرت هذه العجول في بني إسرائيل صناعة لها،واعتقاداً فيها ،صغرت في الحجم أم كبرت ، كثرت أعدادها أو قلت ، المهم أنها اعتقادات أقاموها في العجول التي نصبوها .

إنهم اتفقوا على جعل العجول صورة للآلهة ، وبالتالي ألهوها وقدسوها وذبحوا لها ، ورقصوا عندها ، لكنهم فقط تنازعوا في النوعية التي يجئ التجسيد للعجل المؤله عليها ، أيكون في شكل كبير أم صغير ، متكامل أم متجزئ ، كما أنهم تنازعوا في الكهنة الذين يقومون بهذا الدور ، أيكونون من اللاويين ، ومن نسل هارون الذكور كما هي العادة ؟ ، أم يحدث تطور في نوعية الكنهة ، كما حدث تطور في طبيعة العجل ونوعيته .

لقد صار لكل فرد منهم عجل يلاقيه في حله وترحاله ، ظعنه واقامته ، وقد استمر ذلك الشأن فيهم لم ينقطع ، وهو ما حدا بلوبون حتى يقول : أن بني

---

(١) العهد القديم ــ أخبار الأيام الثاني ١١ / ١٤ ــ ١٦ فصار يربعام بهذا الفعل كأنه يقعد لنفسه وللمملكة التي يراسها ، بل تحولت الأمور معه كأنها من خصوصياته،بدليل أنه الذى أمر بصنع العجلين الذهبيين ، كما أنه الذي أقامهما في أماكنهما ، وفوق ذلك فهو الذي عين الكهنة سواء الذين يخدمون التماثيل ، أم الذين يخدمون المرتفعات التي يكون عليها الخدمة ، ولم يختلف الحال عنده بالنسبة للمرتفعات أو التيوس ، كما هو الحال في العجول الذهبية ، وبالتالي أمكن ليربعام فعل الشر الذي تطيب له نفسه .

إسرائيل كانوا يعبدون العجول المقدسة ، بعد خروجهم من مصر بزمن طويل[١] وأن هذه الاعتقادات الوثنية في تأليه العجل كانت تنال إعجابهم ، كما تحوز القدر الكبير من القبول فيهم ، لأن اليهود كانوا أشد الناس إلحافا على أنبيائهم في طلب الإله المجسد ، ومشاهدته ذاتا متجسدا في وضح النهار[٢] وهو ما يؤكد مادية القوم ، وانفلاتهم نحو الاعتقادات الوثنية بكل ما أمكنهم .

إن العنصر الإسرائيلي يسعى دائماً لارتكاب الحماقات ويقع على الدوام في المخالفات ، ويبذلون جهودهم في وضع هذه الانفلاتات داخل أطر وأنماط دينية، حتى وإن كانت تباعدهم عن القواعد والأصول الدينية الإلهية ، بدليل أن يربعام تولى صناعة العجلين وأشرف عليهما بنفسه ، وكانت إحدى غاياته إبعاد أتباعه من الانجذاب الديني نحو هيكل أورشليم ، وذلك بإنشاء هيكل ملكي خاص به يكون وجوده في شمال مملكته ، بينما يكون هيكل آخر في جنوبها [٣].

وفي تقديرى : أن اتخاذ الإسرائيليين العجل الذهبي،واعتباره إلها،لا يخرج عن كونه صورة تجميعية تم فيها تركيب كل الاعتقادات الوثنية في العجل ، ثم صياغتها جميعاً بحيث تؤدي إلى أفخم الأشكال،وأكثر ألوان التميز ، طبقاً لقاعدة

---

(١) جوستاف لوبون — اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٦١ تعريب الأستاذ عادل زعيتر ط الحلبي ١٩٧٠م — ولم يختلف الأمر معهم بعد خروجهم من مصر ، وكان الأولى لهم إعادة حساباتهم من الآلهة الباطلة فمادامت لا تنفع ولا تتكلم ، ولا تسمع ، فمن المناسب الانصراف عنها ، وعدم الاعتداد بها ، لكن اليهود قوم فيهم الضلالة ، بل هم فيها من الأقدام للرؤس .

(٢) الأستاذ / عبد الكريم الخطيب — قضية الألوهية بين الدين والفلسفة ص ٣٠٨ دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٥م.

(٣)أندريه لومير — تاريخ الشعب العبري ص ٣٣ ط عويدات للنشر والطباعة ببيروت الطبعة الأولى ١٩٩٩م وراجع للدكتور مراد كامل الكتب التاريخية في العهد القديم ص ١٧٥ ط معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨م .

إمكانية استفادة السابق من اللاحق[١] ، وتطوير اللاحق لما خلفه السابق .

وأنهم حاولوا تصنيع بعض آلهتهم على شكل العجل،لما ارتبط في أذهانـهم واستقر داخل وجداناتهم من ضرورة أن يكون الإله الذي يقصدونه متجسداً مرئياً يمكنهم لمس أجزائه ، أو إدراك أطرافه ، أو مضاره بحواســـهم ، لا بعقولـــهم وقلوبهم[٢]، ومن ثم فقد صاحب تعدد الآلهة عندهم تجسداتها ، وصارت الأمــور في الناحيتين سواء .

٤ ــ العجول الشخصية :

سلف الحديث عن بعض تصوراتهم للعجل الذهبي في تأليهـــه ، وأن ذلـــك التأليه قد استمر فترة طويلة في بني إسرائيل ، كما سلفت الإشـــارة إلـــى أنـــهم استقروا على عبادته ردحاً من الزمان ، وبخاصة في المملكة الشمالية ، وأنـــهم كانوا يقومون بذلك تأثراً بأصحاب الاعتقادات الوثنية ، الذين كانت لـــهم بـــهم احتكاكات على نحو من الأنحاء ، ويمكن إطلاق اسم العجول الشعبية عليـــها[٣] لأنها كانت عبادة رسمية للطبقة الكادحة من الشعب ، كما أن مثيلاتها كانت تمثل اعتقادات الطبقة الحاكمة في ذات الشعب .

لكن البحث في النصوص التي جاءت تحت اسم العهد القديم ، يكشف وجود العديد من العجول الذهبية ، بل يطلع القارئ على حرصهم كأفراد في أن يكـون كل واحد منهم له صنم على شكل العجل الذهبي ، يصاحبه في رحلاته وســعيه خلف ماشيته ، أو يدعم موقفه متى أضطر للهرب من عدو يـــتربص بـــه ، أو

---

(١) ومادامت هذه العجول قد سبق وجودها في البيئات الوثنية ، وتجسدات هذه العجول ، مع تأليهها ، وقـد اقتبسها اليهود فلابد من إدخال بعض التعديلات عليها .

(٢) لأن العقلية الإسرائيلية ليس لديها استعداد في تفهم القضايا العقلية على ما هي عليه ، وإنما لابد فيها مـن الظهور على الناحية المحسوسة .

(٣)هذا الإطلاق ظهر في الكثير من البيئات الوثنية كالبابلية والسومرية .

يطلب منه النصرة والغلبة ، حتى صارت هذه العجول الذهبية المتصنمة أقــرب الأشباه إلى الأصنام التي كان الجاهليون يقومـــون بصناعتـــها ، وبيعـــها ، أو الاعتقاد فيها ، بجانب عبادتها .

من ذلك ما ذكره رحبعام لشعب إسرائيل حيث قال لهم : أنتم جمهور كثـير ومعكم عجول ذهب ، قد عملها يربعام لكم آلهة [1]كثيرة بعدد أفراد جمـــهوركم فصار لكل فرد منكم عجل ذهبي ، هو الإله الخاص به ، ومـــن ثـم تعـددت العجول لا على أنها العبادة الشعبية ، وإنما باعتبارها تمثل العبـــادة الخاصـــة ، والاعتقادات الشخصية التى نمت في وجدانات هـــذا الشـــعب ، الـــذي عشـــق الاعتقادات الوثنية وصارت جزء من كيانه ، بل تمثل صلب اعتقاداته .

يقول الدكتور / فوزي خضر : لقد يئس اليهود من عبـــادة إلـــه واحـــد لا يمكنهم التعامل معه بصورة مباشرة ، فلما غاب عنهم موسى تركوا الاعتقاد في الإله الذي أنجاهم ، وسارعوا إلى الآلهة التي احتفظت ذاكرتهم بتفاصيلها ، مـــن التعدد والتجسد والحس والحركة، ولم يكن لديهم استعداد للتنازل عن هذه الأفكار التي حفرت في نفوسهم ، حتى استقرت في الأعماق[2] فإذا حاولت الطفو إلـــى السطح لن يظهر لها من أثر،إلا ما كان معها قائماً في الأعماق التي عبرت عنها

أما الدكتور/ محمد ثروت فيقرر أن الشخصية الإسرائيلية لم تكـــن ســـوية حتى في أعلى المراحل التي مرت بها[3]، وإنما كانت شخصية غير سوية تنطلق من المنحدر فتحاول الهبوط إلى ما هو أشد منه انحدارا ، وانهم لما وجدوا عبادة العجل الذهبي قد طرأت على حياتهم ، لم يحاولوا التخلص منها ، وإنما اتخذ كل

---

(١)العهد القديم ــ أخبار الأيام الثاني ١٣ / ٨ .

(٢)الدكتور فوزي محمد خضر ــ اليهود عبر التاريخ ص ١٨٥ الطبعة الثانية ١٩٧١م .

(٣) ولاشك أن الدلائل على كونها شخصية غير سوية كثيرة ومتعددة ، إلى حد بعيد وقد جاءت مظاهرهـــا في أسفار العهد القديم الذي سجلوه بأيديهم .

واحد منهم لنفسه عجلاً ، يقوم معه مقام الإله ،بل هو في نظره الإله نفسه[١]ومن هنا تعددت التماثيل والتجسدات التى تحمل ملامح العجول الذهبية .

ويعلل لوبون عبادتهم العجول الشخصية بقوله : كان بنو إسرائيل يعبدون العجول المعدنية بعد خروجهم من مصر بطويل زمن ، لارتوائهم من مبادئ ما بين النهرين الوثنية، وكان هذا هو الوجه المفضل الذي يرمزون به إلى يهوه[٢].

ومن الثابت أن عبادة العجول الذهبية قد تغلغلت في اعتقادات الطوائف والأسباط الإسرائيلية ، لا لكونها عبادة الشعوب التي نزلوا بها ، استقرارا فيها فحسب ، وإنما لأن نفوسهم غير سوية ، وشخوصهم التي عبرت عنها مظاهرهم في عبادة الحيوان هي الأخرى غير سوية ، ومن ثم فهم لم يتركوا عبادة الحيوان — وبخاصة البعل والعجل — إلا إذا استبدلوا بغيرها ، ومن العجيب أنهم عندما يلجأون إلى البديل يخلعون عليه الكثير من النعوت التي تجعله والإله في درجة واحدة من التقديس والاحترام، قال تعالى :"ثم الذين كفروا بربهم يعدلون"[٣].

بيد أن العجول الشخصية لم تكن كلها من الذهب ، وإنما كانت مما يملكه الشخص ذاته ، فقد يكون تمثاله صنوعاً من الفضة ، وقد يكون من الطين أو الحجر ، المهم أنه على هيئة العجل الذهبي الذي صنع في عهد الملك يربعام ، ومن الغريب أنهم كانوا يعظمون آلهتهم الشخصية إينما كانوا ، فإذا كان يوم العيد العام تخلوا عن هذه الآلهة كلها ، وانصرفوا إلى العجل الكبير، الذي يمثل اعتقادات المملكة كلها .

---

(١)الدكتور / محمد عبد العظيم ثروت — الطبعة اليهودية وافكارها ص ١٥٧ الطبعة الأولى ١٩٧٣م .

(٢)جوستاف لوبون — اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٦١ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١

ومن ثم فلم يكن لديهم مانع من وصف الرب إلههم بالنعوت التي يأتيها التجسيد من كل ناحية ، أو يقع لها التعدد الذي لا يقف عند حد[١] ، لأنهم كانوا على يقين من أن هذه المفاهيم التجسدية هي الممثل الحقيقي للاعتقادات الصحيحة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

ولما كان الإله الخاص الشخصي لكل فرد إسرائيلي ، يقع عليه النسيان والإهمال ، كما يقع عليه الصغر والكبر ، والزيادة والنقصان ، فلم يكن لديه مانع من وصف الله تعالى بهذه الصفات حيث قالوا أنه — تعالى — في الجهة ككون الأجسام فيها، وهو مماس للصفحة العليا من العرش ،ويجوزعليه الحركة والانتقال ، وتبدل الجهات ، وعليه اليهود [٢].

ربما يقال ما هو الأثر الواضح الذى تسلل إلى الاعتقادات اليهودية من الديانات الوثنية وذلك لا يتحقق إلا بدراسة اليهودية كلها ؟وما هو المظهر الذي يمكن حسبانه على أنه أثر وثني برز في اليهودية ؟

والجواب : أن الله تعالى لما بعث سيدنا موسى بن عمران إلى بني إسرائيل ، إنما بعثه بالتوحيد الخالص لله رب العالمين ، توحيد الألوهية والربوبية ، توحيد الاعتقاد والعمل ، لا مكان فيه للتشبيه أو المماثلة ، إنما هو التنزيه الذي كلف الله الخلائق جميعاً به في قوله تعالى:" وأنا ربكم فأعبدون"[٣].

وشأن نبي الله موسى كشأن كل إخوانه من الأنبياء والمرسلين لقوله تعالى: " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ

---

(١) ولما كان التجسد والتعدد يسيران في العقلية اليهودية على سبيل التوازي ، فمن الصعب أن تجد تجسداً ولا تجد تعدداً ، بل هما مقترنان لا ينفصلان .

(٢)الإمام عضد الدين الإيجي — المواقف في علم الكلام ص ٢٧١ مكتبة المتنبي بالقاهرة .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٢ .

وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا " [١].

ومادام نبي الله موسى قد جاء إلى بني إسرائيل،فإن التعاليم التى جاءهم بها من عند الله تعالى،هي نفس التعاليم التي جاء بها الأنبياء والمرسلون في العقيدة الإلهية ، وإن اختلف عنهم في بعض الأحكام العملية أو التكليفية،فما ذلك إلا من باب أنه ما يناسب القوم الذين بعث فيهم ، لقوله تعالى :" وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ " [٢].

قال الشيخ عبد العليم محمد الفكهاني: لكل أمة من الأمم جعل الله لها شريعة يجئ بها نبيها ، وطريقاً يحدد لها التكاليف التي لابد لهم من القيام بها ، على أساس أن الشرائع متعددة والعقائد واحدة[٣] .

وقال الشيخ أبو حيان: لليهود شرعة ومنهاج ، وللنصارى منهاج كذلك فلاختلاف في الأحكام العملية ، أما المعتقد فواحد لجميع الناس توحيد إيمان

---

(١) سورة النساء الآيات ١٦٥/١٦٣ إنا أوحينا إليك يامحمد كما أوحينا إلى نوح والأنبياء من بعده ، وإنما قدم الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم في الذكر ، وإن تأخرت نبوته،لتقدمه في الفضل، وأوحينا إلى سائر النبيين،ومنهم الذين خصهم الله بالذكر تشريفاً وتعظيماً ، وقدم ذكر عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم على غيره من أنبياء سبقوه بعثاً جاء ذكرهم بعده،للعناية بأمره، ودفع طعن اليهود عليه وأمه ، ووقوع النصارى في تقديسه ، وكلهم جاؤا بتوحيد الله وتوجيه الناس لعبادته وحده ـ الشيخ محمد عبد العاطى ـ تفسير سورة النساء ص ١٨٤ ط أولى ١٣٣٧هـ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(٢) الشيخ عبد العليم محمد الفكهاني ـ تفسير سورة المائدة ص ١٧٩ ط الثانية ١٣٣٧هـ

بالرسل ، وجميع الكتب ، وما تضمنته من المعاد والجزاء[١]

من ثم فإن الاعتقادات التي جرت بها العقول اليهودية،مخالفة لما جاءهم به نبى الله موسى الكليم من عند ربه ، إنما هي اعتقادات وثنيـــة ، تســـللت إلـــى المجتمعات اليهودية عن طرائق مختلفة ، أغلبها الأعم قام على الاقتباس المباشر والتقليد المقصود المذموم، وبعضها الآخر جاء كرد فعل موقفي قصد به محاربة أنبياء الله ورسله في بني إسرائيل بعد نبى الله موسى الكليم ، الذين كانت نهايـــة بعضهم القتل على أيدي هذه العصابة السافكة للدماء ، القاتلة للأنبياء .

أما مظاهر التسلل فمتعددة الأشكال والأنواع ،من تعدد في الآلهة ، وتجسيد لها على صورة البعل أو العجل ، أو على صورة لحيوان آخر ، فضلاً عـــنّ أن تكون هذه التجسدات الإلهية في أشكال جمادية أو نباتية،أو غير ذلك من الأشكال التى تدل على سوء أدب اليهود مع الله تعالى ، وتنطق بهذه المظاهر أســـفارهم التي يزعمون أنها مقدسة،وإنما هي معوجة مقوسة ، "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُـــرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ"[٢] .

وسوف يحاسبهم الله على ما اقترفوا من آثام ، وما وقعوا فيه من كفر بـــالله تعالى ، وافتراء على أنبيائه ورسله ، وكفر باليوم الآخر ، وخروج على كل مـــا شرع الله تعالى .

---

(١) العلامة أبو حيان التوحيدي: البحر المحيط ج ٣ وبهامشه النهر الماء ص ٥٠٢

(٢) سورة البقرة الآية ٦١ ، قال الشيخ محمد السيد ذكي ــ ضرب الله على بني إسرائيل الذلـــة والمســـكنة لأنهم اقترفوا الجرائم كلها ، حيث كفروا بآيات الله ، وكذبوا رسله ، ثم قتلوا أنبياءه بجـــانب اســـتمرارهم في المعصية تطلعاً إليها وحباً ، فجمعوا من الجرائم الكفر بالله ، والكفر بآيات الله ، ثم التكذيب بأنبيائه ، ثم قتـــل هؤلاء الأنبياء ، وفوق ذلك فإنهم لم يتوبوا إلى الله ، وإنما استمروا في غيهم ، واستمروا في عصيانهم ، ثم جمعـــوا إلى ذلك الاعتداء المتواصل على حرمات الله ، وهل بعد ذلك شئ آخر ــ الشيخ محمد السيد ذكي ــ اليـــهود في القرآن الكريم ص ١٧٣ ط أولى دار الاستقامة ١٣١٩هـــ .

٥ — تأليه الأفعى — الحية النحاسية — :

لم يقف اليهود عند تأليه كل من البعل والعجل ، وعبادتها على أنها آلهـــة تتشارك مع الله فيما له من صفات الجلال والكمال ، وإنما جاءت الأفعى لتقفــز هي الأخرى إلى سطح الأحداث ، تزاحم كلا من البعل والعجل ، وربما جــاءت سابقة لغيرها،حتى ظهرت فرقة في اليهودية تحمل ذات الاسم ، وتسمى أفرادها بالأفعويين[١]، وهم الذين عبدوا الأفعى ضد الإله .

باعتبار أنها استطاعت خداع حواء وغوايتها، وهي التى خلقها الـوب لآدم لكن الأفعى استطاعت خداعها، فكانت ضداً للإله ، والأفعى عندهم رمز الحياة ، أو قوة الحياة ، شأنهم في ذلك شأن عبدة الشيطان[٢]، حيث صارت الأفعى عنــد اليهود بصفة عامة ، والأفعويين خاصة تمثل أبرز المظاهر على تسلل الأفكــار الوثنية إلى اليهودية .

لكن من أين لهم بهذه الاعتقادات ؟ هل هي بابلية أم آرامية ، وهــل هــي كنعانية أم مصرية فرعونية ، أم غير ذلك ، أم أن اليهود بعد موسى هم الذيـــن اخترعوها ؟

والجواب :أن تأليه الأفعى وتقديسها كان جزءا من التراث العقدي لبعـــض الجماعات الصحراوية والزراعية على السواء ، دليل ذلك ما ظهــر في ديانــات الكلت الأقدمين، ، الذين كانت لهم وجودات حقيقية ، فيما قبل القرن الخامس قبــل الميلاد ، وكانت تربطهم بالرومان بعض العلاقات، التي تطورت فيما بين القرن

---

(١) يذهب البعض إلى أن هذه الفرقة كان لها وجود حقيقي ، وأنها كانت تزاحم الفرق اليهودية الأخــرى ، ويذهب آخرون إلى أنها كانت جملة من الأفراد ظهروا في النصف الأول من القرن الخــامس قبــل الميــلاد ، ولكنهم إندثروا ، ويذهب فريق ثالث إلى القول بوجودهم الآن ، ولكن هذا الفريق غير واضح المعالم — راجع لكاجدان . التاريخ اليهودي العام ص ١٧٥ .

(٢) الدكتور / عبد المنعم الحفني — الموسوعة النقدية للفلسفة اليهوديــة ص ٥٠ ، ٥١ مكتبــة مدبــولي ط القاهرة ١٩٨٠م.

الأول والثالث قبل الميلاد ، وكان الكلت الأقدمون في مجتمعهم يعيشون نظـــام العشيرة التي تمثلها القبيلة المتطورة ، وكان جمهورهم يقيم في شـــبه جزيـــرة البيرينيه وبلاد الغال " فرنسا الحالية ، والجزر البريطانية "[1] .

وقد اتسمت العبادة الكلتية بطابع القساوة والوحشية ، وجرت ممارسة تقديـم القرابين البشرية المرتبطة بدرجة ما بنظام العرافة ، وكان الكثير من الطقـــوس يتم توقيتها مع عبادة شجرة البللور المقدسة ، وشجرة العليق ، وكان يعـــد مـــن الطقوس المستمرة قطع غصن من شجرة عليق بمنجل ذهبي ، إذ يقـــام ليـــلاً ، والبدر في كماله ، إضافة إلى إرتداء الكهنة ــ الدرويد ــ ثياباً بيضاء ، وهـــم يقيمون ذات الطقوس ، أو عند الاستعداد للقيام بها[2].

وقد ظهرت الأفعى كإله يدين له الكلت ، ضمن الآلهة المشاعية أو القبلية ، كما برزت الاعتقادات في تأليه الأفعى عندهم مقترنة بالقدم ضمن الآلهة الأخرى حيث عثر على رسوم أفعى بقرون تلازم صورة آلهة مختلفة[3]، كما ظـــهرت آثار رسمت فيها الأفعى بلهازم متشابكة ، بحيث تدعو للخـــوف والرهبـــة ، أو تسوق إلى القلق والاضطراب ، ومن ثم عدها بعض الدارسين من آلهة المخاوف التي انتقلت من أوربا ، إلى آسيا في الماضي القديم ، فلما ظـــهرت المســـيحية كانت هذه الآثار قائمة في شكل واسع ، يدعو للعجب والاستنكار معاً .

أجل كانت الأفعى تقود قطيعاً من الأفاعي على شكل منظم فتحطم الأعـــداء وتجلب عليهم الدمار ، ولم يكن بإمكان أحد مواجهتها ، فضلاً عن قدرته علـــى

---

(١) كانت جماهير الكلت الأقدمين تتكون من عدة قبائل رعوية في أغلب أحوالها من أشهرها ١ــ الالوبروغ ، ٢ ــ والهلفستين ٣ ــ السكوان ٤ ــ الأرفونيين ٥ ــ والأدربيين ٦ ــ والتريفير ٧ ــ والنـــيرفين وكـــان أقواها هي التي تعمل على توحيدهم من حولها ــ راجع الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٣٢٧ .

(٢)ج . بايان ــ تاريخ الأستيكين ص ١٥٧ ترجمة الدكتور ــ بشار مغرد ط موسكو ١٩٤٩م.

(٣)سيرغي تو كاريف ــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٢٥١ ترجمة د/ احمد فاضل مطبعة الأسد ١٩٩٨م

إلحاق الهزيمة بها . وظل الكهنة ينشرون العديد من القصص عن الأفاعي وقدراتها الخارقة على القيام بأعمال مختلفة [١]حتى صارت عملية تأليهها غالبة على غيرها من الآلهة الأخرى، كآلهة الصيد ، أو آلهة الزرع والحرث ، بل ساعد تأليهها على تأليه العديد من الأرواح ، والبلهوانات ، بجانب أرواح الطبيعة الخيرة والعجائب ، كما ألهو الأشجار ، والينابيع والأحجار[٢].

ومن ثم يمكن اعتبار تأليه الأفعى أحد الاعتقادات الوثنية التي كان لها وجود في أفهام الكثيرين ، وأن هذه الاعتقادات قد تميزت بالتغير السريع ، ليس في النوعية ، وإنما في عمليات التجسيد التى صاحبتها ، والدفع بها إلى كل ميدان ، يمكن الوصول إليه على أنها اعتقادات يجب الالتفات إليها .

كذلك ظهرت عملية تأليه الأفعى في ديانات شعوب المكسيك القديمة ، حيث ظهر أن أكثر المقامات أهمية ،كانت تشغلها ثلاثة من آلهة المجتمع ذوات أصول مختلفة أحدهما كيتتسال كواتل[٣]وهو إله قديم،كان على ما يعتقد بطلا ثقافيا ، ذا سمات طوطمية في أوائل وجوده وهوالأفعى ذات الريش حيث يمثله نموذج يعود بأصوله إلى طموطم الزواج الخارجى فراتريا،وغالبا ما يرتبط بعبادة الأفعىالتى بقيت قائمة حتى اليوم لدى هنود بوبيلو وغيرهم من قبائل أمريكا الشمالية[١].

---

(١) وكثيرا ما يكون للكهنة دور كبير في تنمية بعض المشاعر بالبغض أو الحب لعبادة من العبادات ، أو تحويل هذه العبادة من كونها مجرد فكرة حتى تصير واقعا ، كالحال مع كهنة السلاف القدماء ، والكلت ، وغيرهم .

(٢)توكاريف ـــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٢٥٢ .

(٣) أما الإله الثاني فكان تيتسكا تليبوكا ويعني مرآة الدخان ، وقد جسد الشمس كبداية للخليقة مهلكة ومحرقة ، وتميز بقرص مرآة رمزا للشمس ، وهو إله شديد الضرواة،يتطلب تقديم القرابين الدموية ، وكان إلها قبليا لدى التيسكوكان،وهي واحدة من ثلاث قبائل استيكية هامة،أما الثالث فيدعى وينسي لوبو جتلي وتعود أصوله إلى أزمان سحيقة في القدم ، وبالإمكان ربطه بالطوطم كوليبرى ، وكان إلها عديم الرحمة يتطلب القرابين الدموية ،راجع لهنري جاكوب ـــ الأديان في العالم القديم ص ٢٧١ ترجمة صبري فخري .

(١)سيرغي توكاريف ـــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٢٥٩ .

لقد تعددت المظاهر التي جاء فيها تقديس الأفعى ، حيث ظهرت أفعى ذهبية تارة ، ونحاسية أخرى ، ومعدنية أو طينية في مرحلة ثالثة ، كما برزت بقرون متعددة أو بقرن واحد ، وتارة تجئ في مظهر أفعى لها قرنان ، وبالتالي وقع التعدد عليها في المظاهر والأشكال ، كما وقع التأليه لها والتجسيد في المظاهر المختلفة،وكانت عملية تاليه الأفعى تتنقل من مجتمع لآخر، ومن شعب لغيره[١].

بل إنه في بعض الأحيان ظهرت الأفعى على أنها ذات الدين الرسمي والاعتقاد الملوكي. بدليل ظهور الأفعى في الداوسيه الصينية التي اشتهرت باسم التاوية ، وهي تختلف في جوهرها عن الديانة الكونفوشيوسية ، اختلافاً كبيراً .

أجل كان تأليه الأفعى يتخذ طابعاً خافتاً حيناً وقوياً آخر[٢] ، لكنها على أقل تقدير،كانت إحدى الديانات القائمة ، أو واحدة من الحيوانات التى وقف البعض من الناس على تأليهها ، وتقديم العبادة والطقوس لها ، وتعيين الخدم الذين يخدمون في معابدها ، وهم في ذات الوقت الكهنة الذين يقدمون القرابين لها ، كما يشرفون على الطقوس التي تتم باسمها ، أو تقدم لها .

لقد تطورت عبادة الأفعى في الصين ، وبات الحديث عنها أمرا قائماً ، ومن ثم نتج عن هذا التطور ظهور الاعتقادات في التنينات ، وكان الصينيون يطلقون علي الأكبر منها اسم — لون — شين — ويضيفون هذه التنينات إلى جملة المعبودات المؤلهة الأخرى ، كالأرواح الشريرة ، والمطر ، ومنابع الميله

(١)الشيخ محمد عبد المعبود عطيه — اتجاهات الفكر الشرقي القديم ص ٢٧٥ مطبعة الأستانة ١٣١٩هـ .

(٢) أ. جون فيكتور هولمز — عقائد الشرق القديم ص ١٢٣ وهذا يؤكد أن الأفعى كان لها دور في قائمة الحيوانات المؤلهة ، رغم بطلان هذه الاعتقادات الوثنية كلها ، ولكن بعض العقول تهوى الوقوع في الأخطار وإغضاب الله رب العالمين .

وكانت الاعتقادات في تأليه التنينات سائدة في المجتمعات الصينية،ذات الصبغة الزراعية [١]التي جرى للأفعى ، والتنين فيها تصورات كثيرة .

ويعتقد البعض أن تاليه الأفعى لم يكن قاصراً على البلاد التي ظهرت بدايتها الأولى فيها ، وإنما كانت تقفز فوق السدود ، وتتخطى الحدود ، لتجد لها مكاناً في البيئة الجديدة التي تنزل إليها ، لقد كانت بمثابة القواسم المشتركة في الديانات التي تؤله الحيوان بشكل عام ، والذي تتعلق به الإساءة بشكل خاص[٢]، وكانت الأفعى من هذا النوع الذي يتعلق بالإخافة والرعب.

ويقول هايد ثورك ، شغلت عبادة الأفعى شطراً من الديانات القديمة حتى جاءت إلى اليهودية مطورة في أعلى من صورها السالفة[٣]، ومعنى هذا أن الاعتقادات في تأليه الأفعى كانت سابقة على وجودها في اليهودية ، وأن متابعتها لا يمكن أن تقدم دليلاً على كونها من نتاج العقلية اليهودية وحدها ، وإنما تأتي المتابعة حتى توضح للرأي العام ، والمثقف العادي أن الجماعات الإسرائيلية اليهودية اقتبست الاعتقادات الوثنية ، ثم طورت فيها ، وأخيرا أدخلوها إلى مؤلفاتهم،كما حاولوا فرضها على غيرهم باعتبارها عقائد جاءت بها وتحدثت عنها أسفار الكتاب المقدس .

كذلك أظهرت الحفريات أن المصريين القدماء قدسوا الحية والجعران ، كما قدسوا القط والعجل والحمار ، وكان هذا التقديس صريحاً للغاية ، إذ صاحبته جملة من الطقوس التى كان يقوم بها الكهنة في المعابد التي خصصت لكل حيوان على حدة ، وما تزال بعض الرموز قائمة في أشكالها،كأبي الهول وغيره

---

(١)سيرغى توكاريف ــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٢٧٧ .

(٢) البير كامي ــ الديانات القديمة ص ٣٨٥ ورانوفتيش ــ ديانة الفرس القدماء ص ٢٧١ وجو تفريد مارتن اسكورت ــ الفكر الشرقي القديم العقائد والعبادات ص ١٩٦ .

(٣)أ . ب هايد ثورك ــ الديانات القديمة ص ٢٩٢ ترجمة لطفي السيد فخري ١٩٥٣ م.

مما كان له شكل من أشكال التقديس لدى قدماء المصريين[١]، وإن اختلفت بعض مظاهره . إلا أن القاعدة العامة هي وجود هذا النوع من التقديس

ولما كانت الحية أو الأفعى ذات تأثير مخيف ، وكـــان الحـــواة القدمـــاء ينزلونها منزلة الخوف والترقب، فقد صار أغلب الشعب يحذرها ، ومن ثم فقـــد أشاع الكهنة أنها تقوم بأعمالها طبقاً لقواعد كهنوتية ، أو أنهم الذيـــن يقومـــون خدمتها طبقاً لقاعدة إلهية[٢]ومن هنا كثرت عمليات تقديسها ، وتقديم الطقـــوس والقرابين للتماثيل التي تعبر عنها .

بيد أنه لما كانت عبادة الأفعى قد اتخذت أشكالا عديدة في الفكر المصـــري القديم ، فقد صاحبتها عمليات متواصلة ، ظهرت في كثرة التماثيل التي صنعـت لها في منف وسيتر وسيرام ، وغيرها من المدن المصرية التي كانت لها شـهرة طاغية في ذلك الوقت ، وكان بعضها تظهر فيه الأفعى من خلال قرون أو بدون قرون

وأحيانا توضع لها زعانف مخيفة ، وتمثلات مرعبة ، ولكنها لم تظهر في تماثيل وتجسدات حانية ، او قريبة من الحنو والعطف [٣]وكانت هـــذه التمـــاثيل توضع في مداخل بعض القصور التي أنشأتها الأسر المالكة [٤]في تاريخها الـذي عرف بها .

أجل ظهرت في مصر القديمة اعتقادات متباينة ، بعضها يجئ فيه التوحيـــد الإلهي من خلال مظاهر بعينها ، ولكنه يكون خافتاً جداً ، وبعضها أطلت فيـــه

---

(١)الدكتور / محمد المهدي حسن سليمان ــ العقائد وتطور رقما ص ٢٥١ ط أولى ١٩٥٧م .

(٢) الدكتور عبد العظيم محمد خليل ــ الحضارة المصرية القديمة ص ١٧٣ ، وجو تفريد مارتن اسـكورت ــ الفكر الشرقي القديم العقائد والعبادات ص ١٨٣.

(٣)البير كامي ــ الديانات القديمة ص ٢٤٣ وفرانسوا دوماس ــ آلهة مصر القديمة ص ١٢٧ ترجمة زكـــي موسى ــ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٦م

(٤)الشيخ / محمد على البيطار ــ عقائد مصر القديمة ص ٢٧١ الطبعة الأولى الدار الميمنية ١٣١٥هـ .

ملامح الوثنية بكل أشكالها ولم تخل الأرض يوما من موحدين لله رب العالمين ، لكنهم ربما صاروا في بعض البلدان قلة لا تذكر [١]، وفي بعض الأزمان عـددا لا يربطهم من العلاقات الاجتماعية رابط كبير

من المؤكد أيضا أن هذه الديانات التي ظهرت في مصر ، لم تكن كلها مـن منتجات البيئة المصرية ، وإنما جاءتهم — في أغلبها — من الأمم التـي كـانت ضالعة فيها،وبخاصة الوثنيات ، وأن لم تفصح الدراسات القديمة والحديثة عنـها فى أشكال تفصيلية،إلا أنها على الأقل ألمحت إلى بعضها،لا على سبيل القطـع ، وإنما على سبيل الظن والاحتمال[٢].

في نفس الوقت فإن تأليه الأفعى ظهرت له أشكال تجسدية،بعضها كان على ناحية ذهبية ، وبعضها الآخر جاء على الناحية النحساية ، وربما كانت هنـاك أشكال ومظاهر أخرى لم يقف عليها الذي عنوا بهذا الجانب ، إما لأنها لم تكـن بهذا الشكل من الذيوع والانتشار،أو أنها اندثرت وتوارت كغيرها من الاعتقادات والعبادات أو الطقوس والأشكال التي أدخلت دائرة الإهمال والنسيان .

لكن ظهرت الأفعى أو الحية في التراث اليهودى الإسرائيلي لا على ناحيـة الحكاية لها ، وإنما على ناحية التأليه،والعبادة بجانب التقديس أيضاً ، وفي كـل

---

(١) والقرآن الكريم قد بين أن مؤمن آل فرعون كان موحداً ، وان لم يكن معلناً ذلك على الملأ ومن الممكـن ان يكون هناك غيره من أهل الإيمان ولا شك أن وصف القرآن الكريم لهذا الرجل بأنه مؤمن من آل فرعـون يكشف عن حقيقة الرجل على الناحية الإيمانية ، كما أن الحوارات التي قام بها مع فرعون وحاشيته تكشف عن إيمان عميق بالله رب العالمين ، قال تعالى " وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُـولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُـمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" سورة غافر الآية ٢٨ ، وراجع الآيات حتى الآية٣٥ فسترى أن مؤمن آل فرعون كان على وعي تام وإيمان كامل بالحقيقة الكبرى حقيقة الحقائق الإيمان بالله رب العالمين وتوحيده .

(٢) الدراسات النظرية في هذا المجال كثيرة ــ كما أن الوثائق التي تؤدي إليها قد تكون بحاجة إلى المزيد مـن الدراسة والكشف عنها .

الحالات جاءت مقترنة بالمخاوف أولاً ، ثم المنافع ثانياً ، وهو ما يفضي إلـــى القول بأنهم اقتبسوها من الديانات الوثنية ، وخلطوا بينها حتى تكون لديهم شاملة للمخاوف والمنافع معاً .

يعرف الكتاب المقدس الحية الحيوانية،بأنها حيوان زاحف على بطنه [١]وأن لها رأسا وذنباً[٢] لكن ليست لها أطراف،وتسمى غاش[٣] وهى تتلوى في سيرها، فيكون فمها معرض للاحتكاك بالتراب تلحسه [٤] كما أنها في حركتها لا تـــأخذ طريقاً مستقيماً ، وهي في ذات الوقت تتربص بفريستها ثم تهاجمـــــها وأخـــيراً تنقض عليها [٥] .

وهذه الحية الحيوانية أنواع كثيرة ،وبعض أنواعها إذا لدغ فإنما يصب سماً مميتاً في الجرح الذي تفعله ، وربما يموت الملدوغ بها، وقد يبرأ[٦]وهذه الحيـــة توجد أنواعها في البرية ، والمناطق البعيدة عن العمران ، والعامرة قليلاً ، كمـــا توجد في بعض المناطق المأهولة بالسكان ، وعلى الطرق وفي السياجات،وربما وجدت على الصخور،وفي الجدران ، ولها أوكار وجحور تربى فيها أولادهـــا ، وتأوى إليها [٧]كالشأن مع أصحاب الطبائع الحيوانية .

ويعلل العهد القديم سبب تأليه الأفعى في بني إسرائيل،تعليلاً تحيطه الدهشة،

---

(١)العهد القديم ـــ سفر التكوين ٣ / ١ ، ١٤ .

(٢)سفر التكوين ١٣ / ١٥ وسفر الخروج ٤ / ٤ .

(٣) سفر التكوين ٣ / ١٣

(٤) سفر ميخائيل ٧ / ١٧ ، سفر التكوين ٣ / ١٤

(٥) الدكتور فوزى رزق اسكندر ـــ دراسات في الكتاب المقدس ص ١٣٥ ط المحبة ١٩٥١ وراجـــع ســـفر العدد ٢١ / ٦ والمزمور ٤/٥٨ .

(٦)القس اسكندر منشى ـــ تفسير سفر التكوين ص ٧١ ط الدار العصرية ١٩٨١م بيروت .

(٧)الدكتور / فوزي رزق اسكندر ـــ دراسات في الكتاب المقدس ١٣٦ وراجع سفر الإمثال ١٩/٣٠ دعـــا موسى ٥ /١٩ .

حيث يقرر أن بني إسرائيل كانوا قوماً فيهم البداوة والترحال ، وكانوا يعيشون في البرية أغلب الأوقات ، وبخاصة في الصحراء العربية [١]التي توجد فيها كثرة من الأفاعي ، والحيات اللادغة ، والمحرقة من اللدغ .

وحدث أن وقع على بني إسرائيل نوع من الهجوم الحياتي الأفعوي ، فأصابتهم الحيات المحرقة باللدغ الذي أدى بهم إلى موت كل من لدغ ، أما الذين رأوا الملدوغين فقد أصابهم هم عظيم ، لأنهم كلما شاهدوا الملدوغين يصرخون من الألم ، ورأوهم يموتون متألمين عطشى جياع ، فقد أحزنهم ذلك جداً ، لأن هذا النوع من الحيات اللادغ متى حدثت لدغتها ، فإنها تسبب ألماً نارياً شديداً ، يعقبه الموت من الالتهابات الشديدة مع العطش القاتل [٢].

وكانت تلك الحية اللادغة منبوذة من كل ذي روح ، إنها ترهب البهائم وتخيف الحيوانات ، ومن ثم تعاديها لما فيها من سم ناقع ، ودهاء خارق ومكر ما بعده مكر ، بل لا تقبل عليها سوى الخنازير[٣]، ومن ثم تقع بينهما المعاداة أيضاً ، لأن سمها لا تهابه الخنازير الزاحفة ، إلى ما فيه السم ، وليس من شأن ذي السميين التلاقي[٤] .

---

(١) إذن كان عيشهم في الصحراء العربية ليس تملكاً لها وإلا سميت منذ القدم باسم الصحراء الإسرائيلية أو اليهودية ، ومادامت صحراء عربية منذ الزمن القديم فليس من شأن الإسرائيليين اليوم طلبها،أو إعلان أحقيتهم في شئ منها ، أنهم مغتصبون بكل المقاييس .

(٢) راجع سفر العدد ٢١ / ٦ وسفر التثنية ٨ / ١٥ وللدكتور فوزي رزق اسكندر ــ دراسات فى الكتاب المقدس ص ١٨٧ .

(٣) الأستاذ السيد عبد البديع محمد موافي ــ عقيدة اليهود في تجسيد الإله وموقف الإسلام منها ص ٢٤٢ رسالى ماجستير بالمعهد الآسيوى جامعة الزقازيق ٢٠٠٠م .

(٤) قد يقال: أن حيوان النمس يتحدى الحيات الزاحفة عموماً ، كما يتحدى الثعبان ، وأنه يتقاتل معها بشراسة وضراوة شديدة ، وأنه غالباً ما ينتصر عليها ولا يصيبه شئ من آذاها ، ثم إنه في النهاية يأكلها ولكن الخنازير كانت أقرب الحيوانات غذاء للأفاعي المتوحشة في الصحراء ، شريف العلمي ــ سين وجيم الجزء الثانى طبعة بيروت ١٩٧٨م ، والجواب أن الحية اللادغة تقترب منها الخنازير لغبائها،وقد تنتصر عليها أحياناً.

إذن صارت هذه الحية اللادغة ، بالنسبة لبني إسرائيل محرقة قاتلة ، الكـل يهابها ويخشى زحفها ، ومن ثم أعاد صنيعها معهم، ما سبق أن قامت به الحيـة الأم مع آدم وحواء حين أوقعتهما في الخديعة ، ودفعت بهما إلى الأكـل مـن الشجرة المحرمة [١]، فانفرط عقد المحبة وضاع آدم وحواء،وصارا في الخطيئة يتخبطان ، ومنذ ذلك التاريخ وهما ــ الإنسان والحية ــ عدوان هي تسعى إليـه ونسله لتدغ العقب ، وهو يبحث عنها ليحطم الرأس [٢].

من ثم يمكن القول بأن زحف الحية اللادغة في البرية،قد أيقظ في عقولـهم ذكريات الماضي التي حفرتها في أفهامهم مأثورات غير صحيحة،كانوا يتناقلونها فيما بينهم قبل تدوينهم كتابهم المقدس، مما يؤكد أن هذه المأثورات الساذجة متى وضعت في كتابهم المقدس بعد ذلك ، فإنما تدل على أنهم أولعـوا بالخرافـات وحكاية الأساطير التي اعتبروها مقدسة ، ثم صبوا عليها من زيت محبتـهم أو عداوتهم ، وسجلوا ذلك في أسفارهم البعدية حتى تظل قائمة في رؤس الأجيـال الإسرائيلية شاهدة بأن أسفار العهد القديم ما هي إلا أسفار وثنية ، لا علاقة لـها بالتوارة الإلهية .

على كل يؤكد العهد القديم أن موسى وبنى إسرائيل واجهتهم مشكلة الأفعـى اللادغة المميتة المحرقة في البرية ، فماذا يصنعون ؟ هل يقفون أمامها حيـارى يقابلون الموت وهم يهابونه ؟ أم يطلبون من موسى وربه إدارة المعركة وحدهما مع الحية المحرقة كما هي عادة بني إسرائيل "فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا

---

(١) يا لهذه التصورات الساذجة التى تمثل طفولية تجري في عقول أصحابها ، التى أوهمت أن الحية أكثر ذكـاء من الإنسان ، وأنها أقوى منه على التعامل مع اللغات والنواحي اللسانية المختلفة ، ألا يعد ذلك صورة مـن صور التهافت العقلي التى استقرت في أفهام هؤلاء ومن يجري مجراهم ؟ .

(٢)الدكتور / رمزى اسكندر ــ حول سفر التكوين ص ٥١ ط ثانية روشت ١٩٣١م .

قَاعِدُونَ "(١).

لقد اختاروا قيام موسى وربه بهذه المهمة ، فطلب الرب من موسى صنع حية — ليست من الحيوانات بحيث تكون مثلها — وأن يرسمها على صورة مخيفة،ثم يرفعها فوق راية عالية،وكل واحد من الإسرائيليين يقع عليه اللدغ من الحية المحرقة ما عليه إلا أن ينظر إلى هذه الحية المصنوعة،وبالتالي يبرأ،ولا يموت لكن من أي مادة يصنع موسى الحية ، أمن مادة الذهب الذي يداعب بريقه عقول بني إسرائيل فيجعل قلوبهم ترقص ، أم من النحاس الذي يمثل الصلابة والقوة ، ويقاوم عوادي الزمن ، لقد اختار الرب إلههم أن تكون المادة التي تصنع منها الحية مادة نحاسية فقط ، لكن سحرها يفوق الكل، لأن من ينظر إليها يبرأ من لدغ أية حية زاحفة ، أو أفعى متربصة .

يقول العهد القديم : وقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة ، وضعها على راية عالية ، فكل من لدغ ونظر إليها يحيا ، فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية العالية ، فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا(٢)، لكن ما هي صورة تلك الحية النحاسية ، أكانت ذات قرون كالأفعى التي ظهرت في ديانات الكلت وغيرهم ، أم كانت أفعى كالتي يشاهدها بنو إسرائيل ويخافون منها، أو أطلقوا عليها اسم الحية المحرقة ؟

والجواب: يقرر قاموس الكتاب المقدس أن الحية النحاسية التي صنعها موسى كانت على شكل الحية المحرقة،التي يهابها بنو إسرائيل ، حيث يقول لقد كانت الحية النحاسية على شكل حية محرقة ، صنعها موسى ، وأقامها على عمود في البرية حسب قول الرب ، لكي ينظر إليها بنو إسرائيل الذين لدغتهم

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٤ .

(٢)العهد القديم — سفر العدد ٢١ /٨ — ٩ .

الحيات المحرقة ، بإيمان في وعد الله أن يشفى الذين ينظرونها [١].

بناء عليه صارت هذه الحية النحاسية تقوم بشفاء من ينظر إليها نيابة عن الرب الذي أخرجهم من بطش فرعون وقسوته ، لقد كانت إنابتهم للحية النحساية ، ولم تكن توبتهم للرب الإله ، كما أن نظرتهم اتجهت لذات الأفعى النحاسية ، ولم تكن متوجهة للرب الذي أمر موسى بإقامتها ، فأخطأوا طريق الإيمان ، كما أخطأوا طريق المحبة [٢].

أجل تحولت الحية النحاسية من مجرد حية مصنوعة،كوسيلة علاجية على الحالة النفسية والبدنية،إلى صنم يعبد ، وإله تجبى ناحيته القربات ، وتتم إليه الصلوات ، ويخشع إليه الإسرائيليون[٣]، لقد تحولت الحية التي صنعها موسى فيما بعد إلى رمز حقيقي ، وراح العبرانيون يستخدمونها على هذه الناحية .

لقد فشلت العقلية الإسرائيلية في ضبط قواها ، واختيار الأنسب لعقائدها وعباداتها ، التي يصلح بها دنياها وأخراها ، بدليل اعتقادهم أن حية التجربة التي أوقعت آدم وزوجه في الخطيئة — على حد زعمهم — كانت حية حيوانية عادية في مظهرها ، لكنها فاقت وحوش البرية في المكر والدهاء ، وأنها بعد ما فعلت بالإنسان،وأسقطته في التجربة لعنت بين الوحوش ، بل وقع عليها القصاص أيضاً[٤].

---

(١)قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٣ ويقول أصحاب التفسير التطبيقي أن موسى عمل الحية النحاسية لشفاء بني إسرائيل من ضربة مميتة ، فكانت دليلاً على وجود الله ونبوته ، وذكرت الشعب برحمته وغفرانه ومحبته ، ولكنها أصبحت موضوعاً للعبادة ذاتها عوضاً عن أن تكون مذكرة لهم بما يجب أن يعبدوه ، ولذلك أضطر حزقيال إلى سحقها فيما بعد — التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ٨٢٤ ط وتعريب شركة ماستر بالمعادي بالقاهرة عام ١٩٩٨م .

(٢)القس رمزي فرج — قضايا الكتاب المقدس ص ٥٧ ط كنيسة الوادي ١٩٧١م .

(٣)الدكتور / اسكندر عبد المسيح — الكتاب المقدس يحكى ص ١٣٧ ط أولى ١٩٥٣م .

(٤)سفر اللاويين ٢٠ / ١ — ١٦

فإذا كان القصاص قد وقع عليها ، فمعناه أنها عوقبت،ولم تعد مثالاً حياً أو صورة وثائقية تقاس عليها الأفاعي أو الحيات الأخـــرى اللادغـــة المحرقـــة ، ولكنهم لارتباطهم الشديد بالوثنيات ، وتعلقهم بها إلى حد الوله والهيام لم يســمح لهم بأن ينظروا إلى الأمام نظرة أمل ، أو ينظروا إلى الخلـــف نظـــرة عظـــة واعتبار ، وإنما جعلهم هذا الفهم القاصر، ينكصون علـــى أعقابـــهم مســـتنكفين السير نحو الغاية التي شرعها الله .

إن الحية الزاحفة اللادغة المحرقة قد عوقبت ـــ من وجهة نظر أصحـــاب الفكر اللاهوتي ـــ بالزحف على الأرض ، ولو لم تفعل من تجربة آدم لظلـــت مرفوعة الرأس ، ربما سارت على قدمين أو أصابع،وكأن هذه الجريمة المفتعلة هي التي دفعت بالإله جل علاه حتى يتحولها من حيوان ماش إلى آخر زاحف ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا .

يقول قاموس الكتاب المقدس: أن الحية بزحفها على الأرض تعيد للأذهـــان ذكر انحطاطها ، بل هذا الزحف على البطن علامة علـــى دينونتـــها ، وهـــي مكروهة من الإنسان ، ولذا زاه يهتم بقتلها كلما رآها ، بل نسب كل فعل شـــرير إلى روح الحية ، باعتبار أنها العدو الأكبر لبني إسرائيل ، على وجه الخصوص والعدو التقليدي للإنسان على وجه العموم [1].

يالها من حية عجيبة ، استطاعت فرض سلطانها على مؤلفي أسفار العـــهد القديم ، ودفعت بهم إلى الحديث عنها ، واستطاعت إيجـــاد مكـــان لـــها بيـــن أسفارهم، كما فعلت ذلك بعقولهم مع أنها مجرد حية كـــالملايين مـــن الحيـــات والعقارب والأفاعي والثعابين ، ولكنها أجبرتهم على احترامها ، وفرضت عليهم

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٢ ـــ ٣٣٣ .

الخضوع لسلطانها ، حتى نصبوا لها التماثيل ، ورفعوا الرايات[1] ، ثم اندفعوا في طريق تقديسها وعبادتها إلى منتهاه .

يؤكد ديورانت أن اليهود لم يذكروا الأفعى على أنها صورة رمزية يعالجون بها مظاهر القلق والخوف ، أو يهربون بها من مواجهة المجهول ، وإنما تحولت من رمز إلى حقيقة ، ومن طقس إلى عقيدة ثابتة ، وعبادة دائمة يقول : في تاريخ اليهود الباكر شواهد كثيرة على أنهم عبدوا الأفعى ، ومن هذه الشواهد صورة الأفعى التي وجدت في أقدم آثارهم ،ومنها الأفعى النحاسية التي صنعها موسى ،والتي عبدها اليهود في الهيكل إلى أيام حزقيا حوالي ٧٢٠ ق.م.

ثم يقول : وكانت الأفعى تبدو حيوانا مفترساً لدى اليهود ، كما كانت رمزاً للذكورة المخصبة من جهته ، ولأنها من جهة أخرى تمثل الحكمة والدهاء ، والخلود ، فضلاً عن أنها تستطيع أن تجعل طرفيها يلتقيان[2]. وفيه إشارة إلى المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية التي كان اليهود يسعون إلى تلاقيهما ، فأخذوا الحية تمثالاً لذلك كله ثم عبدوها على أنها تحقق لهم الأماني ذاتها .

لكن الأفعى المحرقة النحاسية بهذا التحول الدراماتيكي طغت على أفهام القوم ، وصارت هي الإله ذاته ، بعد أن كانت رمزاً لفعل من أفعاله ، كما أنها انغمست في اعتقادات الطوائف اليهودية كلها ، إذ لم تقتصر على تأليهها واعتقاد عبادتها طائفة أو فرقة بعينها،أو حدث ذلك في زمان بعينه ، وإنما امتدت معهم حتى باتت معبوداً مقدساً في قبائل إسرائيلية بأكملها .

ومنها قبيلة لاوي التى صار معظم أفرادها فيما بعد كهنة الديانة اليهودية التي تقدس الحية ، بل هم الذين يمكن القول بأنهم أدخلوها في اليهودية ، كما

---

(١) وكان ذلك دليلا على قوتها الشديدة ، وعجزهم المتواصل ، بل صار دليلاً على وقوعهم في الضلال القلبي ، والضعف النفسي ، بعد الإلحاد بالله والكفر بآياته ورسله واليوم الآخر .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة المجلد الأول الجزء الثاني ٣٣٩ .

أدخلوا تقديسها [١]، وتقديم القرابين لها ، بعد أن نصبوا لها التماثيل ، وأقـــاموا الكهنة ونصبوا المذابح ، وقننوا العبادات التي تدار باسمها .

لقد جعلوها صورة متجسدة للذات الإلهية ، فالله عندهم هو الكامن فيـــها ، وهي في ذات الوقت المعبر الطبيعي عنه ، ومن ثم حرصوا على تأليهها والقيام معها بكل ما يجب ، وهو ما يؤكد وقوعهم على الأفكار الوثنية والتماسهم إياها ، والسير نحوها بخطاً واثقة،وقوية في ذات الوقت ، إذ جعلوها تحت حماية أسفار كتابهم المقدس[٢].

وفي تقديري: أن اليهود قد نصبوا الكمائن لأنفســـهم وحفـــروا الوهـــدات العميقة بأيديهم،كما أنهم أحكموا القيود والأغلال التي اختاروها حتى يقيدوا بها ، إذ كيف تكون حية التجربة مبغوضة عندهم ، وحية النحاس معبودة فيما بينـــهم ، أليست الحية الثانية قد صنعت في الأصل محرقة كالأولى تماماً بتمـــام ، فكـــان المناسب رفض النوعين ، وبغض الجهتين[٣] ، بل والإصرار على لعنهما معاً ، مادام الكتاب المقدس نفسه لعن حية التجربة .

كما أن اليهود خاصة والجنس الإسرائيلي عامة قد كشفوا عن كونهم لصوصاً محترفين ، ومجرمين متميزين ، وفوق ذلك فهم كذابون مزيفون ، أما لمـــاذا ؟ فالجواب لما يلي:

١ — إنهم في كتابهم المقدس — على زعمهم — جعلوا حية التجربة أكثر رقياً

---

(١)الدكتور/ محمد بحر عبد المجيد — اليهودية ص ١٦ مكتبة سعيد رأفت بالقاهرة .

(٢) الدكتور / محمد المهدي حسن سليمان — العقائد وتطوراتها ص ٢٩٥ ومطالعة أســـفار العـــهد القـــديم تكشف الكثير من الوثنيات التي كان لها وجود في أفكار اليهود لما تكشف عن الوسائل التي أمكنهم إدخـــال هذه الوثنيات إلى مجال الاعتقاد ودور علماء اللاهوت اليهودي في هذا الشأن .

(٣) وما أظن هذا الوجه ببعيد ، لأنه مادامت أوجه التشابه قائمة واللعن قد وقع على الأولى فلابد أن ينـــال الثانية .

من الإنسان الأول ، وأقدر على جره إلى المهالك، بل صورت هذه الحية بالذكاء الخارق ، أما الإنسان فكان حظه الغباء المطبق ، حيث دفعت بالإنسان ليأكل من شجرة الموت فاستجاب لها ، بينما لجأت هي إلى شجرة الحياة فعاشت[١].

ألا يدل ذلك على أنهم أبناء ذلك الإنسان الذي نعتوه بالغباء وهم في ذات الوقت يرثون عنه ذات القدر من الغباء ، وإذا كانوا أكثر غباء من الحيوانات الزاحفة فلم يمكن حسبانهم ضمن الطوائف البشرية[٢] التي يقام لهم وزن فكري أو ديني أو غيره .

٢ ـ أنهم افترضوا قدرة الحية على أجراء الحوارات مع بني الإنسان ، سواء أكانت هذه الحية ممثلة للشيطان ، أم كانت حية على طبيعتها ـ ومعنى هذا إجادتها اللغة الإنسانية ، وبالتالي احتفظت بأسرارها،ولا شك أنها تطور فيها،مع أن العلم يقرر حسبان الحية والأفعى من جنس الحيوانات التي لها حركات نوعية تتناسب مع بني نوعها ، وكذلك أصواتها ، ولم يفهم لغة الطير والحيوان إلا نبي الله سليمان، لأمر قدره الله تعالى له ، قال جل شأنه:"وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ"[٣] .

قال الشيخ / محمد الزفتاوي:تحدث سليمان بنعمة الله عليه ، إذ جعله الله وارثاً القوة التي كانت لأبيه دون اخوته ، كما أكرمه فجعله يفهم لغة الطير ، وأصوات الحيوانات ، التي كانت تفضي إليه ، لما كان وجودها يزين مملكته ، كما أعطاه الله من كل الخيرات والنعم التي أعطاها الملوك والعظماء ، وهو

---

(١) الشيخ / رضوان الميلاوى ـ العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ص ١٣٧ .

(٢)لأن أمكن ذلك فإن التعبير الذي يصير مقبولاً ، هو نعتهم بأنهم أبناء الحيات وأحفاد العقارب ، وسلالة الأفاكين .

(٣)سورة النمل الآية ١٦

الفصل العظيم الواضح ، والبرهان الساطع الذي يستوجب الشكر والحمد الدائم[1].

٣ ـ أنهم اقتبسوا هذه الوثنيات من غير إحالة حيث يقرر فريزر : أن بعض الشعوب البدائية التي كان لها وجود قبل عصور تدوين التوارة اعتقدت اعتقاداً ثابتاً أن أنواعاً من الحيات ، وبعض الحيوانات الأخرى تلجأ إلى تغيير جلدها ، وقد تعمل على تجديد شبابها رغبة منها في الحياة المستمرة ، وأن الحية كانت أكثر الحيوانات قدرة على تغيير جلدها ، كما كانت الأطول عمراً ، على أساس أنها تجدد جلدها الذي يترتب عليه استمرار شبابها[2].

ورغم أنها أساطير وقصص خيالية إلا أنها حفرت في أعماقهم ، ومن ثم لم يتمكن اليهود من الانفلات عنها ، إنها قصص وأساطير حكيت للتسلية والدعابة أو التعبير عن ملكة الخيال الأدبي العارم ، وارتباطه بالانتماءات الدينية ، أو سيقت باعتبارها ملاحم تجسد الفنون والملكات الإبداعية،في ملف الأمم البدائية ، أو التي نالت نصيباً متضائلاً من التطور الحضاري ، لكن اليهود اعتبروها حقائق مسلمة ، وقواعد دينية ثابتة ، ومن ثم جعلوها جزءا أساسياً في أسفار العهد القديم.

٤ ـ أنهم نقلوا التراث الوثني الذي وقفوا عليه،دون أن يتبينوا ما إذا كان هذا التراث يعبر عن حقائق صحيحة ، أم أنه خيال أصحابه ، يقول فيليب حتى : لقد كانت عبادة الأفعى،أو الحية شائعة في الشرق ، وبخاصة مصر القديمة ، كما

---

(١)الشيخ محمد منصور الزفتاوي ـ تفسير سورة النمل ص ٢٣ ط أولى ١٣٢٩هـ .

(٢)جيمس فريزر ـ الفولكلور في العهد القديم الجزء الأول ص ١١٠ ، ١٣٥ ترجمة د /نبيلة إبراهيم ـ الطبعة الثانية ١٩٨٢م دار المعارف .

كانت لها مظاهر عبادية في كريت ، وغيرها من بلاد الشـــرق[١]، وقـــد أخـــذ الإسرائيليون عنهم عبادة الأفعى،لكن بعد أحداث تطويرات وتعديلات في جوانب كثيرة من الأسطورة ذاتها ، لأن ظهور هذه الأســـاطير كـــان قبـــل أن يجـــئ الإسرائيليون،أو يظهروا على مسرح الأحداث في شئ .

٥ ـــ إنهم انفلتوا من النصوص التي جاءهم بها نبي الله موسى بن عمران، ومن ثم بدأت عمليات التسطح الفكري ، التي صاحبها التفسخ الأخلاقي والاجتمـــاعي بدليل أن أسفارهم ذاتها جعلت الرب هو الذي أمر موسى بصنع الحية النحاســـية حتى يبرأ من أثر اللدغ كل من ينظر إليها ، ومعنى ذلك أنها مشروعة من قبـــل ذات الرب الذي كلفهم بعبادته وحده ، لكن ذات الأسفار تحكي أن حزقيا[٢]كـــان شاباً مستقيماً في عيني الرب حتى أنه ملك على بني إسرائيل بعد أبيه ، وكـــان خادماً مكرساً جهوده لخدمة يهوه ، بل أنه أفتتح حكمه بترميم الهيكل وتطهيره ، واعادة تنظيم الخدمات الروحية فيه ، كما أعاد ترتيب موظفيه ، وفوق ذلك فلما أتم ما أراد ، احتفل بفصح عظيم ، دعا إليه الأســـباط الرئيسية العشرة في بني

---

(٣) الدكتور / فيليب مهى ـــ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،ـــ الجزء الأول تاريخ سورية ص ١٣٢ ترجمـــة جورج حداد وعبد الكريم رافق ، نشر دار الثقافة ببروت ، ونفس الفكرة أكد عليـــها كـــل مـــن هـــابرت وديورانت حيث يقول هابرت : شاعت عبادة الأفعى في الشعوب البدائية قبل اليهودية ـــ الأديان القديمـة ص ١٣٧ ترجمة وفاء صبحي ، ويقول ديورانت : لقد كانت الحية أو الأفعى في الديانات الشعبية مقدسة ثم أنهـــا كانت تبدو حيواناً مقدساً لليهود ، كما كانت لدى شعوب أخرى غيرهم ، لأنها رمز للذكورة المخصبة مـــن ناحية ، ولأنها تمثل الحكمة والدهاء والخلود من جهة أخرى ـــ قصة الحضارة ـــ المجلد الثاني ص ٣٣٩ .

(٢) اسم عبري معناه الرب قد قوى أو الرب قوة وهو ابن أحاز ملك يهوذا ، اشترك مع أبيه في الحكم عـــام ٧٢٨ق.م وبما أن أباه كان عاجزا عن المساهمة العقلية في شئون الدولة فقد صار حزقيا هو الحاكم الفعلي وقـد ابتدأ حكم حزقيا وهو في سن الخامسة والعشرين، وكان خادماً مكرسا ليهوه طرح التماثيل وحطـــم الحيـــة النحاسية التي عملها موسى لأنها صارت موضوع عبادة وثنية .. ومن ضمن الأعمال التي قام بهـــا حزقيـــا في أورشليم أنه حفر بركة وقناة للمياه وأقام سرداباً وفي عام ١٨٨١ اكتشف في سرداب سلوام نقـــش عـــبري يرجع إلى عهد حزقيا ـــ قاموس الكتاب المقدس باب الحاء ص ٣٠٥/٣٠٦.

إسرائيل بجانب سبطي يهودا وبنيامين[١].

وفي لحظة من الفرح والشعور بالقوة والإحساس بضعف الطرف الآخر ، أعلن هذا الحزقيا الحرب على الفلسطينيين ، وانتصر عليهم في معركة خاطفة ، ومن ثم صار عظيما في ملكه وقومه ، ونظرا لشعوره بفخامة الملك ، وأبهة الحكم،قام بإزالة المرتفعات التي كانت تبنى للمذابح والهياكل والتماثيل ، كما قام بتحطيم الحية النحاسية التى عملها موسى لأنها صارت عبادة وثنية[٢]

ولست أدري كيف يكون شاباً مستقيماً في نظر الرب ، وهو في ذات الوقت الذي حطم الحية النحاسية التي صنعها موسى بأمر ذات الرب ، لابد أن أحد الرجلين لم يكن على صلة بهذا الرب ، أو أن الرب الإسرائيلي كثيرا ما يتخذ قرارات ثم يتنازل عنها ، حسب تصوراتهم الساذجة والطفولية في هذا الإله الذي يأمر موسى بصنع حية نحاسية ، ثم يأتي حزقيا فيحطمها ويزيلها ويحسن ذات الفعل المضاد للأول في عيني الرب الإسرائيلي .

بل يسجل العهد القديم امتداحاً متواصلاً لهذا الحزقيا معلناً أنه بعد هذا العمل وصف بأنه مستقيم في عيني الرب ، حسب كل ما عمل داود أبوه ، حيث أزال المرتفعات ، وكسر التماثيل ، وقطع السواري ، وسحق حية النحاس التي عملها موسى ، لأن بني إسرائيل كانوا تلك الأيام يوقدون لها[٣].

٦ ـ أنهم قدسوا الحية النحاسية وعبدوها ، حتى تتقذهم من الحية أو الأفعى

---

(١) وأسماء أسباط بني إسرائيل حسب الترتيب الأبجدي هي : ١ ـ آشير ٢ ـ إفرائيم ٣ ـ بنيامين ٤ـ جاده ٥ ـ دان ٦ ـ رأوبين ٧ ـ زبولون ٨ ـ شمعون ٩ ـ لاوى ١٠ ـ منسى ١١ـ نفتالى ١٢ـ يساكر ١٣ـ يهوذا ، قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٦ فهي ثلاثة عشر وليست اثنى عشر حسب ما هو شائع عنهم رغم أن قاموس الكتاب المقدس يقول في ذات الصفحة ولمعرفة شئ عن كل منهم اطلب كل اسم في مكانه ألا يؤكد ذلك أنهم عابثون وفي أمورهم يخبطون .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠٥ / ٣٠٦ .

(٣) سفر الملوك الثاني ١٨ / ٥٠٤

الحيوانية المحرقة ، ولم يكن لديهم استعداد للتخلي عن هذه الاعتقادات طالما كانت حياتهم قائمة في البراري والصحاري المخيفة ، حتى إذا تبدلت أحوالهم بدلوا في اعتقاداتهم،وهو ما يؤكد طبيعة العنصر الإسرائيلي ، وأنه نهاز فرص لا تقوم فيهم قاعدة ثابتة ، ولا يرتضون حكماً مشروعاً ، أنهم مستعدون لضرب كل نبوة تأتيهم من قبل الله تعالى ، بما تصوره لهم خيالاتهم المريضة واعتقاداتهم الوثنية ، لقد عاشوا في الوهم ومن كان ذلك شأنه فإنه لا يكون مستعداً لقبول الحق ، أو السير في طريقه والأدلة على ذلك كثيرة منها :

الدليل الأول : كفرانهم بالله تعالى في التاريخ الذي سجل ذلك ، فما من عصر مرّ بالعنصر الإسرائيلي، إلا ويحكي خروجهم على تعاليم الله تعالى ، وانحرافهم إلى الطرق الشيطانية،ولهم في قبولها أسباب وتمحلات لا تنقطع ، والكتب التي بأيديهم تشهد عليهم يقول سفر الملوك الثاني فهم إلى ذلك اليوم يمارسون طقوسهم الأولى ، ومن ثم صارت عباداتهم خليطاً من تقوى الرب ، والطقوس والفرائض الوثنية ، وفقاً لتقاليدهم الشخصية،وليس وفقاً لمقتضى شريعة الرب[1]

الثاني : إنهم ما امتدحوا نعمة من أنعم الله أبداً ، وما ارتضوا حكماً من أحكامه في حال من الأحوال ، وإنما كانوا بكل أنعمه كافرين،وعلى كل أحكامه خارجين وقد سجل عليهم ذلك في مؤلفاتهم التي بأيديهم حيث يذكر سفر الملوك أن الرب أنجى إسرائيل من أعدائهم ، وأمرهم ألا يعبدوا أو يسجدوا أو يتقربوا لآلهة أخرى ، وأن يطيعوه في الفرائض والأحكام ، وألا ينقضوا عهداً قطعه معهم .

لكنهم لم يستجيبوا لشئ من ذلك ، وإنما أغمضوا عيونهم وأصموا آذانهم ، ومارسوا من الطقوس ما دفعتهم إليها شياطينهم ، فعبدوا الأوثان التي نهاهم الرب عنها ، كما عبدوا الرب معها ، فصارت عبادتهم مشتركة بين الرب

(١)العهد القديم ــ سفر الملوك الثاني ١٧ / ٣٤ ــ ٤٩ .

والاعتقادات الوثنية ، بل أن أبناءهم اقتفوا آثارهم، وساروا على نهجهم في هذه الممارسات الفاسدة ، التي لم يتركوها[1].

الثالث : ما سجله عليهم القرآن الكريم ، وأنهم كانوا يقابلون نعم الله بالكفران ، وأوامره بالعصيان ، فهم جاحدوا النعم ، وهم الكافرون بما أنزل الله قال تعالى :" وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ "[2] .

الرابع : أنهم لم يمكثوا على التوبة أبدا ، وإنما هم يتوبون متى وجدوا الشر يحيط بهم ، أو العقوبة تنزل عليهم ، فاستحقوا اللعن من الله تعالى، والطرد من رحمته ، قال تعالى :" لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ "[3] .

الخامس : أنهم لما كانوا في الباطل سائرين ، وفي الغي قائمين ، وليسوا مستعدين للسير في طريق رضوان الله رب العالمين ، فقد حكم عليهم بالتشرد ، والتفرق مع التشتت في الأرض ، كما مسخهم قردة خاسئين ، قال تعالى : " فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) العهد القديم ـ سفر الملوك الثاني ١٧ ـ ٣٦ ـ ٤١ .

(٢) سورة الأعراف الآيتان ١٦١ / ١٦٢ .

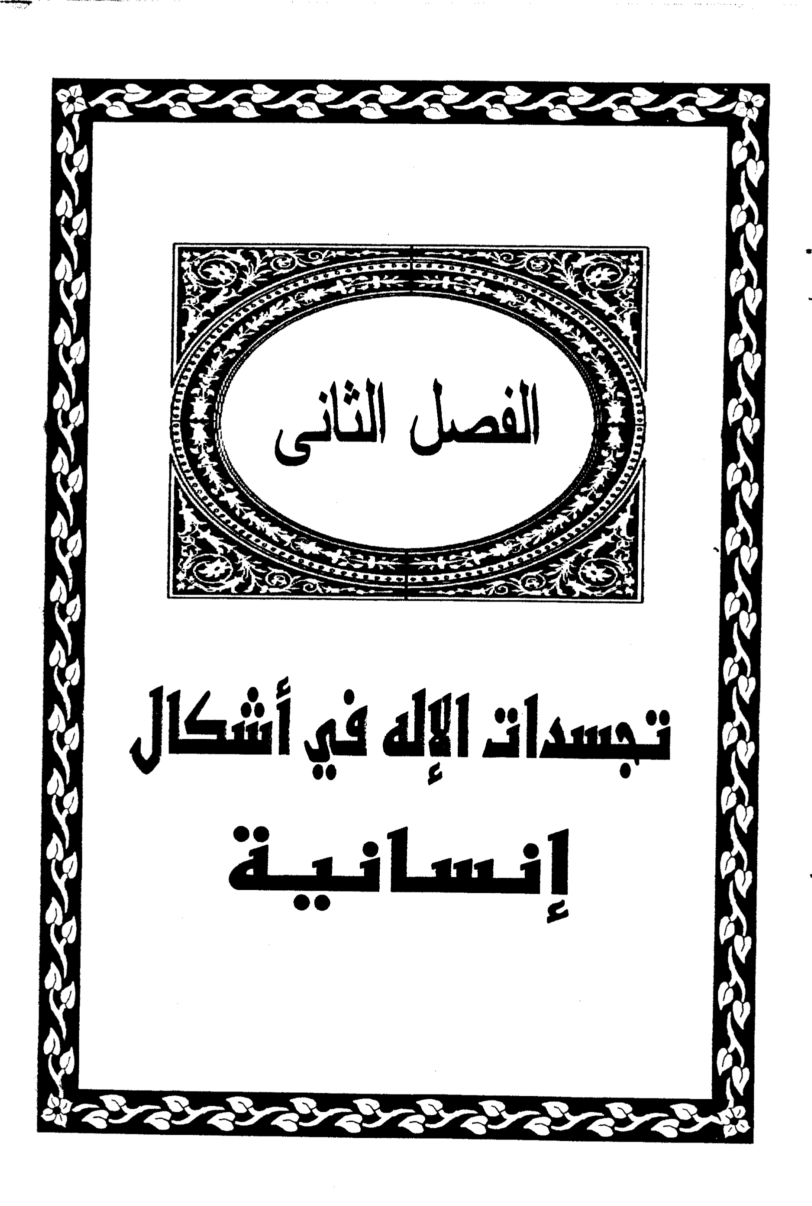
(٣) سورة المائدة الآيات ٧٨ / ٨١ .

لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ".(١)

لقد أخطاؤا طريق الصواب رغم أن الله تعالى بعث المرسلين بــه إليــهم ، وعرفوا طريق الغي والضلال رغم أن المرسلين نهوهم عنه ، وحذروهم منــه ، فكان نتيجة ذلك ما حاق بهم لا ما طاف بخيالاتهم ، والمؤســف لــه أن هــذه السقطات الشيطانية يحرصون على تسجيلها في مؤلفاتهم التي يصفونــها بأنــها مقدسة ، أو كما يحاولون إيهام الأغرار بأنه مُوحى بها إليهم، ولو كانت من عند الله تعالى ، مادعت للكفر والإلحاد بالله ، ولو كانوا هم أتباع نبى من أنبيــاء الله حقاً لساروا في طريق رضوان الله تعالى ، ولكنهم اتبعوا أهواءهم ، فخســروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٦٥ / ١٦٧ .



الفصل الثانى

تجسدات الإله في أشكال إنسانية

من الثابت لدى الدارسين في الأديان المقارنة ، وفي مجال تاريخ الأديان أيضاً[١]، أن الإسرائيليين عبدوا الآلهة المتجسدة ، كما عددوا في هذه الآلهة،رغم أن التنزيه من صفات رب العالمين ، بيد أن هده العقول الخربة اصطنعت آلهة طبقاً لما رسمته أهواؤهم ، واستقر في خيالاتهم، نتج عن ذلك إنهم تصوروا تلك الآلهة في أشكال إنسانية ، كما تصوروها في أشكال حيوانية .

والأكثر غرابة أنهم يصرون على إثبات الصفات السلبية لهذه الآلهة على وجه العموم ، أما الصفات الإيجابية فغالباً ما تكون نادرة أو قليلة[٢] ، إنهم يعجزون عن منح هذه الآلهة كل ما تحتاجه ، وفوق ذلك فهم إن خلعوا عليها صفات فإنما يحرصون على صبغها بالنقائص كلها ، كأنهم يريدون أن يقولوا مادامت هذه الآلهة قد جاءت حاملة أوجه النقص ، فلا مانع من أن يكون النقص ذاته في الأفراد الذين يعبدون هذه الآلهة[٣]، ومن ثم سألمح إلى التجسيد للإله الذي جرت به الاتجاهات الوثنية في أشكال إنسانية ،ثم نقله الإسرائيليون عنهم، وأخيراً سلموه لليهود الذين تمسكوا به ودافعوا عنه .

١ ـ عند الآشوريين :

ظهرت بلاد آشور في الماضي قريبة الحال من بلاد بابل،والقبائل المجاورة لها ، وجاءت التجسدات الإلهية في هذه القبائل متجاورة متشابهة إلى حد كبير ، لكن الآشوريين انشغلوا في تفهم اعتقاداتهم التجسدية من خلال الأشكال الإنسانية التي غلب على بعضها الحزن ، وقليلاً ما تبرز صور هذه الآلهة في الأشكال

---

(١) هناك فروق كثيرة بين كل من الأديان المقارنة ، أو علم مقارنة الأديان ، وبين تاريخ الأديان ، أو علم تاريخ الأديان ، راجع في ذلك كتابنا وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ص ٧ ، ١٤ .

(٢) المقصود بالصفات الإيجابية هنا ما به يقع الكمال ، أو الصفات السلبية ، فهي التي بها يقع النقصان كالجهل والأكل والنوم .

(٣) لأن الإله ذاته هو المثال حسب المفهوم اليهودي والإنسان خلق على صورة الله ، وهي اعتقادات فاسدة .

الإنسانية حاملة بسماتها الفرح والسرور[1] ، لقد صنعوا آلهتهم على صور الغضب والحزن ، وأقاموها إلى جانب القسوة ، مع الرغبة في الانتقام .

يقول الدكتور الخواص : شاد الآشوريون لأنفسهم آلهة ، حرصوا أن تكون هذه الآلهة حاملة ما في ذات الخلائق من أوجه النقص والقصور ،التى تتألف من المتناقضات المختلفة الواقعة بين الضعف والقوة ، الحزن والفرح ، العبوس والبشر ، وهو ما يؤكد أن هذه الآلهة تعبر عن سمات أصحابها ، أو هي حاملة ما في القائمين عليها من النقص والعوز والحاجة [2] حيث ظهرت هذه الآلهة المتجسدة في أشكال إنسانية تحمل تعبيرات الضعف والذل والاستكانة أيضاً .

أجل ظهرت لدى الآشوريين تجسدات إلهية عديدة ، بعضها لكائنات حيوانية كالقط والجعران وابن آوى ، وقد صنعوا لهذه الآلهة المتجسدة — على أشكال حيوانية — تماثيل كانت تزاحم الأخرى التي وضعت على أشكال إنسانية ، وقد اتجهوا للجميع بالعبادة والتقديس ، كما سلكوا في عبادتها كل مسلك ، وكانت التجسدات التي تجئ في الأشكال الإنسانية تسيطر على الآلهة التي تجئ في صور تشكلات غير إنسانية من باب غلبة الصنعة .

يقول الشيخ البيطار : لقد تعددت الأشكال التي ترسم صورة الآلهة ، وتعبر عنها ، وكانت بلاد آشور مسرحاً لها في الجانب الحيواني والإنساني معاً ، وكانت كلها تعبر عن رغبة الإنسان في التعرف على طبيعة المعبود والذي يتجه إليه بالتقديس والعبادة،ومن ثم كانت النتيجة وقوعهم في الكفر بالله،مع الإشراك به وهو الشئ الذي لم يتمكنوا من الانفصال عنه [3]فوقع عليهم غضب الله ،كما

---

(١)الدكتور محمد السيد طاحون — الديانات الوثنية ص ١٩٥ .

(٢)الدكتور / صبرى حسن الخواص — العقائد الوثنية في الشرق القديم ص ١٩٥ ط ثانية ١٩٤٤م .

(٣) الشيخ محمد على البيطار — عقائد مصر القديمة ص ١٣٥ وراجع لأندرية بارو — وبلاد آشور نينوى وبابل ص ٢٧٧ .

وقع على كل الأمم التي أشركت به جل علاه

بيد أن هذه التجسدات للآلهة في أشكال إنسانية لدى الآشوريين ، كانت تقـع فيها المقاسمة بين الرجل والمرأة ، الفتى والفتاة ، لذا فقد كان مــن الســهل أن تلمح مظاهر تأليه الجنس البشري كله ، لكن في أعلى مراتبه ، فصورة الإلـــه الذكر غالباً تكون ممتلئة بالفحولة،والعظمة بجانب الخصوبة ، أما صورة الآلهـة الأنثى فكانت تحمل ملامح الخصوبة والنضارة ، ولذا ظهرت الآلهة الآشــورية النسوية من خلال أشكال متكاملة في الطبائع والعادات ولم يكن هناك مانع مــن أن ترى إلهة أنثى ترضع وليدها،أو تحمله بين ذراعيها[1] كالصور التي نراها في كثير من المعابد،التي عرفت أو اكتشفت من خلال بعثات الآثار،حين طافت بلاد بابل ومسحت منطقة آشور[2].

كما حرص الآشوريون على ترسيم كهنة يكونون خدمـاً لـهذه التأليـهات المتجسدة ، كما غرسوا في نفوس الناشئة إمكانية أن يكون الإله المعبود علـى صورة أحد البشر أيا كان ذلك الفرد البشري ، ولكنهم أخطاؤا الطريق ، وكفروا بالله رب العالمين لأنهم إن اعتقدوها آلهة مستقلة ، فقد جعلوها بديلاً عـن الله ، وهو الكفر من الطريق الأولى .

أما إن اعتقدوها آلهة مقربة إلى الإله الأعظم ، فقد وقعوا في الكفر أيضـاً حتى وإن اعتبروها أولاد الله ، كما يزعم البعض ، وقد نعى الله عليـهم هـذه المواقف كلها،وبين فسادها وبطلانها،قال تعالى :" أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَـهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ لَوْ أَرَادَ اللَّـهُ أَنْ يَتَّخِذَ

---

(١) بونويك ــ العقائد الآشورية ص ٧١ ترجمة عبد العظيم نصر الله ط أولى ١٩٧٧م .

(٢)الدكتور/ صبري حسن الخواص ــ العقائد الوثنية في الشرق القديم ص ١٩٣

وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (١).

ولا شك أن الدليل يخالف المدلول ، كما أن النتيجة ليست هي الآتية من المقدمات،أما لماذا ؟ يقول ابن عربي: يضاد الدليل في قولهم المدلول أما لماذا؟ فلأن التوحيد هو المدلول ، أما الدليل فهو قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، وهو مضاد له ومغاير،فلا توحيد(٢) .

إذ يجب على الإنسان العاقل تنزيه ربه جل علاه عن الشرك والمشابهة ، أيا كان نوع الشبيه أو الشريك ، كما يجب أن يباعد بين ذات الله وصفاته وأفعاله وبين ذوات وصفات وأفعال المخلوقين ، بنفس الفارق القائم بين المخلوق الضعيف الناقص،وبين الخالق القوي القاهر الذى هو الكمال نفسه .

إذن الآشوريين جسدوا آلهتهم في أشكال بشرية متكاملة ، من النوعين ـ الذكر والأنثى ـ وأطلقوا عليهما من الصفات والنعوت ما يتوافق مع الطبيعة البشرية ، لا مع الذات الإلهية ، وكانت للإسرائيليين نزوحات نحو بلاد آشور لأغراض كثيرة ، ومن ثم فقد أخذوا عنهم، واقتبسوا منهم اعتقادات وثنية جسدوا فيها إلههم تجسيدا بشريا كاملا ، بل إنهم لم ينتظروا عند حد التجسيد ، وإنما أسرعوا إلى نعته بما هو ملازم لذات الجسمية المتكاملة ، من المأكل والمشرب والحركة في المكان ، مما يؤكد تأثرهم بالآشوريين في اعتقاداتهم ، والمشابهة بينهما قائمة في أنماط كثيرة .

وكأني بالشيخ محمد وفا رضى الله عنه يلقي بالائمة عليهم ، فيقول :

---

(١)سورة الزمر الآيتان ٣ ، ٤ . قال العلامة أحمد الصاوى : كان المشركون إذا قيل لهم من خلقكم ؟ ومن خلق السماوات والأرض ؟ ومن ربكم ورب آبائكم الأولين ؟ فيقولون الله ، فيقال لهم فما معنى عبادتكم الأصنام فيقولون لتقربنا إلى الله زلفى،وتشفع لنا عنده ـ العلامة أحمد الصاوي المالكي ـ حاشية الصاوي على الجلالين ج ٣ ص ٣٦٦ .

(٢)الإمام الأكبر محي الدين ابن عربي ـ الفتوحات المكية الباب السبعين ص ٣١٥ .

عقال عقلك بالأوهـــام معقولُ — وقد قلب القلب منك القال والقيلُ
نحت بالفكر معبودا وقلت بـــه — وصنعت عقدا بكف الحق محلولُ
قد عشتُ قبلك دهرا في مكابدة — ولي فؤاد بهذا الداء معـــــلولُ[1]

يقول ديورانت : كانت القوة الثانية التي يعتمد عليها الملك فـــي الســيطرة على شعبه ، هي قوة الدين الذي لم ينل إلا بمعونة الكهنة وبأغلى الأثمان ، فقـد كان إجماع القوم منعقداً على أن رأس الدولة من الوجهة الرسمية هو الإله آشور وكانت الأوامر الرسمية تصدر باسمه ، وكل القوانين والقرارات تمليها إرادتـــه الإلهية ، وكل الضرائب تجمع لخزائنه وكل الحروب تشن لتأتي له بالغنـــائم ، وكان الملك يحمل الناس على وصفه بأنه الإله [2]ولم يكونوا يرون فـــي ذلــك غضاضة ، لأنه الذي ينتصرون به على أعدائهم ، وهو الذي تجمع الضرائـــب باسمه ، وتصك النقود باسمه ، وتقام المذابح له ، فكان الملك إلها بشرياً ، يـأكل ويشرب ، ويتزوج ثم يموت ويدفن .

٢ ــ عند الكلدانيين :

عاش أهل كلديا ينحتون من آمالهم الخاصة آلهة لهم ، حيث أغرموا بالآلهة المتعددة في أشخاصها ، المتجسدة في أشكالها ، وبخاصة الحيوانية والإنسانية[3]، وظهرت هذه التجسدات في الأشكال الإنسانية على النحو الفردي ، ثم العـــائلي وأخيرا الجماعي ، أو الجماعية ، وكلما أنحطت اعتقاداتهم ازدادت تجسداتهم في الآلهة التى يعتقدونها ، أو يتجهون إليها بالعبادة تارة،والتقديس أخرى ، وهم في

---

(١)الشيخ محمد عبد الحميد محمد علوان ــ أهل الله ص ٩٣ مطبعة العاصمة ١٣٣٥هـ

(٢) ول ديورانت ــ قصة الحضارة ــ المجلد الأول ــ الكتاب الثاني الشرق الأدنى ص ٢٧٥ ترجمة الأســتاذ محمد بدران ــ طبعة الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠١م .

(٣)كذلك ظهرت بينهم آلهة جمادية ، وأخرى من الظواهر الكونية كالشمس والقمر والريح والمطر وغيرها مما جرت عملية تأليهه،ودفع الناس إلى اعتقاد الألوهية له راجع لألبيركامي الديانات القديمة ص ١٥٧ وما بعدها.

كل ما سلكوا كانوا جاعلين تقاليدهم هي وحدها صاحبة الحق في قبول اعتقادات ما ، أو رفضها مع عجزهم عن تقديم أسباب ذلك[١] .

ويذكر المؤرخون : أن الكلدانيين جماعة سكنوا منطقة كلديا في جنوب بابل وكان الكلدانيونَ هم الجنس الغالب في بابل من ٧٢١ إلى ٥٣٩ ق.م وكانوا يشغلون كل مناصب السلطة ، والسيادة في كلديا ، بل أنهم ملأوا كل مناصب الكهنوت فيَ العاصمة ، حيث أصبح اسم كلداني مرادفا لكلمة كاهن للإله بل مردوخ كما ذكر المؤرخ هيرودتس .

وكان شعب بابل في ذلك الحين ، يعتقد أن هؤلاء الكهنة يملكون ناحية الحكمة ، ولهم معرفة سحرية ، ومقدرة فائقة على العرافة والكهانة والتنجيم ، بل ومعرفة الغيب أيضاً [٢]ونظراً للعلاقة الوطيدة التي ربطت بين شعوب وقاطني ما بين النهرين في القديم ، فقد صارت الإعتقادات الوثنية ، والطقوس والشعائر التي تجري في مجتمع ما من هذه المجتمعات ، تظهر هي ذاتها في المجتمعات الأخرى ، التي قطنت ما بين النهرين ، وربما ظهرت في مجتمع بصورة ضعيفة وهزيلة، لكنها تظهر في الثاني قوية عالية .

بل ربما كان التشابه في الأسماء التي يطلقونها على آلهتهم قائماً ، وإن دخله شئ قليل من طرق الصناعة ، يقول توكاريف: مما يثير الاهتمام هو أن تصوير الآلهة كان يجري في أكثر العصور تأخراً ، بأشكال بشرية ، في القسم الأكبر منها[٣]، حيث أثبتت الحفريات التي تم اكتشافها ، وجود جملة من الآلهة

---

(١)وهذه السلوكيات بعضها يجئ على سبيل التوارث من الآباء والأجداد ، وبعضها يجئ على سبيل التقليد المذموم ، وقد عبر القرآن الكريم عن ذمها جميعاً ، فقال تعالى " وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ".سورة الأنعام الآية ١١٦

(١)قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٥ ويذكر أن مردوخ بلادان ، وبنوخذ ناصر ، واويل مردوخ ، وبلكشاصر ، كانوا جميعاً من ضمن ملوك الكلدانيين .

(٢)سيرغي أ. توكاريف ــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٣٤٠ .

الكلدانية على أشكال إنسانية ، متجسدة الأطراف والجوارح ، حتي لكأنها صورة ضوئية لإنسان ذلك العصر[١]الذي رسموا آلهتهم على صورته ، أو جعلوا هـذا الإله متشكلا بذات الشكل .

بيد أن هذا التأليه المتجسد في الديانة الكلدانية لم يكن بدعه فيهم وحدهـم ، وإنما كان قاسما مشتركا بين جمهور شعوب ما بين النهرين ، لكن متـى كـان سلطان إحداها عاليا قويا ، فإن اسماء آلهتها هي التي تغلب أسماء آلهة البلاد أو الجماعات والشعوب الأخرى ، على أساس أن هذه الآلهة المتجسدة ، إنما هـي آلهة أو حماة عشائرية ، وهو ما يفسر وجود بعض التجسدات الإلهية الإنسانية ، حاملة لأكثـر من اسم ، كما يفسر تقدم بعضها على بعـض فـي الذكـر ، أو تأخرها عنها في وقت من الأوقات ، بل أن بعض هذه الأسماء كان يمارس نوعا من الضغوط على أسماء آلهة أخرى .

يقول مالكوم ظهرت الآلهة المتجسدة في أشكال إنسانية ذكرية تارة وأنثويـة أخرى داخل إطار أفهام الكلدانيين،الذين طابت لهم هذه الاعتقادات ، ولم يكن من السهل عليهم ترك هذه الآلهة الإنسانية ، وكان الملك أحيانا يقوم الكهنة بترسيمه إلها على القوم ، وبالتالي فقد كان للكهنة دور كبير في عمليـة تأليـه الملـك ، وكثيرا ما كانوا يختارون له من الأسماء ما يحقق غرضه ، أو يتناسب معه فـي وضعه العام [٢]. وكما ظهرت الآلهة في تجسدات إنسانية ذكرية وأنثوية ، فقـد ظهرت كذلك في أشكال صغيرة السن وكبيرة أيضا، بحيث يمكن القول بأن هـذه الآلهة البشرية لم تكن كلديا تستوعبها جميعا ، وإنما كان لها إله أكبر تأوى إليـه في حلول مشكلاتها ، لقد كان هذا الإله الأكبر هو زعيم الآلهة ، وهو الحـاكم فيها بما يراه مجلسه .

---

(١)الشيخ على صفوت هلال ــ بلاد ما بين النهرين ص ٢٢٥ ط ثانية ١٣٣٩هـ .

(٢)ديفيد مالكوم ــ الديانات القديمة ج ١ ص ١٣٧ ترجمة فوزي اسكندر ط أولى ١٩٦١م .

يقول هولمز : من الصعب أن تجد للشعب الكلداني مثيلاً في تعدده لآلهتـه وتجسيده لها ، لكن الغالب عليها هو الطابع الإنساني ، بما في البشرية من حب وتسامح ، وعنف أومودة ، لقد صارت هذه الآلهة تحمل صوراً إنسانية بعضها يحتاج الشفقة ، وبعضها الآخر يدفع إلى الاحترام ، بجانب الخوف أو الرهبة[١]وهذه التمثلات إن لم تكن على المستوى الرسمي في شكل قاطع ، فإنها كانت على المستوى المحلي في أوسع نطاق .

بيد أن هذه الآلهة المتجسدة في الصور البشرية ، كانت هي الأخرى تلد آلهة بشرية أيضاً ، ولذلك ظهرت آثار كلدانية تقوم فيها الآلهة البشرية الكثيرة المتجسدة داخل الأشكال الإنسانية ، أطلقوا عليها اسم مجمع الآلهة الخالدة ، في مقابل مجمع الكهنة الآمن ولكنه غير خالد[٢]، ولما نزح اليهود إلى كلديا في الماضي ، ورأوا هذه التشكيلة من الآلهة اعتقدوا صحتها ، ثم قاموا بممارسة عقائدها، مع الحرص الشديد على إدخال المزيد إليها ، من العناصر المتجسدة البشرية ، التي تفرح وتأكل وتشرب ، وتغلب وتهرب ، وما ذلك إلا من الآثار الوثنية التي تمسكت بها الجماعات الإسرائيلية .

---

(١)جون فيكتور هولمز — عقائد الشرق القديم ص ٢٥٥ وراجع للشيخ عبد الحميد الطويل — حضارة بابل وآشور ص ١٣٤ .

(٢)ظل سلطان مجمع الكهنة قوياً في كلديا وبابل وآشور ، وكان مجمع الكهنة آمنا من تقلبات عديدة ، ومن ثم صار هيئة عظمى دائمة ، في مقدورها وضع الخطط طويلة الأجل ، إنهم يجمعون أموالاً كثيرة من الضرائب التي تفرض للهياكل بجانب الهدايا العظيمة التي يقدمها الملوك للآلهة ، والممتلكات التي تترع لصالح الهياكل الإلهية التي تنتقل ملكيتها إلى مجمع الكهنة أنفسهم في أغلب الأحيان ، ومن ثم تكدس في خزائن الهياكل الذهب والفضة والنحاس واللازورد بجانب الجواهر والأخشاب النفيسة — ول ديورانت : قصة الحضارة المجلد الأول الكتاب الثاني — الشرق الأدنى ص ٢١٢ /٢١٣ ترجمة محمد بدران .

٣ ـ عند الأورليين :

أصحاب الاعتقادات الفاسدة تجمعهم أشكال واحدة،مهما اختلفت مشاعرهم ، وتباينت اتجاهاتهم ، وأهل الكفر كلهم ملة واحدة ، وسكان أورل قد تعددت بينهم الآلهة حيث صار فيهم الإله الأكبر ، والإله الأصغر ، والآلهة المتوسطون الذين يقومون بدور حمامة السلام بين الإله الأكبر،والإله الأصغر ، وقد نتج عن هـذا التعدد في الآلهة تعديات كثيرة في الأشكال المختلفة ، والتجسدات التي لم تتوقف وبالتالي فهم من أصحاب النار ، قال تعالى : " وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّـهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنـدَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ "(١).

غير أن الأورليين قد أكثروا من التجسدات الإنسانية للآلهة،على أشكال مذكرة أحياناً ، ومؤنثة أحيانا أخرى ، وربما جاءت على أشكال تجمع بين الوضعيـن ، وهو ما يعرف باسم التجسدات المشتركة ، التي اشتهرت بها العقلية الأورلية في القديم ، ونظراً لوقوعها في مجتمع يحترف أطرافه صناعـة التمـاثيل وإقامـة التجسيدات ، فإن تأثرهم بهذه الأفكار والتجسدات أمر لا يمكن تجاهله،أو التخلـي عنه ، أو إنكار دوره في تكوين معالم الاعتقادات التي ساروا عليها فيما بعد .

يقرر ديتاي: أن مظاهر الاعتقادات في الآلهة المتجسدة قد تعـددت بتعـدد المعتقدين لها وتصوراتهم الذاتية التي رسمت في حدودها ، حتى بـدت بينـها اختلافات كثيرة، بعضها راجع للتراكمات الذهنية،والموروثات الفكرية ،وبعضها الآخر مرده إلى التطلعات التي تغلب على آمال هؤلاء أو تعبر عن أحلامـهم ،

---

(١) سورة الزمر الآية ٨ .

ومن ثم فلم تكن هناك قاعدة ثابتة لممارسة عبادات بعينها أو طقوس بذاتـــها[١] فتحولت الاعتقادات والعبادات معهم إلى صورة كرنفالية يقـــدم أعضـــاء كـل مجموعة ما هو قائم في أفهامهم ، أو عليه اعتماد أمورهم ، وهو الكفر بعينـــه قال تعالى :" إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَـــلاَلاً بَعِيـــدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَـــهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا"[٢].

ويقول الشيخ صبره : لقد كانت الجماعات الأورلية تملك قدراً من الشجاعة في التعبير عن آلهتها الوثنية ، بغض النظر عن موافقة هذه الاعتقـــادات لمـــا هـــو قائم لدى الآخرين أم لا، لقد اعتبروا أنفسهم أفضل من الأمم كلها ، وهو ما جعلهم ينطلقون بهذه الوثنيات إلى أماكن بعيدة أصابت البلـــدان المجـــاورة[٣] إصابات متعددة ، في أشكال مختلفة .

لكن أغلب التجسدات التي ظهرت لدى الأورليـــين كمعـــبر عـــن الآلهـــة المتجسدة إنما كانت الأشكال الإنسانية هي التي تملك الغلبـــة علـــى غيرهـــا ، باعتبار أن الإنسان هو المخلوق الراقي الذي له حق السيطرة على باقي الكائنات والأنظمة الأخرى.

ومن ثم يمكن القول بأنهم حاولوا القفز بالإنسان من دائرة الأنا الطبيعي إلى

---

(١)جوزيف ديتاي ــ الديانات الإنسانية ص ٥٣ ترجمة المهندس عبد اللهب عبد النور ص أولى ١٩٤١م.

(٢) سورة النساء الآيات ١٦٧ ــ ١٦٩ وفي تفسير ابن كثير : وقوله أي كفروا في أنفسهما فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عن اتباعه والاقتداء به،قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه وبعدوا منه بعدا عظيما شاسعا ثم اخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله ، الظالمين لأنفسهم بذلك،وبالصد عن سبيله وارتكاب مآثمة وانتهاك محارمه،بأنه لا يغفر لهم. "ولا يهديهم طريقا" أي سبيلا إلى الخير. "إلا طريق جهنم" وهذا استثناء منقطع "خالدين فيها أبدا"..

(٣)الشيخ عبد الباري توفيق صبرة ــ ديانات البلقان المتعددة ص ٧٢ ط دار الاستقامة ١٩٢٣م .

دائرة الإنسان الخرافى[١] وهو ما يمثل انتقالا غير مقبول ، ومعالجة غير طبيعية لقضايا تتعلق بالعقيدة الدينية،التي يجب أن يكون الفيصل فيها هو النقل المـــنزل وليس الخيال الجامح.

في ذات الوقت راحت الجماعات الأورلية تلغي من حسباناتها كل ما يتعلـق بالوحي الإلهي ، إنها صارت أشبه بالقطيع الذي يجري داخل صحراء واســعة تطارده فلول أهوائه ويحاول الهرب من واقعه الحقيقي،إلى خيالات وأوهام فقدت أبسط صور القبول لها عند العقلاء ، وكأني بهم القرآن الكريم يتوعدهم وأمثالهم في قوله تعالى:"إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَـوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِـيرٌ وَهُـمْ فِيـهَا لَـا يَسْمَعُونَ"[٢].

ربما يقال أن الأورليين من مؤلهة الآيات الكونية ، فهل يمكن حسبانهم مـع أهل التجسدات للألوهية ، أما كان يكفي تناولهم في القسم المتعلق بتأليه الآيـات الكونية[٤] بحيث لا يقع شئ من التكرار ؟

والجواب من وجوه :

الأول : أن الحديث هناك تناول الأوركيين وليس الأورليين ، والفرق بينهما كبير على أساس أن كلاً منهما يمثل شعباً بعينه[٤] ، أو جماعة برأسها ، ومن ثم فليس أحدهما هو الثاني ، ولا تابعاً له ، والاستقلالية في كل منهما ، هي التي تدفـع إلى اختصاص كل منهما بحديث محدد .

---

(١)الدكتور مصطفى محسن بدوي ــ التفاعل الحضاري ص ١٣٥ ط أولى المطبعة الجديدة ١٩٥٧م.

(٢)سورة الأنبياء الآيات ٩٨ ــ ١٠٠ .

(٣) تعرضت للحديث عن تأليه بعض الآيات الكونية في الديانات الوثنية ، وتناولت هنـاك تأليـه السـماء والأرض ، والليل والنهار ثم الشمس والقمر ــ يراجع في ذلك كتابنا تاليه الديانات ، الوثنية للآيات الكونيـة ط الأولى ٢٠٠٣م.

(٤) راجع الحديث عن كل منهما استقلالا ، في الأديان في تاريخ شعوب العالم ، فجر الضمير ، قصة الحضارة.

الثاني : أنه تم تناول مسألة تأليه الآيات الكونية . أما هنا فإن الحديث منصب على تعدد الآلهة في التجسدات الإنسانية ، وليس في الآيات الكونية . والفرق بين التجسدات الإلهية في الأشكال الإنسانية ، والآيات الكونية ، ظاهر لمن تأمله وسعى في تدبره .

الثالث : أن البحث يكشف عن وجوه موضوعين مستقلين ، كل موضوع منهما يشغل كتاباً مستقلاً[١] ، وله مباحث خاصة به .

الرابع : أن الحديث هنا منصب على ملامح العقائد الوثنية،وكيفية الوصول إلى دراستها،فهو يمثل الوسيلة، لكنه في الكتاب السابق انصب على ذات العقائد وهو ما يعني ارتباطه بالموضوع[٢]أكثر من عنايته بالوسائل،والأسباب المؤدية إليه .

وسواء أكان هؤلاء من أصحاب التجسدات الإنسانية أم من غيرها ، فإن المسألة القائمة هي أن اتخاذ إله مع الله تعالى يلقي بصاحبه في النار،قال تعالى: " لاَّ تَجْعَل مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخر فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً"[٣]، والمعنى إياك أن تعبد غير الله تعالى ، أو تتخذ معه شريكاً ، فإن الذين اعتقدوا مع الله آلهة أخرى ، خسروا في دنياهم الشئ الكثير ، وخسروا في أخراهم الخير كله ، حيث يؤتى بهم يوم القيامة فيؤخذ الواحد منهم أخذا شديداً،حتى يتمنى لو أنه لم يخلق،وما ذلك إلا من شدة ما يعاني .

ثم يلقى في جهنم حيث يلاقيه حرها ، وتذمه جوارحه ، كما تذمه ملائكة الرحمن ، وفي ذات الوقت فان الأنداد التي كان يعبدها لن تغني عنه في شئ ، بحيث تدفع عنه الأذى ، أو تدني منه الخير ، إنها استغرقت منه سنوات عمره

---

(١) وهناك العديد من الكتابات المستقلة ، ولا مانع من وجود دراسات ورسائل جامعية

(٢) وهناك فروق جوهرية بين العنوان والموضوع .

(٣)سورة الإسراء الآية ٢٢ .

في عبادتها ، فلما احتاج إليها تأخرت عنه خذلانـــا له ، وذما[١].

وقال تعالى :" ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَـهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُوراً "[٢]، قال الشيخ البروسوى : في الآية تمثيـل لأن الله تعالى شبه من أشرك بالله استحقاراً له ، بخشبه يأخذها أخذ في ، كفـــه فيطرحها في التنور، فالتوحيد أصل الحسنات، والشرك أصل السيئات[٣].

٤ ــ في ديانات الكلت الأقدمين :

عاش الجمهور الأساسي من القبائل الكلتية في شبه جزيرة البيرينيه وبـــلاد الغال ــ فرنسا الحالية ــ والجزر البريطانية ، وكان أكثرها قوة هي المجموعـة التي سكنت أرض الغال في الزمن القديم ، حيث كانت تعمل على توحيد بـــاقي القبائل من حولها ، وتجميع كلمتها ، وقد نجحت في إنهاء النزاع الذي احتدم بين جملة من قبائل الكلت هي : الالوبروغ والهلنستين والســـكوان والأرفـــيرينين ، والأورونيين والتريفير والنيرفين[٤]، وقد استمر الحال على ذلك فترة من الزمان حتى تكونت اتحادات قبلية تجمع شعوب الكلت كلها ، وقد حدثت بينها أنوع مـن التكامل .

وكانت هذه القبائل في الاتحاد الجديد،على درجة كبيرة من الاهتمام والعناية بالقضايا التي تبلغ بأصحابها حد الكمال الإنساني أو تقاربه ، كما تنظم العلاقـات المتبادلة بينها وجيرانها ، وبخاصة الرومان ، ثم يجئ بعدهم باقي الجـــيران[٥] وقد برع هؤلاء في تكثيف مهامهم العلمية ، والعمـــلية، حتى يكـــون لهم وجود

(١)الشيخ محمد عبد العظيم الوفي ــ الوفاء في تفسير سورة الإسراء ص ١٣٧ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٣٩ .

(٣)الشيخ / إسماعيل حقي البروسوي ــ تنوير الأذهان المجلد الثاني ص ٣٤٦ .

(٤) سيرغي توكاريف ــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ١٥٢ .

(٥) الدكتور / حسين السيد صادق ــ إتجاهات الفكر القديم ص ١٣٧ .

متكامل ، بل إنهم وصلوا على تفادي الاصطدام بالثقافات التي يحرص عليها الآخرون ، والهرب بعيداً عن صراع الحضارات المختلفة ، الذي بات عنيفاً بين الأفراد والهيئات في بعض الجماعات آنئذ (١).

ونظراً للعلاقة الوثيقة بين الرومان وقبائل الكلت الأقدمين،وبخاصة فيما بين القرنين الأول والثالث قبل الميلاد ــ فقد حدث نوع من التطور في الشكل الاجتماعي،داخل أنماط الحياة المختلفة،ولدى قبائل الكلت جميعها ، بعد أن تحولت الجماعات الكلتية من نظام العشيرة الأولى إلى نظام القبيلة المتطورة(٢)، ثم حدث تطور آخر تم فيه وضع التشكيلة الطبقية التى تعبر عن قمة التطور الاجتماعي في حدود المنظومة التاريخية ، وهو ما يكشف عن وجود تفوق ملحوظ للقبائل الكلتية على غيرهم من القبائل الجرمانية ، والسلاف بجانب الألمان أيضاً .

حتى إذا أهلت مطالع القرن الثاني قبل الميلاد ، ظهر نزاع عنيف بين أقوى وأكبر الاتحادات القبلية الكلتية في بلاد الغال ذاتها ، كان طرفه الأول القبائل التي تجمعت تحت الاتحاد الأدونى (٣)، بينما كان طرفه الثاني متمثلاً في

---

(١) صراع الحضارات يمثل صورة غير مقبولة لدى المفكر المسلم ، ومن ثم فلابد من استبداله بآخر يكون أكثر رقياً ومناسبة للحالة التي يجب أن يكون في إطارها المفكر المسلم ، وهو (حوار الحضارات) بدل صراع الحضارات .

(٢)تاريخ البشرية ــ الجزء الثاني تطور المجتمعات ص ٢٣٧ .

(٣) ولاشك أن وجود طرفين كل طرف منهما يتمثل فيه اتحادات ، يؤكد وجود خلافات عديدة ، أو تباينات تغلب عليها التقلبات السياسية والعقدية ، ولكن ذلك كله قد ذاب نظرا لسيطرة روح القبيلة على الناحية الاقتصادية ، ولكن ذلك الحال لم يدم طويلا ، وإنما ظهرت اتجاهات عقدية داخل هذه الأنظمة برزت ملامح بعضها داخل إطار التجسدات للآلهة الكونية تارة ، والنباتية والحيوانية تارة أخرى ، ثم كانت النهاية من خلال التجسدات في المظاهر الإنسانية .

القبائل التي تجمعت تحت قيادة الاتحاد السكواني[١]، وقد امتد هذا النزاع فترة من الزمان،كان من جراء ذلك إفراز قيادات جديدة تميل إلى الأرستقراطية القائمة في السلالية الوراثية ، وقد نجحت في إخضاع شعوبها إليها ، كما تمكنت فيما بعد من شن حروب كثيرة على جيرانها .

لكن هذه الشعوب الكلتية قد لوحظ في تركيبتها الاجتماعية قيامها على النظام الطبقي ، أما التركيبة العقائدية فقد غلبت عليها التجسدات للآلهة في أشكال مختلفة ، حيوانية وجمادية ونباتية[٢] ، بل وكافة الأشكال البنائية الأخرى مما يقضي بحسبان هذه الآلهة متعددة الأشكال والنماذج ، بجانب الغايات والأهداف ، وان لم تكن متعددة في النتائج المترتبة عليها .

ومن المعروف أن أية دولة تلجأ إلى الحروب إنما تحتاج شحنا معنوياً ، وتعبئة دينية لأفراد هذا الشعب ، حتى يكونوا على استعداد للتضحية ، وتقبل النتائج السلبية التي قد تعقب المعارك ، وفي نفس الوقت يكونون على استعداد لدرء الأخطار المتعددة[٣] ، والدفع بأنفسهم وأموالهم إلى الدفاع عن حمى هذا الوطن،مهما كانت القيادة السياسية مختلفة مع أفراد ذلك الشعب،أو تمارس نوعاً من الضغط عليهم ، من ثم فقد ظهرت طبقة الكهنة الكلتيين الذين أطلقوا عليهم اسم الدرويديين .

بيد أن وظيفة الكاهن ـــ درويد ـــ لم يكن من السهل الوصول إليها ، أو الحصول عليها ، نظراً لأن هذه الوظيفة " درويد " كانت محصورة في بعض الأفراد الذين أنتجهم النظام القبلي الأرستقراطي الجديد ، وبناء عليه فقد كان النظام الكهنوتي يسمح بإجراء مسابقات دينية ، لإفراز رجال لاهوت على نمط

---

(١)سيرغي توكاريف ـــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ١٥٣ .

(٢)الدكتور / محمد السيد نصر ـــ الأديان القبلية في التاريخ القديم ص ١٧٩ .

(٣)الدكتور/ عبد العظيم حسن ـــ الاضطهاد السياسي والديني في العصور الوسطى ج ٢ ص ١٥٣ .

معين،وهو نفسه الذي سمح بوجود تنظيم غطى كل القبائل[١] ، بدليل أن بلاد الغال كانت بأجمعها تخضع لنظام كهنوتي صارم ، يملك فرض اعتقاداته ، والمحافظة على استمرارها .

بل كان للدرويديين في كل اجتماع استشاري ، يقوم بمهام كهنوتية متعددة ، وصار هؤلاء المستشارون يمثلون قمة الكهنوت ، بالنسبة لسكان ذات البلاد ، وبخاصة قبيلة الكارنوتيين ، بل صار تنصيب الكاهن يمثل نوعاً من السياسة ، حيث يتم انتخاب الكاهن الأعلى في محفل عام يعقد داخل المركز الديني ، ومن فاز بهذا المنصب استمر فيه مدى الحياة ، بناء عليه فقد حظى هؤلاء الكهنة — الدرويديون — بالكثير من التقدير والاحترام .

كما كانوا يقبلون القرابين ويقومون بتقديمها ، وهم في ذات الوقت العرافون والسحرة وكتبة التعاويذ ، وهم أيضاً الأطباء الشعبيون بالأعشاب والسحر ، وحفظة المعارف الغيبية[٢] ولذا فقد أكثروا من تصوراتهم في التجسدات الإلهية ، وقادوا الناس إليها، ومن أبرز تجسداتهم الإلهية ما يلي :

(أ) تجسدات في أشكال نباتية :

١ — تجسيد الآلهة في شجرة البلوط المقدسة[٣] .

٢ — تجسيد الآلهة في شجرة العليق[٤] .

٣ — تجسدات في أشكال النباتات الغابية،وأطلقوا عليه اسم الإله ايسوس[٥]

---

(١)سيرغي أ.توكاريف — الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٣٥٤ .

(٢) ليست هذه المعارف الغيبية بالمعنى الذي نفهمه نحن أهل الإسلام على الجانب الشرعي ، إنما هي معارف تتعلق بادعاء معرفة الغيب .

(٣)الدكتور/ حسين السيد صادق — إتجاهات الفكر القديم ص ١٤١ .

(٤) وقد نقلت هذه الاعتقادات إلى الديانة التي حملها العهد القديم ومنها ظهور الرب في العليقة وفي شجرة البلوط أيضاً .

(٥) الدكتور/ محمد السيد نصر — الأديان القبلية في التاريخ القديم ص ٢٨١ :

(ب) تجسدات في أشكال حيوانية :

١ـ تجسدات في شكل الخنزير البري ، وأطلقوا عليه اسم الإله موكوس.

٢ـ تجسدات في شكل قرني وعل،وأطلقوا عليه اسم الإله تسيرنونوس .

٣ـ تجسدات في شكل دب ، وأطلقوا عليه اسم الإله ديبا أرتيو .

٤ـ تجسدات في شكل أفعى بقرون ، وأطلقوا عليه اسم الإله تاو .

٥ـ تجسدات في شكل السمك، وأطلقوا عليه اسم الإله بول[١]

وقد كان لهذه التجسدات الإلهية وجود متواصل لدى الطوطمية القديمة ، وقبائل الغال ، وسكان إيرلندا ، وربما اختلفت التسميات للآلهة ، لكنها لا تخرج عن هذه التجسدات ، بدليل أنهم عند حديثهم عن الآلهة المحلية والحماة القبليين ، كانوا يطلقون على هذه الآلهة . أسماء القبائل فكان لدى قبائل الألويروغ ، الإله الوبروكس ، وهو نفس اسم القبيلة، بعد تعديل بسيط ، وعند الارفيرنين اطلقوا على ذات المتجسد اسم الإله أرفيرنوريكس ، وأما عند قبائل السانتونين فكان الإله سانتى وكل هذه الإلهة المحلية والقبلية حملت التعدد الكثير ، بجانب التجسدات الحيوانية المختلفة .

ثم ظهرت تجسدات الآلهة لدى الكلت أيضاً في أشكال الحيوانات الأهلية ، التي لها ارتباط بمعيشة الناس وحياتهم العادية ، بعيداً عن مهنة الصيد ، والحيوانات المتوحشة ، والمقدسة ، فنظروا إلى الآلهة التي يعتقدونها،في أشكال الحيوانات المألوفة، من ذلك :

١ ـ تجسدات الآلهة في شكل الحصان ، وأطلقوا عليها اسم الآلهة أبونا ، وقد تجسدت تصوراتهم وهي تمتطي ظهر حصان صغير مهر[٢] .

---

(١) راجع لسيرغي توكاريف ـ الأديان في تاريخ شعوب العالم ، وراجع لول يورانت ـ قصة الحضارة المجلد الأول الكتاب الثاني ، والسادس الكتاب السابع .

(٢) الدكتور/ حسين السيد صادق ـ اتجاهات الفكر القديم ص ١٥٧ .

٢ ــ تجسدات في شكل الحمار ، وأطلقوا عليها اسم الإله مولو ، وجعلوا هــذه التجسدات في أشكال مختلفة ، بعضها صغير ، وبعضها كبير.

٣ ــ تجسدات في شكل الخنزير[١] وأطلقوا عليه اسم الإله تارفوس .

٤ ــ تجسدات في شكل مركب ، وأطلقوا عليه اسم الإله دامونا ، وقد صــورت على أنها حامية قطيع ذوات القرون .

٥ ــ تجسدات في شكل إنسان يقطع الشجرة[٢] .

ومن هذه التجسدات الثلاثة ــ النباتية والحيوانية الأهلية والغابية ــ تشــكل الثالوث المقدس ، أو الأعلى في الديانة الكلتية ، مما يؤكد أن فكرة الثالوث قائمة في الديانات الوضعية على نطاق واسع[٣]، وإن اختلفت مظاهرها ، يقول شيتاير مان: أن عقيدة الثالوث المقدس ظهرت منذ القدم في الديانات البشرية ، ومع نمو العلاقات التجارية بين القبائل الطبقية،ظهرت الآلهة حماة التجارة لدى اليونــان ، كما ظهرت آلهة الحكمة والبلاغة ، وفي نفس الوقت ظــهرت عبــادة الآلهــة الأمهات واللواتي كن يصورن ثالوثاً ، وبجانب ذلك فقد كان الكلتيون يؤمنــون بعدد لا يحصى من الأرواح، والبهلوانيات،مع أرواح الطبيعة الخيرة والعجائب ، كما ألهوا الأشجار والينابيع والأحجار[٤]وجسدوا آلهتهم على كافة النواحي .

أجل أمكن للعقلية الكلتية أن تستسلم لتعاليم الكهنة الدرويديين ، مما جعــل ملامح الوثنيات تنتشر بشكل كبير ، وبخاصة أن هــؤلاء الكهنــة كــانت لــهم

---

(١) الدكتور / محمد السيد نصر ــ الأديان القبلية في التاريخ القديم ص ١٨٣ .

(٢) راجع الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٣٢٥ .

(٣) وهي في الأديان الوضعية عقيدة ضمن العقائد القائمة بين أفرادهم وقد نقلت هذه الفكــرة إلى اليــهود والنصارى ، كما ظهرت في القبائل العشتارية ، والاشتارية وهي كلها عقائد وثنية .

(٤)يومان شتايرمان ــ الأخلاق والدين لدى الشعوب المستعبدة في الإمبراطورية الرومانيــة ص ١٧٨ ط دار الفهد ترجمة مهندس خيري فاضل ١٩٧٥م.

تصورات عن عالم الموتى تحت الأرض، كما كانت لهم تصورات عن تحركات الآلهة تحت الماء وفوق الجزر، مما وسع دائرة الاعتقادات في الآلهة المتعددة المتجسدة أيضا[١] .

في ذات الوقت ظهرت للدارسين في تاريخ الديانات آثار ملامحها كلتيه ، تجئ فيها التجسدات الإلهية من خلال صور بشرية بعضها متكامل ، وبعضها الآخر شبه متكامل ، وبعض ثالث يجئ فيه ملامح وتشكلات جزئية ، يستوي في ذلك أن تكون هذه التجسدات الإلهية ذكرية أو أنثوية ، ولم تقف الآثار والحفريات على غلبة نوع من النوعين — الآلهة المذكرة والآلهة المؤنثة — وإنما كانت تجسداتها تمضي بالتوازي أو في خطين متوازيين على الدوام[٢].

لكن الناحية العقدية في ديانة الكلت الأقدمين من الناحية البشرية ، ظهرت فيها آلهة أقوياء، ذكور يأكلون ويشربون ويلعبون ويتباهون ، فهم آباء وصغار وكبار يحملون من نعوت الآدميين أغلبها ، لكن في الصور المثالية ، وليس في الصور المتدينة ، طبقاً للقاعدة النفسية،وهي أن الإنسان المهزوم يرسم منقذه في صورة بطل مصارع عنيف،يمكنه التغلب على الجميع،وإلحاق الهزائم بهم[٣].

أما الإنسان الناعم العيش فإنه يتصور أنيسه أو مثاله من أكثر الأشخاص رقياً وتقدماً وهدوءا ، كما يملك الأسهم الكثيرة من السحر والجاذبية[٤].

---

(١) تاريخ الديانات الوثنية والمؤلفات التي دونت فيه تكشف عن ملامح تعدد الآلهة وتجسداتها ، كما تبين أن الأديان الوضعية إنما تكون من وضع البشر الذين يحرصون على أن تكون معبأة بكل ألوان القصور.

(٢) ولا شك أن وجود هذين النوعين وسيرهما في هذا الخط يؤكد كثرة الآلهة ، واستمرار الصراع الذي لا ينقطع .

(٣) الدكتور / توماس انطونيوس — في الصحة النفسية ص ١٩٥ ترجمة وفاء صبري ١٩٦٥م.

(٤)فرانك هيلز — الشخصية غير السوية وأثرها على المجتمع الإنتاجي ص ١٢٩ ، وكذلك الحال مع كل إنسان فمن يتعلق بإنسان ما حبا له فإنه يخلع عليه صفات القداسة والاحترام ، أما إذا تعلق بإنسان ما بغضاً له فإنه يخلع عليه من النقائص ما يراه محققا آماله في قدحه ، وهكذا يفعل المحب المادح والكاره القادح .

ومن ثم ظهرت آلهة الكلت في أشكال إنسانية أنثوية أيضاً ، لكن أغلبها فيه التكاملة من ناحية الأنوثة والجمال ، بجانب القدرة على الإنجاب ، والأوضاع والتربية أيضا ، وهو ما عرف لدى هذه الجماعات باسم مجمع الآلهة البشرية المؤنثة ، على حين لم تظهر التجسدات الإلهية المذكرة في شكل مجتمعات أو تجمعات ، وهو ما يفسر طريقة اختيار الآلهة من غير صور معيارية [١].

أجل ظهرت آلهة صغيرة تمثلتها تماثيل طفولية،لكنها لا تجئ أبداً مع آباء ذكور ، أو في صحبتهم ، وإنما كانت الرسوم والآثار تبرز هذه الآلهة الصغيرة في أحضان الآلهة الأمهات ، وفي نفس الوقت فإن الآثار التي تم الوقوف عليها بالنسبة لهذه الديانات ، أبرزت الاعتقادات التي كانت لها السيطرة في مجتمعات القبائل الكلتية[٢] .

ولما كانت هذه الجماعات تتمثل فيها قبائل رعوية غير مستقرة ، فقد ظهرت فيها الآلهة البشرية الرعوية،ولما خضعت لقاعدة التطور والاستقرار فقد ظهرت تجسدات أخرى بشرية أيضاً ، لكن في أشكال ومظاهر تصلح لعالم القبيلة المستقرة ، ولا تصلح للجماعات المرتحلة التي يعز عليها إبراز المظاهر العبادية ، وممارسة الطقوس الكهنوتية[٣]بل من الصعب اختيار من يقوم بهذا الدور من الكهنة .

بيد أن الجماعات الكلتية بعد إتحادها ودخولها مرحلة التحضر، ظهرت فيها اتجاهات جديدة ، لممارسات واعتقادات مستحدثة ، تعبر كلها عن وجود تطوير

---

(١) نيت . الصنائع القديمة والخرافات الوثنية ص ١٥٣ ترجمة السيد محمد أبو الغيط ط الدار الجديدة ١٩٢٧ .

(٢) . ب هايد لورك — الديانات القديمة ص ٢٥٩ ترجمة لطفي السيد فخري ١٩٥٣م .

(٣) لأن الجماعات المرتحلة لاتجد وقتاً للقيام فيه بمثل هذه المهام ، كما لا تستطيع إفراز رجال دين كهنوتي أو طقس ، لأن ذلك يحتاج مجهودا أكبر من إمكانيات رجل الجماعة المرتحلة الذي يشغله السعي الدائم خلف ماشيته يرعاها ويدفع عنها العوادي.

لعالم الآلهة البشري ، وانتقاء العناصر الجديدة ، لتكون هي المعبرة عن الآلهة البشرية في شكل قوي فعال ، واستبعاد العناصر التي يكون تعبيرها عن الآلهة تعبيراً ضعيفاً أو هزيلاً[١]، وكان لذلك كله تأثير كبير على الجماعات التي لها تعاملات مع القبائل والمجتمع الكلتي فيما بعد .

ويؤكد المؤرخون أن الجماعات الإسرائيلية المرتحلة كان لها العديد من الاتصالات ،مع الكثير من الجماعات المرتحلة الأخرى،على نحو من الأنحاء ، وأنهم قد تلاقوا مع جماعات الكلت في إطار منظومات كانت موجودة في الماضي ، وأنهم تأثروا باعتقاداتهم في الآلهة البشرية المتعددة وتجسداتها ، ويقولون أن أوجه المماثلة بينها قائمة ، فالرب الذي صارع يعقوب حتى الفجر في سفر التكوين[٢] هو نفسه الرب إيسا الذي صارع الراعي نيرفا حتى بلوغ الشمس ، ولأن الأسطورة الكلتية اقدم فإنها تكون هي المؤثرة في الأسطورة اليهودية ، والملامح بينهما واحدة،وليست متقاربة فحسب ، والتباعد بينها ليس إلا في الأسماء ، التي تختلف طبقاً لاختلاف اللغتين .

٥ — في ديانة مصر الفرعونية :

كانت حالة التدين في مصر الفرعونية منذ القديم غالبة ، تجري فيها الطواطم ، كما يجئ فيها اللاهوت ، ولذا ظهرت الآلهة المتعددة ابتداء من السماء والنيل ، إلى البقرة التي تقف في قبة السماء[٣]وأطلقوا على هذه البقرة اسم الآلهة خنحور حيث ظهرت في قبة السماء وفضائها الواسع ، والأرض

---

(١) وبالتالي كانت معايرهم في الآلهة المتجسدة هي ضخامة الجسم واتساع الصدر ، والقامة المديدة والشكل القوي المرعب الجذاب في نفس الوقت حتى يرعب الآلهة الأخرى على أقل تقدير .

(٢) تجسد هذه الأسطورة الرب وصراعه مع يعقوب البطل مما يؤكد قدرة بني الإنسان على مصارعة الرب ، وقد تندر من هذه الأسطورة الدارسون — راجع التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير .

(٣)الشيخ منصور محمد عبد العظيم زهران — عقائد مصر القديمة ص ٢٣٧ وراجع للدكتور فوزي محمد شبل دور الفراعين في العقائد المصرية ص ١٦٣ .

من تحت أقدامها ، وبطنها يكسوه جمال عشرة آلاف نجم [1] كلها لخدمة البقـــرة التي تسعى إليها الآلهة المتعددة .

كذلك عبد المصريون الشمس ، وكانت في الدين الرسمي أعظـــم الآلهــة المصرية ، وعبدت في بعض الأحيان،على أنها الإله الأعلى رع الأب اللامــع ، الذي لقح الأم الأرض بأشعة الحرارة والضوء النافذ ، وكانت تصدر أحيانا،على أنها العجل المقدس الذي يولد مرة واحدة في فجر كل يوم ، ثم يمخـــر عبــاب السماء في قارب سماوي ، ثم ينحدر إلى الغرب في كل مساء ، كمـــا ينحـدر الشيخ المسن مترنحا إلى قبره[2].

بيد أن عملية التأليه لدى المصريين القدماء لم تقتصر على الآيات الكونيــة وتجسيدها في مظاهر محددة واضحة المعالم ، وإنما ضموا إلـــى ذلـك تأليــه الحيوانات المختلفة التي فاقت تأليهم للنبات ، حتى أن الآلهة الحيوانية من كثرة وجودها في معابدهم وهياكلها ، بدت وكأنها معرض حيوانات غير قادر علـــى التكافؤ مع أفراده ، فعبدوا العجل والتمساح والصقر والقطة والجعران والبقـــرة والإوزة والعنزة والكبش والكلب ، كما عبدوا الديك والدجاجة والخطاف وابـــن آوى والثعبان والأفعى[3]، ومن ثم تركوا بعض الحيوانات حرة طليقة ، تجـــوب الهياكل ولها ما للبقرة المقدسة في الهند ، من الحقوق وليس عليـــها شـــئ مـــن الواجبات .

لكن لم تلبث العقلية المصرية أن اقتبست بعض اعتقادات الأمـــم الأخـــرى التي تؤله الإنسان ، فقد طورت الآلهة المصرية،من الصور الجمادية إلى النباتية ثم الحيوانية،وأخيرا أصبح البشر آلهة ، بيد أن هؤلاء الآلهة البشريين تمثلوا في

---

(١)ول ديورانت ـــ قصة الحضارة المجلد الأول الكتاب الثاني ص ١٥٦ .

(٢)الشيخ منصور محمد عبد العظيم زهران ـــ عقائد مصر القديمة ص ٢٤١ .

(٣)ول ديورانت ـــ قصة الحضارة المجلد الأول الكتاب الثاني ص ١٥٨ .

عقائد المصريين القدماء ذكورا ونساء متفوقين في القدرات العقلية ، والإمكانيات البدنية[١] ، إنهم وجدوا في صور عظيمة ، ومنها ما جاء رسمه على هيئة سيدة تحمل وليدها بين ذراعيها ، ناظرة إلى السماء الآلهة الأعظم ، بحيث تكون هذه الهيئة هي الصورة المثلى للإلهة رع،بينما يكون وليدها هو الممثل للإله إخناتون ابن الإلهة رع نفسها[٢].

وحتى لا يلجأ قارئ إلى الأغراب في فهم العقائد المصرية القديمة ، فقد فهم أهل تلك البلاد أن الآلهة البشرية جاءت من عظام وعضلات ولحم ودم ، يجوعون ويأكلون ، يظمئون ويشربون ، يحبون ويتزوجون ، يكرهون ويقتلون يشيخون ويموتون شأنهم في ذلك شأن آلهة اليونان سواء بسواء[٣].

ظهرت كذلك أسطورة إيزيس في الديانة المصرية القديمة،على أنها إله ، تمثلت فيها صورة الأم الرحيمة العطوفة ، كما تمثلت فيها صورة الزوجة المخلصة الوفية ، وفي نفس الوقت هي زوجة أوزير،التي تحبه بكل ما لديها من مشاعر حانية ، وتظهر في بعض الأساطير أعلى من زوجها أوزير قدرا ،

---

(١)فرانسوا دوماس — آلهة مصر ص ١٧٤ ترجمة زكي مرسي .

(٢)الدكتور فوزي محمد شبل — دور الفراعين في العقائد المصرية ص ١٦٣ .

(٣)حيث يذكر أن هذه الآلهة المتجسدة البشرية كانت تفرض على المصريين إجراء العديد من الطقوس والاحتفالات بشأنها ، وأن هذه الآلهة قد طبعت بطابع البشر أو جاءت على نعوقم ،أو أشكالهم ، فهم يولدون ويموتون ، كما أنهم يتزوجون ويولد لهم ، وقد تكاثرت هذه الأساطير حول ذات الآلهة البشرية وأسعد النساء هي التي تكون زوجة لواحد من هذه الآلهة ، وكان أوزير الذي يتقمص شخصية العجل تقدم إليه هذه النساء ليقوم بمضاجعتهن على أساس أنه التيس المقدس، فمزجوا في أساطيرهم بين الآلهة الحيوانية ونوع من الآلهة البشرية ، إذ أن المصريين لما قدسوا العجل والماعز إنما نظروا إليهما باعتبار القوة الجنسية ، ومن ثم اعتبروها تجسيدا حقيقيا لأوزير الذي رسم كثيرا وأعضاؤه التناسلية كبيرة وبارزة دلالة على قوته الجنسية العظمى ، وكانت الاحتفالات الرسمية تعج بصوره هذه،وتكلف بعض النساء بحملها في المناسبات ويحركن الأعضاء الذكرية بالخيوط تحريكا آليا لابراز قدرة أوزير الجنسية ، وما كان ذلك إلا أحد المعالم الهامة في تأليه الديانات الوثنية — راجع ول ديو رانت — قصة الحضارة المجلد الأول الكتاب الثاني ص ١٥٨ .

لأنها قهرت آلهة أخرى بالقوة ، كما قهرت المرض والموت بالحب ، وبالتـالي ظهرت وهي تحتضن أبنها المقدس حورس إله الشمس[١].

يقول ول ديورانت : لقد كانت إيزيس تمثل في الأسطورة المصرية الفضل كله ، لقد كانت رمز القوة الخالقة الخفية التي أوجدت الأرض،وكل ما عليها من الكائنات الحية ، وأوجدت ذلك الحنو الأمومي الذي يحيط بالحياة الجديدة حتـى يتم نموها مهما كلفها من جهد وعناء ، وكانت ترمز في مصر كما ترمز كـالي واستير وسيبيل في آسيا ، وكما ترمز دمتر في بلاد اليونان ، وسيرز في رومـا وكما ترمز هذه الآلهة كلها إلى ما للعنصر النسـوي مـن أسـبقية وأفضليـة واستقلال في الخلق والميراث ، وإلى ما كان للمرأة أول الأمر من زعامة فـي حرث الأرض[٢].

ومن ثم كثرت التجسدات الإلهية في الأشـكال البشـرية داخـل منـف ، وجاسان ، وفيتوم ورعمسيس التي بناها اليهود بتكليف من فرعون مصر حيـث تجسدت الآلهة البشرية في صورة محارب جيد ، يمتطي صـهوة جـواد ، أو محارب قديم يعد حساباته مع نفسه،ممسكا بسيفه البتار، حتـى يقطـع رقـاب الأعداء.

انتشرت الآلهة المتجسدة في أشكال بشرية داخل المدن والقرى،بل والنجوع المصرية القديمة ، وكانت كل قرية أو مدينة يرسم فيها مجموعة من الكهنـة ، تنحصر مهامهم الدينية في تقديم القرابين لهذه الآلهة ، ومحاولة التغلـب علـى المشكلات التي تعترض طريق الوصول إلى محبتهم ، كمـا يتقبلـون الـهدايا والضرائب التي تجبى باسم هذه الآلهة ، ولم يكن لديهم من الوقت متسع حتـى يضيعوه ، وإنما كانت المجامع الكهنوتية تتداول فيما بينها،وتقترع على الطرائق

---

(١) الشيخ منصور محمد عبد العظيم زهران ـــ عقائد مصر القديمة ص ٢٤٤ .

(٢) ول ديورانت ـــ قصة الحضارة ـــ المجلد الأول ـــ الكتاب الثاني ص ١٦٠ .

التي يمكن من خلالها إرضاء هذه الآلهة ، وكان رمسيس وتحتمس ومينا وأحمس وغيرهم يحرصون على حمل الآلهة المتجسدة البشرية إلى ميادين القتال حتى تعطي المحاربين ثقة في أنفسهم ، بجانب البأس في القتال والشدة إذ كيف يخوض الإله الحرب ، ولا يخوضها من يتعلق بهذا الإله[١].بل لابد لهذا الإنسان أن يغامر فيحارب حتى ترضى عنه الآلهة التي ارتضاها لخاصته.

يقول هولمز كانت : طبقة الكهنة ذات امتياز خاص جلبه إليهم تمسكهم بخدمة الآلهة المصرية ، وقد بلغ هذا الامتياز مداه ، حيث صارت لهم مكانة في نفوس أفراد الشعب والحاشية المالكة ، فباتت مكانتهم تلي مكانة الملك ذاته ، وربما فاقته في النفوس ، وقد ساعدهم ذلك على فرض آرائهم بالنسبة للجميع ، وصاروا يمثلون دولة ذات سيادة داخل النظام السياسي بالنسبة لمصر القديمة[٢]، ومن ثم فقد كان شأنهم عاليا ، ومكانتهم مرموقة ، ولعل هذا مما استفادته الكنيسة في أوربا ، وظلت على ذلك الحال حتى صارت روما المعقل الذي تختبئ فيه تعاليم الكنيسة ، ثم تدلت لها عاصمة داخل ذات الدولة الإيطالية عرفت باسم الفاتيكان ، لها من السيطرة أكثر مما للسلطة السياسية في ذات البلاد.

ويعلل هيرودوت هذه المكانة التي للكهنة بما كانوا عليه في أنفسهم ، من احترام فيما بينهم ، والتزام يقضي على مشاعر القلق بالنسبة لهم،فيقول هم أكثر الناس اهتماما بعبادة الآلهة ، ولا يتحللون قط من المراسم الآتية : يلبسون ثيابا من نسيج الكتان، نظيفة جميلة ، حديثة الغسل على الدوام ، ويختتنون حرصا منهم على النظافة لأنهم يعتقدون أن النظافة أفضل من الجمال ، ويحلقون شعر أجسامهم بأجمعه مرة كل ثلاثة أيام ، حتى لا يجد القمل أو غيره من الأقذار

---

(١)الدكتور / ناظم السيد محمد السعيد ـــ المنظومة التاريخية ص ٢١٥ .

(٢)أ . جون فيكتور هولمز ـــ عقائد الشرق القديم ص ٢٢٥ .

مكانا في أجسامهم ، وهم يغتسلون بالماء البارد مرتين في النهار ومرتين في الليل[١] .

٦ ــ عند المويسكين والبيرو :

لقد كانت الديانات الوثنية تظهر فيها التجسدات للآلهة في أشكال إنسانية متضمنة جملة من النعوت من أبرزها ما يلي :

١ ــ تعدد الآلهة وتنوعها من الفردي إلى الجماعي،ومن الإله المحلي، إلى الإله العشائري ،ومن إله مذكر إلى آخر مؤنث ، ثم العائلة الإلهية أو الآلهة العائلية[٢]

٢ ــ تصنيف الآلهة : من آلهة قبلية إلى آلهة مدنية ، ومن الإله الحامي إلى الإله الجوار الابن،والإله العم والخال،إلى غير ذلك ، والآلهة المصنوعة الخالقة في نفس الوقت[٣] .

٣ ــ تجسد الآلهة : من أشكال حيوانية إلى أخرى جمادية ، ومن نباتية إلى إنسانية ، ومن آلهة مركبة نصفها إنسان ونصفها أفعى[٤].

٤ ــ التزاوج والتناسل : بين كل من الآلهة من ذات التجسدات والتمثلات أو بين آلهة أخرى متباينة الاتجاهات ، حيث أفاضت المؤلفات في الحديث عن زواج الآلهة المتعددة واتجاهاتها المختلفة[٥] .

٥ ــ القسوة الشديدة: حتى تصل ذروتها ببعض الآلهة حين يأكل البعض الآخر، كالحال مع أسطورة الإله سيزيف ، وآلهة البابليين ، والآلهة المصرية القديمة[٦]

---

(٢) ول ديورانت ــ قصة الحضارة ــ المجلد الأول الكتاب الثاني ص ١٦٢ .

(٢)راجع تفاصيل ذلك في الأديان في تاريخ شعوب العالم لتوكاريف ، وفجر الضمير هنري برستيد ، وقصة الحضارة لول ديورانت بجانب المصادر التي ذكرتها أسفل صفحات هذا الكتاب .

(٣) لميزيد من التفاصيل راجع تطور المجتمعات البشرية ص ٢٦١ بجانب قصة الحضارة المجلد الأول والثاني .

(٤)ولمزيد من التفاصيل راجع قصة الحضارة ، وكذلك الأديان في تاريخ شعوب العالم .

(٥)راجع قصة الحضارة ، المجلد الأول ــ الجزء الثاني " الشرق الأدنى " .

(٦)فجر الضمير ص ٢٦٢ وتطور المجتمعات البشرية ص ٢٦١ .

٦ ــ سرعة اتخاذ القرار: إذ كان أغلب هذه الآلهة منعوتا بما يسري في أفـــهام بعض الحمقى من الغضب الحاد السريع ، الذي اتسمت به آلهة قدماء المصريين إلى البلادة التي وصفت بها بعض الآلهة اليونانية[١].

٧ ــ طلب الذبائح البشرية : حيث جرى طلبها على ألسنة بعض الآلهة ،كالحال مع آلهة الكلت الأقدمين ، الذين كانوا يطلبون الذبائح المختلفة[٢].

٨ ــ القرابين الدموية : وهي غير الذبائح البشرية ، وكانت تجري في اعتقادات المصريين القدماء عند جفاف النيل ، كما ظهرت لدى البـــابليين والآشـــوريين والآكاديين ، وكانت لها اتصالات بالطقوس والاعتقادات السومرية في الماضي ، ولم يختلف الحال كثيرا في هذه البلاد عنه في كل من فينيقيا وكلديا[٣].

٩ ــ تناول الطعام والشراب : وظهر ذلك في كافة الديانات الوثنية،لأنها تفترض في آلهتها الحاجة إلى الطعام والشراب ، إما للبركة وازدياد المحصول ، وإمـــا لحاجة الآلهة أنفسها لهذا الطعام والشراب ، حيث كانت ديانات آسيا ترى فـــي آلهتها رغبة الأكل من باكورة النتاج،يستوي في ذلك نتاج الحيوان،أو الإنسان أو النبات ، وكانوا يقدمون ذلك للكهنة على المذبح أو يقومـــون بتقديمـــه للمذبـــح والهيكل بأنفسهم ، وغلبت هذه الاعتقادات في كثير من الأحوال على الديانـــات الأخرى[٤].

١٠ــ تولد الآلهة : حيث ذكرت بعض الديانات الوثنية أن الآلهة كما يـتزاوجون فإنهم يلدون ، ويكون أبناؤهم آلهة أيضا ،وقد ذكر القرآن الكريـــم أن فرعـــون

---

(١)راجع آلهة مصر القديمة ، والعقائد المصرية القديمة ، وفجر الضمير ، وقصة الحضارة .

(٢) ظهرت فكرة القرابين المختلفة في تاريخ الديانات كثيرا ، ومنها القرابين الحيوانية والبشـــرية والنباتيـــة ، راجع تفاصيلها في قصة الحضارة المجلد الثاني وأيضا الخرافات الوثنية .

(٣)راجع فجر الضمير ، وقصة الحضارة ، والأديان في تاريخ شعوب العالم .

(٤)راجع الأديان في تاريخ شعوب العالم،وللشيخ علىحكمت الله العقائد الوثنية، ولهايد تورك الديانات القديمة

مصر قال عن نفسه :" قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المســـجونين"[١]، وقال : " أنا ربكم الأعلى"[٢].

ولم تقف عند هذا الحد ، وإنما تجاوزته إلى اعتقاد أن السماء ولدت إلـــها، والأرض هي الأخرى أيضا قد ولدت إلها ، بل ظهرت بعض الاعتقادات التـــي تحدثت عن ميلاد الآلهة من بعض النجوم،وكلها أساطير حملـــت إلـــى العقـــل البشري من خياله الذي امتلأ بالخرافات، ورضى العيش الدنئ بجوار الأوهام[٣].

من ثم يمكن القول بأن العقول التي لم تنجح في الوصول إلى الله تعالى ،بعد أن وحاربت رسله وتعاليمه ، ثم غاصت في أعماق الإلحاد ، حين اســـتخدمت متن العقل القاصر، وحاولت القفز به إلى ما هو أبعد من إمكانياته،وليس متاحـــا له ، وكانت في قفزاتها تلبي نداء العاطفة البغيضة ، وتقع في التجاوزات التي لا حدود لها، ومن ثم فقد اعتقدوا ديانات باطلة ، قامت على تأليه الآلهة الفاسدة.

كانت مويسك في الماضي منطقة تمثل نوعا من حضارة ذلك الوقت ، وقـــد امتدت من نهر مجدلينا حتى بحيرة جواتا بيتا،التي صارت واحدا من أهم مراكز العبادة المقدسة في تلك البلاد ، كما أضحت بوغوتـــا — كولومبيـــا — مركـــزا للعبادة الدينية ، بما فيها من معابد وكهنوت،وقعت فيها الوراثة زمنا طويلا ، بيد أن المويسكين راحوا ينظرون إلى بحيرة جواتابيتا على أن مياهـــها ممتزجـــة بالآلهة[٤] ، ومن ثـــم كانوا يقدمون لها العديد من فروض العبادة ، بجانب الكثير من القرابين .

---

(١)سورة الشعراء الآية ٢٩ .

(٢) سورة النازعات الآية ٢٤ .

(٣) راجع تطور المجتمعات البشرية ص ٢٦١ .

(٤)بعضهم تصور هذا الامتزاج على أنه أمر طبيعي ، وتصوره بعض آخر على نحو ما جاء في الأساطير مـــن أن الآلهة العظمى تستحم في مياه الأنهار لتقع البركة فيها .

أما الإله فقد صوروه في مثال كيتسال كواتل المكسيكي لشيخ أبيض اللون بلحية طويلة ، وأطلقوا عليه اسم الإله ، كما أطلقوا عليه لقب البطل الثقافي ، واعتبروه إله الشمس ، كما اعتبروا زوجته إلهة القمر ، التي تريد هلاك الناس فيدفعها عنهم بوتشيكا[١] على أساس أنه إله يحب الخير ويسعى إليه ، بدليل أنه علمهم جميعا الفنون والمهن كما علمهم الآداب والثقافة،فهو إله على شكل إنسان متقدم في السن ، خبزته الأيام،ودربته الظروف ، وأكسبته الخبرات التراكمية ، حكمة الشيوخ[٢] .

لم يكن حال سكان دولة البيرو أحسن حالا من المويسكين ، فيما يتعلق بالديانة أو الاعتقادات ، وأن كان نصيبهم من الثقافة أعلى[٣] غير أنه غزاهم المستعمرون وبخاصة الانك،الذين احتلوا البلاد،وأقاموا فيها نظاما سياسيا شديد المركزية ، كما هجروا — بالقوة — إليها بعض الجنسيات الأخرى،ذات التركيبة المعرفية المختلفة ، مما أوجد نوعا من الصراع الديني والثقافي بين التركيبة السكانية مختلفة الأمشاج[٤] ، وحتى يضمن المستعمر بقاء تلك البلاد في حوزته أطول فترة ممكنة ، فقد أشاع بين الناس فكرة عبادة الدولة ، وتركيز كل الآلهة في هذا النطاق .

على أن الكهنة قد سارعوا إلى تطبيق ذلك في معابدهم ، فأنعم عليهم المستعمر بالمناصب[٥] الرفيعة ، كما فتح لهم كافة منافذ العلم والمعرفة باعتبار

---

(١) الدكتور / محسن محمد سلطان — الديانات الوثنية في الشعوب القديمة ص ١٢٣ .

(١) سيرغي أ . توكاريف — الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٢٦٣ .

(٣) أ . ج سوهان الديانة في الشعوب القديمة ص ١٩٥ ترجمة هناء وصفي .

(٤)والمعروف أن أي مستعمر يلجأ إلى عملية التداخل السكاني حتى يوقع جماهير الشعب في خلافات عقائدية ، بحيث ينتهي الأمر إلى الحروب الأهلية التي تكون عونا له في إستمرار استعباد الشعب والسيطرة عليه .

(٥) الدكتور/ محسن محمد سلطان — الديانات الوثنية في الشعوب القديمة ص ١٣٧ .

أنهم أدواته في السيطرة على الآخرين من أفراد الشعب ، فصار منهم العرافـون والأطباء بالأعشاب ، والسحرة السود ، وقد أمكن لهم تنصيب كاهنـــات تقمـــن بالعمل الكهنوتي تحت رقابة الكهنة الذكور ، وجعلوا لهن رئيسة فرعية ، أطلقوا عليها الكاهنة الأعلى في الكاهنات .

غير أن إله الشمس قد احتل المركز الأكبر بين الآلهة في عبادة الدولة،حتى صار معبد الإله الشمس في كوسكو عاصمة الدولة،هو مكان العبـــادة الرئيســـي الرسمي[١] ، ومن ثم فقد جرى تصوير الإله على شكل قرص ذهبي كبير، بوجه بشري، تحيطه الأشعة كعلامة تشخيصية من كل ناحية ، واعتبروا إنكا رئيـــس الدولة ــ ابن الشمس،هو الكاهن الأعلى لهذه الآلهة[٢]، وذلك مما قيد حركة الإله وجعله واقعا تحت سيطرة حاكم الدولة ، فإن قام على النحو الذي يرضي هـــذا الرئيس قبل وإلا أمكن الاستغناء عنه، واستبداله بإله آخر يكون أكثر قبولا منه. لقد انتقلت هذه الأنظمة الوثنية مع اعتقاداتها إلى الجماعات الإسرائيلية المشتتة[٣]

---

(١) جون فيكتور هولمز ــ عقائد الشرق القديم ص ٢٣٧ .

(٢)سيرغي أ : توكاريف ــ الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٢٦٤ .

(٣) تمثل مرحلة الشتات أكثر المراحل خطورة في حياة الجماعات الإسرائيلية،لأنها كانت تعتمد على قوتها دون نظر إلى إمكانيات الآخرين ، وكانت الشعوب الآمنة تتوقع من اليهود المساوئ كلها،وبالتالي فما صاروا يترلون إلى بلد إلا ويستعد أهل هذه البلاد لهم،فإذا تمكنوا منهم قتلوا من رجالهم واستحيوا نساءهم ، وإذا تمكنوا مـن تفريقهم في البلاد المختلفة فعلوا.ولم يكن ذلك مبتدأ من الشعوب الأخرى ، وإنما كانوا يقومون به كرد فعل لما تمارسه الجماعات الإسرائيلية المرتحلة طلبا للعيش،أو الإغارة فضلا عن أن يكون ظاهرة التجارة وبخاصة تجـــارة الرقيق،حيث برع اليهود في بيع بناقم ونسائهم أكثر من مرة في وقت واحد، مستغلين غفلة المشتري الأول عن الإمساك بالمرأة التي اشتراها،وغفلة المشتري الثاني الذي تلح عليه حاجته في شراء أمراءة إســـرائيلية تكـــون خادمة وخادنة ، جارية وسرية ــ راجع أسفار العهد القديم ففيها تفاصيل كثيرة ، وهناك رسالة تعد الآن تحت ـ عنوان ظاهرة العنف، الإرهاب في العهد القديم وموقف الإسلام منها تقوم بها الباحثة كوثر أبو النجا بنـــات الأزهر بالإسكندرية ،ظهرت فيها الخطوط العريضة لذات الاتجاهات العدوانية في العقلية الإسرائيلي كما ألمحت إلى ذلك رسالة النزعات الدموية لدى الصهيونية وقامت بها الباحثة سكينة محمد ـ بكلية البنات بالقاهرة.

حيث كان لها إقبال كثير على تلك الاعتقادات الوثنية القائمة في تأليه التجسدات البشرية ، فهم اعتقدوا تقديس الأفعى النحاسية ، كما عبدوا العجل الذهبي ، وفي نفس الوقت أقاموا النظام الكهنوتي المتوارث في طائفة اللاويين الذين احتكروا المناصب الدينية ، وصاروا قديرين على الإطاحة بالنصوص التي لا تنال منهم القبول ، أو تخضع لقائمة الامتثال لأحكامهم .

بل ان الكهنة الإسرائيليين لم يكونوا على استعداد للتنازل عن أية مكاسب لهم ، صحيح أنهم كانوا يقومون بأعمال الكهانة ، وخدمة الرب في المعبد ، لكن ظلت الهياكل تئن من تجاوزاتهم التي بلغت مداها[1]، ولم يكن بإمكان قائد سياسي أو عسكري إرجاعهم إلى دائرة التوافق الاجتماعي إلا في قسوة شديدة ، وقوة بالغة وخسائر ليست قليلة .

ويذكر العهد القديم أنه أثناء إقامة الجماعات الإسرائيلية بمصر، ولي عرش مصر ملك جديد لم يكن من نسل داود ولا الإسرائيليين ، ولكنه تخوف من كثرة الإسرائيليين وانضمامهم إلى أعدائه ، الذين يتوقع منهم الحرب عليه ، ولذا فقد أمر الملك الجديد باضطهاد اليهود واستبقائهم في الأعمال الشاقة ، والمهن الحقيرة[2]، بحيث ينال العمل منهم كل منال ، ومن ثم يضعف نسلهم وشوكتهم ، وكان من جراء ذلك تكليف اليهود بالعمل في الطين اللين حتى تمكنوا من بناء

---

(١) وفي العصر الحاضر أفتى الحاخامات اليهود في إسرائيل بأحقية السجين الإسرائيلي أن يمارس الجنس مع الدمية ، وأن يتم شراء هذه الدمي – الإنسان الآلي – ولو على نفقة مصلحة السجون في إسرائيل – راجع لتوفيق عمر – إسرائيل اليوم ص ١٥٧ .

(٢) توماس هيرز – الديانات القديمة ص ٢٩٧ وهذه الأعمال التي كانت تمارس ضد اليهود ظهرت الغاية منها في ضبط السلوكيات اليهودية .

مدينتي فيتوم ورعمسيس [1]، وكذلك قاموا بالاعتقادات المصرية مـــن تجسـيد وتمثيل وتعدد في أشكال حيوانية وإنسانية ، وجمادية ونباتية أيضا .

ربما يقال ، ما وجه العلاقة بين الأمم الوثنية ، والجماعات الإسـرائيلية أو اليهودية في هذا الجانب منذ الماضي ، وحتى يومنا هذا ؟

والجواب : أن الأمم الوثنية قد عددت في آلهتها،وأكثرت من هذا التعدد ، وكانت تجسدات الآلهة تظهر على قوارع الطرقات ومقاطعها ، كما أن هذه الأمـم قـد بالغت في ممارسة الوثنيات إلى حد كبير،دفع بأحد الباحثين إلى القول بأنه كـان من السهل أن تتكاثر هذه الآلهة المتجسدة على أشكال إنسانية في القريــة ، أو المقاطعة الواحدة ، لأن بعض الأفراد اتجهوا إلى تأليه تجسدات بعينها حينا مـن الزمان،ثم تحولوا عنها إلى غيرها، أو تجسدات أخرى بعدد الأفراد أنفسهم ، مع احتفاظهم بالتجسدات الإلهية السابقة[2]فصارت الآلهة أكثر في تعدادها،من الأفراد أنفسهم.

واليهود قد وجدوا عبادة العجل في الديانة البابلية ، كما هو فـي الديانـة الآشورية ، وفي نفس الوقت وجدوه في الديانة المصرية القديمة ، ثم ظهر فـي أسفار العهد القديم ذات العجل ، لكنه في الديانات الوثنية السابقة كـان عجـلا مرموزا ، أما في الجماعات اليهودية فعجل مصور مصنوع من الحلي الذهبية ، بل أن يربعام لما أقام عجلين صنعهما من الذهب[3] فالمشابهة لا تنكر والاقتباس قائم على كل ناحية.

لقد اعتقد اليهود في تعدد الآلهة وتجسداتها ، اقتباسا من الأمم الوثنية مـع التطوير المتواصل فيها ، بدليل أن العجل الذي صنعه السامري إنما كان يحمـل

---

(١)العهد القديم ـــ سفر الخروج ١ / ١٢٠٩ .

(٢)جان . بي توان ـــ الآلهة القديمة ص ١٨٣ ترجمة رزق فضل .

(٣)وطلب من الإسرائيليين عبادة كل منهما مع تقديم القرابين والذبائح له .

... ... حيث ... حر الرح لبه،كر لدحو من حدى الفتحين حيث

حدث الثانية صوت يشبه الحوار [1] وهو ما يعني إضافة في التقنية لذات الصنعة لمجسده . والعبادة الفاسدة

وكأني بهم يوم لقاء الله رب العالمين،حيث يقع عليهم غضبه ، وقتها تنفلت عنهم امكانية الخداع والمهارة في التقنية ، بل تظهر الأمور على ما هي في حقيقتها . وباقي أهل الإيمان بقوارب النجاة ، وأهل الخسران مقيدين بأغلال الخسران والهلكة ، فيصرخون كافرين بآلهتهم التي لم تنفعهم ، كما لم تغن عنهم من الله شيئا ، لا شك أنهم في النار سيقعون .

قال تعالى :" إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب "[2]

لم يكن لدى الإسرائيليون عموما واليهود خصوصا من حصانة الرأي ، ورجاحة العقل ما لدى الإعرابي الذكي ، حيث كان يعتقد في الأصنام ، ويهم بعبادتها وتقديم القرابين لها دون استخدام لقدراته العقلية وملكاته النفسية ، فلما وقف أمام معبوده المجسم وجد ثعلبا قد بال عليه فحرن ، لأنه عبد مالا يملك أن يدفع عن نفسه الضر ، فهل يمكنه أن يجلب لغيره شيئا من النفع .

وبالتالي حدثته نفسه بأن هذا لا يكون ربا ، ولا يمكن أن يكون إلها ، وأعلن براءته من الشرك ، وأسرع بالدخول في دين الإسلام وأنشد شعرا جاء فيه :

---

١ قال تعالى " فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا " سورة طه الآيتان ٨٨ ، ٨٩

٢٠/سورة غافر الآيات ١٠-١٣

أرب يبـــول الثعلبـــان برأســـه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

برئت من الأصنام والشرك كله ... وأيقنت أن الله لأشـــك غالـــب

يقول الشيخ الشعراني : وهذا قريب مـــن الضروريـــات ، فالنـــاس كلـــهم يشيرون إلى الصانع جل علاه،وأن اختلفت طرائقهم وعلمهم ، ولا يجهلون سوى كنه الذات ، ولذلك لم يأت الأنبياء والرسل ليعلمونا بوجود الصانع ، وإنما أتـــوا ليدعونا إلى التوحيد ، قال تعالى:" فاعلم أنه لا إله إلا الله "[١] ، والخلـــق إنمـــا أشركوا بعد الاعتراف بالموجود ، لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى ، أو لنفـــي واجب من صفاته ، أو لإثبات مستحيل منها ، أو لإنكارهم النبوات[٢].

عايش اليهود التجسدات التي صنعتها الأمم الوثنية للآلهة ،كما عايشوا نفس التعددات الإلهية في المجتمعات التي نزلوا إليها ، ولكنهم لم يكتفوا بما وجـدوه ، وتذكر جملة من أسفار العهد القديم أن مملكة يهوذا كانت غارقة في الآثام ، كما كان ملوكها واقعين في الموبقات وصنع الشرور ، وفوق ذلك فقد خالفوا جميـــع ما أوصاهم به الرب [٣]ومن ثم فلم نر عجباً حين يلقى القارئ باعتقاداتهم الوثنية في أسفارهم تلح عليها من كل ناحية .

كما أن ملوك بني إسرائيل هم الآخرون،قد أغرموا بالاعتقادات الوثنية ، بل كان الملوك أكثر تفسخاً وانحلالا ،وقد تعاقب على مملكة يهوذا وحدها أكثر مـــن عشرين ملكا حتى مجيء سنحاريب عدوهم ، الذي تمكن من يهوذا بعد غزوها ، واستولى عليها منذ عام ٧١٣ق.م وفرض عليهم عبـــادة آلهتـــه التـــي يعبدهـــا

---

(١) سورة محمد الآية ١٩ وتمامها "فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلـــم متقلبكم ومثواكم "

(٢)الشيخ عبد الوهاب الشعراني ـــ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكـــابر ج ١٢ ص ٤٢ ط الحلـــبي الأخيرة ١٣٧٨هـــ١٩٥٩م .

(٣)الشيخ رزق محمد أبو حويلة ـــ اليهود والعقائد الوثنية ص ١٤٧ .

الآشوريون . وقد استجابوا له . وظل أمرهم على ذات المنوال حتى تركهم الآشوريون بعد نهب كل ثروات اليهوديين[١]

لقد كان طمع الآشوريين في اليهوذيين قويا،على أساس مبادلة الإسرائيليين بأمثالهم ، بدليل أنه لما تمكن الآشوريون من غزو يهوذا أخذوا ملكها منسي مقبوضا عليه رغم ترحيله إلى بابل ضمن الأسرى ، حيث كانت بابل في ذات الوقت قد عقدت حلفا مع الآشوريين[٢]، وقد فرض الآشوريون على أهل يهوذا الضرائب الكثيرة ، كما أجبروهم على ممارسة الاعتقادات التي سادت لدى كل من الآشوريين والبابليين ، وكان حلفهم يفرض على الأمم التي تخضع لهم ضرورة الاعتقاد في ذات العقائد التي يمارسونها[٣].

وطبائع اليهود قائمة على استنزاف ثروات الآخرين وذلك الأمر لا نزاع فيه ، لأن العهد القديم نفسه تحدث عنها في شئ من التفصيل ، بدليل أن

---

(١)الدكتور / كامل سعفان ــ اليهود تاريخ وعقيدة ص ٩٤ ط ثالثة ١٩٦٥م .

(٢)والتاريخ يذكر العالم المعاصر بما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها من إقامة سجن في جوانتيمالا تلقي فيه بالأحرار الأفغانستانيين وربما ألقت فيه من تسميهم أعضاء تنظيم القاعدة ، ولا مانع لديهم من إلقاء قادة الحكم في العراق أو صدام حسين متى عثروا عليه إذا كان ما يزال على قيد الحياة فهي أحلاف شيطانية استعمارية استعبادية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بأي لون من ألوان الحرية .

(٣)والمؤسف له أننا في الوقت الحاضر نرى من يقلد هؤلاء السفاحين في ذات السلوكيات العدوانية ، حيث نرى الواحد منهم حريصا على جمع المال من أي طريق لا يبالي بمصدره ، ودون نظر إلى حلاله أو حرامه ، كما لا ينظر إلى طبيعة ذلك المال ، وما إذا كان بالإمكان الإنفاق منه في أوجه الخير أو احتجازه إلى ابعد مدى ، بل نرى الواحد منهم حريصا على أعراض الدنيا كلها ويقاتل في سبيلها رغم عدم حاجته إليها ، مستخدما كل وسيلة يراها موصلة به إلى غرضه ، بغض النظر عن كون الوسيلة هي الكذب أو النفاق ، الغش أو الخداع ، أو كانت هي جملة الشكاوي الكيدية ، وتلفيق الاتهامات للأبرياء ، إنهم لا غاية لهم سوى جمع المال من أي مكان ولو كان فيه مغاضبة الرحيم الرحمن ، فسبحان الله من تصرفات البعض من أهل هذا الزمان .

المصريين قديما استضافوا اليهود حيث أفسحوا لهم في بيوتهم ، وساعدوهم في الإقامة بينهم ، ودبروا لهم أسباب الحياة في حدود إمكانياتهم المقامة ، فلما انقضت مدة الإقامة التي عقد اليهود العزم بعدها على مغادرة أرض المصريين، قرروا سرقة أموال المصريين وحليهم وملابسهم ، بل وأواني الطعام[١] ، ولم تقف بهم أطماعهم عند هذا الحد ، وإنما امتدت لتشمل كل ما يمكن سرقته ، وكانوا يمارسون ذلك كله دون حياء أو حرمة أو وخز من ضمير .

وفي العصر الحديث يمارس اليهود الصهاينة نفس الهواية ، لإشباع ذات الطبيعة العدوانية ، على شعب فلسطين العربي المسلم ، حيث سرقوا أرضه وهتكوا عرضه ، ومنعوا رفده ، وقتلوا ولده ، ومازالوا يمارسون هذا الإرهاب والعدوان بغية إرضاء نزعاتهم العدوانية ،وإشباع نزواتهم الإجرامية ، والعالم كأنه أخرس لا ينطق، جامد لا يتحرك ، أصم لا يسمع بالمجازر التي تمت في مخيم جنين والمخيمات الفلسطينية الأخرى[٢] .

وكذلك المجازر التى ترتكب في رام الله والبيرة، سواء على رئيس دولة فلسطين المنتخب من الشعب ، أم كان ذلك على أفراد حكومته ، أو رجال السلطة الفلسطينية في الجانب التشريعي وغيره ،.وكذلك الاعتداءات المتواصلة على المسجد الأقصى ، ومسجد عمر بن الخطاب ، وسائر المساجد والمقدسات الإسلامية ، والآثار العربية التي مانزال مصممة على تحدي العصابات الصهيونية[٣] .

---

(١) والمؤسف له أن اليهود لم يتمكنوا من إخفاء هذه الجرائم ، وإنما سجلوها في كتابهم المقدس لتكون شاهدا قويا على ممارساتهم الإجرامية .

(٢) والغريب أن هذه الجرائم يتم تداولها من خلال وسائل إعلام الدول الكبرى لأنها التي تسيطر على أكبر وسائل الإعلام العالمية ، وأوسعها انتشارا

(٣) لقد حاول الصهاينة الاعتداء أكثر من مرة على المسجد الأقصى ، والمساجد الأخرى ، ولكن إعتداءاتهم كلها ارتدت عليهم .

والغريب أن اليهود الدين هم في الأصل جماعات مترحلة ، ومرتحلة سرقوا أرض فلسطين العربية الحبيبة تحت اسم أرض الميعاد ، ولتحقيق تلك الغاية ارتكبوا كل الحماقات ، ومارسوا كافة الجرائم ، ومازالت أعمالهم العدوانية قائمة لم تتوقف بل تزداد عنفا وضراوة ، ومع هذا مازالوا يصرون على أحقيتهم في أرض فلسطين بزعم أنها يهودية ، مع أنها عربية الأصل منذ بدء الزمان[1]، وستظل إن شاء الله تعالى عربية إسلامية.

والعصابات الصهيونية الآن تمارس سرقات معلنة ، وأخرى غير معلنة ، إنهم يسرقون أموال الناس تارة باسم الفن الذي يجئ رخيصا مبتذلا ، وأخرى باسم صناعة السينما التي تمثل الانحلال الخلقي والفسر الاجتماعي والقيمي ، وتارة باسم التقدم العلمي التجريبي وما هو إلا الخراب في كل صوره ، ولا مانع لديهم من استحداث مسميات جديدة،ما دامت تحقق أطماعهم ، وتشبع نهم نفوسهم وتجعلهم أصحاب ثروات [2] بحيث يسيطرون على ما في البلاد من ثروات .

لقد كانت العصابات الإسرائيلية — في الماضي والحاضر — تشكل خطرا كبيرا على البلاد التي ينزلون إليها ، أو يتعاملون معها ، أو تكون لهم اتصالات بأصحابها ، لأنهم في كل تعاملاتهم يمارسونها من خلف الأستار ، ويرسلون عيونهم من داخل الجحور ، مستغلين سذاجة البعض ، وبجانب استعمال المكر

---

(١) راجع أسفار العهد القديم ابتداء من التكوين تراها معلنة بأن أرض فلسطين كانت للفلسطينيين وحدهم قبل نزول الجماعات الإسرائيلية إليهم ، وكل ما يعتمد عليه الإسرائيليون هو أن الرب وعد إبراهيم بأن تكون الأرض التي أمامه له ولأولاده ، ولست أدري لماذا فكر يهوه في أرض العرب دون سواهم ، من ثم فان الكتاب المقدس الذي في أيديهم شاهد على أن فلسطين ملك لأهلها لا للغاصبين اليهود لعنهم الله أينما كانوا .

(٢)راجع في هذا الشأن كتابنا " من وحي البيان في جماعة الشيطان " حيث يتضح هناك أن اليهود يمارسون كافة الألوان والسلوكيات العدوانية المعلنة وغير المعلنة في سبيل تحقيق أغراضهم وأطماعهم ، كما يكشف عن بعض الوسائل التي يستخدمونها ومنها المرأة والجماعات الشاذة ، والعصابات الإجرامية .

ه الحد ع ، و السعي للحر ب في كافه اشكاله و الو به

ومن ثم فإن ايه امة تجاورهم ، او تتعامل معهم لابد ان يبلغ اصحابها قمه الحذر في ممارستهم ، إنهم يجمعون بين الرذائل كلها ، حتى الجبن في الدفاع عن أنفسهم مازال هو الغالب عليهم ، بدليل استعانتهم بغيرهم ، وذلك مما يرهق المتعاملين معهم ، ويطمع الأقوياء فيهم متى أمكنهم الوقوف على ما في طبيعة اليهود من خسة ونذالة وشعور دائم بأنهم أعجز من أن يقابلوا الآخرين وجها لوجه ، أو يدافعوا عن أنفسهم ، أو يقاوموا سطوة الآخرين .

وقد صور القرآن الكريم هذا الجبن الذي يملك نفوسهم فقال تعالى:" لـأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم" [٢].

إنهم يتعاملون مع كافة الناس بما في نفوسهم لا بما في نفوس الناس ، إنهم يشعرون دائما بأن ما يقومون به ما هو إلا عمل نبيل ، يجلب على الجماعات

---

(١) راجع في ذلك سفر استير فستراه قام على المكر والخداع والدهاء أعلى مقام ، ابتداء مما صنعه الإسرائيلي مردخاي بن يائير بن شملي المسبي من أورشليم حيث كان مربيا لاستير ابنة عمه بعد موت أبويها ، واتخذها لنفسه ابنة ، حتى أمكنه أن يخدع الجميع واستخدمها وسيلة للوصول إلى قلب الملك الفارسي الكهل حيث نصحه باختيارها زوجا له بعد أن أخفى عن الملك المولع بها جنسيتها الإسرائيلية ، واستطاعت استير فيما بعد اللعب بالملك حتى تمكنت من إحداث الوقيعة بينه وبين رئيس وزرائه مهومان وانتهى الأمر بصلبه وإحلال مردخاي ابن عمها رئيسا للوزراء بدلا منه ، كما تمكنت استير من انتزاع أمر ملكي يسمح لليهود بقتل خمسمائة رجل فارسي من أعداء اليهود في يوم واحد ، وقد فعلوا ثم طلبت في اليوم التالي نفس الوقت ففعلوا مضافا إليهم عشرة أولاد هم أبناء مهومان وصار اليومان عيدا عند اليهود عرف اسم عيد النوريم ، ثم سجلوا هذه الأعمال الإجرامية في سفر استير وضموه إلى كتابهم المقدس فصار جزءا منه ولمزيد من التفاصيل ــ راجع سفر استير فهو ضمن أسفار كتابهم المقدس ــ العهد القديم

(٢) سورة الحشر الآيات ١٣ / ١٥

الإسرائيلية المصلحة ، ويحقق لها المنافع كلها ، وهم يحاولون إجبار الناس على نســـيان جرائمهم معهم[١] في الوقت الذي يعملون على إبراز أبسط العقوبـــات التي وقعت عليهم،كأنها جنايات أرتكبت في حقوقهم ، وهم يطالبون بالتعويضات المستمرة الباهظة عنها[٢].

إنهم يطلبون من الناس النظر إلى التعاملات السلبية ، والأخلاق المتدنيـــة الإسرائيلية ، على عكس ماهي ظاهرة ، كما يطلبون منهم التعـــامل بالحســـنى والزيادة عليها،باعتبار أنهم خلق متميز عن الآخرين من خلق الله ، وهذه التفرقة الهلامية هي مما دفع غير الإسرائيليين إلى الاحتراز منهم ، حين يقع التعـــامل معهم ، وكان ذلك مما أطمع الآخرين فيهم ، حتى إذا أغاروا عليهم ثم تركوهـــم فما يمضي وقت قصير إلا ويحاولون العودة إلى احتلالهم من جديد[٣].

وكان ذلك مما الزم الإسرائيليين ممارسة الاعتقادات الفاسدة ، والعبـــادات الباطلة ، وكأنى بهم والمثل العربي قد عناهم ،(على نفسها وقومها جنت براقش) وما براقش في العرب إلا كلبة جنت بنباحها على نفسها ، حين عرف مكانـــها ، وعلى قومها حين عرف عدوهم مكانهم فقتلوها وهم معها .

وربما تسألني دليلا على ما ذهبت إليه من كثرة أطمـــاع الآخريـــن فـــي الإسرائيليين بغرض تأديبهم ، وترددهم عليهم المرة تلو الأخرى لذات الغايـــة ، حتى لو أدى ذلك إلى احتلالهم ، وتخريب دورهم وتدمير ثرواتهم .

---

(١) ما يزال رؤساء الوزارات الإسرائيلية يمارسون أفعال العدوان على الشعب الفلسطيني ، ومع هذا يطـلبون أهل القتلى نسيان هذه الجرائم .

(٢) بدليل ما تفعله إسرائيل بألمانيا في الوقت الحاضر،كطريقة من طرق الضغط على هذه الدولة،بزعم أن هتلر أساء لليهود ولم يذكر اليهود الإساءات والجرائم التي ارتكبوها في حق شعوب العالم كله والشعب الفلســطيني بصفة خاصة .

(٣) وقد تكرر ذلك الفعل معهم من بختنصر والذي يطلقون عليه أحيانا اسم بنوخذناصر ، كما تكرر مـــن غيره والعهد القديم فيه الكثير من هذه المهاجمات التي لم تنقطع

والجواب : ما ذكره العهد القديم نفسه ، وهو سجل عليهم كتبـــوه بأيديـــهم فشهادته عليهم لا ترد ، لأنه يكون بمثابة الإقرار الذاتي الذي لا يكون صاحبـــه واقعا تحت أي تأثير ، وإنما يمثل الإقرار الاختياري ، والاعتراف هنا هو ســيد الأدلة ، وهذا بعض الجرائم التي سجلوها في كتبهم .

ــ في عام ٦١٠ ق.م أساء اليهود إلى المصريين ، حيث خانوهم ، وســوقوا ممتلكاتهم من أموال وحلي وملابس وأواني ، ثم تعاونوا مع أعدائهم ، وحــاولوا تدمير ممتلكات المصريين التي لم يتمكنوا من سرقتها ، فقام الملك نيخوا ملـــك مصر آنئذ بحربهم ،وقد أمكنه تعقبهم ، وقتل ملكـــهم يوشـــب ، كمــا فــرض الضرائب عليهم ، وقاموا بأدائها إليه خوفا من سلطان ذلـــك الملـــك المصـــري نيخوا[1]، الذي أرهبهم وأذلهم ، واجتاح أماكن إقامتهم .

وقد فرض عليهم الاعتقادات التى كانوا يعتبرونها وثنية ، وسارعوا إليـــها اعتقادا وممارسة ، بل كان خوفهم من ذات الملك مدعاة لإقامة تجسدات له فـــي أشكال إنسانية،تمجد حكمه،وتعلن من جرأته ، وقد ساعد ذلك على ترسيخ هـــذه الاعتقادات الوثنية في نفوسهم ، وبخاصة عبادة ابن آوى والجعران لا على أنها آلهة إسرائيلية ، وإنما على أنها آلهة إنسانية [2]أو تجسدات لآلهة فـــي أشـــكال إنسانية .

ــ في عام ٦٠٦ق.م قام بختنصر ملك بابل بتأديب اليهود على الجرائم التـــي ارتكبوها ، والآثام التي فعلوها ، والحماقات التي لم يتوقفوا عنها ، وقد تمكـــن من الاستيلاء على أورشليم نفسها ، ففرض الجزية عليهم من جديد ، كما ألزمهم القيام بعبادة الآلهة التي يعبدها البابليون ومنها الإله مردوخ ، وإقامـــة الـــهياكل والمذابح لها ، وتقديم القرابين باسمها ، كما فرض عليهم طاعته .

---

(١) الدكتور السيد عبد العظيم سلطان ــ اليهود وحركة التاريخ ص ١٩٧ ط أولى دار الفداء ١٩٦٧م .

(٢) الشيخ رزق محمد أبو حويلة ــ اليهود والعقائد الوثنية ص ١٧٢ .

ولما فكر في الإجلاء عن هذه الديار فرض عليهم ، ضرائب جديدة عرفت باسم ضرائب الآلهة البابلية ، وأزاد في كل ما كان قد سبق فرضه عليهم وقد استجابوا لكل هذه الأوامر فورا ، إذ كانوا يشعرون بضرورة طاعته ، كما أنه لا قدرة لهم حتى يرفضوا شيئا منها [1]فلما جلا عنهم ظلوا على ذات الإتفاق فترة من الزمان ، ثم عادوا سيرتهم الأولى ، وارتدوا على أدبارهم خاسرين ، فطبيعة اليهود الخلف بالوعد ، والكفر بالله واليوم الآخر .

يذكر المؤرخون أن الأحوال تبدلت بعد جلاء بختنصر، واستردت الجماعات الإسرائيلية بعض عافيتها ، حيث تولى عليهم ملك أمكنه أن يعود بهم إلى مصادر القوة ، وما أن شعروا بقدرتهم على رفض قرارات بختنصر إلا أسرعوا برفع راية العصيان ، والثورة على الاتفاقيات التي سبق لهم توقيعها معه [2].

من ثم رأى بختنصر ضرورة إعادة القطيع الضال إلى حظيرته ، فأعاد الكرة عليهم ،وهاجمهم أينما كانوا،وظل في حربهم مستعملا معهم القسوة والبأس الشديدين ، وكان ذلك عام ٥٩٩ ق.م غير أن كرته هذه المرة كان أشد من سابقتها في النتائج ، كما كانت واسعة التأثير ، ويمكن القول بأنه قد غالي في تأديبهم هذه المرة ، لمعرفته أن الداء المستفحل لابد له من الاستئصال ، ومن ثم قام بعده إجراءات معهم من هذه الإجراءات ما يلي :

١ ــ تغيير الطبيعة السكانية :

حيث لجأ بختنصر إلى تفريغ بعض التجمعات السكانية ، وكذلك بعض القرى والمدن من سكانها الأصليين ، وإحلال غيرهم بدلا منهم ، وهو ما يعرف

---

(١) الدكتور / السيد عبد العظيم ــ اليهود وحركة التاريخ ص ١٩٩

(٢)هذا ليس بجديد على اليهود ، بل القراءة للتاريخ تكشف عن أنهم ناقضوا العهود ، خالفوا الوعود ، خانو الأمانات ، المتاجرون بالأعراض ، المتعاونون مع الأعداء ، بل كل النقائص هم المصدرون لها

باسم التهجير السكاني، بغرض تغيير التركيبة الأنثروبولوجية [١] وقد نتج عـــن هذا العمل ظهور اختلال واضح في البيئة التركيبية لذات التجمعـــات الســكانية الجديدة ، فأدى ذلك إلى استحداث أنماط سياسية،وأخرى عسكرية لم تكن مألوفة، وساعد ذلك على ظهور نوعيات جديدة من التركيبة الجديدة في التجسدات الإلهية كان الغرض منها إيجاد نوع من الملاءمة أو التوأمـــة بيـــن الواقـــع الجديـــد ، والاعتقادات الأساسية للعناصر والجماعات اليهودية[٢]ولكنها لم تحقـــق نجاحـــا يذكر في هذا السبيل .

كما أن هذه العملية حققت لبختنصر بعض الامتيـــازات جعلتـــه يتدخـــل باستمرار في شئون هذه الجماعات ، إما محافظة على الأقلية الجديدة ، أو حماية لقلية سابقة ، أو حفاظا على سلطة النظام ، وهيبة الدولة ، ومن ثم أسرف فـــي قراراته وأكثر من القيود التى تقيد حركة الإسرائيليين عامة ، إذ لم يكن لديـــه قدر ضئيل من الثقة فيهم ، وإمكانية العودة إلى الصواب[٣]أو ألتزامـــهم قـــاعدة حسن الجوار .

٢ ــ تكثيف عمليات الأسر وتواصلها :

رأى بختنصر أن الحرية لم تكن عاملا مهما في حياة الجماعات الإسرائيلية ــ رغم أنهم في الأصل جماعات مرتحلة ــ وإنما رأى أنهم كلما اتسعت مساحة الحرية معهم تمردوا ، بل تأكد أن منحهم أدنى قدر من الحرية كفيل بإعادتـــهم إلى مخالفة النظام ، إذ يساعدهم على الالتفاف حول القرارات ، بجانب تجميـــع

---

(١)الدكتور فوزي محمد أبو على ــ الاحتلال البنائي في التركيبة السكانية ص ٩١ ط نور الهدى ١٩٧١م.

(٢)الدكتور / السيد عبد العظيم سلطان ــ اليهود وحركة التاريخ ص ١٩٩ .

(٣) ومتى شعر بفقد الشعب الذي غزاة بهذه الأمور فإنه سيحاول ممارسة المزيد من الضغوط ، وليس لديه مانع بصرفه عن شئ منها ، بل من الممكن القول بأنه ربما اندفع إلى المزيد من أعمال العنف معهم

صفوفهم وهو لا يفضل ذلك ، وبناء عليه اتخذ قراره بضرورة تكثيف عمليات الأسر فيهم حتى صارت مدنهم وقراهم اقرب شبها بالمعتقلات أو السجون التي تتزايد أعدادها على الدوام[1].

ولما وجد أن هذه العملية تقلل من احتمالات التمرد فيما بينهم أكثر منها،حتى أنه في يوم واحد اسر من أعيان الجماعات الإسرائيلية،ما يزيد على عشرة آلاف وجدهم يتعاونون فيما بينهم لإبراز ضعف القوة البابلية ، وعجزها عن قمع إرادة الشعب الإسرائيلي[2]فلما تم أسر هذا العدد في يوم واحد ، شعر أفـــراد الشـــعب الإسرائيلي، بأنهم افتقدوا قادتهم ففقدوا بذلك الأمن والأمان معا ، مما دفع بـــهم إلى العواء والصراخ ، وتقديم العديد من التنازلات لبختنصر وجيشه .

ويعلل دوهان هذا الصراخ والعواء قائلا: أنه متى وجد أفراد الشعب قادتهم قد اختفوا من مسرح الأحداث في أشكال درامية ، فإن أفراد الشعب لا يمكـن أن ينعتوا هؤلاء بالأبطال ، لأنهم تلاشوا كما تلاشى الجليد مع أول النهار ، مع أنهم كانوا ـــ قبل ذلك ـــ يزعمون لأنفسهم القدرة علـــى إلحـــاق الـــهزائم العديـــدة بالآخرين ، كما كانوا حريصين على نعت قواتهم بالشجاعة والمروءة ، ويعطون لأنفسهم حق الحديث عن الجميع ، أو باسم الجميع [3].

كان من جراء ذلك هروب البعض من الإسرائيليين ، إلى القـــرى والمـــدن الآمنة، أو إلى التخوم المجاورة ، والابتعاد عـــن مواطـــن الاحتكـــاك برجـــال بختنصر الذين كانوا على استعداد تام لاعتقال الجنس الإسرائيلي كله ،ومن ثـــم أطلق اليهود عليه اسم الأسر الكبير[4]على أساس أنه حول الجماعات الإسرائيلية

---

(١)الدكتور / السيد عبد العظيم سلطان ـــ اليهود وحركة التاريخ ص ٢٠١ .

(٢)الشيخ عطية إبراهيم الشوادفي ـــ دراسات في التوراة ص ٣٨ .

(٣)جون دوهان ـــ اليهود واعتقاداتهم ص ٢٥٧ .

(٤)القس صبري جريس ـــ التراث اليهودي ص ١٨٣ ط أولى ١٩٤٣م .

من الحرية إلى الاستعباد ، ومن التصرفات والسلوكيات الطبيعيه،إلى التصرفات والسلوكيات غير الطبيعية على الإطلاق .

٣ ــ الاستيلاء على كنوز الهيكل والبلاط الملكي :

أدرك بختنصر أن الجماعات الإسرائيلية يحرص أفرادها على الكنور حرصا شديدا ، وبخاصة تلك التى تأتي عن طريق الضرائب ، ونتاج الأرض ، وما يقدم للمعابد إرضاء للآلهة ، كما وجد أن هذه الكنور كثيرة ، ومع كثرتها يمجدونها ويعظمون قدرها أكثر من الهياكل ذاتها ، وكذلك كانت عنايتهم بالبلاط الملكي وكنوزه ، ومن ثم قرر حرمانهم منها ، وقام بنقل كنوز الهيكل وكنوز البلاط الملكي إلى بابل ، وجعلها هناك على سبيل الوديعة حينا ، ثم قام بالاستيلاء عليها عن طريق التملك المباشر ، بحجة الإنفاق منها على عمليات الإصلاح التي تتم داخل التجمعات اليهودية[١].

ثم قام بإدخال هذه الثروات كلها ــ كنوز الهيكل وكنوز البلاط الملكي ــ إلى الخزانة العامة أولا حتى صارت جزء من الثروات البابلية ، التى كانت عناصرها الأصلية تقوم في جانب كبير على ناتج الغزو ، والإغارة والعمليات العسكرية العدوانية ، كما يقوم جانب منها على حصيلة الضرائب التى تفرض فوق رؤس الشعوب المقهورة والأمم المغلوبة ، إذ كانت هذه الثروات في بابل لا تدخل ضمن ميزانية الخزانة العامة للدولة ، وإنما كانت لها مصارف تتعلق بالمقاتلين وطرائق الإنفاق عليهم إعدادا وتجهيزا .[٢]

---

(١) لا شك أن هذه الحلقات تتم الآن حيث تقوم أمريكا باحتجاز الأموال العراقية في البنوك العالمية ، وتملكها لنفسها بحجة إصلاح العراق والعمارة ، ثم تطالب دول العالم المشاركة في عمليات الإعمار هذه كأنهم الذين دمروا العراق وليس هم الأمريكان والإنجليز ومن معهم ! ، ان القانون الدولي العام يقرر ضرورة القيام بعمليات الإصلاح هذه على نفقة الشعوب التى قامت بها ، وشريعة الله أن من أتلف شيئا فعليه إصلاحه ، غير أن القرصنة الأمريكية لا تعرف حدا تقف عنده ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

(٢)توماس هيرز ــ الحضارة القديمة في بابل وآشور ص ١٧٥ .

ونظراً لهذه الإجراءات التي قام بها بختنصر في مواجهة هذه الجماعات الإسرائيلية سارعوا بإعلان استكانتهم ورضوخهم ، كما أعلنوا رغبتهم في بقاء قيادة عسكرية بابلية بينهم حتى ينتهوا من إمداد الجيل القادر على تولي مسئولية المحافظة على النظام والأمن العام ، ويكون قادرا على وضع الاتفاقات التي يتم التصديق عليها موضع التطبيق العملي .

كما أعلن قادتهم الالتزام التام بكل القرارات التي سبق ضربها عليهم ، بل أعلنوا اعتزامهم القيام بها على أتم وجه وأحسنه ، والتعهد بتطبيق كافة الشروط التى فرضت من قبل بختنصر في الاتفاقات السابقة ، وما يفرضه عليهم أيضا هذه المرة [١]، ومن ثم فقد صار اليهود في موقف حرج لأبعد مدى ، مما شجع البابليين على فرض شروطهم ، وبالتالي سحب جزء من قواتهم تاركين لليهود فرصة ، ليمارسوا أمورهم بأنفسهم على سبيل الاختبار لقدراتهم .

بيد أن الجماعات الإسرائيلية تحكمها طبيعة لا تختلف أبدا ، فلا عهود توثق معهم ، إلا كانت لديهم النية لنقضها في وقت توثيقها ، كما يكون لديهم استعداد قوي للتخلص منها والتخلي عن التزاماتها[٢]، وهم لا يقومون بذلك إلا إذا وجدوا في أنفسهم القدرة على القيام به ، وهو ما يعبر عنه بالقدرة على المناورة السياسية ، من خلال القوة العسكرية .

---

(١) الدكتور السيد عبد العظيم سلطان ــ اليهود وحركة التاريخ ص ٢٠٣/٢٠٤ وللقس صبري جرجس ــ التراث اليهودي ص ١٨٥ وللشيخ عطية الشوادفي دراسات في التوراة ص ٣٩ .

(٢)وفي العصر الحديث وقعت العصابات الصهيونية مع العرب اتفاق الهدنة فى عام ١٩٤٨م ثم نقضته في ذات العام وكان من نتيجة ذلك حصولهم على جزء من ارض فلسطين يضاف إلى ما تحت أيديهم ، وكذلك وقعوا هدنة وقف القتال مع مصر فى عام ١٩٧٣م ثم أغاروا على منطقة الدفرسوار إلى غرب القناة ، وعقدوا مع الفلسطينين اتفاقيات أوسلو ثم نقضوها وهم مستعدون لنقض كل العهود كطبيعتهم ، لأنهم نقضوا العهد والميثاق من قبل مع الله ، إنهم لا أمان لهم أبدا .

فلما تولى أمرهم الملك صدقيا،ورأى أن قواته تنموا باستمرار،في الوقت الذي اضطربت أحوال البابليين،وصارت تجري فيها أنواع من عدم الوفاق،قطع كافة طرق الاتصال مع البابلين ، كما أغلق كل القنوات التي كانت قائمة معهم،وأعلن على الفور نقضه لكل العهود السابقة،وتحلله منها بزعم أنهم أجبروه عليها ، ولم تكن لهم إرادة في إبرامها،وما يقوم على الجبر والإكراه لا قيمة له

بل أنهم انتهزوا فرصة وجود نوع من الاختلافات بين قادة البابليين،وأسرع الملك صدقيا بإعلانه نقض العهود مع البابليين،وطالبهم بإرجاع كل ما أخذوه من اليهود،سواء الذي كان عن طريق الضرائب والجزية ، أو عن طريق التفاوض. كما هدد بأنه إذا لم يدفع البابليون ما أخذوه ، فإن بلاده ستعلن الحرب على البابليين ولن يمنعه مانع من دخول بابل واحتلالها بالقوة [1]، وهكذا تحولت يهوذا من جارة مستضعفة مستذلة ، إلى عنيفة مغامرة ، يسعى ملكها لتدمير الآخرين .

لكن عيون بختنصر لم تكن نائمة ، ولم يكن هو بالقائد الغر الذي يغامر بأسلحة الكلام في ميدان المنازلة بالسيوف[2] ، كما لم يكن قد عرف لغة الحناجر بدل حوار الخناجر ، وإنما كان رجلا عمليا يعيش الواقع ، وهو يعلم أن اليهود لا أمان لهم ولا ذمة ، ومن ثم فقد استطاع استدراجهم لحربه ، على أن يكونوا هم الذين يبتدؤنها، وقد وقعوا في الفخ الذي نصبه لهم .

وظن صدقيا وعصابته أن البابليين قادمون إليهم من جهات مختلفة ، فنصب اليهود الأكمنة ، وأشعلوا الحرائق في الممتلكات التي تخص البابليين، وأكثروا

---

(١) القس كامل سعفان ـــ تاريخ التراث اليهودى ص ١٨٥ .

(٢) لقد أصيبت أمتنا الإسلامية بقادة يملكون لغة الحناجر ، لا لغة الخناجر ، لغة الكلام لا لغة السلاح والمنازلة في الميدان ، فقد كان الأتراك العثمانيون يعدون الجنود للدفاع عن بلاد الإسلام بالسيوف في الخطب الرنانة ، في الوقت الذي يضرب الفرنسيون الإسكندرية بالمدافع المتقدمة .

من صنع الرذائل وممارسه الآثام ، مما دفع البابليين إلى التعامل معهم — على الأقل من باب الدفاع عن النفس — وقد أمكن للبابليين إلحاق الهزيمة الثقيلة والسريعة باليهود ، مما دفع بالإسرائيليين إلى الانسحاب نحو الداخل ، وظلوا يوالون الفرار .

في ذات الوقت تمكن البابليون من اقتحام الأسوار ، وتفادي الأكمنة وإطفاء الحرائق ، كما وصلوا إلى أورشليم فخربوها عام ٥٨٨ ق .م ، وأحرقوا الهيكل وتم استياق أغلب الشعب اليهودي أسيرا إلى بابل ، وبعد ذلك ظلت الأرض خرابا لمدة تزيد على سبعين عاما [١]، حيث تعامل بختنصر مع اليهود بمفهوم سياسة الأرض المحروقة[٢]، ومن ثم ظلت معالم الخراب بادية على أورشليم قرابة السبعين عاما .

وكما هي العادة فإن المنتصر هو الذي يملي على المهزوم شروطه ، بغض النظر عن كون هذه الشروط مواتية للمهزوم ، أم غير مواتية ، ودون نظر إلى اعتقاداته أو عباداته ، فضلا عن قيمه وأخلاقه ، إنه يكون كلأ متاحا ، ومشاعا لا حرمة له ، طالما كان المنتصر قادرا على إنقاذ ما يهدد به ، أما إذا كانت القوتان متقاربتين فإن ما يقع بينهما يكون قريبا من مفهوم الهدنة ، حتى تتوقف الآلة العسكرية بحيث تعطي الفرصة للجهود الدبلوماسية .

كالحال في حرب العاشر من رمضان ، حين استطاعت القوات المصرية مراجعة نفسها أمام الله الذى حقق لهم النصر على أعدائهم ، لكنه لم يكن نصروا

---

(١) الشيخ عطية إبراهيم عطية الشوادفي — دراسات في التواره ص ٤٠ وراجع لصبري جرجس — التراث اليهودي ص ١٨٤

(٢)مصطلح سياسي يقصد به إغلاق الطريق أمام كل الجهود لإيقاف عجلة الحرب ، وهو أيضا مصطلح عسكري يقصد به إضاعة الفرصة على الخصم من الاستفادة بأية مكاسب عسكرية تتعلق بالأسلحة أو مواطن القوة — راجع للدكتور زكريا محمد عزام — مصطلحات سياسية وعسكرية ص ٢٣ ط الأمراء ١٩٨٧م .

يعقبه الاستسلام من جانب المهزوم [١]، لأن الولايات المتحدة الأمريكية ومعسكر الشيطان ، أعلن تدخله لحماية إسرائيل ، والمعركة لم تنته بعد ، وبالتالي فقد كانت الهدنة هي الحل الأمثل المؤقت بين العرب وإسرائيل .

وحيث أن بختنصر كان هو المنتصر على اليهود ، فقد ألزمهم الاعتقاد في آلهته هو وعبادتها ، كما دفعهم إلى إقامة التماثيل لذات الآلهة ، على هيئات لأشكال إنسانية ، بحيث جاءت بعضها في صورة أحد الرجال الأشداء ، بينما جاء بعض آخر في أشكال لبعض السيدات في أوضاع مختلفة ، وبعضها في أشكال أطفال صغار ، وكان لذلك أثره الواضح على اعتقادات اليهود ، كما أدى إلى انخراطهم في المزيد من الآثام ، على نحو لم يسبق له مثيل ، كما سارع بهم إلى الاندفاع نحو الموبقات دعوة لها وممارسة ، وربما في رعونة وعنف .

وتصف بعض أسفار العهد القديم الموقف ، وأن اليهود الذين وقعوا في أسر الكلدانيين أو البابليين أو المصريين أو غيرهم من الأمم التي غزتهم ، قد أجبروا على متابعة أهل ذات البلاد في اعتقاداتهم الوثنية ، من حيث التعدد والتجسد للآلهة ، كما تخلقوا بأخلاق أصحاب هذه البلاد بكل ما فيها من وثنية [٢].

وأن ذلك قد تضاعف عدة مرات ، وبخاصة بعد رجوع بختنصر إلى بابل بعد استكمال غزوة لكل من مصر وفلسطين ، حيث صنع صنما من ذهب على هيئة البعل ، وأمر اليهود بالاعتقاد فيه مع الآلهة الأخرى ، وعبادتها جميعا ثم

---

(١) كالحال في الحروب العالمية الأولى ، والثانية حيث قبل المهزوم التوقيع على وثيقة الاستسلام بشروط المنتصر الذي لا يرقب في أحد إلا مصالحه الشخصية ومنافعه الخاصة ، أما في الإسلام فالوضع مختلف تماما ، راجع كتابنا : لماذا انتشر الإسلام بجزئيه ، الجزء الأول ، والجزء الثاني .

(٢) راجع على سبيل المثال · اسفار الخروج ، التثنية ، حزقيال ، دانيال ، عزرا ، نحميا ، الملوك الأول ، القضاة

دبح القرابين لها . ونصب للبعل تماثيل تعبر عنه وحده على سبيل الامتيـاز على أنه إله تجب عبادته[١]

لم يختلف أمر اليهود ولا طبعهم في شئ مما سبق في الماضي عن اللاحق في الحاضر والآتي ، ولا يعرف ذلك إلا من عايشـــهم أو تعـــامل معـــهم ، إذ التعاملات هي الفيصل في المسألة ، أما الأقوال النظرية فلا تعدوا الحكايـــات أو التوقعات ، أو على أحسن تقدير يمكن تسميتها نتائج نظرية ، ومن ثم فلم تقـــع لليهود نسيان الماضي ، بدليل أنهم ما إن تمكنوا من الأمور التي بأيديـــهم بعـــد موت بختنصر حتى سارعوا إلى ما هو قائم فيهم ، فنقضوا العهود والمواثيق[٢]، وتبدلوا من السلم إلى الحرب ، ومن المهادنة إلى إعلان الحروب ، وســـارعوا إلى ممارسة الآثام على كل ناحية ، وارتكاب الموبقات من كافة أجناسها ، مـــع الاستخفاف بالآخرين إلى حد تهديدهم .

بيد أن التهديد لم يقف عند حد معين ، وإنما سرعان ما تحولت التـــهديدات إلى ممارسات عملية، مما دفع بجيرانهم إلى ضرورة التفكير في الوقوف أمامهم والتصدي لأفعالهم السلبية، ومقاومة هذه الآفات والشرور ، وإعادة هؤلاء اليهود إلى الوقوع تحت الاحتلال ، إذ لا يصلح معهم إلا التعامل الجاد ، والعنف مـــع القسوة المتزايدة حتى يأمن الناس شرورهم ، كما أن اليهود لا يصلحون إلا فـــي ظل العبودية والاستذلال[٣] .

من ثم فقد اجتمعت عليهم الأمم الأخرى ، وحاربوهم فأنزلوا بهم الـــهزائم المتتالية ، وفرضوا عليهم العودة إلى العبودية ، ومارسوا فيهم الذل ، ولما كانت

---

(١)الشيخ على محمد حكمت الله ــ العقائد الوثنية ص ٧٣ ط الدار الإسلامية ١٩٣٢م .

(٢)والقرآن الكريم قد سجل عليهم نقضهم العهد ، وقطعهم المواثيق ، وتمزيق عرى الود .

(٣)وقديما قيل الحر تكفيه الإشارة والعبد لا ترده العبارة . كما قيل :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه   إن العبيد لأنجاس مناكيد .

هذه الأمم وثنية يعتقدون في الأوثان ويمارسون العبادة لها فقد صنع اليهود نفس الصنائع ، تقليدا للأمم المنتصرة . واسترضاء لها ، ومن ثم أسرف اليهود في الاعتقادات الوثنية ، والعبادات البشرية ، على النحو الذي سجلوه بأيديهم في أسفار كتابهم المقدس .

٧ ــ مظاهر تجسدات اليهود في أشكال بشرية:

أجل جسد اليهود آلهتهم في العصور الإنسانية،حيث برز في شكل إنسان الرب الذي صارع يعقوب عند فنيئيل[١]وهو في ذات الوقت الإله الذي يرغب في الأكل إلى حد الشره ، وكذلك الشرب الكثير ، ويتعلق بلذائذ الحياة من المطعومات والمشروبات المختلفة ، لأن رائحة شواء اللحم تسعده[٢] ، كما أنهم في تجسيداتهم للرب لا يقفون عند حد بعينه،أو في صورة بذاتها ، إنه يتجسّد في عليقة ملتهبة كالذي حدث مع موسى حين تجسد له ملاك يهوه .

فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة[٣]قائلاً له أنا هو الرب إلهكم إله الآلهة والأرباب بحيث يكون الإله الإسرائيلي هو إله الكل،ليتأكد للجميع أن إسرائيل شعب الإله أكبر الآلهة[٤]وهذا الإله المتجسد يمكن أن يكون في شخص موسى نفسه ، حيث يقول الرب لموسى جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك [٥]ومن ثم فموسى وياهو آلهة شخصية متجسدة في أشكال إنسانية متكاملة .

---

(١) فنيئيل اسم عبري معناه وجه الله وهى فنوئيل الواردة في سفر التكوين ٣٢ ــ ٣٠ قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٨ .

(٢) وهذا موجود في أسفار العهد القديم ويطلق عليه تجسيد الحركات ــ راجع للشيخ عطية الشوادفي دراسات في التوراة ص ١٣٨

(٣)القس رمزي جرجس حل مشاكل الكتاب المقدس ص ١٢ ، ١٣ ط رعمسيس بالفجالة القاهرة ١٩٢٦م

(٤)العهد القديم ــ سفر التثنية ١٠ / ١٧ .

(٥)العهد القديم ــ سفر الخروج ٧ / ١ ــ ٣ .

كذلك عمل اليهود على تجسيد آلهتهم العائلية ، حيث صنعوا لـــها تمـــاثيل جماعية جاءت في صور مختلفة ، وربما حاولوا جعل المجسد الواضح يعبر عن هذا الائتلاف الذي تقوم به الآلهة ذاتها، يقول ليوتاكسيل ــ لقد وضع التوراتيون لآلهتهم الأشكال التي انطبعت في أذهانهم ، منذ إقامتهم بين الأمـــم الأخــرى ، وجسدوا تلك الآلهة من غير أن ينتبه يهوه العجوز إلى أن أبناءه قد خرجوا عليه وأنهم اختاروا آلهة أخرى أكثر وثنية ، واشد فجوراً وفسقاً[١].

والمتابع لسير الأحداث في العهد القديم يجد مؤلفيه قد حرصوا على تقديـــم صور عديدة لآلهتهم ،فتارة تجئ في شكل إنسان متكامل الأطراف ، وتارة أخرى تعبر عنها صور جزئية لتجسدات بعينها ، لكنها في ملامح وأشكال إنســـانية [٢] تجعله أقرب الأشياء شبهاً بالإنسان نفسه ، لكن ليس في صورة مثلى ، وإنمـــا صورة بدائية متدنية إلى حد كبير .

يقول الدكتور صابر طعيمة: إن العهد القديم يعرض صوراً عن الإله تجعله مثل غيره من المخلوقات ، فهو عندهم يولد له ، وعنده من الأولاد مثل ما عنـد بني البشر ، كالولد البكر الذي يعتني به والده ، وله عند أبيه الحظوه التي ليست لغيره ، وإذا مسه السوء فإنه يغضب له ، وينتقم من صاحب الإساءة[٣] .

وهذا الإله المتجسد في مفهوم اليهود ، لا يختلف عن المفاهيم التي تكـــون لآحاد الناس في تجسداتهم وأحوالهم ، فكما يولد له ، فإنه يفـــرح بـــذات الولـــد ويفزع من أي شئ يقترب منه ، وفوق ذلك فهم يرونه باكياً حزيناً متى صـــنع أمراً على سبيل الخطأ أو جاء من ناحية سوء التقدير ، ويستدلون على ذلك بأنه

---

(١)ليوتاكسيل ــ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٢١٥ .

(٢)جون دوهان ــ اليهود واعتقاداهم ص ٥٧ ترجمة حسن خليل ١٩٥٧م .

(٣) الدكتور / صابر طعيمة ــ التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف الإســـلام منـــه ص ٣٥٦ ط دار الجيل بيروت ١٩٧٩م .

الدابات التى تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورة الله خلقه[١].

• هذه النصوص تؤكد أن كل من رأى الإنسان،فقد رأى الرب ذاته،من حيث الصورة المتكاملة والشكل، بل صار الشكل الإنساني هو المعبر عن صورة الإله ذاته ، والشكل الذي أستقر عليه أمره .

يقول موسى بن ميمون ١١٣٥ / ١٢٠٥ — إن الرب على صورة الإنسان المتكامل،وإن هذا التجسد مما يحتمه العقل الإلهي، لوجود علاقة تامة بين الرب والمتجسد المعبر عنه ، من أجل أن العقل الإلهي متصل بالإنسان ، وأنه على صورة الله وشاكلته[٢]، جاء بكل ما تحمله الفكرة من علاقة قائمة بين الأصل المتجسد،والصورة التي يظهر عليها ، وهو مما يؤكد حرصهم على إظهار الرب في شكل يقبل جريان الأعراض عليه .

ويقول سيرغي توكاريف : إن إنسان الرب في التوراة هو ذاته إله اليهود من كل ناحية ، وإنما الاختلاف في التسمية ، وهي ليست ذات أثر كبير[٣] ومن ثم فإن عملية تجسيد الإله في شكل إنسان متكامل الأطراف دائمة الاتصال بالنصوص اللاهوتية ، وتسعى فيها سعياً من نوع ما ، كما أنها تجري بداخلها جرياً متواصلاً .

يقول أصحاب التفسير التطبيقي : إن الله خلقنا مثله تماماً بالمعنى الطبيعي الحقيقي الحرفي ، وليس بالمعنى المجازي ، إننا نعكس مجد الله الذي أعطانا القدرة حتى نكون مثله بلا خطية ، ونحن معه إلى الأبد [٤] ، فهم قد أعطوا أنفسهم حق التماثل مع الله والاتحاد التام به ، والتشبه الكامل للإله بأفراد الإنسان

---

(١)العهد القديم — سفر التكوين ١ /٣٣/٣٢ .

(٢)موسى بن ميمون — دلالة الحائرين ص ٢٤ ترجمة الدكتور حسين أتاي مكتبة الثقافة الدينية .

(٣)سيرغي توكاريف — الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٤٣٥ .

(٤)التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ٩ وفيه تأكيد متواصل على مثلية الإنسان لله ومثلية الله للإنسان .

الدابات التي تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورة الله خلقه[١].

• هذه النصوص تؤكد أن كل من رأى الإنسان،فقد رأى الرب ذاته،من حيث الصورة المتكاملة والشكل، بل صار الشكل الإنساني هو المعبر عن صورة الإله ذاته ، والشكل الذي أستقر عليه أمره .

يقول موسى بن ميمون ١١٣٥ / ١٢٠٥ – إن الرب على صورة الإنسان المتكامل،وإن هذا التجسد مما يحتمه العقل الإلهي، لوجود علاقة تامة بين الرب والمتجسد المعبر عنه ، من أجل أن العقل الإلهي متصل بالإنسان ، وأنه على صورة الله وشاكلته[٢]، جاء بكل ما تحمله الفكرة من علاقة قائمة بين الأصل المتجسد،والصورة التي يظهر عليها ، وهو مما يؤكد حرصهم على إظهار الرب في شكل يقبل جريان الأعراض عليه .

ويقول سيرغي توكاريف : إن إنسان الرب في التوراة هو ذاته إله اليهود من كل ناحية ، وإنما الاختلاف في التسمية ، وهي ليست ذات أثر كبير[٣] ومن ثم فإن عملية تجسيد الإله في شكل إنسان متكامل الأطراف دائمة الاتصال بالنصوص اللاهوتية ، وتسعى فيها سعياً من نوع ما ، كما أنها تجري بداخلها جرياً متواصلاً .

يقول أصحاب التفسير التطبيقي : إن الله خلقنا مثله تماماً بالمعنى الطبيعي الحقيقي الحرفي ، وليس بالمعنى المجازي ، إننا نعكس مجد الله الذي أعطانا القدرة حتى نكون مثله بلا خطية ، ونحن معه إلى الأبد [٤] ، فهم قد أعطوا أنفسهم حق التماثل مع الله والاتحاد التام به ، والتشبه الكامل للإله بأفراد الإنسان

---

(١)العهد القديم – سفر التكوين ١ /٣٢/٣٣ .

(٢)موسى بن ميمون – دلالة الحائرين ص ٢٤ ترجمة الدكتور حسين أتاي مكتبة الثقافة الدينية .

(٣)سيرغي توكاريف – الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٤٣٥ .

(٤)التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ٩ وفيه تأكيد متواصل على مثلية الإنسان لله ومثلية الله للإنسان .

وليس من السهل تجاور المفردات اللغوية التي حملتها نصوصهم في العهد القديم أو غيره ، كما أنه لا يمكن حملها على معيار يجئ فيها التأويل أو المجاز ، وذلك لعدم وجود صارف عن المعنى الحقيقي من جهة ، وتأكيدهم على ذات المعنى المنطوق به من جهة أخرى .

ويذكر الإمام الإيجي: أن اليهود يجعلون الله في جهة كالأجسام،ويقولون أنه مماس للصفحة العليا من العرش ، ويجوز عليه الحركة والانتقال ، وتبدل الجهات ، حتى قالوا أن العرش يئط من تحته أطيط الرحل الجديد ، وأنه يفضل على العرش من كل جهة أربعة أصابع .(١)

بيد أنه مما لاشك فيه أن اليهود قديماً وحديثاً قد انقسموا في التجسيد للإله على الناحية التي جاءت منها الوثنية في الديانات الوضعية كلها ، يقول هاري كليرك : إن إله اليهود يهوه هم الذين اخترعوه كإله شخصي يصاحب اليهود في الشتات ، فلما دخلوا مرحلة القبيلة استعاضوا عنه بياهو كإله عائلي ، فلما استقروا في الحضر زمن التمدين ، اخترعوا له ألوهيم كإله عام شعبي ، وفي كل مرحلة كانوا يجسدون الإله بالبشر في صورة تحمل النقائص من كل ناحية كالعمى والعجز والعوز ، أو ينسبون إليه القوة والصحة والشجاعة(٢).

وكان ذلك كله يتم طبقاً للظروف التى عاشها اليهود أنفسهم ، فهم تصوروا ذواتهم آلهة أو تصوروا آلهتهم على نحو ما هم عليه من البشرية ، والنقائص فصاروا آلهة تمشي على الأرض ، وبالتالي وقع بينهم وآلهتهم التطابق التام ، والمؤسف له أنهم اعتبروا ذلك التجسيد الإنساني للإله قمة الكمال .

وهذا التجسيد المتكامل يستلزم الحركة والانتقال ، كما يستلزم الطعام والشراب، ويستلزم ما يعقب ذلك كله، أو يعتبر إحدى ضروراته التي لابد منها.

---

(١)الإمام الإيجى ــ المواقف في علم الكلام ص ٢٨٠ شرح المواقف ج١ الموقف الخامس ص ٣٢.

(٢)هاري كليرك ــ نظرات في التوراة السامرية ص ٨٣ ترجمة رزق حكمت الله ط تركيا ١٣٢٩هـ .

ربما يقال : أن السنة النبوية المطهرة ـ وخاصة مما اتفق عليه الشيخان ـ جاء فيها من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام على صورتـه [١]، ومن ثم فإن ما جاء في أسفار العهد القديم بخصوص خلقه آدم عليه السلام هـو نفسه ما جاء في السنة النبوية المطهرة الصحيحة .

والجواب : أن ما جاء في العهد القديم ، غير ما جاءت به السنة النبوية المطهرة من وجوه :

الأول : إن ما جاء في العهد القديم صريح في أن الـرب خلـق آدم علـى صورة الرب ، ومن ثم لا يمكن حمل اللفظ على صورة من صور التـأويل ، إذ العهد القديم يقول : قال الرب نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا تماما [٢]، كمـا يقول أن الله على صورته عمل الإنسان [٣] ، كذلك يقول خلق الله الإنسان علـى صورة الله خلقه[٤] وهي كلها صريحة في أن الإنسان خلق على الصورة الإلهية ومن ثم صار الله ـ عندهم ـ متجسداً بالصورة في الشـكل الإنسـاني، أو أن الشكل الإنساني هو المظهر الذي يعبر عن الصورة الإلهية حاشا لله .

الثاني : أن السنة النبوية جاء نصها صريحاً في أن الله تعالى خلق آدم على صورته ، وطبقاً للقاعدة من عودة الضمير على اقرب مذكور يكون المعنى خلق الله تعالى آدم على الصورة الآدمية ، التي نراها من غير تعديل أو تطويـر ، أو تدريب ، وفيه رد على الداروينية[٥]، ودعاة التطوير وغيرهم،من أولئك الذيـن

(١)الحديث متفق عليه من رواية الشيخين .

(٢)العهد القديم ـ سفر التكوين ١ / ٢٦ ، ٢٧

(٣)العهد القديم ـ سفر التكوين ٩ / ٦

(٤)العهد القديم ـ سفر التكوين ١ / ٣٢ ـ ٣٣ .

(٥)راجع في ذات الشأن كتابنا التطور الإحيائي حيث عرضت آراء أصحاب هذا الاتجاه وناقشـته مناقشـة موضوعية ، كما كرر ذات الأفكار الاخوان الجمهوريون في السودان .

طاشت عقولهم فنسبوا التجريب في الأفعال إلى الله تعـــالى — معـــاذ الله — أو نسبوا الفوضاوية للخلق[١]ونسبوا الخلق للطبيعة الخرساء العمياء وليس إلى الله .

يقول الشيخ ابن الجوزي : بخصوص الحديث الشريف ، وللناس فـــي هـــذا مذهبان: أحدهما السكوت عن تفسيره ، وهو الـــتزام بقـــاعدة التفويـــض فـــي الإضافات[٢]وهو الذى جاء عليه ما يعرف لدى المتكلمين باسم الصفات الخبرية الثاني: الكلام في معناه ، وقد اختلف أرباب هذا المذهـــب فـــي الـــهاء — مـــن صورته — إلى من تعود ، على ثلاثة أقوال :

إحداها : أن الهاء تعود إلى بعض بنى آدم ، ودليل ذلك أن النبي صلـــى الله عليه وسلم مر برجل يضرب رجلاً وهو يقول : قبح الله وجهك ، ووجـــه مـــن أشبه وجهك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه ، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته ، وإنما خص آدم بالذكر ، لأنه هو الـــذي ابتدئت خلقة وجهه على هذه الصورة التي احتذى عليها من بعده، وكأنه نبه على إنك سببت آدم ، وأنت من ولده ، وذلك مبالغة في زجره ، فعلى هذا تكون الهاء كناية عن المضروب[٣].

ويعلق الشيخ ابن الجوزي : بأن إعادة الهاء إلى الله تعـــالى تعتـــبر أمـــرا خاطئاً فيقول ، ومن الخطأ الفاحش أن ترجع إلى الله عز وجل لقـــول الرجـــل

---

(١)كالحال مع الوضعية المنطقية والاجتماعية بل والطبيعية أيضاً ، ولمزيد من التفصيل يمكن مراجعة التفكـــير الفلسفي الإسلامي للدكتور / سليمان دنيا حيث عرض آراءهم وناقشها وبين فسادها .

(٢)يرفض ابن الجوزي اطلاق اسم الصفات الخبرية على اليد والعين والاستواء بالنسبة لله تعالى ويـــرى أنها إضافات .

(٣) قال الشيخ الكوثري أورد الإمام الرازي في تأويل هذا الخبر قوله أن المراد منه إبطال قول من يقـــول أن آدم كان على صورة أخرى مثل ما يقال إنه كان عظيم الجثة طويل القامة ، بحيث يكون رأسه قريباً من السماء فالنبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى إنسان معين وهو المضروب وقال أن الله خلق آدم على صورته أى كـــان شكل آدم مثل شكل هذا الإنسان من غير تفاوت البتة — دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه ص ٤٨ .

ووجه من أشبه وجهك ، فإنه إذا نسبه إليه سبحانه كان تشبيها صريحاً ، وفي صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ، إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه ، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته[1].

من ثم فإن الضمير في صورته لا يعود إلا على الإنسان الذي خلق ، ثم جاء من بعده بنوه ، وليس هناك احتمال لشئ آخر ، ومن ثم فلا معني للقول بأن الله خلق آدم على صورة الله أبداً ، لأن المشابهة مستحيلة ، كما أن فيها الجسمية والمشاكلة ، وهي من صفات الحوادث فلا تكون لله أبداً .

القول الثاني : أن الهاء كناية عن اسمين ظاهرين ، فلا يصلح أن تصرف إلى الله عز وجل ، لقيام الدليل على أنه تعالى ليس بذي صورة ، فعادت إلى آدم ، ومعنى الحديث على هذا ، أن الله تعالى خلق آدم على صورته التي خلقه عليها تماماً لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنية [2].

من ذلك قوله تعالى:" وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ "[3].

وقوله تعالى :" ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ "[4].

---

(١) الإمام الحافظ المفسر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه في الرد على المجسمه والمشبهة ص ٤٨ تقديم الدكتور جمعه الخولي المكتبة التوفيقية بالقاهرة .

(٢)ثم قال عقب هذا الرأي : هذا مذهب أبي سليمان الخطابي وقد ذكره ثعلب في أماليه ، ومن ثم تكون مسئولية ابن الجوزي هي عرض الرأي .

(٣)سورة المؤمنون الآيات ١٢ /١٤

(٤)سورة السجدة الآيات ٦/٩ .

القول الثالث أنها ــ الهاء ــ تعود إلى الله تعالى ، وفي معنى عودها إلـــى الله تعالى قولان :

إحداهما : أن تكون صورة ملك ، لأنها فعله وخلقه،فتكون أضافتها إليه من وجهين : أحدهما التشريف بالإضافة كقوله تعالى "وطهر بيتي للطائفين"[١]وثاني الوجهين أبتدعها لا على مثال سبق ، ثاني القولين في الرأي الثالث : أن تكـــون الصورة بمعنى الصفة ، فتقول صورة هذا الأمر أي صفته ، ويكون خلـــف آدم من صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة ، فميزه بذلك عـــن جميع الحيوانات ، ثم ميزه على الملائكة بصفة التعالي حيـــن أســـجدهم لـــه ، والصورة ههنا معنوية لا صورة تخاطيط[٢].

وقد تعقب ابن الجوزي الآراء الأخرى في المسألة وبين تناقضها ، كما أكد أنها لا يمكن أن تكون مقبولة،لأن فيها إثبات التجسيم أو التشبيه لله تعالى ، كمـــا نعتها بالتخليط والتهافت والقصور ، وبين أن الذات تختلف عن الصورة ، علـــى أساس أن الذات شئ واحد،أما الصورة فما هي إلا هيئة وتخاطيط ، وفيها تأليف وتحتاج إلى من يقوم بذلك كله،والاحتياج على الذات القدسي جل علاه محال[٣] .

وعندي أن الأقوال في المسألة يرجح أولها باقيها لظهوره،وشهادة الظواهـــو النقلية لصالحه ، بجانب مساندة الشواهد العربية له ، وفوق ذلك قدرته على نفي السلوب،وإثبات التنزيه لله تعالى ، بجانب ابتعاده عن التأثر بالأفكار التى لم يكن

---

(١)سورة البقرة الآية ١٢٥، وتمامها :" وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّـــى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" وفي سورة الحج الآيـــة ٢٦ وهي قوله تعالى : "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" فالإضافة إلى الله تعالى من باب التشريف ويقاس على ذلك ما جاءت به السنة النبوية الصحيحة .

(٢)الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي ــ دفع شبه التشبيه ص ٤٩ .

(٣) بل الاحتياج من صفات المخلوقين ، ومن طبيعة المحتاجين ، وهذا من أدلة احتياج المخلوقات إلى الله تعـــالى جل علاه .

مصدرها العقلية الإسلامية ، وعدم وقوعه أسير أفكار لم يثبت صحة انتسابها إلى النقل المنزل من القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة الصحيحة .

إذن اليهود جسدوا الإله الذي يعبدونه في شكل بشري متكامل ، وقدموا العديد من الأمثلة التي جاءت محاطة بشئ من الحركة والانتقال حيناً ، أو الأكل والشرب حيناً آخر ، أو جاءت معها جملة من الارتباطات المعنوية التى هي من ملازمات التجسد الإنساني المتكامل ، كالاختباء والظهور ، والفرح والغضب ، والحزن والسرور .

يقول أصحاب التفسير التطبيقي: إن الله خلقنا مثله تماماً ، وبخاصة بالمعنى الطبيعي ، إننا نعكس مجد الله الذي أعطانا القدرة أن نكون بلا خطيئة ، ونحيى إلى الأبد [1]، ومادام الشاهد هو الإنسان الذي نراه يتحرك ونلمس أطرافه ، ونستمع إليه بآذاننا ونتكلم معه بألسنتنا إلى غير ذلك من العوارض القارة وغير القارة ، فإن الغائب وهو الله تعالى ينقاس ـ في مفهومهم ـ على ذات الإنسان من باب قياس الغائب على الشاهد .

إن العنصر اليهودي يصر على إثبات المثلية لله تعالى مع بعض أفراد البشر في العوارض ، وهو إنزال له من درجة الألوهية التي لا تحد ، فهو تمثيل مقلوب ، وليس إثبات المثلية للبشر مع الله في العلم والمحبة ، وهي الصفات التي ينظر إليها البعض على الناحية الإيجابية ، ونحن نرفضها لأن القاعدة عندنا نحن المسلمين ، أن صفات الله تعالى كأسمائه توقيفية ، وما لم يرد به نص نقلي صحيح فإن عدم الإصغاء إليه هو القاعدة المقبولة ، ولا يجوز بالنسبة لله تعالى وأسمائه وصفاته القول بالرأي أو الهوى .

ولأن اليهود أصحاب تجسيد للإله في الصورة الإنسانية المتكاملة ، فلم ينظروا إلى الإنسان الذكر وحده على أنه الصورة المتجسدة ، وإنما نظروا

---

(١) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ٩ .

للأنثى أيضاً ذات النظرة،وأنها خلقت على صورة الله ، فصارت تجسداتهم للإله ــ من الناحية الإنسانية المتكاملة ــ مذكرة تارة ، مؤنثة أخرى ، لقد خلقـــها الله على صورة الله فلم يخلق الرجل أو المرأة أكثر شبها من الآخر ، وإنما هما معاً صورة واحدة إلهية ، جاءت في أحدهما مذكراً ، وجاءت في الثاني مؤنثاً"[١].

كما أن هذا التجسيد للإله على الناحية البشرية تحركت فيه الهيئة والملامـح وقامت معهم العوارض ، إذ يقص العهد القديم أن الرب رجل حـــرب[٢]ومـــادام الرب رجل حرب ، فلابد أن تكون المماثلة بينهما قائمة في الاستعدادات البدنية، والإمكانات الإضافية من تسليح وتهئ للقتال كراً وفراً ، أو إقبالاً وأدباراً،مما هو من ملازمات الصورة النوعية ، والهيئة البشرية ، وهو الذي عليه اليهود إلـــى يومنا هذا .

ثم إن هذا التجسد تجئ فيه مسألة الشكل العام ، التي تحتاج الاســـتعدادات المتوالية ، بجانب الزمان والمكان والجوارح ، ثم تأتي باقي الملابسات الأخـرى مما تظهر فيها الهيئة ، ويجئ معها التجسد المتكامل ، وهذا مما يوصـــف بـــه الخلائق في مراحل حياتهم سلماً أو حرباً ، ولا يمكن أن يقع شـــئ مـــن ذلـــك بالنسبة لله تعالى على نحو من الأنحاء ، لأن هذه التصورات تتعلـــق بـــذات الله تعالى ، وهو سبحانه قد نهى عن ذلك كله .

من ذلك قوله تعالى: "ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"[٣]وقوله صلـــى الله عليه وسلم تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا ، فالتفكر فـــي

---

(١) بيللى جراهام : الكتاب المقدس التاريخ والمحتوى ج ١ ص ١٥٧ ترجمة حنان صبحي ط أولى ١٩٨٧م .

(٢)العهد القديم ــ سفر الخروج ١٥ / ٣

(٣)سورة الشورى الآية ١١

ذاته سبحانه ممنوع منه ، والعقول تتحير في ذلك ، فإنه أعظم من أن تمثله العقول بالتفكر ، أو تتوهمه القلوب بالتصوير[١].

ربما يقال أن المصادر التي يعزى إليها تجسيم الإله عند اليهود لغوية ، حيث قامت على مفرداتها ، وذلك يمثل تداخلات في الألفاظ وليس في المعاني ، أو بعبارة أخرى يمكن أن يقال ان اليهود مجسمة ألفاظ لا مجسمة معاني ، والجواب أن اللغة هي كل لفظ وضع لمعنى دال عليه[٢].

أو أنها عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني ، فكل لفظ له معنى دال عليه[٣]فالتجسيم الواحد في اللغة يحمل على المعنى أيضاً، مالم تكن هناك قرينة لفظية صادقة أو معنوية تنقله إلى آخر عن طريق المجاز .

إذ اللغة في مفرداتها الأولى وأصولها المعروفة إنما جاءت من عند الله تعالى ، ومن ثم فهي توقيفية[٤]، لقوله تعالى :" وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ "[٥] وكان ابن عباس يقول علمه الأسماء كلها وهي الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ، كما ذكر حصيف عن مجاهد قوله أن الله علم آدم اسم كل شئ[٦].

---

(١)الشيخ ابن احمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ـــ مختصر منهاج القاصدين ص ٣٨٠ ط دار الإمام .

(٢)ذكر ذلك الإمام عثمان بن عمر بن أبي بكر المعروف بابن الحاجب وهو من كبار علماء العربية .

(٣)ذهب إلى ذلك العلامة جمال الدين عبد الرحمن بن حسن الأسنوي في كتاب شرح منهاج الأصول ص ١٣

(٤) ذهب ابن فارس في فقه اللغة إلى أن اللغة العربية توقيفية من عند الله تعالى ، واستدل على ذلك بالنقل والإجماع واللغة أيضاً ، وقال ابن جني وجمع من المعتزلة إنما وضعية إصلاحية لا وحي لها ولا توقيف ، ولكنهم يتراجعون عن هذا القول في كتبهم كثيراً والرأي الأول أرجح لقيامه على النقل والإجماع وشواهد اللغة .

(٥)سورة البقرة الآية ٣١ .

(٦)العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ـــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها الجزء الأول ص ٨ تحقيق محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ط دار التراث بالقاهرة .

فاللغة هي الحاملة للمعاني المعبرة عنها ، وبالتالي فتجسيد الإله عند اليهود يصعب حمله على غير المعهود اللغوي وهم قوم مجسدة للإله في أشكال مختلفة وهو الثابت في أسفارهم وشروح أحبارهم ، ومن الأمثلة عليه :

أ ــ التجسد البشرى لآدم وحواء :

ذكر العهد القديم أن آدم وحواء لما أكلا من شجرة الحياة أختبئا[1] فلما بحث عنهما الرب لم يجدهما ، إذ أنهما لما سمعا هبوب ريح سعيه نحوهما أختبئا من أمامه بحيث لا يعثر عليهما ، فلما لم يتمكن من الوقوف عليهما ، ولم يدرك أثرهما ناداهما حتى يتعرف أماكنهما وأين يختبئان ، فلما أجاباه عرف مكانهما ، ولولا أنهما استجابا له ، وخرجا من صمتهما ما عرفهما،ولا أمكنه الوقوف على أماكنهما .

يقول العهد القديم : وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فأختبئا آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت [1] فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فأختبأت ، فقال له الرب من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت ، فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت ؟ فقالت المرأة الحية عرفتني فأكلت ، فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت

---

(١) يقول العهد القديم وكانت الحية أجمل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ، فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمرة الشجرة التى في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا ، فقالت الحية للمرأة لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تفتح أعينكما وتكونا كالله عارضين الخير والشر ، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهيجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل ، فأنفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فحاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر . سفر التكوين ٣ / ١ــ٨ .

(٢)كأن الرب الإسرائيلي قد تاه منه علمه فلم يعرف أين مكان هؤلاء المختبئين .

مر جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ، على بطنك تسعين وترابا تـــأكلين كل ايام حياتك ، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يســـحق رأسك وأنت تسحقين عقبه[1].

فالعهد القديم جسد الرب في شكل الإنسان ، أو جعل الإنسان في شكل الرب لقد مزج بينهما أو جسد كلا منهما تجسيداً كاملاً ، فما صار العهد القديم قـــادراً على التراجع وإثبات التنزيه لله بعد أن جعل التجسيم أمراً ثابتاً لـــه ، أو قـــاعدة عامة عنده يحتكم إليها ، بدليل أن هذا الرب تنسم رائحة الرضا عندما بنى نـــوح مذبح الرب ، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة ، وأصعـــد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا ، وقال الرب في قلبه لا أعـــود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان(٢) ، وذلك من الأدلة على أن الـــرب فـــي العرف اليهودي متجسد في شكل إنساني متكامل ، معاذ الله من هذه التصـــورات الساذجة التي تمثل الكفر بالله رب العالمين .

ب ــ تجسدات الرب لأبرام :

كما أن العهد القديم يجعل الرب يظهر لابرام في صورة متجسدة حينما كان مجتازا أرض حاران التي امتلكها[3]إلى أرض كنعان التـــي يطلبـــها ، وكـــان الكنعانيون حينئذ في الأرض[4]وظهر الرب لابرام وقال لنســـلك أعطـــي هـــذه الأرض، فبنى إبرام هناك مذبحا للرب الذي ظهر له[5].

---

(١)سفر التكوين ــ ٣ / ٨ ــ ١٦ . (٢) سفر التكوين ٨ / ٢٠ ــ ٢

(٣) يذكر العهد القديم أن ابرام ابن تارح لم يكن وحده ، وإنما كان معه امرأته ساراي ولوط ابن أخيه هـــاران بن تارح وكانت سن ابرام آنئذ خمسا وسبعين سنة ولم يكن معهم الرب ، بل ولم يظهر لهـــم ، لكنـــه يفـــاجئ القارئ بجعل الرب يظهر بعد ذلك في أرض الكنعانيين لابرام وحده ــ سفر التكوين ١٢/ ١ ــ٦ .

(٤)وبالتالى فوجود الكنعانيين ــ فلسطين ــ في هذه الأرض سابق على نزول ابرام إليها ، كما أن إبرام حـــين أقام بها لم تكن مملوكة له ، وإنما قام باغتصابها بناء على أوامر الرب له .

(٥)سفر التكوين ١٢ / ٦ ــ ٨ .

يقول ليوتا كسيل لقد جاب رحالتنا ومن معه طويلا في السهول الرملية القاحلة ، ولكي يشجع العجوز نفسه ويرسخ إيمانه أقام مذبحاً للرب يهوه في المكان الذي ظهر له الرب في وسط الصحراء ، وشرع يرفع الصلوات إليه متوسلاً أن يقوده إلى المكان المنشود بأسرع وقت [١].

لم يكن ظهور الرب لابرام ظهورا قلبيا أو روحيا ، أو رؤى ارتآها في المنام ، أو إلهاما عبر عنه ، وإنما كانت ظهوراً جسدياً متكاملاً شاملاً لكل الأطراف والأعضاء ، إذ لم يكن إبرام قد تمكن من معرفة الرب إلا في هذه الظهورات التي تقع لعينيه وفي مرماهما ، ويد يه بحيث يتحسس أجزاء كل منهما ، لقد كان بإمكان ابرام أن يمسك على يدي الرب ، وأن يمهد ليعقوب ويصارعه حتى بزوغ شمس النهار[٢].

لقد أسرف العهد القديم في ذكر العلاقة بين إبراهيم والرب يهوه الذي ظهر له كثيراً جداً [٣]وكان إبرام في بعض الأوقات يعاتب يهوه عتاباً شديد اللهجة ويلومه لوماً عنيفاً ، ولم يكن الرب يشعر بأن إبرام يسئ إليه ، بل على العكس كان الرب يبتسم لعتاب إبراهيم ، ويقابله بتحقيق الآمال التى يطلبها[٤]لقد كانت علاقتهما معاً متوازنة إلى أبعد مدى ، بل وكانت هذه العلاقة تتخذ أشكالاً متعددة لكنها معقولة من جانب الرب الذي سخر لتنفيذ طلبات إبرام على الدوام[٥].

---

(١)ليوتاكسيل ـــ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٨٠ .

(٢)جو تفريد هولمز ـــ قراءات في الكتاب المقدس ص ٧١ ترجمة هناء يسري مطبعة بابل بالعراق ص ١٩٦١م

(٣)وسفر التكوين فيه الكثير عن هذه الظهورات المتجسدة من كل ناحية وبخاصة الاصحاحات الـــق تلـــي الخامس عشر .

(٤)من ذلك قال ابراهم أيها السيد الرب إنك لم تعطني نسلاً ، وهوذا ابن بيتي وارث لي فقال الرب له بـــل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك ـــ سفر التكوين ١٥ / ٣ ـــ ٤ .

(٥)جو تفريد هولمز ـــ قراءات في الكتاب المقدس ص ٧٣ .

ولما أتم ابرام تسعاً وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام ، وقال له أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً ، فسقط ابرام على وجهه ، وتكلم الله معه قائلاً فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكـــون اســـمك إبراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم[١] .

وامرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها من الآن سارة لأني ســأباركها ، وأعطيك منها أبناء أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونـــون ، فســقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال هل يولد لابن مائة سنة ، وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة[٢].

لقد كان يهوه رقيقاً مع إبراهيم ولم يكن إبراهيم في نفس رقة يهوه، بل ظهر يهوه كأنه يلح على إبراهيم في قبول صداقته ، واستمرار تلك الصداقة أو علـــى الأقل المحافظة عليها،ولكن على ما يبدو قد صمم إبراهيم على انفصام عراهـا ، فتخلى عن يهوه الذي ظهر له كثيراً ، وأذل نفسه في سبيل إرضاء صديقه .

ومن ثم فقد قرر يهوه العجوز أن يحضر ومعه رفيقان إلى إبراهيم لاصلاح ما فسد ، وترميم الجسور التي أوشكت على التداعي ، وبينما كان إبراهيم جالساً في باب الخيمة وقت حر النهار ــ بعد ما أقام خيمته عند بلّوطات ممـــراً ، إذا بثلاث رجال واقفين لديه ، فلما نظر إليهم هم لاستقبالهم من بـــاب الخيمـــة [٣] وطلب إليهم الدخول عنده حتى يأخذوا قليلاً من الماء ويغسلوا أرجلـــهم ويتكئوا تحت الشجرة [٤]ثم يقدم إبراهيم لهم كسرة خبز يأكلونها فيسندون قلوبهم بها ، ثم يجتازون فأجابوه قائلين هكذا نفعل كما تكلمت[٥] .

---

(١)العهد القديم ــ سفر التكوين ١٧ / ١ ــ ٦ .

(٢)العهد القديم ١٧ / ١٥ ــ ١٧ .

(٣)وكانت تلك العادات قائمة عند استقبال الضيوف وبخاصة إذا كانوا غرباء .

(٤)رانو فيتش ــ المختصر في تاريخ الدين اليهودي القديم ص ١٣٧ ترجمة فايز الصائغ ص ١٩٣٧م .

(٥) العهد القديم ــ سفر التكوين ١٨ / ٢ ــ ٥

أجل لقد اعتبروا الإله أحد الرجال الثلاثة الذين ذهبوا إلى إبراهيم لم يفترق عنهم ، بل كان واحداً منهم له كل التجسدات البشرية ، بل أكدت أسفار العهد القديم أن الرجال الثلاثة — ومنهم الإله ذاته — لم يكونوا عارفين بمكان سارة التي كانت واقفة قريباً منهم ، بل وكانت سامعة لأنها كانت واقفة في رباب الخيمة ، إنها كانت تقف خلف زوجها ولم يعرفها الرب الذي حضر مع رفيقيه إلى إبراهيم .

فهل يمكن بعد هذه المفاهيم الخاطئة والتجسدات الصارخة — القول بأن العهد القديم لم يكن يقصد التجسيم للذات الإلهية على ناحية المعنى اللغوي ، أم أن هذه التجسدات هي الطبيعة التي جرى أمرها في الديانات الوثنية ، وقامت منتصبة في أسفار العهد القديم ، وعقول القائمين عليه .

لكن هل لله تعالى رب العالمين ظهورات وتجسدات بحيث يكون واحداً من الرجال الثلاثة والله تعالى منزه عن ذلك كله ، إذ لو كان متجسداً لكان في مكان وجهة، والله تعالى منزه عنها،فهو جل شأنه المتعالي عن الزمان والمكان والجهة — سئل الإمام على كرم الله وجهه هل لله زمان فقال أن الذي زمن الزمان لا يقال له زمان ، الذى مكن المكان لا يقال له مكان ، والذى خلق الجهات لا يقال له جهات [1]. فلو كان لله تعالى ظهور مادي وتجسد محسوس ، لكان تجسد لما محتاجاً إلى أجزاء هذا التجسد ، والمحتاج لا يكون مستغنياً ، وإلا كانت الأمور مقلوبة الرأس والعقب ، لأن الله تعالى هو الغنى أما غيره فهو المحتاج تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً ، كما أن مجئ الله تعالى لإبراهيم مع الرجلين يفيد الحركة المتجسدة في الذهاب غدواً ورواحاً ، وجلوساً وإتكاءا وليس هناك أكثر جهلاً ممن يعتقد ذلك في الله تعالى ، أو يتصور جلوسه تحت الشجرة وغسل يديه ورجليه أو الأكل .

---

(١)الشيخ عبد العظيم سلطان الجمل — أولياء الله ص ١٩٥ ط أولى ١٣٢٣هـ .

إنها أوهام نمت في عقول كل القائلين بها ، كنتيجة لأثر التراث الوثني في أسفار اليهودية ، والمؤسف له أن بعض مفكري المسيحية يؤكدون هذه الفكرة الساذجة ، حيث يقول أحد رجالاتها لم يختر الله أن يظهر لإبراهيم ويكلمه فقط ، وإنما حل عليه كضيف كما يقول الكتاب المقدس ، إعلاء لمقام إبراهيم ، وتكليماً لخليله وإظهارا لعلاقته به وحبه له [١].

ج ــ ظهور الرب لاسحق :

ذكر سفر المفاجآت في العهد القديم أن اسحق تزوج رفقة بنت بنوئيل الآرامي أخت لابان من فدان آرام ، ولما كانت رفقة عاقراً فقد صلى اسحق للرب الذي استجاب له فحبلت رفقة بولدين وتزاحم كل منهما مع الآخر في بطن أمه فسألت الرب عنهما فأخبرها أن في بطنها أمتين ، ومن أحشائها يتفرق شعبان ، شعب قوي على شعب ، وكبير يستعبد لصغير [٢] .

ولما كملت أيام حملها ولدت غلامين،كان الأول أحمر له فروة تغطي جسمه كفروة رأسه،وبالتالي اختاروا له اسما يتناسب مع جسمه،فأطلقوا عليه اسم عيسو بينما ولدت توأمه وهو قابض على عقب أخيه عيسو ، فأطلقوا عليه اسما يتناسب مع وصفه ، وكان هذا الاسم يعقوب امسك[٣] .

كان عيسو شاباً فتياً يعرف الصيد إنسان البرية،الذي يكسب قوته بعرقه،أو من ثم فكان أبوه يحبه لأن في فمه صيدا ، وأما توأمه يعقوب فكان كسولاً يسكن

---

(٢)القس حبيب سعيد ــ خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام ص ٥٢ ، ٥٣ مطبعة النيل دار التاليف والنشر الكنيسة الأسقفية بالقاهرة عام ١٩٥٩م وله بعض المؤلفات تتبنى الكنيسة الاسقفيه القيام بنشرها حتى وان احتاجت مشاركة أو مساهمات نشر أخرى ، وهو من الشواهد على أنه معدود فيما بينهم ضمن رجالات الفكر.

(٣)سفر التكوين ٢٥ / ٢١ ــ ٢٣ وهكذا وقعت لها البشارة ، لأنها استطاعت أن تكلم الرب الذي سمع كلامها واستجاب لها .

(١)سفر التكوين ٢٥ / ٢٤ ــ ٢٦

الخيام ، وكان يعاون أمه في أعمال المنزل ، ولذا أحبته أمه رفقة فصار الولدان ممزقين بين مشاعر الوالدين المتعارضة [١].

يحدث بين الولدين تنازع فيعود الصياد بلا صيد،وهو متعب منهمك ، بينما الكسول يبرزه العهد القديم بالمنعم عليه الذي يجني ثمار كسله طعاماً لذيذاً فيه طبيخ أحمر ، ويطمع الصياد في طعام أخيه ، ويعلل حاجته إليه بأنه عيي، ولكن توأمه يخالف الطبيعة البشرية ، كما يخالف الأعراف الاجتماعية[٢]فيعمل على ابتزاز توأمه ويسأله البكورية ــ التي كانت تعطى للابن الأكبر ــ مستغلاً ظروفه القاهرة .

ويقرر عيسو التخلي عن البكورية مقابل كسرات خبز ، ولقيمات من طبيخ العدس ، فلما أعطى الطعام أكل وشرب وقام من جلسته ، ثم مضى إلى حال سبيله محتقراً البكورية التي كادت المحافظة عليها أن تهلكه[٣]ويالها من بكورية رخيصة ، وكرامة مبتذلة ، لم يقع لها التساوي مع كسرات خبز .

---

(١) ولست أدري كيف استساغ كاتب هذا السفر إمكانية وأد الطبيعة البشرية ، التي جعل عنوانها محبة قلبية في نفوس الوالدين نحو أبنائهما ، رغم إعلان وهب بن منبه أنه وجد في التوراة مكتوباً : يا ابن آدم جعلت لك قراراً في بطن أمك وغشيت وجهك بغشاء لئلا تنفر من الرحمْ ، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام ، وجعلت لك متكئاً عن يمينك ومتكئاً عن شمالك فالذي عن يمينك فالكبد ، وأما الذي عن شمالك فالطحال ، وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك فهل يقدر على ذلك غيري ، فلما أن تمت مدتك أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه ، لا لك سن تقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى به ، فانبعث لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لبناً خالصاً حاراً في الشتاء بارداً في الصيف ، وألقيت محبتك في قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد ، فلما قوى ظهرك واشتد أزرك بارزتني بالمعاصي في خلواتك ولم تستحي مني ، ومع هذا إن دعوتني أجبتك وإن سألتني أعطيتك ، وإن تبت إلى قبلتك ، وأنا ارحم بعبادي من الوالده بولدها ــ الشيخ الفشني شرح الفشني ص ٢٥ .

(٢) لأن الأعراف الاجتماعية تقضي بأن يمد الغني يده للفقير ، ويعين القادر العاجز ، فما بالهم بدلوها في أسفارهم ألا يدل ذلك على أن كتابها أغرقوا أنفسهم في الوهم .

(٣)سفر التكوين ٢٥ / ٢٧ ــ ٣٤

ولكن الذي يدهش هو أن يترك الرب إسحاق وذريته في جوع شديد ، فيندفع إسحاق رجل الرب إلى أبيمالك ملك الفلسطين ، وحينئذ يظهر له الـــرب قـــائلاً لإسحاق لا تنزل إلى مصر ، ولكن اسكن في الأرض التي أقول لك ، تغرب في هذه الأرض فأكون معك وأباركك[1]، وبالتالي شخص الرب لإسحاق في تجســد كامل وظهور واضح ، كالذي تم مع أبيه إبراهيم .

لقد نسى كاتب السفر أن ظهور الرب لإسحاق وحديثه معه،لو كان خالياً من التجسدات البشرية بعيداً عن الصفات والنعوت التي تجري في العادات والطبــائع البشرية أو التجسدات التي تقع في الحيز والمكان ، تخضع للهيئات ، ربما كان بالإمكان على بعض الوجوه التي قد تتسع لها اللغة ، لكنها العقلية التي ارتضعت الوثنية إلى آخر رشفة .

د ـ تجسد الرب لمصارعة يعقوب :

إنها لمسألة رائعة حقاً لو حكيت على أنها من باب الأساطير ، أو القصــص العبثية أو الخرافات ، أما ان تتم حكايتها على أنها من قصص كتاب مقدس،فهذا يجعلها محل سخرية ، حيث يقرر سفر التكوين أن الرب تجسد ليعقوب،وظهر له عدة مرات،ومنها أن يعقوب حينما كان عائداً من غربته في بيت خالـــه لابـــان الآرامي ، ومع يعقوب إمرتاه ، وجاريتاه وأولاده الأحد عشر ، وقـــد أجـــازهم الوادي ليلاً ، وأجاز دوابه وأمتعته مخاضة يبوق ، واطمأن إلـــى أن الجميـــع اجتاز هذه المنطقة ، إذ بالموقف يتغيرمعه قليلاً فيمكث يعقوب وحده فـــي ذات المكان الجزء المتبقي من الليل وظل يصارعه إنسان الرب حتى طلوع الفجر.

ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فـــي مصارعته معه ، وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر،فقال لا أطلقك إن لم تباركني ،

---

(١) سفر التكوين ٢٦ / ١ ـــ ٣

فقال له ما اسمك قال يعقوب ، فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله ، والناس وقدرت[1].

يقول ليوتاكسيل أن اسم إسرائيل الذي منحه يهوه ليعقوب هو اسم أحد ملائكة الميثولوجيا الكلدانية ، وتفيد الخرافة الإسرائيلية بأن اسم إسرائيل يعني القوي ضد الله ... ثم يقول ومهما كان الأمر فليس بمقدورنا أن نقرأ هذه القصة دون أن نبتسم ٠٠ على وصف لإنسان تساوي قوته قوة إله من الآلهة ، أما هنا فيعقوب لم يصمد في وجه الإله يهوه وحسب،بل انتصر عليه أيضاً،بغض النظر عن أنه خلع له حقه[2].

على أن فكرة تجسيد الرب في إنسان يصارع يعقوب ، إنما هي أسطورة خيالية نقلت من الآثار اليونانية ، كما أقتبس جزؤها من أسطورة صينية قديمة عرفت باسم صراع المجهول ، وتقوم على فكرة أن إنسانا ما ظل يصارع المجهول حتى تمكن من اختبار قدرته فى مواجهة ذلك المجهول ، والانتصار عليه ، وكان ذلك يؤدي مهام كثيرة لتنمية الخيال في الأسطورة .

بيد أن هذه التصورات تكشف عن فكرة مطوية في ضمير الفرد اليهودي ، كما أنها حفرت في أعماقه بشكل متوال ، وبالتالي نظر إلي نفسه على أنه مساو لله تماماً بل يزيد عليه ، بدليل أنه استطاع هزيمته وانتزاع البركة منه رغماً عنه .

ولست أدري هل يكون إلها ذلك الذي يجبر على إفاضة أنعمه، ولو لم يوفق إلى ذلك، هل يكون إلهاً ذلك الذي يجبرعلى فعل شئ أو الكف عنه، مع أن ذلك مما لا يرضونه لآحاد الناس،فما بالهم يرتضونه على الإله رب العالمين.

---

(١) سفر التكوين ٣٢ / ٢٢ ــ ٢٩ وظهر الله ليعقوب حين جاء من فدّان أرام وباركه وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل فدعا اسمه إسرائيل سفر التكوين ٣٥/٩ـ١١

(٢)ليوتاكسيل ــ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ١٣٥ .

لقد تحولت الجماعات اليهودية عن العقيدة الإلهية التي جاءهم بها نبـــي الله موسى بن عمران فعددوا في العقائد ، كما عددوا في ذات الإله ، ولما عـــددوا الذات الإلهية فقد فرض عليهم ذلك التعدد التماس التجسدات للذوات التي عددوها ولكن التجسدات لم تنحصر في نوع معين أو شكل بذاته ، لأنهم شعب فقد القدرة على الفهم .

يقول ابن تيمية قال الله لأشعيا أذهب إلى هذا الشعب ، فقل لهم تسمعون ولا تفهمون ، وتنظرون ولا تبصرون ، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ ، وقد ســمعوا بأفهامهم سمعاً ثقيلاً ، وقد غمضوا أعينهم لئلا يبصروا بها ، وسمعوا بآذانهم ولا يفهمون بقلوبهم[1]، لقد ذهبوا إلى الوثنية بكل ما لديهم من قدرة ، وسعوا إليـــها في كل أمورهم ، ومن ثم لم يكن لديهم استعداد لترك هذه الوثنيات مهما كـــانت الظروف .

٢ _ **تجسيد الأطراف والجوارح :**

كما جسد اليهود الرب إلههم في شكل إنسان متكامل الأعضاء والأطراف ، فكذلك فعلوا به في تجسد الأجزاء والأطراف والجوارح ، حيث صنعوا تمـــاثيل إلهية تبرز فيها الرأس،والعينان،بجانب الأنف والفم واليدان ، بل وباقي الأطراف الأخرى ،كما تتمثل فيها الضخامة أحيانا من كل ناحية ، وأحياناً يأتيها الضعـف من كل ناحية أيضاً ، طبقاً لما يجري في أعرافهم ، أو تســـمح بـــه خيالاتـــهم وتصوراتهم ، ومن ثم يمكن القول بأن اليهود إنما يجسدون تصوراتهم أنفسهم .

كما صنع البوذيون حينما أقاموا لبوذا معبودهم تمثالاً،له رأس إنسان ويدان زاعمين أن روح بوذا دخلت جسم التمثال فتحركت فيه حركة خفية غير مرئية ، لكن تجئ ملامح وجود هذه الحركة في أشكال متعددة من كـثرة الأمطــار ، أو

---

(١) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية _ الجواب الصحيح لمن بدل ديــن المســيح ج ٢ ص ٢٢٦ تقديم علي السيد صبح المدني ط مكتبة المدني _ جدة .

ارديا الثمار عند فرحه ، أما إذا غضب فإن الحال يختلف حيث تقع الـــر لازل وتظهر البراكين ، كما تقع المناقص في الزروع والثمار وباقي النباتات(١)

ونظراً لأن اليهود في مراحلهم التاريخية ، قد ساكنوا الأمم الوثنية ، ونقلوا منهم أو اقتبسوا عنهم تلك الاعتقادات الوثنية ، فإنهم لم يعتبروها مجرد اقتباسات وإنما اعتبروها من الأصول القائمة عندهم ، وتم تسجيل هذه وتلك في مصادرهم التي يتمسكون بها ، وينظرون إليها نظرة احترام وتقدير . بل يعلمونها أفرادهم من غير تفرقة في النوع ، أو المرحلة العمرية ، ومن غير أن يقـــع علـــى ذات الاعتقادات أي لون من ألوان النقد أو الانتقاد ، كما لم يفرقوا بين كونها عقـــائد وثنية لا يمكن التخلي عنها ، أو جوانب معرفية يمكن التخلص منها(٢)

والقارئ العادي يدهش من هذه النتائج ، لأن اليهود يعلنون على الدوام أنهم متفوقون علمياً وثقافيا ومعرفياً ، ودينياً ، كما يزعمون قدرتهم الخارقـــة علـــى الإبداع والنقد بل والموازنة السليمة بين المعروض من الأفكـــار ، فـــأين هـــذه النتائج الملموسة في كتبهم ، من المزاعم التي تجري في أفهامهم وكتاباتهم التـــي عبرت عنها أسفار التلمود والبرتوكولات في شكل رسمي .

يقرر ميلتوس أن تجسد الإله في اليهودية،إنما هو أمر طبيعي قائم في عقولهم يتوارثونه فيما بينهم ،لأنهم عاشوا حياة تعسة في أغلب مراحلهم، وكانوا يلاقون العنف والإهمال ، ويشعرون بالظلم والاضطهاد، فقد طمعت نفوسهم في مخلص قوي يجيئهم من بني جنسهم،بحيث تكون لهم معه الغلبة ، واليد العليا على هذه

---

(١)الدكتور صبري حسن الخواص ــ العقائد الوثنية في الشرق القديم ص ١٢٣ ط أولى ١٩٦١م .

(٢)والفرق بينها أن العقائد الصحيحة إنما تكون آتية من قبل الله تعالى،ومن ثم فيجب على المؤمن التزامها على ما جاءت به ، مع إمكانية تفهم بعض الجوانب من الناحية النقلية والتسليم بالباقي أو الغالب علـــى الناحيـــة التعبدية أما الجوانب المعرفية فإنما هي اتجاهات قامت بها العقول بعضها يقبل متى كان صحيحاً والآخر يرد مـــتى كان غير صحيح .

الأمم القاسية عليهم المضطهدة لهم [١]وكان ذلك الأمل يتجدد في نفوسهم جيلاً بعد جيل ، ومتى ازدادت عليهم الضغوط ، تجددت فيهم الآمال القائمة على هذا المنقذ القوي أو المخلص العظيم .

فلما تأخر مجئ هذا المخلص القوي ، والمنقذ العظيم على أرض الواقع المعاش ، اعتقدوا أنه مقيم بالسحاب ، وأنه لابد أن يأتيهم لانقاذهم وحدهم وتحقيق الغلبة لهم[٢]، ومن ثم حاولوا تقريب هذه المفاهيم ، فأعطوا إلههم نفس صفات المخلص التي نمت في خيالاتهم ، وكان لابد أن يجعلوا له أطرافاً من يد ورجل وعين وطول وعرض وحركة،بما يتناسب مع الآمال التي علقوها عليه[٣] وكانوا في ذلك كله يقلدون الأمم الوثنية في اعتقاداتهم ، ثم يضيفون إليها ما جارت به قرائحهم ، التي كلفوها القيام بهذه الواجبات .

فإذا كانت فكرة المخلص اليهودي القوي،قد أرتسمت في خيالاتهم من خلال الأطراف والجوارح من كل ناحية ، فإن الإله نفسه أنزلوه من عليائه ، وأحلوه محل المخلص ، ثم نعتوه بالنعوت التي كانوا قد تصوروها لذات المنقذ الذي بعد

---

(١)انطونيوس ميلتوس ــ الإله التوراتي ص ٤٥ ترجمة صابر رزق ط أولى ١٩٣٧م .

(٢)الشيخ محمد عبد العظيم فليفل ــ اليهود والعقائد الوثنية ص ١٣٧ مطبعة فرج زكي ١٣٣٣هـ .

(٣)الدكتور صبري حسن الخواص ــ العقائد الوثنية في الشرق القديم ص ١٥٧ والشيخ محمد فليفل ــ اليهود والعقائد الوثنية ص ١٣٨ وما من شك في أنهم كلما قلدوا الآخرين في اعتقاداتهم كلما حاولوا الإضافة إليها بحيث تكون في يوم ما خالصة لهم ، أو بعيدة كل البعد عن الاتجاهات القائمة في أفهام غيرهم ، إنهم يعملون على إبراز تفوقهم عن الآخرين ، والامتياز المتعالي بغرض إثبات كونهم أبناء الرب ، وتأكيد قدرتهم على الإنابة عنه ، وبالتالي يحق لهم قيادة العالم كله ، بل يعتبرون هذه القيادة للعالم أبسط حقوقهم الطبيعية لأن العالم ــ من وجهة نظرهم ــ نوعان : الأول النوع اليهودي وهو المتميز الذي لا مثال به ، هم السادة والملوك ، الثاني : غير اليهودي وهم الأمميون الذين خلقوا لخدمة النوع الأول وبالتالي فكل الحقوق والمميزات للأول وعلى الثاني كافة الواجبات التي تفرض من قبل النوع الأول ، وهو البهتان بعينه ، لأن الله الخالق العظيم قال :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" . سورة الحجرات الآية ١٣ .

عنهم ، ولم يأتهم ، رغم مرور العديد من السنوات وهم ينتظرونه ، بـــل إنـــهم مازالوا إلى اليوم على أمل أن يفاجئهم ويأتي ، ومن ثم فإن تجسيدهم لــــه فـــي أطراف ضخمة ، إنما يعبر عن ما هو قائم في نفوسهم .

ويعلل دوهان ضخامة الأطراف والجوارح في تجسدات الإلـــه التوراتـــي اليهودي ، بأن النفوس المهزومة من الداخل ، لا تتوقع النصرة من ضعيــف أو مريض،أو من جامد في مكانه ، بل ولا تتوقعه من خائف ، وإنما تبحث عنه في ذي البطش والشدة والقوة ، ومن ثم فلابد أن تكون جوارحه وأطرافه كبيرة جـداً مخيفة لكل من ينظر إليها ، بحيث يتحقق بها ما ينشدونه فـــي معتقدهـم[١]وإلا فكيف يرجون النصرة منه والغلبة ، وهو غير قادر على تحقيق شئ من ذلـــك متى كانت له أطراف نحيلة ، أو جوارح صغيرة .

إنهم في تصوراتهم هذه أقرب شبها بأصحاب الطفولة العقلية الذين يلـــهون بعيداً عن محال إقامتهم،فإذا اعتدى كبيرهم على صغيرهم ، ولم يجد الصغير من نفسه القدرة على دفع أذاه ، فإنه يلجأ إلى خياله يرسم فيه ذاته ، عندمــــا يكـــبر وتكون له عضلات مفتولة قوية ، وحينها يثأر لذاته ، وينال من مؤذيه بقدر مـــا ألحق به ويزيد عليه [٢]، أو يتوقع إقبال شخص كبير يمت له بصلة ، فيقتص له من ذلك الذي آذاه[٣]، وما هي إلا أحلام أطفال .

وربما استثمر خياله أكثر من ذي قبل ، حتى صار يلاحقه ويفضي إليه في حديث داخلي أو منولوج نفسي ، وقد يبقي هذا الخيال ما بقي لذات الحالم مـــن عمر ، فيعيش في وهم كاذب ، وحلم خادع ، ويجري خلف سراب الأوهـــام ، بحيث لا يعرف كيف يخرج منه ، أو ينصرف عنه ، وحينئذ يتحول إلى مريض

---

(١)جون دوهان — اليهود واعتقاداقم ص ٢٢٣ .

(٢)فرانك هيلز — الشخصية غير السوية وأثرها على المجتمع الإنتاجي ص ١٥٧

(٣)الدكتور محمد السيد فليفل — النفس في القرآن الكريم ص١٢٢ .

س نوع جديد ، تطارده الأوهام ، وتقض مضجعه الهموم والأحلام[١]، وربمـــا انحدر إلى الأعماق فغلبت عليه فكرة الأنا الأعلى ، وبالتالي يعيش منبوذاً مـــن أفراد المجتمع ، لأنه أعلن عداءه لهم ، من غير أن يكون هناك مبرر لهذا العداء سوى الانكسار النفسي، والهزيمة الداخلية [٢] والأحلام الوهمية ، بجانب العجــز عن مواجهة الواقع المعاش على أرضه .

يقول الدكتور مصطفى محمود : إن الصورة التي صورتها التوراة اليهودية للإله صورة غريبة مليئة بالتشويش ، فهو يفعل الفعل ، ثم يندم عليه ، بعــد أن **يتبين له أنه أخطأ ، وهو يفرح برائحة الشواء ، ويدركه التعب ، وإذا اشـــتغل** بعض الوقت فإنه يحتاج إلى الراحة[٣]، ومن ثم فإن هنالك تجسدات جزئية للإلــه في الصورة البشرية،على ما تصوره المفاهيم اليهودية من مظاهر هذه التجسدات البشرية الجزئية .

أ ـ تجسد العين الجارحة للرب :

يقرر الإسرائيليون أن للرب عيناً جارحة،كعيون البشر،لها جفنان ورمــوش تمرض وتصح ، لها أجزاء مركبة منها وتحتاج إليها ، وهي مجســـدة تجســيدا كاملاً ، وهو مما ورد في النصوص الكتابية عندهم ، يقول سفر الإخبار أن عين الرب تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه[٤].

إنها عين تتحرك في كل اتجاه ، وتبصر طاقة ما تتمكن منــــه ، أو هـــي تبصر في حدود إمكانياتها ، تفتح وتغمض وتدمع،إلى غير ذلك مما يقع للأجزاء

---

(١)توماس هيوز ــ الفروق الفردية بين غير الأسوياء ص ١٣٥ .

(٢)الدكتور عبد العظيم محمد بدوي ــ الطب النفسي ص ١٧١ ط أولى بغداد ١٩٥٦م .

(٣)الدكتور مصطفى محمود ــ التوراة ص ٣١ ط دار العارف بالقاهرة .

(٤)العهد القديم ــ سفر أخبار الأيام ــ الثاني ١٦ / ٩ .

البشرية في بني الإنسان وبعض الحيوان الذي يشارك الإنسان في ذلك،تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

كما يذكر العهد القديم جفني الرب قائلاً : الرب في هيكل قدسه ، في السماء كرسيه ، عيناه تنظران ، أجفانه تمتحن بني آدم [١]ومادام اليهود قــد تصـــوروا الههم على ناحية تجسدية فإن عينه كذلك ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

أما عندنا نحن المسلمين فان لله عينا،ورد ذكرها في القرآن الكريم،من مثل قوله تعالى:" وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي"[٢]ولكنها عين لا كعيوننا ، وإنما بمــا ينـاســب الباري جل علاه .

ومن ثم قال العلماء من أهل الإسلام إنها عين بلا كيــــف ، وهـــي مـــن الصفات الخبرية[٣]الذاتية الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة[٤]، فهي صفة لله تعـّالى أو إضافة من غير تشبيه ، ولا تمثيل ولا تجسيم ، لأن ذات الله غـــير مدركـــة بالحواس ، وصفاتها كذلك لا يتبع لها مصدر،وإنما يجب التسليم بما أخبر الله في كتابه أو جاء على لسان رسوله الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل أو تجسيم وإنما لابد من تفويض الأمر لله .

ب ــ تجسيد الأنف والفم والأذن :

يقول العهد القديم أن الرب غضب فصعد دخان من أنفه ، ونار من فمه [٥]

---

(١)العهد القديم ــ سفر المزامير ــ المزمور ١١ / ٤ــ٧

(٢)سورة طه الآية ٣٩ .

(٣)ويطلق عليها الإمام ابن الجوزي اسم الإضافات ،ويعتبر من يسميها أخبار الصفات قد وقع في الخطأ فيقول : إنهم سموا الأخبار أخبار صفات ، وإنما هي إضافات ، وليس كل مضاف صفة ، فإنه تعالى قال :" ونفخت فيه من روحي وليس لله صفة تسمى روحاً فقد ابتدع من سمى المضاف صفة ــ ابن الجوزي ــ دفع شبه التشـــبيه بأكف التنزيه ص ٢٩ المكتبة التوفيقية .

(٤)محمد أمان بن على الحاجي ــ الصفات الإلهية في الكتاب والسنة ص ٣١٧ ط دار التقوى .

(٥)العهد القديم سفر صموئيل الثاني ٢٢ / ٩ .

فالرب في الأفكار اليهودية ، له أنف وله فم ، لكن أنفه وفمه يقتربان في الأداء بمعنى أنه إذا كان الأنف يصدر منه الدخان عند الغضب ، فإن مهمة الفم أن تخرج منه النار ، فكأنهما معاً يتعاونان في إخراج النار والدخان ، وهذا تجسيد متجزئ للرب على شكل إنسان تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

أما الأذن فقد جاء في سفر العدد قوله بكيتم في أذن الرب قائلين من يطعمنا لحماً ، لقد كان الخير كله في مصر [1]، ولما كانت العبارة لا تحتمل سوى الأذن المتجسدة التي تمكن الكائن المخلوق من الاستجابة للآخرين متى رفع له نداء ، فإنهم قد شبهوا الرب بالكائن المخلوق مع ما فيه من ضعف ، واحتياج تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

ج – تجسيد الرأس والرجل :

يقرر اليهود أن للرب رأسا متصفة بالثقل حيناً ، والخفة أخرى ، وأن القدح والمدح يجعلانها راضية أو كارهة ، يقول التلمود : وحين يسمع الرب تمجيد الناس له يطرق رأسه ، ويقول ما أسعد الملك الذي يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك [2] ، ويقول دوهان لقد جسدت التوراة إلهها من كل ناحية ، وقطعته أجزاء عديدة،فجعلت له رجلا مشعرة وأخرى ملساء، ورأسه مطرقة ، وعباءة بلهاء ما أتعس هذا اليهوه الذي خذله اليهود حتى في أوصافه التي بخلوا بها عليه[3]وليتهم استمروا في بخلهم بدل الطعن عليه ، ونسبة النقائص إليه .

ويقول دوان : إن التوراة حملت من الخرافات الكثير ، لقد تصور كتابها غير المقدسين الرب يهوه العجوز في صورة شاب فتي له ساقان طويلان،ورأس مدراس، وما خرجت أفكارهم عن الديانات التي اقتبسوا منها ، ونسبوها زوراً

---

(١)العهد القديم – سفر العدد ١١ / ١٨ .

(٢)الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٥٥ ترجمة يوسف نصرالله ط أولى دار القلم دمشق ١٩٨٧ م .

(٣)جون دوهان – اليهود واعتقاداتهم ص ٢٣٢ .

للتـــــوراة الإسرائيلية التـــي ســجلت بالأســاطير، كمــا امتــلأت بــألوان الخرافات[1] والأوهام التي عاشوا فيها ، كما لعبت بها الخيالات من كل ناحية .

د ـــ تجسد اليد والكوع والأصابع :

وقع الإسرائيليون في غرام شيطانهم القاهر ، فجعلوا لله زنـــداً وكوعـــاً[2] وأصابع ، ذات تصورات وتجسدات يفرق بينها ويجمع،ويقع لها الثني والفـــرد وله قبضة يد ـــ معاذ الله ـــ يدفع بها خصومه ، فاليد والكوع والأصابع ، تمثـل كتلة واحدة في نظر اليهود ، وكتابهم المقدس [3].

ويقول الشيخ المنيلاوي : أن العقلية اليهودية لم تسمح لأصحابها بالتنزيـه ، وإنما أوقعت بهم في التجسيم والتجسيد والتشبيه ، فكان مـــن جـراء ذلـك أن خرجوا على ما شرع الله مع نبيه موسى،وعبدوا آلهة وثنية،لا علاقة لها بـالدين الإلهي[4] لقد صنعوا لأنفسهم ديانة وهمية جمعوها من ديانات وثنية لا تربطـــها بالدين الإلهي أدنى رابطة.

لقد زعموا أن يد الله مغلولة ، فرد الله عليهم باللعن والطرد من رحمتـــه وأثبت أن يده مبسوطة دائماً ، قال تعالى :" وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّـــتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَـــةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّـــهُ لاَ يُحِـبُّ الْمُفْسِدِينَ" .[5]

---

(١) جيمس دوان ـــ خرافات التوراة ص ١٧١ ترجمة طارق ابو هلاية ط دمشق ١٩٧١م .

(٢)الكوع طرف الزند الذي يلي الإبهام ـــ المعجم الوجيز ص ٥٤٥

(٣)رانوفيتش ـــ المختصر في تاريخ الدين اليهودي القديم ص ١٥٧ ط موسكو ١٩٣٧م .

(٤)الشيخ رضوان على المنيلاوي ـــ العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ص ١٨١ .

(٥)سورة المائدة الآية ٦٤ .

أما نحن المسلمين فإننا ننزه الله تعالى عن صفات المخلوقين ، ونصفه جل جلاله بما وصف به نفسه ، من غير تكيف ولا تشبيه ولا تجسيد أو تمثيل ، لأن مقام الألوهية أعلى من كل المقامات ، وأسمى من أن تدرك كنهه العقول البشرية العاجزة ، لما هو معروف من أنه لا يعرف الله سبحانه وتعالى كنه معرفتـــه إلا الله تعالى[١].

ويقول الإمام الفخر الرازي: إن عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى، لما كان كل ما تتصوره النفس فالله بخلافه، فلم يتمكن العقل والنفس من الإشارة، إلى حقيقة معلومة بأن حقيقة الإله هي هذه الحقيقة .

ويروي عن سهل بن عبد الله أنه سئل عن ذات الله تعالى فقـــال : ذات الله موصوفة بالعلم ، غير مدركة بالإحاطة ، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاتـه ودلهم عليه بآياته ، والقلوب تعرفه ، والعقول لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنـــون بالأبصار في الآخرة ، من غير إحاطة ، ولا إدراك نهاية [٢].

٨ ـ موقفي منهم :

وفي تقديري أن تجسدات اليهود للإله في الأشكال الإنسانية المتكاملـــة قـد عبر عن جملة من الأمور ، وفضح الكثير مما تخبئه الصدور :

أولا : أثبت قولهم بالتجسد الإلهي خروجهم على دين الله تعالى ، وإنكارهم لمـــا جاءهم به من عند الله تعالى سيدنا موسى بن عمران رسول رب العالمين إليهم ، وبالتالي انقطعت نسبتهم إلى نبى الله موسى بن عمران ، كما انفصلت علاقتـــهم به ، وهم الذين قاموا بذلك بل وحرصوا عليه بكل ما أمكنهم ، مع أن الله تعالى

---

(١)الإمام الغزالي ـ إلجام العوام عن علم الكلام ص ٩٤ ضبطه رياض مصطفى منشورات دار الحكمة بيروت ١٤٠٧/١٩٨٦م .

(٢)الإمام الفخر الرازي ـ عجائب القرآن ص ١٤٤ تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـ دار الكتب الإســـلامية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م .

قد حذرهم ذلك وأوقع عليهم عقوبات متوالية ، وأنعم عليهم كثيراً، ومع ذلك فهم ينسون النعم الإلهية ، ويرجعون إلى الطبائع الشهوانية ، قال تعالى :" فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ "[1].

لقد أهملوا نعم الله إليهم وجحدوها ، ثم جاؤا على العهد الذي ألزمهم الله به فاخلفوه ، وطلب إليهم أن يؤمنوا بما أنزل الله ، فكانوا أول كافر به ونهاهم عن المتاجرة بالتعاليم فتاجروا بها على كل ناحية ، قال تعالى : "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ "[2]، لكنهم كانوا أول كافر به وأول مخالف له .

ثانيا : أنهم لما عددوا في الذات الإلهية ، وجسدوا كفروا بالتوحيد والتنزيه ، وأعلنوا التعدد والتشبيه ، فكان ذلك منهم فسقاً وظلماً ، لأن الإله جل علاه لو كان متعدداً في ذاته ما كان إلهاً ، وإنما كان جملة آلهة ، ولا يطلق على الجمع الصحيح أنه مفرد أبداً ، ومن ثم فقد غالطوا في المقدسات ، وغلطوا في البدهيات،وأنكروا حقيقة الحقائق وأولى الضروريات ، وهي توحيد الله عز وجل وتنزيهه ، وقد جاءهم بهذا التوحيد والتنزيه موسى بن عمران.

قال تعالى : " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" [3].

لقد أغرقوا أنفسهم في الضلالات وكانوا بين حنايا الإنفلاتات ، كما ألبسوا الباطل ثوب الحق وتمسكوا وكتموا إعلان الحق،وهم يعلمون ذلك ، قال تعالى :" وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"[4].

---

(١)سورة الأعراف الآية ١٦٦ .

(٢) سورة البقرة الآيتان ٤٠ ، ٤١ .

(٣) سورة الصف الآية ٥ (٤) سورة البقرة الآية ٤٢ .

ثالثاً: أنهم اعتدوا على ما أنزل الله فبدلوا التوراة ،وغيروا أحكامها ، كما غيروا في حروفها وكلماتها ، ولم يكونوا أمناء عليها، مع أن الله تعالى استخلفهم إياها ، وطلب إليهم التمسك بها ، لأن فيها الهدى والنور من الله تعالى إليهم ، ولكنـــهم تخلصوا من هذه الأمانات ، بل أسرعوا إلى إهمالها وتعمد تضييعها ، ومن ثـــم حكم الله عليهم بأنهم الكافرون .

قال تعالى :" إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِيـــنَ أَسْـلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنـــزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ "(١) .

لقد نقضوا العهد وشوهوا العلاقة ، وتحللوا من الالتزامات التي فرضها الله عليهم كي تكون تعبيراً عن علاقتهم بالله(٢) .

رابعاً : إنهم لما تخلوا عن تعاليم الله إليهم ، ظلموا وتفرقوا بأهوائهم التي قادتهم إلى الاعتقادات الوثنية فتمسكوا بـــها ، والممارســات الشـــاذة فقـــاموا بـــها ، والانفلاتات من كل ناحية فحسبوها التزاما ، وهم في كل ذلك كانوا ظـــالمين ، ونسوا الخالق العظيم جل علاه ، مع أنهم وغيرهم يقر من داخله بضرورة وجود الله تعالى وتنزيهه .

قال تعالى :"بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَـــلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَـــرَ النَّـــاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ".(٣)

---

(١)سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٢)الدكتور صابر طعيمة ــ بنوا إسرائيل في ميزان القرآن الكريم ص ٢٣٨ توزيع دار الجيل بيروت .

(٣)سورة الروم الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

خامساً :نقضوا العهد مع الله وهو الذي قام على قول الحق ، والتزام الصدق من إعلان توحيده ، وإثبات الكمالات له ، والقيام على ما أمر به ، وكـان سـلفهم يعرض بها الخلف قال تعالى :" فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَـأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مُّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَـذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَـا فِيـهِ وَالـدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ"[١].

سادساً: إنهم لما أضاعوا الأصول الصحيحة،انغمسوا **في** الاعتقادات الوثنية **التى** ظنوها تغنيهم عن التعاليم الإلهية ، فأسلموا أنفسهم للأخذ منها ، والحكاية عنها ، ولم يعودوا قادرين على معرفة ما إذا كانت هذه الوثنيات من قبيل المعارف التي يؤخذ منها ويرد عليها ، أم من قبيل الاعتقادات التى يجب أن يقع بها التمسك ، ويجري معها طلب الاهتداء ، فكانت اعتقاداتهم فاسدة ، وأعمالهم خاسرة .

قال تعالى :" قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِـهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَـهَنَّمُ بِمَـا كَفَـرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا" [٢].

ثم إنهم قد تعهدهم الله بالرسل والأنبياء ، ومعهم الآيات البينات والدلائـل الواضحات، فكان موقفهم هو ذات موقف خصوم نبي الله شعيب،حينما قالوا له : " قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَـوْلاَ رَهْطُـكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ"[٣] فخصوم شعيب قالوا له ما نفهم كثـيراً مـن

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٢) سورة الكهف الآيات ١٠٣ / ١٠٦ .

(٣)سورة هود الآية ٩١ .

قولك كالتوحيد ، وحرمة النجس ، يعنون بذلك أنهم لا يقبلونه ، وقـــالوا ذلـــك استهانة به ، كما يقول الرجل لمن لا يعبأ بحديثه ما أدري ما تقول ، وجعلــــوا كلامه هذياناً وتخليطاً لا ينفهم كثير منه،وليست لك قوة فتمتنع منا ، أن أردنا بك سوءا[1].

أجل كفر بنو إسرائيل بآيات الله ، وبدلوا نعمه فما صار التعدد في الـــذات الإلهية ولا التجسيد لها ، هما كل جرائم اليهود ، وإنما جرائمهم تفوق الحصـــر والعد ، وقد نعى الله هذه الجرائم والسلوكيات الشاذة ، وكررها على أســـماعهم مرات عديدة قال تعالى:" سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَـــن يُبَـــدِّلْ نِعْمَةَ اللّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ "[2].

وهم قد أوتوا من الآيات الكثير،ولكنهم بدلوا نعمة الله تعالى على كل ناحية، ،لقد وقعوا في أهواء أنفسهم ، واستجابوا لخداع شياطينهم ، وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُـــونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللّهُ بَصِـــيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ" [3] ، "وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ "[4] .

---

(١) الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ـــ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ج ٩ ص ١٦٥ تعليق الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي ط الثامنة دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـــ ١٩٧٨م .

(٢)سورة البقرة الآية ٢١١ .

(٣) سورة المائدة الآية ٧١ .

(٤)سورة البقرة الآية ١٠٨ .

سابعاً:جرأتهم على الله ورسله حيث تمكنت الجرأة الكاذبة من العقلية الإسرائيلية إلى حد بعيد ، لقد دفعت بهم إلى الذات البارى جل علاه فعددوه وجسدوه ، وإلى الصفات الإلهية فجحدوها ، طالما بدت فيها ملامح الكمال والجمال والجلال والإكرام .

ونعتوه جل علاه بالفقر الشديد ، ونعتوا أنفسهم بالغنى الشديد من باب المقابلة التي تكون لأحد الطرفين في درجات العلا وللثاني في الحضيض، فحكم الله عليهم بالكفر ، قال تعالى :" لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ "(١)

وكما وصفوا الله تعالى بضيق الإنفاق،فقد وصفوه أيضا،بالبخل الشديد الذي يفرض على صاحبه تقييد يديه حتى لا يقع منه الإنفاق ، حرصا على ما بيديه من مال قال تعالى:" وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ "(٢) .

وانطلقت بهم الجرأة الكاذبة إلى تجسيد الإله من كل جانب،وكذلك الاعتداء على رسل الله تعالى من كل ناحية أيضاً ، فهم الذين قتلوا الأنبياء بغير حق ، وإنما تبعاً لأهواء أنفسهم ، واستجابة لوسوسات شياطينهم، قال تعالى:" لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ "(٣).

---

(١)سورة آل عمران الآية ١٨١ .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٤ .

(٣)سورة المائدة الآية ٧٠

كما ألصقوا بالأنبياء كل تهمة ، وحاولوا أن يلحقوا بهم كل منقصة ، مـــع أنهم رسل الله ، وصفوة خلقه لقوله تعالى :" إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَــى آدَمَ وَنُوحًــا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيـمٌ "(١)، وقوله تعالى:" اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"(٢) وقوله تعال:" وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ "(٣).

لكن اليهود لم يعجبهم من اصطفاهم الله فنسبوا إليهم القبائح والمنكرات التي امتلأت بها أسفارهم ،وعبرت عنها صفحات كتبهم ،حتى أن القارئ لهذه الأسفار لا يجد نبياً خلت صيغتهم من الإساءة إليه ، أو القدح فيه .

١ – انتسابهم الزنا لنبي الله لوط عليه السلام وبطلانه :

لقد نسبوا لوطاً عليه السلام إلى الزنا مع ابنتيه ، وعرف باسم زنا المحـارم يقول العهد القديم صعد لوط من صوغر(٤)، وسكن في الجبل وابنتاه معه ، لأنـه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتــاه(٥)، وقــالت البكــر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحى من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت البكر ، واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعـــها ولا بقيامها(٦).

---

(١)سورة آل عمران الآية ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) سورة الحج الآية ٧٥ .

(٣) سورة ص الآية ٤٧ .

(٤) كانت عبارة عن مدينة صغيرة قريبة من سدوم وعمورة التي عاش فيها أصحاب اللواط والتي قرر الـــرب هلاكهما وطلب من لوط الهرب إليها لذلك دعى اسم هذه المدينة صوغر – سفر التكوين ١٩/١٩–٢٢ .

(٥)أما أمرأة لوط فقد صورها العهد القديم بأنها صارت عمود ملح – سفر التكوين ١٩ / ٢٦ .

(٦)لقد نسبوا إلى نبي الله الفاحشة والجهل وعدم الشعور بما تم وهذه كلها نقائص لا تصح نسبتها إلى آحـــاد الناس الذين يطلبون العفة فما بالك بالنبي الكريم .

وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فنحي من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ، ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت أبناً ودعت اسمه بني عمي ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم [1] .

لقد أخفق العهد القديم وسقط كاتبوه ، ولم يعد لهم مكان في دنيا الأفكار المقبولة ، يقول ليوتاكسيل : فليكن الروح القدس هو من حمل هذا النص من السماء،فإن هذا لن يمنعنا من وصفه بالشناعة والخسة والدناءة ، ويقول فولتير لم يذكر النص التوراتي اسم بنتي لوط ، أما فكرة إسكار الوالد بهدف الاضطجاع معه فهي فكرة توراتية فريدة ، لكنها لا تقول لنا من أين جاءت الفتاتان بالخمرة وهما في عمق مغارة بجبل ، وفي نفس الوقت ، تقول أن لوطاً اخترق عذرية ابنتيه دون أن يلحظ دخولهما عليه ، أو خروجهما من عنده.

ثم يقول : بيد أنه يصعب كثيرا على الرجل أن يفض بكارة فتاة دون أن يعرف شيئاً عما فعل[2]إنه حدث لا تستطيع أن تجد له تفسيرا وليس مفهوما أيضاً ، قلق أبنتي لوط على مصير الإنسانية ، فإبراهيم كان قد أنجب إسماعيل من هاجر ، والشعوب كانت منتشرة في كل مكان ، وصوغر التي خرجت منها الفتاتان كانت قريبة من الشعوب الموجودة ، ومن ثم ففرصة زواج كل منهما كانت كبيرة ، وبالتالي فلم تكن واحدة منهم بحاجة إلى الزنا ، بل من أين حصلتا

---

(١)العهد القديم سفر التكوين ١٢٩ / ٣٠ /٣٨ .

(٢) وتذهب الباحثة نجلاء مصطفي بدوى إلى أن هذه العملية ــ جماع السكران لبكر عذراء ــ مستحيلة من الناحية العملية ، كما أنها مستحيلة على الناحية العلمية أيضاً راجع الدوافع في العهد القديم وموقف الإسلام منها أثناء الحديث عن دافع الجنس ص٢٢٣ وما بعدها ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية بالزقازيق

على الخمر إن لم يكن من الخمارات المحلية[1]، وهي لابد أن تكون في مكـــان عام وتجمعات تحتاج هذه الخمور وتقوم على ذات الخمارات[2]، وحينئذ تكـــون الفكرة من أساسها ساقطة .

ثم يؤكد فولتير أن هذه القصة متشابهة تماماً مع قصة ميترا التـــي ولـــدت أودونيس من أبيها كينراس ، لكن ميترا عوقبت عقاباً صارماً على جريمتها هذه بينما نالت إبنتا نوح مكافأة عظيمة من وجهة نظر اللاهـوت ، فقـد أصبحتـا والدتين لذرية كثيرة[3]غير مجهولة الأصل،الذى قام على السفاح،وزنا المحارم .

فإذا كان اليهود قد نسبوا إلى نبى الله لوط الزنا ، أفلا يدل ذلك على أنـــهم فقدوا العقيدة الصحيحة ، وكذلك فرصة الوقوف على الأدلة الصحيحـــة ، كمـا افتقدوا أبسط المقومات التي تدفع لقبول رأي من الآراء ، والتعامل معه ، بل أن القصة في حد ذاتها مثيرة للجدل ، بل مثيرة للإشمئزاز لأي نفس لدى صاحبـها نوعٌ من العرفان الصحيح ، بأن الرسل والأنبياء يختارهم الله من أكمل النـــاس خلقاً ، وأذكاهم خلقاً ، كما أنه جل شأنه عصمهم من الوقوع في الصغائر قصداً، وفي الكبائر سهواً[4]، وكل ما نسبوه إلى أنبياء الله ليخل برسالتهم ، أو ينقـــص من أقدارهم مرفوض تماماً.

لقد تناقض اليهود مع أنفسهم في كل ما يعرضونه ، بدليل أن جريمة الزنـا كانت عندهم مستوجبة عقوبة الرجم لكل من الطرفين ـ الرجل والمرأة ـ ومـا داموا قد اعترفوا بها ونسبوها إلى لوط وبنتيه فكان الواجب يحتم عليهم إقامـــة

---

(١)ليوتاكسيل ــ التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ١٠٣ .

(٢)يقول تشارلز هورتن إنها المأساة حقاً كاتب السفر المقدس ليخدع جماعة من السذج أو يلهي جملة من البلهاء بل أنها قصة عفنة يجري أمثالها في أفهام وعقول مؤلفي الكتاب المقدس ــ تشارلز هورتن اتجاهات التـوراة ص ١٢٧ترجمة صابر رزق ط ١٩٧١م .

(٣)ليوتاكسيل ــ التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ١٠٤ .

(٤)الشيخ محمد عبد العظيم الزرزور ــ أنبياء الله تعالى ص ٧٣ ط الدار السلفية ١٣٥٧ .

هذا الحد على الجميع ، لكنهم تجاهلوا ذلك كله،وسمحوا لخيالاتهم المريضة في الانطلاق إلى ثمرة الزنا حيث تكونت من ناتجه أمتان كبيرتان وهي بنو عمون ، وبنو مؤآب .

ولهما امتداد يذكر الناس جميعاً بأن أصلهم من زنا المحارم ، ليظل ذلك الأمر متعلقاً بهاتين الأمتين إلى الأبد،بل يجعل أمر الشماتة فيهم ممتدا لا ينقطع، مع أن منهم جماعة كبيرة العدد حسبت ضمن أنبياء بني إسرائيل .

لقد سجل القرآن الكريم على بني إسرائيل وقوعهم في المنكرات بأنواعها المختلفة ، وأنهم لم يتخلوا عنها أبداً ، مع أن الله تعالى أخذ عليهم العهد في أن يبتعدوا عنها ولا يقدموا عليها ، لكنهم تجاهلوا ذلك كله .

قال تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" [1]

٢ ـ انتسابهم الزنا لداود عليه السلام وبطلانه :

حرص اليهود على تعرية أنبيائهم ، بل وتجريدهم مما أفاض الله به عليهم ، كأن هؤلاء اليهود لا هم لهم سوى تجريح الأنبياء،وامتهان كل المرسلين ، حتى أن المطالع للعهد القديم ما يرى سفراً خالياً من هذه الانفلاتات التي يتوارى خجلاً منها،كل من في قلبه مثقال ذرة من إيمان،أو خوف،أو نسمة من حياء.

---

(١) سورة البقرة الآيات ٨٣ ـ ٨٥ .

ومع هذا فاليهود يحرصون على إلصاق هذه النقائص بالأنبياء ، ونقيصة الجنس المحرم من أكثرها شيوعاً ، يقول ليوتاكسيل من الواضح أن المؤلف المقدس ، كان يحب كثيراً الخوض في القصص الجنسية القذرة ، وهو يضع أسس الدين المسيحي[١] .

بعد أن يصور العهد القديم داود في صورة الفتى البطل المغوار الذي يستطيع القضاء بمقلاعه على جالوت،حتى يتحقق النصر لبني إسرائيل ، إذا بهم ـ بعد أن يصير ملكاً عليهم ـ يسقطونه في الرذيلة ، مع زوجة أحد قادته المبرزين يقول العهد القديم : أقام داود في أورشليم ، وفي المساء قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح إمرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً ، فسأل عنها وعرف إنها بثشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي ، فأرسل إليها وأخذها فلما دخلت عليه اضطجع معها، وهي مطهرة من طمثها وبعد اضطجاعه معها رجعت إلى بيتها [٢] .

وحبلت المرأة فأرسلت إلى داود وأخبرته بأنها حبلى ، فأرسل داود إلى يوآب القائد العام لجيوش داود ، يقول له أرسل إليّ اوريا الحثي فأرسل يوأب أوريا إلى داود ، ولما مثل بين يديه سأله داود عن سلامة يوآب والشعب ونجاح الحرب ، ثم قال لأوريا أنزل إلى بيتك فأغسل رجليك واضطجع مع امرأتك[٣].

---

(١)ليو تاكسيل ـ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٣٥٧ .

(٢)ألا يذكر ذلك الفعل الفاضح القارئ بما كانت تفعله الشعوب الوثنية قديماً من إرسال لبعض النساء الجميلات إلى بعض الرجال الأشداء حتى تحمل المرأة بولد جميل قوي تتكون منه وأمثاله الجموع التي تعد للإغارة على الآخرين وهي عادات قبيحة وأفعال وثنية مرذولة ـ راجع للأستاذ عبد العزيز نبيه دراسات في الشعوب القديمة ص ١٢٣ ط أولى ١٩٥٣م .

(٣)يظهر من إلحاح كاتب السفر على أن داود كان يعنيه أمر اضطجاع أوريا الحثي مع امرأته حتى إذا ولدت يكون الولد منسوباً إلى أبيه وتضيع معالم الجريمة ، وبالتالي فهذه الأفكار تدل على عقلية كاتب السفر الذي أمكته المفاهيم المغلوطة ، والنظريات المعكوسة

خرج أوريا من بيت الملك داود ، ولكنه نام على بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل إلى بيته ، فعرف داود بما فعله أوريا ، ومن ثم سأله داود أمـا جئت من السفر ، فماذا لم تنزل إلى بيتك وتضطجع مع امرأتك ، فقـال أوريـا لداود ان التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوأب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتي إلى بيتي فأكل وأشرب وأضطجع مـــع امرأتي ، إن هذا الأمر لا يليق ولن أفعله .

وفي الصباح ارسل داود مع أوريا مكتوباً إلى يوأب يقول فـي مكتوبـه : **اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة** ، وأرجعوا من ورائه فيضرب ويمـوت ، ونفذ يوآب مكتوب الملك ، حيث جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجـال البأس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب ، فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي ، وأسرع يوآب القائد العام الميداني بإخبار داود الخبر وأن أوريا قتل[١].

ولما سمعت امرأة أوريا أن زوجها قد قتل ندبت بعلها ، ولما قضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته ، وصارت بثشبع امرأة له ، ضمـها إلـى نسائه وولدت له أبنا ، وأما الذي فعل داود فقبح في عيني الرب [٢].

يقول ليوتاكسيل ــ والحق يقال أنهم يعتبرون ذلك مشهداً تعليمياً ونموذجـاً ومثالاً يحتذى في السلوك الذي يمارسه اليهود ، وقد لاحظ فولتير أن الزوجـة الخائنة ، لا تستطيع في مثل هذه الأحوال أن تتزوج ــ عشـيقها قاتل زوجـها الشرعي ، إلا إذا أفتى لها بذلك بابا روما صاحب العصمة ، فللبابا وحـده مثل

---

(١)هكذا صور السفر الملك داود قاتلاً يمارس أعمال البلطجة على كل ناحية ، وما مثل هذه الأفعال بمقبـول إلا في أعراف اليهود السفاحين أما أنبياء الله فإن ذلك لا يليق قوله على أحد منهم أبداً .

(٢)العهد القديم ــ راجع سفر صموئيل الثاني ١١ / ٣ ــ ٢٧ .

هذه عند أي شعب من الشعوب المتحضرة[١].

ياله من فكر هزيل ساذج ، وسطحية ضعيفة ممقونه ، وإعلان صريح عن عهر يمارسه السفر نفسه ، لكن إلى من ينسبه ، ومن الذي وقعَ فيه ، إنه واحد من ملوك بني إسرائيل الأنبياء ، إنه داود الذي صارع جليات وانهزم من شهوة كان بإمكانه إطفاءها مع إحدى زوجاته ، ولكنها الأسفار المتدنية في التعبير ، الواقعة في الأوهام ، الحاملة لألوان الخرافات ، القائمة في أحضان الجنس الرخيص ، والعلاقات الشاذة المنبوذة .

من المؤكد أنها لجأت إلى هذه الحكايات المتردية في الأنماط ، ونسبة هذه الجرائم إلى أنبياء الله حتى يبرروا لأنفسهم كل الجرائم التي يقولون بها ، فما دام أنبياؤهم — على زعمهم — قد مارسوها، فمن المؤكد أن أفراد الشعب لن يكونوا إلا مقلدين لهم ، محافظين على سيرتهم يعتبرونهم القدوة والمثال الذي يجب أن يحتذي .

وقد تناسى هؤلاء المجرمون أن الله تعالى عصم رسله،عن كل ما نهى عنه لأن الرسول في قومه هو المبلغ عن الله تعالى ، ولا يمكن أن يقع ذلك النبي في أمر نهاه الله تعالى عنه ، إلا إذا كان من الصغائر، ويكون وقوعه في ذات الأمر للتعليم حتى يتعلم الناس التوبة،إذا ما وقعوا في الإثم ، ومن باب السهو ، ولكنها تحسب عليه معصية ، ويأمره الله تعالى أن يتوب منها ، ويعلمه كيفية التوبة بدليل أن آدم عليه السلام لما نسى الشجرة التي نهى عن الأكل منها،وأجتهد فيها اعتبرت بالنسبة له معصية ، علمه الله كيف يتوب منها قال تعالى : " فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" [٢].

---

(١)ليوتاكسيل — التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص ٣٤٧/٣٤٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ٣٧

والمعنى استقبل آدم من ربه جل شأنه دعوات ألهمه إياها ، فدعـــاه بـــها وهي قوله تعالى :" قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِـــنَ الْخَاسِرِينَ"[١]فكانت هذه الكلمات خارجة من قلبه لأن الله تعالى ألهمه إياهـــا[٢]. وقال تعالى :" وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا"[٣].

لقد كان عهد الله لآدم عليه السلام على سبيل الابتلاء ، حيث أوصــــاه الله تعالى أن لا يأكل من الشجرة ، فنسى آدم ما أوصى به بخصوص الشجرة ، ولم يكن آدم قاصداً الأكل أو الوقوع في المعصيـــة ، والقـــاعدة أن النســـيان مـــن الشيطان[٤] ، لقوله تعالى :"وما أنسانيه إلا الشيطان إن أذكره" [٥].

يقول الشيخ رضوان المنيلاوي : أن اليهود منذ القدم يستبيحون أعـــراض أنفسهم ، وأعراض أنبيائهم ، إذ لم يكن لهم حرص حقيقي علـــى أعراضـــهم ، وإنما كانوا يتاجرون بها،ويتكسبون عن طرائقها ، وشغل الجنس المحرم في هذه الطرائق القدر الكبير ، بل أنهم نسبوا الجرائم الجنسية إلى بعض أنبيائهم ومنـــهم داود النبي الملك[٦]. وما راعوا الحقوق التي جعلها الله تعالى لهم ، وهـــل بعـــد حماقاتهم المتواصلة ، وقتلهم الأنبياء وكفرهم بالله شئ آخر .

ولاشك نبي الله أن داود عليه السلام ككل أنبياء الله تعـــالى فـــي الـــورع والتقوى والخوف من الله عز وجل ، ومن كان كذلك فإن حسيبه هو الله ورقيبـــه هو مولاه ، والعقل الصحيح والفطرة النقية تشهدان بأن الأنبياء جميعاً ما وقعـوا

---

(١)سورة الأعراف الآية ٢٣

(٢)الشيخ محمد عليان ــ آدم عليه السلام في القرآن ص ٩٥ ط دار مراد ١٩٤٥م .

(٣) سورة طه الآية ١١٥ .

(٤)الشيخ محمد محمود العجواتي ــ تفسير سورة طه ص ١٢٣ ط أولى ١٣٣٥ هـــ .

(٥)سورة الكهف الآية ٦٣

(٦)الشيخ رضوان على المنيلاوي ــ العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ص ٣٢٧ ، وراجع للدكتور فوزي محمـــد خضر اليهود عبر التاريخ ص ٢٢٥ .

في المعاصي أبداً إلا سهواً، وفي أشياء صغيرة ، ولم يقعوا في كبيرة ، وما جاء حاملاً وقوع بعضهم في كبيرة ما من حيث هي كقتل نبى الله موسى للمصري ، فمحمول على أن ذلك كان قبل البعثة ، كما يمكن حمله على انتفاء القصد والغرضية،بالنسبة للفعل نفسه بدليل أن سيدنا موسى لما وكز المعتدى ، وقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين .

قال تعالى :" وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ "[١].

٣ ــ انتسابهم يعقوب للخداع والسرقة وبطلانه :

لم تبخل أسفار العهد القديم على نبي من أنبياء الله بنعت من النقائص ، وإنما صار ذلك قاسماً مشتركاً في كل أسفارهم ، ويجئ مع كل أنبيائهم ، ولما كانت النقائص متنوعة ، فهم أيضاً لم يجدوا غضاضة في تنوع هذه النقائص من حيث نسبتها إلى أنبياء الله ورسله ، وكأنهم يقولون مادام الله قد أعلى شأنهم فلابد لنا من إنزاله حتى الحضيض ، ومادا الله قد رفع الناس منازلهم ، وكتب النصر لهم فلابد من خفضهم ، وإلحاق الهزائم بهم ، معاندة للرب الذي أقدرهم على ما يقومون به[٢]. من ثم ظهر العهد القديم متهما يعقوب بالخداع لأبيه ، وإدخال الغش والتدليس عليه[٣]، إذ كان السائد في أعرافهم أن الابن البكر

---

(١)سورة القصص الآيات ١٥ ــ ١٧ .

(٢) قال تعالى : " ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين " .

(٣)ويصف العهد القديم يعقوب بالمخادع كثيراً سواء في موقفه مع أخيه عيسو ، أم مع سرقته ممتلكات خاله لابان عن طريق زوجتيه ــ ليئة وراحيل ــ بنتي خاله .

يحصل على البكورية والبركة من أبيه ، ولما كان عيسو هو الأبن البكر، وجاء توأمه يعقوب أخذا بعقبه ، فقد كانت البكورية والبركة لعيسو،ولكن يعقوب وأمه رفقة تآمرا على اسحق وابنه عيسو ، مستغلين ظروف اسحق من كبر السن ، وضعف البصر[١].

ولما كان من ستحصل له البكورية لابد أن يقدم طعاماً لأبيه حتى يباركه وتقع له البركة أيضاً [٢]، فطلب إسحاق من ابنه عيسو الصياد القيام بهذا العمل ، وعلمت رفقة بأن عيسو الذي يحبه أبوه سيحصل على البكورية ، وسيحرم منها ابنها يعقوب الذي تحبه فطلبت من يعقوب إحضار جديين من الماعز ، وطبخت منهما ، ثم استغلت غيبة عيسو ، وتقدم يعقوب بالطعام لأبيه على أنه عيسو[٣].

وهنا قابلتهما مشكلة ، وهي أن عيسو أشعراً أما يعقوب فأملس ، لكن أمهما وجدت الحل المناسب ، فأخذت ملابس عيسو الفاخرة،وألبستها يعقوب ، وألبست يديه وملاسة عنقه جلد جدي المعزي ، حتى تنطلي الحيلة على إسحاق ، وقد سلك يعقوب وأمه مسلك الخداع والمداهنة والكذب مع هذا الأب المسكين ، فدخل يعقوب إلى أبيه ومعه الطعام ، وقال له أنا عيسو بكرك[٤]، قد فعلت كما كلمتني قم أجلس ، كل من صيدي كي تباركني[٥].!

---

(١) وكان المفترض فيمن يرث الكتاب أن يكون أكثر حرصاً على العمل به ، أما أن يتحول إلى متاجر به مستغل لظروف الناس فلا شبهة أنها نعوت تجري على اليهود وحدهم وليس من السهل تخليهم عنها .

(٢) لأن البكورية غير البركة وكل منهما لها طقوس بعينها،واتجاهات في ذاتها .

(٣) والكتاب المقدس يمهد لأعمال القرصنة والخداع كما يتقن كافة السلبيات التي هي الآن المصدر الأساسي للعقائد والأفكار اليهودية والإسرائيلية على السواء .

(٤)العهد القديم — سفر التكوين ٢٧ / ١٨ — ٢٠ .

(٥)لقد كانت جرأة كاذبة وبطولة وهمية مصطنعة قادت إليها عبارات المؤلف للسفر الذي لم يخل بمفردات لغوية تحمل النقائص إلا أفاض فيها ، وكأنه ينتقم من هذه الأشخاص كلها .

تعجب إسحاق من عودة عيسوا مبكرا ــ إذ كان يظن أنه عيسو ــ فقال إسحاق لابنه ما هذا الذي أسرعت لتجد يابني، فقال إن الرب إلهك قد يسر لي[١] فقال إسحاق ليعقوب قدم نفسك لأحسك ، وأعرف أونت هو أبني عيسو أم لا [٢] فتقدم يعقوب إلى أبيه فحسه،وقال هل أنت عيسو فأجابه قائلاً أنا هو [٣] فقال له أبوه : قدم لي لآكل من صيد ابني تباركك نفسي،فقدم يعقوب لأبيه فأكل الأب ، وأحضر خمراً فشرب ، ثم باركه وقال له ليعطك الرب من ندي السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخمر ، ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل ، كن سيداً لإخوانك ، وليسجد لك بنو أمك ، ليكون لاعنك مطعونين ، ومباركوك مباركين .

ولما انتهى إسحاق من بركة يعقوب وافترقا ،حضر عيسو ومعه صيده ، فأسرع بصنع الأطعمة لأبيه ودخل عليه ، ثم قال ليقم أبي ويأكل من صيد إبنه حتى تباركني نفسك ، وهنا تعجب اسحق أبوه ، وقال من أنت ؟ فقال أنا ابنك بكرك عيسو ، فارتعد اسحق رعدة عظيمة جداً [٤].

وقال فمن هو الذي أصطاد صيداً وأتى به إليّ ، فأكلت من الكل قبل أن تجئ وباركته نعم ، ويكون مباركاً ولما سمع عيسو ذلك صرخ ، وقال لأبيه

---

(١)إن مؤلف السفر يتعمد الكذب المتواصل بل ويسترسل فيه حتى يجعل القارئ يمتلئ غيظاً من تصرفات يعقوب وأمه رفقة .

(٢) وكأن إسحاق فقد الحس العاطفي والوجدان الذي يقود الأب لمعرفة بنيه من أنفاسهم ، وليس من رائحة العرق أو الملمس .

(٣)ولم يكن هو عيسو وإنما كان يعقوب الذي سارع إلى الكذب المتواصل وكأنه وجد فيه سلواه ، حسب تصورات العهد القديم الساذجة .

(٤) لا أحد يدري أهي رعدة الغضب التي ملأت قلبه حزناً من تصرفات أخيه يعقوب معه ، أم رعدة الخوف من المجهول الذي ينتظره ، أم هي رعدة من نوع مخالف لهذين النوعين جرت في مفاهيم كاتب السفر ، أم هي مما يعبر عن الاتجاهات الوثنية في الأسفار اليهودية .

باركني أنا أيضاً يا أبي ، فقال أبوه حزيناً قد جاء أخوك بمكر ، وأخذ بركتك ، فقال عيسو إذن أخي أخذ بكوريتي ، وهو ذا الآن قد أخذ بركتي[1].

لاشك أن العهد القديم قد فضح صدر مؤلفه ، وكشف الأسفار التي تختبئ خلفها ، ومهما يكن لديه من براعة في التخفي ، وستر ما في نفسه من أعمال عدوانية ، ونزعات إرهابية،فان عباراته تفضحه وسلوكياته الفكرية تطل برأسها لتعلن إفلاسه الفكري ، وتخبطه النفسي ، بجانب الاندفاع غير المسئول في طرق الشر المختلفة ، أما لماذا ؟

فلأن القصة كلها مختلقة وأبطالها الثلاثة أبرياء منها ، إنها قصة لا تمثل سوى العبث واللامعقول ، يقول ميلتوس إن الإله التوراتي يبدو غير طبيعي في كثير من الأوقات ، كما أن مؤلفي أسفار الكتاب المقدس لم يكونوا منطقيين ، وإنما كانوا لصوصاً محترفين ، ومن ثم لم تسمح لهم نفوسهم أن يكون أنبياؤهم غير لصوص ولا غير محترفين[2]، وإنما لابد أن يجعلوهم لصوصاً ، وفي نفس الوقت محترفين .

لقد تصوروا أنبياء الله الكرام تصورات ساذجة ، وسمحوا لهذه التصورات في التنامي ، ولذا فإن المطالع لسيرة أنبياء الله في أسفار العهد القديم يراهم غرباء عن الجنس البشري في الملامح الطبيعية ، لأن مؤلفي هذه الأسفار قد ألصقوا بهم كل مذمة ، كأن هناك حسابات يجب تصفيتها ، إذ أن وجود هؤلاء الأنبياء يمثل مشكلة بالنسبة للعنصر الإسرائيلي ، ولابد من إيجاد حل لها ، أو على الأقل يجب صرف الناس عنها .

ولا أبعد كثيراً عن الحقيقة إذا قلت أن الإله جل علاه وملائكته وأنبياءه ، بل وكل أهل الله وقع عليهم من اليهود عامة والإسرائيليين خاصة كل،ألوان التجني

---

(١)سفر التكوين ٢٧ / ٢٢ ــ ٣٨ .

(٢)جون ميلتوس ــ التوراة الإله والأسفار ص ٢٤٢ ترجمة السيد توفيق ط دار الرشيد حلب ١٩٧١م .

بل ومارسوا معهم ما سمحت به نفوسهم ، دليل ذلك :

أنهم عددوا في الذات الإلهية وجسدوها في أشكال مختلفة [١] وجعلوا لله عزيرا ولداً [٢] ونعتوه بكل النقائص [٣] ، وهو العزيز الغالب ، القوي القاهر ليس كمثله شئ وهو السميع البصير .

وخاصموا الملائكة وأعلنوا عدوانهم لله وملائكته وجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، وخازن الجنة وخازن النار ، فقال الله تعالى لهم إن عداوة اليهود لهؤلاء تنقلب عليهم قال تعالى :" قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ " [٤] .

وتجنوا على أنبياء الله ورسله واعتدوا عليهم ، فقتلوهم وعذبوهم ، واتهموهم بارتكاب الفواحش وألصقوا النقائص بهم ، كما لم يسلم من آذاهم نبي بعث فيهم ، أو نبي بعث في غيرهم ، وفوق ذلك طعنوا في طهارة سيدنا عيسى ابن مريم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ، وقالوا فيه صلى الله عليه وسلم وأمه رضى الله عنها قولا فاحشاً ، قال تعالى :" وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا" [٥].

إنهم ما رأوا صالحاً إلا أفسدوه ، ولا قائماً إلا هدموه ، ولا معمراً إلا خربوه ، النقائص فيهم والفساد هم ، والعدوان من طبيعتهم ، والعنف ديدنهم

---

(١) من تجسيداتهم له جل علاه المشي والحركة المتجسدة والطعام والشراب والظهور في عمود السحاب نهاراً ليظلهم ، وعمود النار ليلاً ليضئ لهم وغير ذلك ما هو وارد في أسفار العهد القديم .

(٢) وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت اليهود والنصارى نحن أبناؤ الله وأحباؤه .

(٣) حيث قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ، وقالوا يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا .

(٤) سورة البقرة الآيتان ٩٧ / ٩٨ .

(٥) سورة النساء الآية ١٥٦ .

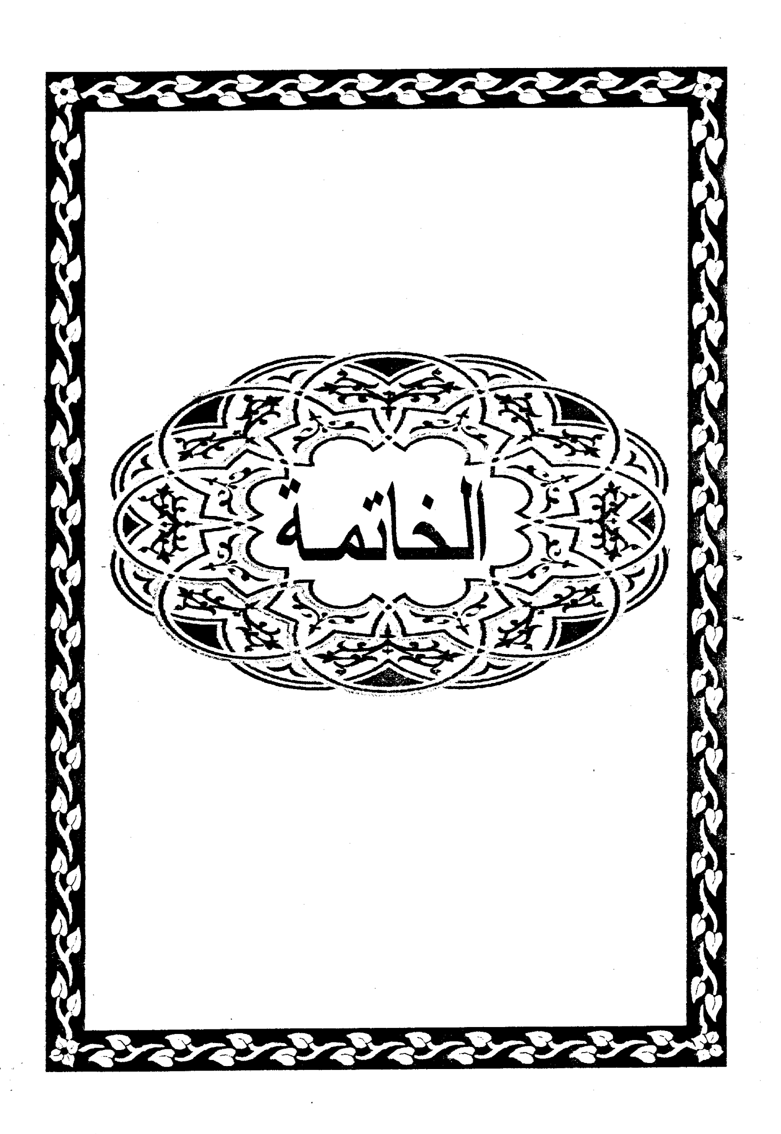
والإرهاب يجري في دمائهم ، إنهم فاقوا الشياطين المردة في الفساد والإفساد ، والضلال والإضلال ، كما جاءت أسفارهم معبرة عنهم ، فاضحة طوايا نفوسهم.

بل بات الجميع ينفر منهم ، إن حليفهم الشيطان ، ومن كان الشيطان حليفه دفع به إلى النار قال تعالى :" اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" [١].

وسيظل حالهم هكذا الحقد والحسد ، والعناد واللجج ،ألم يتآمروا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع أعدائه،وهو الذي كان لتوه قد عقد الميثاق معهم ، ألم تندفع المرأة اليهودية بتوجيه من كبار اليهود إلى دس السم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كتف الشاة الذي أنطقه الله فقال لا تأكلني يا رسول الله فإن بي سماً ، وهو الرسول الخاتم والرحمة المهداة ، ونعمة الله للعالمين ، فماذا بعد إلا الضلال الذي يعيشون فيه ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .



الخاتمة

ما من شك في أن القارئ الكريم ربما راقه من فصول هذا الكتاب شئ قليل وربما كان الكثير ، فذلك من فضل الله تعالى ، وقد بذلت طاقتي حسب توفيق الله تعالى ، لكن تبقى نقطة مهمة وهي أن المرء يعمل ، أما إدراك التوفيق فمن الله تعالى ، "وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "[١].

وكل كتاب كما تكون له مقدمة تعبر عن محتواه ، فله خاتمة تجمع ابرز نتائجه ، وجرياً على هذه القاعدة فإن النتائج التي أمكنني الوقوف عليها تكمن فيما يلي :

أولا : أن الجماعات اليهودية والإسرائيلية الأولى قد اختلطت عن عمد ، وبالتالي فلم يعد الجنس هو المميز لكل من اليهودي والإسرائيلي ، لأن التمسك بأن جنساً ما من الموجودين الآن هم الذين يمثلون أبناء إسرائيل ، إنما يمثل ضرباً من الخيال ، لاختلاط الأجناس ، وتداخلها عن طريق التزاوج الذي تم في الماضي تحت ظرف من الظروف ، ومن ثم فان الجماعات الإسرائيلية الموجودة الآن سواء أكانوا تحت اسم الصهيونية أو الإسرائيلية أو اليهودية ، فإنها لا تمثل سوى شذوذات فكرية ، وانفلاتات أخلاقية ، وتعبر عن دعاوى كاذبة .

ثانيا : إن الجماعات الإسرائيلية الأولى لم تكن سوى مجموعة من الرعاة الرحل الذين ينتقلون من مكان إلى آخر ، بحثاً عن لقمة العيش الرغدة ، وأنهم في كثير من الأحيان كانوا يستغلون أصحاب البلاد التي يحطون رحالهم عندها عن طريق استدرار عطفهم ، والظهور بمظهر الفقير الغريب المطارد عندهم ، بل كانوا في الأغلب الأعم يستجدون أصحاب البلاد حتى يقبلوا إقامتهم على أرضهم بعض الوقت ، وأنهم متى وجدوا في أصحاب الأرض قوة ومنعة ، استكانوا وخفضوا جناح الذل لهم ، أما إذا كانوا ضعفاء متفرقين فإنهم يثبون عليهم وثبة

---

(١) سورة هود الآية ٨٨

الذئاب المفترسة على الحملان الوديعة، يمزقونهم أرباً، ويأكلونهم لحما وعظماً، ولا مانع لديهم من استعمار بلادهم،وتسميتها بأسمائهم ، حتى لا يكون لها وجود أبداً(١).

كالحال مع قرية لايش التي استعمرها اليهود وقتلوا أهلها وحرقوهم ، ثم أطلقوا عليها اسم دان زعيم العصابة الإسرائيلية التي قامت بهذا الفعل .

ثالثا :أن هذه العصابات الإسرائيلية عملت على تسليح أفرادها باستمرار ، لأنهم دائماً يتطلعون إلى السيطرة على الآخرين ، مهما كانت المبررات ، ولكنهم متى وجدوا في الآخرين قوة خافوا منهم ، ومتى وجدوا فيهم تخاذلاً انقضوا عليهم(٢) وهذا التسليح المستمر يتطلب التحديث فيه ، وبالتالي فالعصابات الإسرائيلية تواصل قيامها بالتسليح المستمر حتى تخفي ما لديها من خوف ، وتزيل ما يحيط بها من رعب ، ولابد للعرب والمسلمين من الانتباه لهم ، والاستعداد التام حتى يكونوا قادرين على ردعهم .

رابعاً : أنهم كثيراً ما نزلوا إلى البلاد التي كانت موجودة في الزمن القديم ، للتجارة أو طلب العيش الرغيد ، وكان أغلب سكان هذه البلاد من الوثنيين ، وحتى يطمئن أهل هذه البلاد إلى هذه العصابات الإسرائيلية المرتحلة ، فقد كان اليهود يمارسون طقوس هذه البلاد واعتقاداتها لا حباً فيها ، ولا إيماناً بها ، ولكن حتى يضمنوا لأنفسهم الطامعة الحياة الهادئة ، والعيش الرغيد ، ومن ثم أدخلوا في اعتقاداتهم من كل الوثنيات بالقدر الذي تمكنوا منه ، أو أجبروا على قبوله واعتقاده وممارسته .

---

(١)يتكرر ذلك الآن على مرآى ومسمع من العالم الحديث المتحضر ، ولم يتمكن أحد من دفع الصهاينة المجرمين ، أو صدهم عن هذه السلوكيات الشاذة .

(٢)العهد القديم سفر القضاة ١٨ / ٢٧ ـ ٣٠ ففيها تفاصيل هذه المذابح والتدمير .

خامساً : إنهم تفرقو في البلدان تفرق المرض الخطير في الجسم الآمن ، وسمحوا لأنفسهم بالابتدال في العفة والطهارة ، حتى صاروا في الأغلب الأعم مجموعة من تجار العهر والدعارة ، حيث اعتمدوا على ذلك في جذب الآخرين إليهم ، إذ الجنس أحد الوسائل الهامة في حياة هذه العصابات يستغلونه بكافة الأشكال ،المهم أن تقع لهم عملية الاطمئنان على الحياة ، قال تعالى :" وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ"[1].

وما من حكيم يأتيهم أو يظهر بينهم،ويقترب من الدعوة إلى العفة والطهارة ، إلا هموا بقتله ، أو أسرعوا إلى طرده ، وإعلان أنه ليس من جماعتهم ، وبالتالي فكان الجنس الرخيص عنوانهم ، والإرهاب طبيعة فيهم ، والعنف مع الضعفاء وسيلتهم البعيدة ، أنهم مصاصو الدماء ، هاتكو الحرمات ، قاتلو الأنبياء ، راجمو المرسلين ، الخارجون على رب العالمين .

سادساً :أنهم نزلوا البلاد الوثنية فأخذوا من اعتقاداتها ، ثم طوروا فيها ، وأخذوا من سئ عاداتها وتقعروا في استعمالاتها،فصارت اعتقادات هذه العصابات وثنية أكثر من الوثنيين أنفسهم ، لأنهم مارسوها ودعوا إليها ،وحاولوا الدفاع عنها ، بدليل أنهم دونوها فيما بعد في الأسفار التي اعتبروها حاملة الدين الذي به يدينون .

ورغم أن الله تعالى قد بعث فيهم أنبياء كثيرين إلا أنهم كانوا يخاصمون الأنبياء ، ويقتلون المرسلين ، ويندفعون إلى الإشراك بالله رب العالمين ولم يتمكن أي نبي من صرفهم عن اعتقاد الوثنيات ، ومع أن الله تعالي جعل أنبياءهم كثرة ويأتون على التوالي،إلا أن هذا الشعب لم يقف مع نبي من الأنبياء إلا إذا كانوا في ضيق ، ومتى فرج الله عنهم ما هم فيه انطلقوا إلى الشرور

---

(١)سورة البقرة آية ٩٦ .

والآثام انطلاق السهم إلى الرمية ، دون أن يتمكن أحد من إعادتهم للصـــواب . ومتى ذكرهم نبي بأنهم كانوا في ضيق،وأنقذهم الله كذبوه أو قتلوه ، ومن ثم فقدوا القيادة الأساسية الصحيحة ، مما جعلهم أمثولة بين العالمين ، يستذلهم الملــوك ، ويسبيهم الأغنياء ، يبيعهم القادر عليهم بيعه الضأن للجازر .

سابعاً : لما بعث الله إليهم سيدنا موسى عليه الســلام حتى يعيدهم إلى رحـــاب الإيمان وتعبيدهم لله رب العالمين ، وآمن به من آمن ، كتــب الله النجـــاة مـــن الغرق لأهل الإيمان، ورأى هذا الجنس الذي آمن هلاك عدوهم أمامهم ، وأيقنوا أنه لم يعد يطاردهم ، فلما استقروا على شاطئ البحر ، عادوا سيرتهم الأولى في طلب الآلهة الوثنية ، وعبادة الآلهة المتجسدة المتعددة ، وأعلنوا ذلـــك لموســـى عليه السلام من غير أن ينال منهم حياء أو يردهم ضمير .

قال تعالى :" وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُون عَلَـــى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْـــهَلُونَ إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـــهًا وَهُـــوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ "[1].

ومع هذا التحذير والترهيب لم تقف أطماعهم في الوثنيات عند حد ، فلمـــا ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ، ترك معهم نبي الله هارون،وطلب إليه أن يمسكهم بكتاب الله ــ التوراة ــ وأن يصرفهم عن اتباع الهوى ، ولكـــن القـــوم انحدرت نفوسهم اللئيمة إلى العبادات الباطلة ، والاعتقادات الفاسدة،فحاربوا نبـــي الله هارون ، وصنع السامري لهم العجل الذي اعتقدوه إلهاً لهم ، ولموسى أيضاً فقالوا هذا إلهكم وإله موسى ، وبالتالي فكانت الاعتقادات الوثنية تجـــري فـــي نفوسهم وأحلامهم ، بل صارت هي آمالهم أيضاً ، ومازال هي القاعدة عندهـــم

---

(١) سورة الأعراف الآيات ١٣٨ /١٤٠ .

حتى اليوم تقوم على تعدد في الذات، وتجسيد لها ، ونعت هذا الإله بكل النقائص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ثامنا : إنهم لما قام أحبارهم في همة ونشاط لتحريف كتاب الله الذي إستحفظهم عليه بعد نبي الله موسى بن عمران ، وأتوا على الكتاب كله بالتحريف ، فقد عمد الخلف إلى إثبات ما في طبيعة هذا الجنس من نزعات عدوانية ، وطرائق نفسية مريضة ، وأحلام طافحة بالفجور،فكانت أسفار العهد القديم هي التي تحمل هذه وتلك ، ومن ثم لا يمكن اعتبار أسفار العهد القديم منزلة من عند الله تعالى، إذ المنزل من عند الله تعالى هو التوراة والألواح والصحف ، أما العهد القديم فلا علاقة له بهذه الكتب أصلاً ، والعناوين دالة على ذلك .

ثم إن التوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى بن عمران فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، لكن ما في أيديهم اسمه العهد القديم وأسفاره من بدايتها لمنتهاها تحمل أفكاراً نجري فيها الاعتقادات الوثنية من تعدد الآلهة وتجسداتها ، ونعتها بالنقص والتهور والغضب والانفعال ، والضعف وقبول الهزائم المتكررة ، كما أن فيها نعوت الأنبياء بالجرائم الخلقية والكفر وكل النقائص ، **ولا يمكن أن يكون ذلك في كتاب إلهي أبداً .**

تاسعاً : أن اليهود تجسدت اعتقاداتهم الإلهية في صور حيوانية وإنسانية ونباتية وجمادية وهي ذات الاعتقادات التي كانت تجري في أفهام الشعوب الوثنية كلها فلما دونت هذه العقائد بأيدي اليهود أنفسهم ، فقد دل الأمر على أنهم عاشوا في الوثنية إلى أبعد مدى،وعشقوها ودافعوا عن عشقهم لها ، ولم يكن لديهم استعداد للتخلي عنها ، وبناء عليه فقد أضاعوا التوراة والألواح والصحف ، وجعلوا بدلاً منها العهد القديم والتلمود ثم جاء الصهاينة وأضافوا إليها بروتوكولات حكماء

صهيون ، فالعملية مُدبرة ، والمسألة ليست خارج نطاق القصد ، بل الصحيح أنهم اندفعوا إليها اندفاع من يدرك الغاية التي يقوم بها .

ربما يقال أن الجنس الإسرائيلي هو الذي عدد الإله وجسده وجسمه ، لكن اليهود لم يكن منهم ذلك ، والجواب أن الإسرائيليين واليهود لم يعودا جنساً من الأجناس لأن احتفاظهم بما يدل على كونهم من أسباط بني إسرائيل ليس موجوداً كما أنهم في التفرق والشتات ضاعت المعالم التي كانت تربط أفراد هذا الجنس لكن الذي لم يضع هو الاعتقادات الفاسدة ، والتجاوزات التي لا حدود لها ، تنبئ عنه الذلة والمسكنة التي يعيشون فيها ، وما يجري في صور أفرادهم من حب للحياة ، وتعلق بها مهما كانت ذليلة رخيصة .

بل أنه مع التسليم بأن الجنس مازال معروفاً ، فان الممارسات الدالة هي المعول عليه ، وهي كفيلة ببيان أنهم اخذوا من الوثنيات كلها ، وأنهم سجلوا ما أخذوا في أسفارهم ، وإن لم يعلنوا عن سرقاتهم التي أخذوها حتى يوهموا غيرهم أنهم قد سجلوا ذلك بهدي من الإله الإسرائيلي نفسه ، وهم في كل ما زعموا كاذبون ، وسيظل أمرهم على الفساد قائماً ، فهم شياطين مردة ، يظهرون للسذج في أشكال مختلفة .

عاشراً :أن هذه الدراسة حاولت ـــ مع قريناتها ـــ إبراز الدعاوي الإسرائيلية **واليهودية في شكلها الطبيعي ، وبيان أن أسفار العهد القديم لا تمت للتوراة التي أنزلها على سيدنا موسى بن عمران بصلة ما ، وأن ما فيها ما هو إلا جملة من الأفكار التي جرت الوثنية فيها أكبر شوط ، وبالتالي فلا عصمة لهذه الأسفار ، ولا قيمة لما تدلي به من قضايا وأفكار ، كما أن بعض أسفارها قد دونه أفراد هذه الجماعة ، بغرض إظهار الخدمات التي قدمها البعض لأفراد هذا الجنس** كسفر استير،الذي وضع لتخليد ذكرى العتاه الإسرائيلية التي استطاعت خداع ملك فارس والقضاء على الكثير من أصحاب هذه الديار ، وتمكين العنصر

الإسرائيلي من ذات البلاد ، فكان السفر قد وضع لتقنين الجرائم ، وإعــــلان أن اليهود هم من أسوأ خلق الله ، لأنهم يقدرون الجرائم ، ويعلون شأن الرذائــــل ، ويخلدون ذكريات المجرمين، ولايمكن أن يكون ذلك قد أوحى به الله جل علاه .

كما أن هذه الدراسة قد عملت على بيان الأثر الذي أمتد من الأمم الوثنيـــة إلى الاعتقادات الإسرائيلية ، وأن هذا الأثر كان من السهل أن يمحى لــو كــان اليهود لديهم استعداد لذلك ، لكن اليهود تمسكوا بهذه الآثـــار ، وعملـــوا علـــى صيانتها من خلال تسجيلها،وتقديم الشروح المتعددة حولها،والإعلان الدائم عـــن صحتها .

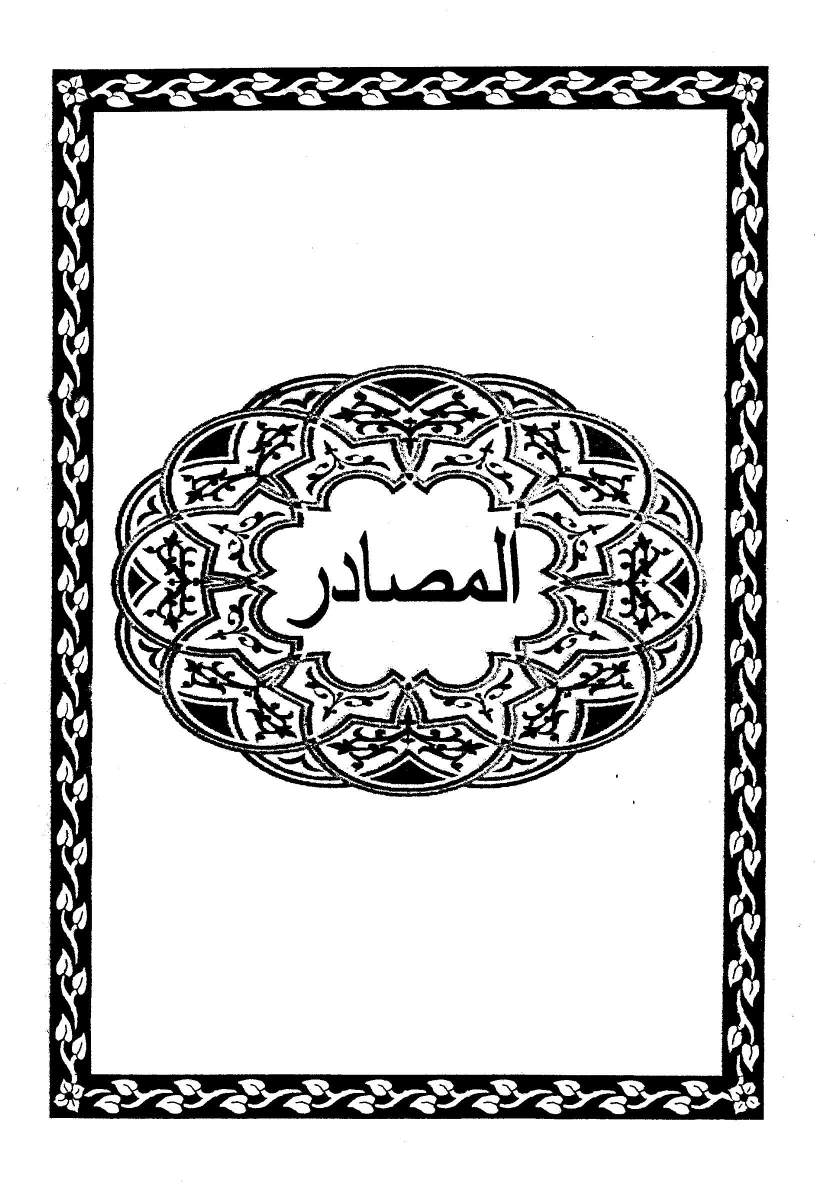
وبالتالي فلم يعد هناك أثر في نفوس هؤلاء اليهود لدين الله تعالى ، وما هم إلا جماعة من الجماعات الوثنية التي عاشت في الماضي،وتعيش في الحاضر لا تحل مناكحتهم ولا تعاملاتهم ، إلا في حدود ما أمر الله تعـــالى ، كمـــا يجـــب الحرص الشديد منهم ، والحذر في التعامل معهم ، لقوله تعالى :" ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم " .

ولا أظن أني بهذا قد أوفيت الدراسة حقها ، وإنما كل ما أدعيه هو أننـــــي بذلت فيها ما أعانني الله تعالى عليه ، ووفقني إليه ، فإن أكـــن أخطـــأت فمـــن تقصير نفسي وإن أكن وفقت ، فذلك الفضل من الله ، والله ذو الفضل العظيم .

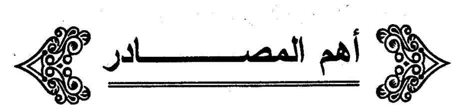
أما بعد : فها أنت أيها القارئ العزيز قد تنقلت معي من موطن إلى آخـــر ، وحتما كنت تراني أنزل إلى وهد ، ثم أخرج منه بإذن الله إلى ربوة ، كما كنـــت تراني ألاطم الأمواج العالية ، وأنا أطفو فوقها ألملم أشتات نفسي ، ثم تـــأخذني لجات المياه إلى الأمواج في مد وجزر أحياناً ، وعنف ومودة أحياناً أخرى ، وأنا في كل الحالات ضعيف يرجو السلامة ، وينشد الأمان ، ولئن كان قاربي نحيلاً،

ومجدافي واهناً ، إلا أن ثقتي في الله القوي القادر جعلتني أسير الشـــوط حتـــى وقفت على ما إليه وفقت ، وإني عزيزي القارئ طامع في مصـــاحبتك داخـــل الجزء الثاني من هذا الكتاب لاستكمال الرحلة إن شاء الله تعالى، فهل توافقني ؟؟





المصادر



أهم المصادر

أولا: القرآن الكريم وعلومه :

١ ـــ القرآن الكريم .

٢ ـــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – الإمام أبو السعود ط صبيح ١٩٥٢ م .

٣ ـــ البحر المحيط وبهامشه النهر الماد – العلامة أبو حيان التوحيدي الأندلسي طبعة دار الفكر ١٩٨٣م .

٤ ـــ تفسير القرآن العظيم – الإمام الحافظ ابن كثير ، طبعة الشعب .

٥ ـــ تنوير الأذهان من تفسير روح البيان – الشيخ محمد على الصابوني .

٦ ـــ تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين المحلى ، وجلال الدين السيوطي .

٧ ـــ تفسير البيضاوي – الإمام البيضاوي .

٨ ـــ التسهيل لعلوم التنزيل – للإمام ابن جزي الكلبي .

٩ ـــ تفسير التحرير والتنوير – الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ط الحلبي

١٠ـــ تفسير سورة البقرة – الشيخ محمد عبد العظيم البهنسي ، مطبعة الاستقامة

١١ـــ من فيض الرحمن في تفسير سورة آل عمران – الشيخ محمد محفوظ نور الدين ، عام ١٩٤٣م .

١٢ـــ تفسير سورة النساء – الشيخ توفيق محمد الدواليبي ط ١٣٣٥هـــ .

١٣ـــ تفسير سورة النساء – الشيخ محمد بهنسي ط الأولى ١٩٥١م .

١٤ـــ تفسير سورة المائدة – الشيخ محمد على الدين إبراهيم ١٩٧٤م .

١٥ـــ نظرات في سورة المائدة – الدكتور رمزي محمد الدليل ط أولى ١٩٨١م

١٦ــ تفسير سورة الأنعام – الشيخ محمد عبد النبي البكري ١٩٣٤م .
١٧ــ تفسير سورة الأنعام – الشيخ محمد عبد العظيم النكلاوي ط أولى ١٣٣٨هـ.
١٨ــ تفسير سورة الأنعام – الشيخ محمد عبد العليم على النادى ط أولى ١٩٢٧
١٩ــ نظرات في سورة الأنعام – الشيخ محمد عبد العظيم محمد أبو الوفا طبعة المهدي ١٩٢٧م .
٢٠ــ تفسير سورة هود – الشيخ محمد على المنزلاوي ط أولى ١٩٤٥م.
٢١ــ نظرات في سورة الإسراء – الشيخ محمد نصر الدين عطا الله ، الطبعة الأولى ١٩٤٧م .
٢٢ــ تفسير سورة طه – الشيخ على محمد محمد الحسيني .
٢٣ــ تفسير سورة الحج – الشيخ محمد على أبو النجا ط الدار الجديدة ١٩٥٧م
٢٤ــ تفسير سورة الشعراء – الشيخ محمد بن علي المغربي .
٢٥ــ تفسير سورة القصص – الشيخ على بن محمد الجامي المطبعة السلفية
٢٦ــ تفسير سورة غافر – الشيخ محمد علي أبو الوفا .
٢٧ــ نظرات في سورة الزخرف – الشيخ محمد عطيه البهتيمي ط الاستقامة عام ١٩٢١م .
٢٨ــ تفسير سورة الأحقاف – الشيخ محمد عبد الكريم الحسيني ١٩٦٥م .
٢٩ــ تفسير سورة الحجرات – الشيخ البسيوني محمد بسيوني ط فرج الكردي
٣٠ــ جامع البيان عن تأويل أي القرآن – الإمام الطبري ط الحلبي .
٣١ــ الجامع لأحكام القرآن – للإمام القرطبي ط الشعب .
٣٢ــ حاشية العلامة الصاوي على الجلالين – الشيخ أحمد الصاوي المالكي طبعة الحلبي .
٣٣ــ حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي .

٣٤ـ روح المعاني - الإمام الألوسي .
٣٥ـ زاد المسير في علوم التفسير - الإمام ابن الجوزي .
٣٦ـ صفوة التفاسير - الشيخ محمد على الصابوني .
٣٧ـ في ظلال القرآن - الأستاذ سيد قطب .
٣٨ـ الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين - للشيخ الجمل ط دار المنار.
٣٩ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - للإمام الزمخشري .
٤٠ـ مفاتيح الغيب - للإمام الفخر الرازي ط دار الغد العربي .
٤١ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .
٤٢ـ المفردات في غريب القرآن - للعلامة الأصفهاني .

ثانيا: السنة النبوية الصحيحة المطهرة وعلومها:

٤٣ـ صحيح الإمام البخاري .
٤٤ـ صحيح الإمام مسـلم.
٤٥ـ التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول - الشيخ حفني ناصف .
٤٦ـ سنن الترمذي .
٤٧ـ سنن ابن ماجه .
٤٨ـ صحيح ابن حبان .
٤٩ـ المستدرك على ما في الصحيحين .
٥٠ـ أنوار من السنة - الشيخ محمد عبد العظيم الثوري . ط ثالثة ١٣٢٥هـ
٥١ـ من أنوار السنة - الشيخ محمد صبري أحمد ط أولى ١٣٤٥هـ
٥٢ـ صحيح الجامع - تحقيق الشيخ الألباني .

٥٣ـ من أنوار السنة - الشيخ محمد عبد العظيم الطنبولي ط أولى ١٩٤٧م
٥٤ـ من هدي السنة - الشيخ طلعت محمد الفقي الطبعة الثانية المكتبة الحجازية ١٣٣٥هـ .

ثالثاً : المعاجم والدوائر :

٥٥ـ لسان العرب - العلامة ابن منظور ط دار المعارف .
٥٦ـ أساس البلاغة - العلامة الزمخشري ط الشعب .
٥٧ـ المصباح المنير - العلامة الفيومي المطبعة الأميرية .
٥٨ـ القاموس المحيط - للعلامة مجد الدين الفيروزابادي .
٥٩ـ المعجم الوجيز - ط التربية والتعليم ١٩٩٢م .
٦٠ـ معجم مقاييس اللغة - العلامة ابن فارس .
٦١ـ دائرة المعارف البستانية
٦٢ـ قاموس الكتاب المقدس .
٦٣ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي .
٦٤ـ موسوعة تاريخ الأقباط ط زكي شنودة
٦٥ـ موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط - تأليف طوني مفرج دار نوبليس ـ بيروت ١٩٩٥م .
٦٦ـ الكتاب المقدس .
٦٧ـ الدر الثمين في شرح سفر التكوين - المطبعة الخديوية بمصر ١٨٨٥م
٦٨ـ تفسير سفر التكوين - للقس رزق اسكندر - طبعة المحبة .

رابعا: المصادر العامة :

مرتبة حسب حروف الهجاء ، مع تقديم اسم الشهرة للمؤلف أولاً ، بعد تجريده من حرف ال إن وجد ، ثم اللقب ، ثم الاسم الأصلي الذي دون به .

حرف الألف

❖ ابن عطاء الله ـ الإمام تاج الدين أبو العباس أحمد بن السكندري

٦٩ـ تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ط الحلبي ١٣٧٥هـ ١٩٥٦م

❖ ابن ربيعة ـ العلامة شمس الدين محمد

٧٠ـ الاقباس في الأجناس ط ١٣٠٧هـ

❖ ابن حزم ـ الإمام

٧١ـ الفصل في الملل والنحل والأهواء .

❖ ابن القيم ـ الإمام

٧٢ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان .

٧٣ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى بهامش الفارق بين المخلوق والخالق سلسلة ذخائر العرب .

❖ ابن المقراح ـ الدكتورة وفاء محمد

٧٤ـ آشور وتغيرات العصور ط دار الثقافة العربية بالمغرب ١٩٨٣م.

❖ أبو هداية ـ الشيخ محمد عبد العظيم

٧٥ـ التوحيد الخالص ط أولى الدار القومية ١٣٣٥هـ .

❖ أبو سنة ـ الدكتورة سنية محمد

٧٦ـ عادات وعبادات قديمة ط الدار الجديدة ١٩٧٧م .

❖ أبو خضر ــ الدكتور التهامي محمد

٧٧ــ آليات السوق دراسة معاصرة ط دار نوار ١٩٨٥م

❖ الأشقر ــ الدكتور عبد العظيم حسن

٧٨ــ اليهود في مرحلة الشتات ط دار مراد ١٩٥٩م .

❖ أولن ــ أ . ب

٧٩ــ اليهود وتاريخهم العام ترجمة زكي صبري ١٩٧١م .

❖ أندرسون ــ أ .ج

٨٠ــ إسرائيل التوراة ترجمة فوزي رزق ط دمشق ١٩٧٣م .

❖ إبراهيم ــ الدكتور ــ نجيب ميخائيل

٨١ــ مصر والشرق الأدنى القديم ط دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .

❖ إسماعيل ــ الأستاذ فاروق

٨٢ــ الوثنية مفاهيم وممارسات ط دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٨٥

❖ اسكورت ــ مارتن

٨٣ــ الفكر الشرقي القديم ــ العقائد والعبادات ترجمة زكي رزق ط الثانية ١٩٥١م .

❖ أبو الفضل ــ الدكتور ناظم السيد

٨٤ــ الإله اليهودي في أسفارهم ط دار العهد الجديد ١٩٦١م .

❖ أبن كثير ــ الإمام الحافظ

٨٥ ــ البداية والنهاية .

❖ أدرمان ــ أدولف

٨٦ ــ عقائد مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلف سنة ترجمة الدكتور عبد المنعم بكر وآخرين ط الحلبي .

❖ أبو حويلة ــ الشيخ محمود رزق محمد

٨٧ ــ اليهود والعقائد الوثنية ط الدار الجديدة ١٩٣٧م .

❖ أورسيل ــ ماسيون

٨٨ ــ الفلسفة في الشرق ــ ترجمة الدكتور محمد يوسف مرسي .

حرف الباء

❖ البيطار ــ الشيخ محمد على

٨٩ ــ عقائد مصر القديمة ط دار المختار ١٩٣٧م .

❖ باريه ــ هنري

٩٠ ــ الأكاديون والسومريون ترجمة عبد العاطي فرج ١٩٥٧م .

❖ بريستيد ــ جميس هنري

٩١ ــ العصور القديمة ــ ترجمة داود قربان ط مؤسسة عز الدين بيروت ١٩٨٣م.

٩٢ ــ فجر الضمير .

❖ بارو ــ أندريه

٩٣ ــ بلاد آشور ــ نينوي وبابل ط وزارة الثقافة - بغداد ١٩٨٠م .

❖ بلانت ــ أنطوني

٩٤ ــ الكلدانيون حضارة وتاريخاً - ترجمة الدكتور خليل حسان ط ١٩٥٧م

❖ بارندر ــ جفري

٩٥ ــ المعتقدات الدينية لدى الشعوب ــ ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام سلسلة عالم المعرفة بالكويت ١٩٩٣م .

❖ البرديسي ــ الشيخ محمد على

٩٦ ــ نظرات في كتاب الله - مطبعة المهدي ١٩٥٧م .

❖ البيري — الدكتور وفيق عبد العظيم

٩٧ — دراسات في اليهودية ط بيروت ١٩٥٦م.

❖ البستاني — الشيخ نصر الدين حسين

٩٨ — التجسيم عند اليهود ط دار الاستقامة ١٣٣٠هـ

❖ البغدادي — الإمام عبد القاهر

٩٩ — الفرق بين الفرق — تحقيق الشيخ محمد محي الدين .

❖ بروكلي — الدكتور يوهان

١٠٠— قراءة في أسفار العهد القديم — ترجمة ناهد مرسي ١٩٦١م .

❖ بدوي — الدكتور فوزي محمد

١٠١— اليهود وتاريخهم ط ثانية ١٩٥٩م .

❖ بيدراس — تشايندر

١٠٢ — التوراة والأساطير - ترجمة وفدي عبد العاطي ط حلب ١٩٦١م

❖ بانتيهوم — أندريسيون

١٠٣ — قراءات في الأسفار المقدسة - ترجمة صفوت زكي .



حرف التاء

❖ توفيق — الدكتور محسن محمد

١٠٤ — علاقة الداروينية بالصهيونية - دار المنير ١٩٥٧م .

❖ توماس — فرانسوا

١٠٥ — آلهة مصر - ترجمة زكي موسى الهيئة المصرية -الكتاب الثاني ١٩٨٦م سلسلة الألف كتاب .

❖ تانيهوم ــ المستشرق أ . ب
١٠٦ ــ اليهود والتراث الهلليني - ترجمة وفاء صادق ط بغداد ١٩٧١م
❖ توكاريف ــ أ . سيرغي .
١٠٧ ــ الأديان في تاريخ شعوب العالم - ترجمة الدكتور أحمد فاضل ط الأهالي بسورية ١٩٩٨م .



❖ ثابت ــ الدكتور فوزي السيد
١٠٨ ــ بابل والحضارة القديمة - الطبعة الأولى ١٩٥٧م .
❖ ثروت ــ الدكتور صبري محمد
١٠٩ ــ الفرق والطوائف اليهودية القديمة والحديثة ط أولى ١٩٦١م .
❖ ثروت ــ الدكتور محمود محمد
١١٠ ــ اليهودية فرق وأسفار ط أولى ١٩٦٥م .
❖ الثروي ــ الشيخ محمد عبد العظيم
١١١ ــ الأسفار اليهودية ط الثانية ١٣٣٩هـ
❖ الثروي ــ الشيخ محمد أحمد
١١٢ ــ اليهود ونقضهم المواثيق والعهود ط ثانية دار مراد ١٩٤٥م .



❖ جعفر ــ الدكتور صبري حسن
١١٣ ــ اليهود والتراث اليهودي ط دار هدى ١٩٦٥م .

❖ جبر ـ الدكتور فوزي السيد

١١٤ ـ الفرق اليهودية قديماً وحديثاً ط أولى ١٩٧٥م .

❖ الجرجاني ـ السيد الشريف

١١٥ ـ حاشية الجرجاني على مطالع الأنظار ط ١٣٠٥هـ .

١١٦ ـ شرح المواقف

❖ الجاحظ ـ العلامة

١١٧ ـ رسائل الجاحظ ـ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

❖ الجرجاوي ـ الشيخ محمد عبد العظيم

١١٨ ـ أنبياء الله - مطبعة الشيخ أبو الوفا ١٣١٥هـ .

❖ جيرفين ـ توماس

١١٩ ـ نظرات في التراث اليهودى ترجمة الدكتور زكريا توفيق ١٩٧١م.



حـرف الحـاء

❖ حكمت الله ـ الشيخ على محمد

١٢٠ ـ العقائد الوثنية ط دار المشيخة تركيا ١٣١٥ هـ .

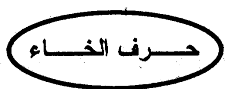
❖ حتى ـ المستشرق فيليب

١٢١ ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - ترجمة جورج حداد ، وعبد الكريم رافق ط دار الثقافة بيروت ١٩٥٨م .

١٢٢ ـ موجز تاريخ الشرق الأدنى - ترجمة الدكتور أنيس فريحة ط دار الثقافة ـ بيروت مطبعة الغريب .

❖ حويطه ـ الدكتور صبري محمد

١٢٣ ـ اليهود العقائد والمشكلات ط الدار الجديدة ١٩٥٧م .



❖ خليل ـ الدكتور عبد العظيم محمد على

١٢٤ ـ الحضارة المصرية القديمة ط أولى ١٩٦٥م .

❖ الخطيب ـ الأستاذ عبد الكريم

١٢٥ ـ الله ذاتاً وموضوعاً - الطبعة الثالثة دار الفكر العربي بالقاهرة١٩٨٣

❖ خطاب ـ الدكتور محمود محمد

١٢٦ ـ دراسات في اليهودية ط الدار العصرية ١٩٦١م .

❖ خاطر ـ الدكتور رمزي حسن

١٢٧ ـ الفروق الفردية بين الأسوياء ط سعيد رأفت ١٩٨١م .



❖ الديداموني ـ الشيخ محمد منصور

١٢٨ ـ بلاد الرافدين وحضارة الأشوريين ط دار نجم ١٩٥١م .

❖ ديتاي ـ المستشرق أ . ب

١٢٩ ـ المجتمعات الدينية في القديم - ترجمة حنان نعمة الله ط دار فاضل ١٩٦٣م .

❖ درديري ـــ الأستاذ ركي محمد

١٣٠ ـــ اليهود والتشريعات الجديدة طبعة ثانية ١٩٤٥م .

❖ ديورانت ـــ ول

١٣١ ـــ قصة الحضارة المجلد الأول ترجمة د/ زكي نجيب محمود وآخر

❖ ديب ـــ سهيل ميخائيل

١٣٢ التوراة بين الوثنية والتوحيد ط دار النفائس ـــ بيروت .



❖ الذهبي ـــ شيخ الإسلام الحافظ

١٣٣ ـــ تاريخ الإسلام ومشاهير الأعلام ج ٢ السيرة النبوية .

❖ الذكي ـــ الدكتور صابر محمد

١٣٤ ـــ العقائد اليهودية ط ثانية ١٩٦٧م .



❖ رمضان ـــ الدكتور على السيد

١٣٥ ـــ الصين وعباداتها القديمة ط أولى ١٩٤٧م .

حــرف الــزاي

❖ زكريا ــ الدكتور عبد البديع حسن

١٣٦ ــ الاتجاهات العامة في اليهودية ــ مطبعة الجيل ١٩٨١م .

حــرف الســين

❖ السرجاني ــ الدكتور محسن السيد

١٣٧ ــ أشور الحركة والدولة ط دار التوحيد ١٩٦٥م

❖ السنوسي ــ الإمام محمد بن يوسف

١٣٨ ــ عمدة أهل بالتوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد وعليها حواشي على شرح الكبرى الحلبي ١٣٥٤هـ ــ ١٩٣٦م .

❖ سليمان ــ الدكتور محمد المهدي محمد

١٣٩ ــ العقائد وتطوراتها ط أولى ١٩٧٥م .

❖ السنديوني ــ الشيخ محمد عطوه

١٤٠ ــ من جرائم اليهود ط أولى ١٩٤٥م .

❖ السعيد ــ الدكتور ناظم السيد محمد

١٤١ ــ المنظومة التاريخية ط أولى دار الهدى دمشق ١٩٤٣م .

❖ السكري ــ الدكتور محمد على

١٤٢ ــ اليهود والتلمود الطبعة الثانية ١٩٥٥م .

❖ سونيرون ــ المستشرق سير . ج

١٤٣ ــ كهان مصر القديمة ترجمة الدكتورة زينب الكردي - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .

❖ سالم ــ الدكتور حسن محمد

١٤٤ ــ الحضارة اليونانية القديمة ط أولى ١٩٦٥م .



❖ الشوادفي ــ الشيخ عطيه إبراهيم

١٤٥ ــ دراسات في اليهودية المؤتمر العالمي للسيرة السنة العاشرة لمجمع البحوث الإسلامية .

❖ شعبان ــ الدكتور نادر محمد السيد

١٤٦ ــ بابل وآشور ــ حضارة قديمة ط أولى الإسكندرية ١٩٦٦م

❖ الشامي ــ الدكتور رشاد عبد الله

١٤٧ ــ الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية - الكويت١٩٨٦

❖ شمعون ــ القس جرجس

١٤٨ ــ اليهود والعهد القديم ط دار المحبة ١٩٤٥م .

❖ شولتز ــ صموئيل

١٤٩ ــ العهد القديم يتكلم ــ ترجمة أديب شكري مطبعة السلام ١٩٨٤م

❖ شنودة ــ القس زكي

١٥٠ ــ المجتمع اليهودى - مكتبة الخانجي

١٥١ ــ اليهود قبل المسيح - مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣م .

❖ شعبان ــ الدكتور محمد على

١٥٢ ــ اليهود الجنس والهوية ط دار الهدى ١٩٧٣م .

❖ شبل ــ الدكتور محمد فوزي

١٥٣ ــ دور الفراعين في العقائد المصرية ط أولى ١٩٥١م .

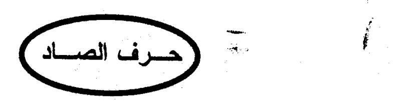
❖ الشهرستاني ــ الشيخ عبد الكريم

١٥٤ ــ الملل والنحل تحقيق الأستاذ عبد العزيز الوكيل ط الحلبي ١٣٨٨هـ ــ ١٩٦٨م .

١٥٥ ــ نهاية الأقدام في علم الكلام -

❖ الشافعي ــ الشيخ محمد نووي

١٥٦ ــ نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام ط الحلبي



حـــرف الصـــاد

❖ صالح ــ الدكتور عبد العزيز

١٥٧ ــ الشرق الأدنى القديم مطبعة الأنجلو المصرية ط الرابعة ١٩٨٤م .

❖ صادق ــ الدكتور / حسن السيد

١٥٨ ــ اتجاهات الفكر الدينى القديم ط الأولى دار المهدي تونس ١٩٥٦م.

❖ صقر ــ الدكتور / فوزي محمد

١٥٩ ــ دراسات في اليهودية ط أولي الدار الجديدة ١٩٧١م .

❖ صابر ــ الدكتور / محمد السيد

١٦٠ ــ العقائد الوثنية ط مكتبة هدى ١٩٦٥م .

❖ صبحي ــ الأستاذ / صبري محمد

١٦١ ــ دور الشعر القديم في تنمية الخيال ط أولى ١٩٣٧م .



❖ الضبع ــ الدكتور حسن محمد
١٦٢ ــ دراسات في اليهودية ط مكتبة دار الفؤاد ١٩٦١م .
❖ الضبع ــ الدكتور / محمد عبد العظيم
١٦٣ ــ دراسات في اليهودية القديمة ط أولي ١٩٥٧م .
❖ ضبيع ــ الأستاذ توفيق محمد
١٦٤ ــ آيات الله الكونية ط أولى ١٩٤٧ م .



❖ الطويل ــ الدكتور صبري محمد
١٦٥ ــ اليهود التاريخ والعقائد ط أولى ١٩٦٥م .



❖ ظاظا ــ الدكتور /حسن
١٦٦ ــ الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه – معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١م .
١٦٧ ــ الساميون ولغاتهم – مطبعة المصري بالإسكندرية ١٩٧١م
١٦٨ ــ الشخصية الإسرائيلية .

حــرف العيــن

- عبد الرازق ــ الشيخ محمد منصور توفيق

١٦٩ ــ فقه اللغة ط دار التوفيق ١٣١٨هــ

- عاشور ــ الأستاذ السيد محمد

١٧٠ ــ الربا عند اليهود طبعة القاهرة

١٧١ ــ مركز المرأة في الشريعة اليهودية ط القاهرة .

- عبد المجيد ــ الدكتور / محمد بحر

١٧٢ ــ اليهودية ــ مكتبة سعيد رأفت بالقاهرة ١٩٧٨م .

- عبد الباسط ــ الدكتور / محسن محمد

١٧٣ ــ اليهود وتاريخهم ط أولى ١٩٦٥م .

- عطية ــ الشيخ حسن عبد المعبود .

١٧٤ ــ اتجاهات الفكر الشرقي القديم ط أولى ١٩٥٧م .

- العقاد ــ الأستاذ عباس محمود

١٧٥ الله ــ كتاب في نشأة العقيدة الإلهية ط دار المعارف الطبعة السادسة .

- عويضة ــ الدكتور كامل محمد

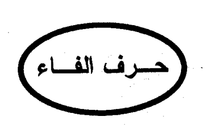
١٧٦ ــ كارل بوبر فيلسوف العقلانية النقدية ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هــ ١٩٩٥ م .

- العامري ــ الشاعر لبيد بن ربيعة

١٧٧ ــ ديوان لبيد ط دار صادر ــ بيروت .

- عميرة ــ الدكتورة نهال محمد

١٧٨ ــ الإمبراطورية الآكادية وحضارة الرافدين ط الدار القديمة بالمغرب.



❖ الفضالي ـــ الشيخ محمد بن الشافعى

١٧٩ ـــ كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام هامش تحقيق المقام طبعة الحلبى .

❖ فطيم ـــ الشيخ نصر الدين عبد الوهاب .

١٨٠ ـــ التوحيد عند المصريين القدماء ط ثان ١٩٤١م .

❖ فضل الله ـــ الشيخ على

١٨١ ـــ بلاد الهند وطبيعتها ط أولى ١٩٧٥م .

❖ فوزي ـــ الدكتور توفيق محمد

١٨٢ ـــ اليونان والحضارة ط أولى ١٩٦٥م .

❖ فكتور ـــ أ . ب جون

١٨٣ ـــ عقائد الشرق القديم - ترجمة وفاء صبري ١٩٧١م .

❖ فريسايف الأشمندريث

١٨٤ ـــ أديان العالم القديم - ترجمة الدكتور فوزي حافظ

❖ **فليفل ـــ الدكتور محمد السيد**

١٨٥ ـــ النفس في القرآن الكريم ط أولى الدار الجديدة ١٩٦٥م .

❖ **فريزر ـــ جيمس**

١٨٦ ـــ قراءات في العهد القديم - ترجمة هنري زكي .

١٨٧ ـــ الفولكلور في العهد القديم ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم الطبعة الثانية دار المعارف ١٩٨٢م .

❖ **فالبياس ـــ توماس**

١٨٨ ـــ المصارع التوراتي ترجمة صابر رزق ١٩٦٧م .



❖ القاري ــ الشيخ ملا على بن سلطان

١٨٩ ــ شرح ملا على الفقه الأكبر مطبعة الحلبي الثالثة ١٣٧٥هــ١٩٥٥م

❖ قرم ــ جورج

١٩٠ ــ تعدد الأديان وأنظمة الحكم ط دار النهار ــ بيروت .

❖ قنديل ــ الدكتور / عبد الرازق احمد

١٩١ ــ الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي ط دار التراث بالقاهرة ١٤٠٤هــ ١٩٨٤م .



❖ كريمر ــ صموئيل نوح

١٩٢ ــ الأساطير السومرية ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف الهيئة المصرية لعام ١٩٧٤م .

❖ كامي ــ البيــر

١٩٣ ــ الديانات القديمة ترجمة السيد زهدي ١٩٢٣م .

❖ كيلر ــ توماس هير

١٩٤ ــ الفروق الفردية بين غير الأسوياء ترجمة صابر حسن دار حسام ١٩٥٣م .

❖ كســــيل ـ ليوتا

١٩٥ ـ التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ترجمة الدكتور حسان ميخائيل .



❖ لملوم ـ الدكتور فخري محمد

١٩٦ ـ دراسات في الفلسفة اليونانية الأولى ١٩٦٥م الإسكندرية .

❖ لوبون ـ الدكتور جوستاف

١٩٧ ـ حياة الحقائق ترجمة الأستاذ عادل زعيتر ط القاهرة .

١٩٨ ـ اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ترجمة عادل زعيتر .

❖ لايف ـ أوليفيرا

١٩٩ ـ الكتاب المقدس والاتجاهات الأخرى - ترجمة زكريا عبد العاطي .



❖ مظهر ـ الأستاذ سليمان

٢٠٠ ـ قصة الديانات ط دار الوطن العربي

❖ محمود ـ الدكتور زكي نجيب

٢٠١ ـ المنطق الوضعي .

❖ موسكاتي ـ سبتينو

٢٠٢ ـ الحضارة السامية القديمة ترجمة الدكتور السيد يعقوب ط دار الرقي ـ بيروت ١٩٨٦م

❖ المنيلاوي ــ الشيخ رضوان على
٢٠٣ ــ العقلية اليهودية قديماً وحديثاً ط أولى ١٩٢٩م .
❖ المنيلاوي ــ الشيخ نصر الدين محمد
٢٠٤ ــ أنبياء الله في القرآن ط دار المهدي ١٩٤٧م .
❖ ماس ــ أ . ب هاري
٢٠٥ ــ الأديان القديمة ترجمة المهندس راجح الزيني دمشق ١٩٦٨م
❖ مارتن ــ أسكورت
٢٠٦ ــ نظرات الكتاب المقدس ترجمة وفاء صبري ١٩٨٠م .
❖ ميخائيل ــ القس جرجس
٢٠٧ ــ سنوات مع الكتاب المقدس مطبعة المحبة ١٩٤٧م .
❖ ما كدونالد ــ أرنولد
٢٠٨ ــ إسرائيل ــ الكتاب والشعب المقدسيين ترجمة ناصر زهدى ١٩٥٧م .
❖ محمد ــ الدكتور محمد عبد القادر
٢٠٩ ــ الديانة في مصر الفرعونية ط دار المعارف .
❖ مدكور ــ الدكتور إبراهيم بيومي
٢١٠ ــ مذكرات في الفلسفة ط الجامعة المصرية ١٩٤٦م .



❖ النبهاني ــ الشيخ محمد حسن خليل
٢١١ ــ نظرات في كتاب الله ط أولى ١٣٣٤هـ .

❖ نصر ـ الدكتور خيري محمد

٢١٢ ـ اليهود واليهودية ط أولى ١٩٦٥م .

❖ نبوي ـ الشيخ نبوي محمد

٢١٣ ـ النبوة والأنبياء ط دار الوفاء المحمدى ١٣٥٧هـ

❖ نبوي ـ الدكتور الشحات السيد

٢١٤ ـ عقائد قدماء المصريين ط أولى ١٩٥٧ م

❖ نصار ـ الشيخ محمد على .

٢١٥ ـ من قصص القرآن الكريم ط ثانية ١٣٣٥هـ



❖ هيلز ـ الدكتور فرانك

٢١٦ ـ الشخصية غير السوية وأثرها على المجتمع الإنتاجي ترجمة وفاء صادق ١٩٧٣م .

❖ هلال ـ الشيخ محمد بدر عبد العظيم

٢١٧ ـ أنبياء الله ط دار الكرنك ١٩٤٧م

❖ الهروي ـ الشيخ نعمت الرحمن بن محمد

٢١٨ ـ ما بعد طوفان نوح المطبعة الحجازية ١٣٠٥هـ .

❖ هيج ـ الدكتور توماس

٢١٩ ـ اليهود والكتاب المقدس ترجمة السيد حسن توفيق

❖ الهاشمي ـ الدكتور محمد فؤاد

٢٢٠ ـ الأديان في كفية الميزان ط أولى دار الحرية ١٩٥٦م .

٢٢١ ــ اليهودية والكتب المقدسة ط ١٩٦٧م

❖ هيرز ــ توماس

٢٢٢ ــ الحضارة القديمة في بابل وآشور ط أولى ١٩٥٧م

❖ هيدرز ــ أ . ب

٢٢٣ ــ ديانات فارس القديمة ترجمة زكريا رزق ط دار البهنند بالعراق ١٩٦١م .

❖ هلير ــ المستشرق ن .م

٢٢٤ ــ مجمل تاريخ العالم ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة دار اليقظة دمشق

❖ هيوك ــ المستشرق صموئيل هنري

٢٢٥ ــ منعطف المخيلة البشرية ــ بحث في الأساطير ترجمة صبحي حديدي ١٩٨٣م .

❖ هارفي ــ المستشرق أ . ب .

٢٢٦ ــ اليهود والتراث الهيلليني ترجمة وفاء رزق .



❖ وستن ــ هنري

٢٢٧ ــ العصور القديمة ترجمة داود قربان ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م .

❖ وافي ــ الدكتور على عبد الواحد

٢٢٨ ــ قصة الزواج والعزوبية في العالم

٢٢٩ ــ الأسفار المقدسة .

٢٣٠ــ اليهود واليهودية مكتبة غريب بالقاهرة ١٩٧٠م .

❖ ولفنسون ـ الدكتور إسرائيل

٢٣١ ـ موسى بن ميمون ، حياته ومصنفاته .

❖ وينسون ـ أ . ب

٢٣٢ ـ ٢٢٨ الأسفار اليهودية في المفهوم اليهودي ترجمة عبد العاطي ـصر .

❖ ويلز ـ ه . ج .

٢٣٣ ـ موجز تاريخ العالم ج ١ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد

٣٤ ـعالم تاريخ الإنسانية .

٢٣٥ ـ ـاريخ الإغريق والرومان ط ٣ ١٩٦٩م .



❖ يورج ـ المستشرق و . ج . دي

٢٣٦ ـ تراث العالم القديم ترجمة زكي موسى سلسلة الألف كتاب١٩٦٥م

وهناك العديد من المصادر سقطت سهواً ، أو تخفيفاً على جريدة المصادر ويمكن مراجعتها بهامش الصفحات . والله ولي التوفيق ،


الفهرس

((فهرس الموضوعات))

م	الموضــــــوع	الصفحة
١	**ابتهال ورجاء**	٣
٢	**المقدمــــــة**	٥
٣	**الباب الأول : التعريف بهم ودوافعهم لقبول الوثنيات**	١٥
٤	تمهيـــــــد	١٧
٥	**الفصل الأول : التعريف بهم**	٢٣
٦	أولا : في اللغة	٢٥
٧	ثانيا : في الاصطلاح	٢٧
٨	ثالثا : التســــــمية	٣٠
٩	التسمية الأولى باعتبار اللغة	٣٠
١٠	التسمية الثانية باعتبار المكان	٣٣
١١	التسمية الثالثة : بالإسرائيليين	٣٦
١٢	التسمية الرابعة : باليهـــــود	٤٤
١٣	**الفصل الثاني : أشهر فرقهـــم**	٦٧
١٤	أولا: أشهر الفرق في زمن موسى عليه السلام	٧١
١٥	الأول : فريق المؤمنين	٧١
١٦	الثاني : فريق الكافرين	٧٤
١٧	ثانيا: أشهر فرق اليهود بعد موسى عليه السلام	٩٨
١٨	الأول : المحرفــون	٩٩
١٩	الثاني : المزيفــون	١٠٢
٢٠	الثالث : أصحاب الأماني	١٠٥
٢١	الرابع : النابــذون	١٠٦
٢٢	ثالثا: مراحل القضاء على نبوة موسى عليه السلام	١٠٨
٢٣	المرحلة الأولى : الاعتداء على النصوص	١٠٨
٢٤	المرحلة الثانية : مخالطة الوثنيين والميل إليهم	١١٠

م	الموضـــــوع	الصفحة
٢٥	المرحلة الثالثة : النتاج الوثني	١١٤
٢٦	المرحلة الرابعة: تصدير النتاج الوثني	١١٨
٢٧	**المجموعة الأولى : فرق ما قبل الميلاد** :	١٢٠
٢٨	الفرقة الأولى : السامريون	١٢٠
٢٩	أهم اعتقاداتهم	١٢٢
٣٠	الفرقة الثانية : الربانيون ـ الفريسيون	١٢٧
٣١	أهم اعتقاداتهم	١٢٨
٣٢	الفرقة الثالثة : الصدوقيون	١٣٣
٣٣	أهم اعتقاداتهم	١٣٦
٣٤	الفرقة الرابعة: الحسديون ـ المشفقون	١٤١
٣٥	أهم اعتقاداتهم	١٤١
٣٦	**المجموعة الثانية : فرق ما بعد الميلاد:**	١٤٧
٣٧	الفرقة الأولى : العنانية ـ القراؤن	١٤٨
٣٨	أهم اعتقاداتهم	١٤٨
٣٩	الفرقة الثانية : الأسينيون	١٥٣
٤٠	أهم اعتقاداتهم	١٥٦
٤١	الفرقة الثالثة : العيسوية	١٦٢
٤٢	أهم اعتقاداتهم	١٦٣
٤٤	الفرقة الرابعة : المعادية ـ اليودعانية	١٦٤
٤٥	أهم اعتقاداتهم	١٦٥
٤٦	الفرقة الخامسة: السيرينوسية	١٦٦
٤٧	أهم اعتقاداتهم	١٦٦
٤٨	الفرقة السادسة: البنيامينية	١٦٧
٤٩	أهم اعتقاداتهم	١٦٨

م	الموضـــــوع	الصفحة
٥٠	الفرقة السابعة : الأكبرية	١٦٩
٥١	أهم اعتقاداتهم	١٧٠
٥٢	**الفصل الثالث : دوافعهم لقبول الوثنيات ....**	١٧٧
٥٣	الأول : الرغبة في الحياة	١٨٤
٥٤	الثاني : تقليد الآخرين	١٨٨
٥٥	الثالث : النفاق الاعتقادي	١٩٤
٥٦	الرابع : إشباع رغبتهم في إعلان التمايز العنصري	٢٠٧
٥٧	الخامس : إعلانهم العبقرية	٢١٩
٥٨	السادس : فقدان النصوص الصحيحة	٢٢٥
٥٩	**الباب الثاني : تعدد الآلهة الوثنية وأثره في اليهودية ......**	٢٣١
٦٠	مدخـــــل	٢٣٣
٦١	**الفصل الأول : تعدد الآلهة الفردية.................**	٢٣٧
٦٢	**أولا : في ديانة قدماء المصريين ....**	٢٤١
٦٣	**ثانيا : في ديانات بلاد الرافدين ....**	٢٦٣
٦٤	**أ ــ في ديانة البابليين ....**	٢٦٤
٦٥	**ب ــ في ديانة الآشوريين ....**	٢٦٨
٦٦	**ثالثا : في ديانة الكلدانيين ....**	٢٧٣
٦٧	**رابعا: في ديانات الصينيين وقدماء الهنود ......**	٢٧٨
٦٨	**خامسا: في ديانات اليونانيين القدماء ....**	٢٨٥
٦٩	**الفصل الثاني : تعدد الآلهة العائلية والجماعية والشعبية ..**	٢٩٣
٧٠	أ ــ تعدد الآلهة العائلية	٢٩٦
٧١	ب ــ تعدد الآلهة الجماعية	٣١٤
٧٢	١ ــ تعدد الآلهة الجماعية في الديانة الآكادية....	٣١٩
٧٣	٢ ــ تعدد الآلهة الجماعية في الديانة الأمورية ...	٣٢٤
٧٤	٣ ــ تعدد الآلهة الشعبية	٣٢٩

م	الموضـــــوع	الصفحة
٧٥	الباب الثالث : تجسدات الآلهة الوثنية وأثرها في اليهودية .	٣٥٥
٧٦	مدخـــــل	٣٥٧
٧٧	الفصل الأول : تجسدات الإله في أشكال حيوانية	٣٧٣
٧٨	١ ـ تأليه البعـــل	٣٧٨
٧٩	أ ـ كثرة الأسماء	٣٨٥
٨٠	ب ـ ذكره في أسفار العهد القديم	٣٨٦
٨١	ج ـ إقامة التماثيل والمذابح له	٣٨٨
٨٢	د ـ مساواة البعل بيهوه	٣٩١
٨٣	٢ ـ تأليه البعل الحيواني وتجسيده	٣٩٩
٨٤	٣ ـ تأليه البعل الذهبي	٤١١
٨٥	٤ ـ تأليه العجول الشخصية	٤١٩
٨٦	٥ ـ تأليه الأفعى ـ الحية النحاسية	٤٢٥
٨٧	الفصل الثاني: تجسدات الإله في أشكال إنسانية	٤٤٧
٨٨	١ ـ عند الأشوريين	٤٤٩
٨٩	٢ ـ عند الكلدانيين	٤٥٣
٩٠	٣ ـ عند الأورليين	٤٥٧
٩١	٤ ـ في ديانات الكلت الأقدمين	٤٦١
٩٢	أ ـ تجسدات في أشكال إنسانية	٤٦٤
٩٣	ب ـ تجسدات في أشكال حيوانية	٤٦٥
٩٤	٥ ـ في ديانة مصر الفرعونية	٤٦٩
٩٥	٦ ـ عند الموسكيين والبيرو	٤٧٤
٩٦	١ـ تغيير الطبيعة السكانية	٤٨٩
٩٧	٢ـ تكثيف عمليات الأسر وتواصلها	٤٩٠
٩٨	٣ـ الاستيلاء على كنوز الهيكل والبلاط الملكي..	٤٩٢

م	الموضـــــــوع	الصفحة
٩٩	٧ ــ مظاهر تجسدات اليهود للإله في الأشكال البشرية ..	٤٩٨
١٠٠	١ــ ملامح تجسد الإله في شكل الإنسان المتكامل....	٥٠٠
١٠١	أ ــ التجسد البشري لآدم وحواء	٥١٠
١٠٢	ب ــ تجسدات الرب لإبرام	٥١١
١٠٣	ج ــ ظهور الرب لإسحاق	٥١٥
١٠٤	د ــ تجسيد الرب لمصارعة يعقوب	٥١٧
١٠٥	٢ ــ تجسيد الأطراف والجوارح	٥١٩
١٠٦	أ ــ تجسد العين الجارحة للرب	٥٢٣
١٠٧	ب ــ تجسيد الأنف والفم والأذن	٥٢٤
١٠٨	ج ــ تجسيد الرأس والرجل	٥٢٥
١٠٩	د ــ تجسد اليد والكوع والأصابع	٥٢٦
١١٠	٨ ــ **موقفي منهم**	٥٢٧
١١١	١ ــ انتسابهم الزنا لنبي الله لوط وبطلانه	٥٣٣
١١٢	٢ ــ انتسابهم الزنا لنبي الله داود وبطلانه	٥٣٦
١١٣	٣ ــ انتسابهم يعقوب للخداع والسرقة وبطلانه...	٥٤١
١١٤	**الخاتمـــــــة**	٥٤٧
١١٥	**المصـــــــادر** :	٥٥٧
١١٦	أولاً : القرآن الكريم وعلومه	٥٥٩
١١٧	ثانياً : السنة النبوية الصحيحة المطهرة وعلومها ...	٥٦١
١١٨	ثالثاً : المعاجم والدوائر	٥٦٢
١١٩	رابعاً: المصادر العامة	٥٦٣
١٢٠	**الفهـــــــرس**	٥٨٣

مع تحيات / محمد كمال حسنين للكمبيوتر والتصوير والطباعة بالزقازيق